



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير

من أول سورة (الأنعام) إلى آخرها

جمعاً ودراسة وموازنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة:

أسماء بنت محمد عبد الله السلومي

الرقم الجامعي (٤٢٥٨٠١٦٣)

إشراف فضيلة الشيخ:

د/ عبدالعزیز عزت الوائلي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد.
الرسالة بعنوان: ترجيحات الإمام القرطبي من أول سورة الأنعام إلى آخرها. جمعاً
ودراسةً وموازنةً.

تتكون الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: بينت فيها أسباب اختيار هذا الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة فيه، ثم
ذكرت أبرز الإضافات العلمية، ومجال هذا البحث وحدوده، وبعد ذلك خطة البحث،
وأخيراً عملي ومنهجي في البحث.

أما التمهيد: فهو فيما يتعلّق بحياة الإمام القرطبي وترجمته، حيث أبان البحث عن
أهم مراحل حياته، وأبرز مكانته العلمية، وأوضح مشاركته الجادة في التفسير، وأثره فيه،
وفي سائر العلوم من خلال آثاره القيّمة.

والقسم الأول من الرسالة: كانت الدراسة فيه عن منهج الإمام القرطبي في التفسير،
ومنهجه في الترجيح، وبينت فيه صيغ الترجيح ووجوهه عند القرطبي، وذكرت تأصيله
لقواعد الترجيح في التفسير مع أمثلة تطبيقية لها.

والقسم الثاني: وهو جوهر الرسالة، الذي عني بترجيحات الإمام القرطبي من أول
سورة الأنعام إلى آخرها، وقد بلغت مائة وعشرة ترجيحات، ودراسة هذه الترجيحات
دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من المفسرين، وغيرهم.

ثم ختمت البحث بفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة.

وقد أبان البحث عن قوّة ترجيحات هذا الإمام، وأنه لم يكن مقلداً في ترجيحاته
التفسيرية بل كان مجتهداً يعتمد المأثور أولاً، ثم الدليل والنظر ثانياً.

والحمد لله على توفيقه وامثاله

الباحثة:

أسماء بنت محمد عبد الله السلومي

ملخص الرسالة بالإنجليزي

"Praise to Allah and peace be upon his last messenger , his family and his fellowmen Amen"

The Thesis Title : the preferences of Immam Qurtubi from the beginning of " Sura of Al Anaam" till its end by means of assembling , studying and comparison .

The thesis is composed of in introduction ,a preface , two sections , a conclusion and an index.

The introduction : I illustrated the reasons for selecting this topic , its importance its precedent studies. Then I mentioned the most prominent scholastic improvisations , the area of this research and its limits .at last the method I adopted in it.

The preface : It is concerned with the biography of Immam Qurtobi .In the preface the research pointed out the most important stages of his life, his scholastic prestige and his impact on the interpretations of the Holy Quran and on other theological sciences through his valuable books.

The first section of the thesis : The study was about the approach of Immam Qurtobi in interpretation and preferences .Here I illustrated the forms of preferences and their types for Al Qurtobi .I also mentioned confirmation of the rules of preference in interpretation mentioning some applicable examples.

The second section: It is the core of this thesis that cares about the preferences of Imam Qurtobi from the beginning of the Surah of Al Anaam till its end .They are ١١٠ preferences .I studied these preferences in detail compared with the opinions of the interpreters of the Holy Quran and others .Then I concluded the research with indexes revealing the contents of the thesis.

The research illustrates the strength of the preferences of that Imam and that he was not imitating in his interpretation preferences , but he was persistent in studying the rightness of the prophet's saying first and then the evidence and reconsidering it

I am gladly grateful to my lord for his great help to me .

The researcher : Asmaa Mohammed Abdullah Al Saloomi



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فإن من أجل النعم التي أنعم الله بها على عباده، نعمة إنزال القرآن الكريم نوراً وهدى للناس كما قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وأخبر سبحانه أن هذا الكتاب مبارك - أي كثير الخير والبركة - وأنه إنما أنزله ليتدبره العباد، ولينتفعوا بما فيه من الآيات البينات، فقال ﷺ: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَدَّبُرُوا ءَابَتِهِ ؕ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وقد اجتهد العلماء الأعلام قديماً وحديثاً في تدبر كتاب الله، والغوص في بحور معانيه، فاستخرجوا منه درراً، واستنبطوا من آياته أحكاماً غرراً، واستفادوا من مواضعه دروساً وعبراً، وإن من هؤلاء الأئمة الأعلام: الإمام الهمام أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي ~ فقد كان له القدح المملئ في ذلك فألف تفسيراً



كاملاً للقرآن الكريم المسمى " بالجامع لأحكام القرآن " فقد جمع فيه فنوناً عديدةً، تضمن بسطاً في المعاني، وتوسعاً في الشرح اللغوي، والغريب من الألفاظ، وعرضاً لأسباب النزول، وذكراً للقراءات، والإعراب، واستشهاداً بأشعار العرب، ورداً على الفرق الضالة، هذا كله بالإضافة إلى ذكره للأحكام الفقهية في المسائل التي يتطرق إليها حين تفسيره للآيات.

وإن أبرز ما تميز به تفسيره للآيات ~ أنه في كثير من الأحيان - لا يكتفي بذكر أقوال المفسرين من السلف الصالح وغيرهم - بل يحقق ويدقق، ويختار ويرجح ما يراه صواباً من تلك الأقوال، بالدليل والبرهان، والحجة والبيان، ولذا أثنى عليه الأئمة الأعلام، كما سيأتي - إن شاء الله - في ترجمة الإمام..

وقد اعتنى كثير من الباحثين بجمع اختيارات الأئمة في التفسير وسجلت في هذه الجامعة المباركة رسائل علمية، منها: (اختيارات النحاس في التفسير)، و(ترجيحات أبي حيان الأندلسي- في التفسير)، و(ترجيحات ابن جزى الكلبي)، وأخيراً (ترجيحات القرطبي في التفسير).

فاستخرت الله ﷻ، واستشرت بعض الأساتذة الأفاضل في إكمال ما تيسر- من هذا المشروع (ترجيحات القرطبي) فكان نصيبي لرسالة الماجستير «ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخرها جمعاً ودراسة وموازنة».

🔖 أسباب اختيار الموضوع:

والدافع إلى تفضيل هذا الموضوع - ليكون بحثاً لي في مرحلة الماجستير - أجمله في الأمور الآتية :

١- تعلق هذا الموضوع بكتاب الله الكريم الذي لا تنقضي- عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، كما أن لهذا الموضوع تعلقاً مباشراً بدراستي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، وأرجو من الله تعالى أن يعلمني ما ينفعني، وأن ينفعني بما علمني.



٢- منزلة تفسير الإمام القرطبي الرفيعة بين علماء التفسير قديماً وحديثاً، وقد استفاد منه الباحثون في جوانب عديدة كالفقه، واللغة، والنحو، والقراءات، وأصول الدين، وغيرها، وبقي الجانب الأهم، والركن الأعظم فيه؛ وهو ترجيحاته التفسيرية لكلام الله ﷻ، لاسيما وأن المتبادر إلى الأذهان أنه في أحكام القرآن، إلا أنه مليءٌ بعرض الأقوال في التفسير وترجيحه لما يراه الأقرب للصواب بطرق ترجيحية معينة.

٣- القيمة التفسيرية لهذا الموضوع، فهو متعلق بمعرفة الراجح من الأقوال في تفسير أي القرآن، مما يجعل القارئ له على إمام بمواطن الاتفاق والاختلاف.

٤- إن في هذا البحث تطبيقاً لقواعد الترجيح في التفسير التي وضعها العلماء، وهذه الدراسة تطبيق لتلك القواعد في بيان أثرها للدلالة على أرجح الأقوال. والله أسأل التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

❁ أما أهمية الموضوع فمنها ما يلي :

١- إن تفسير القرطبي " الجامع لأحكام القرآن " من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، وقد استفاد منه طلاب العلم والعلماء على اختلاف تخصصاتهم ومآربهم، فتميز تفسيره - واختياراته وترجيحاته على وجه الخصوص - يتطلب جهداً علمياً موثقاً، يكون مرجعاً معتمداً للباحثين والدارسين.

٢- المكانة العلمية للمفسر، فقد اشتهر مؤلفه ~ وذاع صيته، وعلا قدره، واكتسب القبول، وفي دراسة ترجيحاته إبراز لجانب مهم من جهوده في التفسير.

٣- إن التفسير علم كثرت فيه الأقوال وتعددت الآراء فيه فهو بحاجة إلى التحقيق والترجيح؛ وهذا العمل من أهم مقاصد التفسير.

٤- اعتماد هذا الموضوع على السبر والمقارنة، والمناقشة والموازنة، والترجيح المقترن بالدليل والتعليل، حيث يُكسب الباحث قوّةً وملكةً في تفسير كتاب الله تعالى، وهذا ما لا يتوفر في كثيرٍ من الموضوعات.

الدراسات السابقة:

لم يتطرق أحد من الباحثين - بحسب علمي - إلى ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير في دراسة مستقلة، وإنما جملة ما بحث في تفسير هذا الإمام منصباً على الدراسات اللغوية والنحوية، أو الاحتجاج للقراءات، أو الترجيحات في الأحكام الفقهية، أو تحقيق الكتاب وبيان الدخيل فيه، أو ذكر منهجه في التفسير، ومن تلك الدراسات:

١- أثر المعنى في توجيه الشاهد النحوي في تفسير القرطبي. رسالة علمية مقدمة من الطالب: يوسف بن سليمان عليان، لنيل درجة الماجستير من جامعة اليرموك، كلية الآداب، إربد (١٩٩١م)

٢- الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير القرطبي، تخريج ودراسة، رسالة علمية مقدمة من الطالب: علي صبري إبراهيم لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب (١٩٩٨م).

٣- اختيارات القرطبي في المعاضات المالية من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن: دراسة فقهية مقارنة، رسالة علمية مقدمة من الطالب: فهد بن مهنا الاحمدي، لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٢٣هـ).

٤- الآراء الأصولية للإمام القرطبي من خلال تفسيره، رسالة علمية مقدمة من الطالب: عيسى بن يوسف العيسى، لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ببغداد، كلية الفقه وأصوله (١٤٢٣هـ)

٥- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، رسالة علمية مقدمة من الطالب: سيدي عبدالقادر بن محمد محمود الطفيل؛ لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة الإسلامية. (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٦- ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابه الجامع لأحكام القرآن. رسالة علمية مقدمة من الطالبة: سعدية بنت حامد الجهني، لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من كلية التربية بجده (١٤١٤هـ).



- ٧- الدخيل في تفسير القرطبي. رسالة علمية مقدمة من الطالب : أحمد الشحات أحمد موسى، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين - القاهرة.
- ٨- الدرس اللغوي في تفسير القرطبي. سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران. رسالة علمية تقدم بها الطالب : علي بن زكريا علي الجوشي ، لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب (١٩٩٧ م).
- ٩- القرطبي مفسراً. رسالة علمية مقدمة من الطالب : علي بن سليمان العبيد. لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه ، الرياض (١٩٨٢ م).
- ١٠- القرطبي ومنهجه في التفسير. رسالة علمية مقدمة من الطالب : محمود حامد زلط القصبي ، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين - القاهرة - (١٩٧٢ م).
- ١١- القضايا النحوية في تفسير القرطبي ، رسالة علمية مقدمة من الطالب: كاظم بن إبراهيم كاظم، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة (١٤٠٢ هـ)
- ١٢- المسائل الأصولية في كتاب الجامع لإحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي، جمعا ودراسة ، رسالة علمية مقدمة من الطالب زين ولد احمد ، لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٢٠ هـ)
- ١٣- المعنى والإعراب في تفسير القرطبي. رسالة علمية مقدمة من الطالب: محمد سعد محمد السيد ، لنيل درجة الماجستير من جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، (١٩٨٩ م).
- ١٤- منهج الإمام أبي عبدالله القرطبي في استنباط الأحكام من خلال تفسيره الجامع لأحكام القرآن. رسالة علمية مقدمة من الطالب: حارث بن محمد سلامة العيسى، لنيل درجة الماجستير، من جامعة آل البيت، كلية الآداب، الأردن (٢٠٠٠ م).
- ١٥- منهج الإمام القرطبي في أصول الدين. مقدمة من الطالب: أحمد بن عثمان المزيد، لنيل درجة الماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤١٢ هـ).

الإضافات العلمية:

إن أبرز الإضافات العلمية لهذا البحث - من وجهة نظري - يمكن إجمالها في الآتي:

- معرفة ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير ودراساتها.
- إبراز منهجه في ترجيح تفسيرٍ معيّن.
- معرفة قواعد الترجيح في تفسيره.
- معرفة صيغ الترجيح عنده.

مجال البحث وحدوده:

مجال البحث يدور حول ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، جمعاً ودراسة، وموازنتها باختيارات المفسرين الآخرين، وترجيحاتهم، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة، إضافة إلى بعض الدراسات المتخصصة في مشكل القرآن، وغريبه، وإعرابه، وغير ذلك مما له صلة مباشرة بموضوع البحث. ثم محاولة الوصول إلى أقرب الأقوال إلى الصواب وأرجحها بحسب الأدلة والمرجحات متجردة - إن شاء الله - من التعصب لرأي أو شخص.

وقد قمت بتتبع ترجيحات الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، من أول سورة الأنعام إلى آخرها، فبلغت مئة وعشرة ترجيحات. فيما يتعلق بتفسير الآيات، وبيان معانيها، وأحكامها، وإعرابها، والقراءات التي تؤثر في معانيها. سائلة المولى التوفيق والسداد.

✪ خطة البحث:

تتكون من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:
المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة،
وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: وفيه ترجمة موجزة للإمام القرطبي:

أولاً: اسمه ونسبه ومولده.

ثانياً: حياته ونشأته.

ثالثاً: صفاته وأخلاقه.

رابعاً: عقيدته ومذهبه.

خامساً: حياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه.

سادساً: مكانته العلمية ومؤلفاته.

سابعاً: وفاته.

القسم الأول: وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج الإمام القرطبي في تفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.

المطلب الخامس: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصر التابعين.

المطلب السادس: عنايته بالقراءات.



المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات.

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب.

المطلب الرابع: عنايته بالأساليب البلاغية في الآيات القرآنية.

المبحث الثالث: تفسيره القرآن بالرأي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات.

المطلب الثاني: عنايته بأسرار العربية، وفقه اللغة .

الفصل الثاني: منهج الإمام القرطبي في الترجيح في تفسيره ، وفيه تمهيد

ومبحثان:

التمهيد: وفيه تعريف الترجيح والاختيار، وأهمية هذا الفن.

المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح.

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال

الأخرى بصيغة التمرير.

المطلب الرابع: اقتصار الإمام القرطبي على نص الترجيح في المسألة لأحد

العلماء السابقين، مما يدل على تأييده لقوله.

المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي، وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن.



- المطلب الثالث: الترجيح بالسياق.
- المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.
- المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي.
- المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.
- المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف.
- المطلب الثامن: الترجيح بدلالة العموم.
- المطلب التاسع: الترجيح بدلالة الأصل المعترف في كلام العرب.
- المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها.
- القسم الثاني: ترجيحات الإمام القرطبي من أول سورة الأنعام إلى آخرها.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والخلاصات ، التي توصلت إليها في هذه الدراسة.
- الفهارس: وتتضمن الفهارس الآتية:
- ١- فهرس الآيات القرآنية.
 - ٢- فهرس القراءات الشاذة.
 - ٣- فهرس الأحاديث النبوية.
 - ٤- فهرس الآثار.
 - ٥- فهرس الأعلام.
 - ٦- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
 - ٧- فهرس الفرق والقبائل.
 - ٨- فهرس الأماكن والبلدان.
 - ٩- فهرس الشواهد الشعرية.
 - ١٠- فهرس المصادر والمراجع.
 - ١١- فهرس الموضوعات.

❖ طريقة عملي ومنهجي في البحث:

لقد سرت في كتابة هذا البحث على النهج التالي:

أولاً: جمعت المسائل التي رجحها الإمام القرطبي في المقدار المحدد للدراسة معتمدة على التالي:

- ❖ نص الإمام القرطبي على الراجح في المسألة.
 - ❖ نص الإمام القرطبي برد أو تضعيف بعض الأقوال في تفسير الآية. الأمر الذي يشعر بترجيحه للآخر.
 - ❖ ذكر القول الراجح بصيغة الجزم وتعقبه بمزيد بيان أو تعليل، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمریض.
 - ❖ اقتصار الإمام القرطبي على نص الترجيح بالمسألة لأحد العلماء السابقين، مما يدل على تأييده لقوله.
- ثانياً: درست هذه الترجيحات دراسة تفصيلية مقارنة بأقوال أئمة العلم من مفسرين، وفقهاء، ولغويين، وذلك على النحو التالي:

- ❖ ذكرت الآية كاملة، ورقمها، ثم ذكرت عدد المسائل فيها.
- ❖ وضعت عنواناً مختصراً لكل مسألة ليدل على مضمونها.
- ❖ ذكرت قول القرطبي في المسألة إما بنصه كاملاً - وهو الغالب - أو أكتفي بذكر النص المبين أو المتضمن ترجيحه إن كان طويلاً، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

❖ الدراسة والترجيح وفيها ما يلي:

- ١ - صدرت الدراسة بذكر الموافقين لترجيح القرطبي ممن تقدمه أو تأخر عنه من المفسرين، سواء كانت هذه الموافقة تصریحاً أو تلميحاً، مع ذكر الأدلة والحجج ومناقشتها.



٢- ثبت بذكر بقية الأقوال في المسألة معزوةً إلى قائلها، مع ذكر أدلتهم وحججهم ومناقشتها.

٣- بينت من لم يكن له ترجيح أو اختيار من المفسرين في المسألة.

٤- رجحت بين الأقوال حسب ما أدى إليه نظري واجتهادي مستنيرةً بالأدلة، ومتجردةً - إن شاء الله - من التعصب لرأي أو شخص.

٥- وأخيراً ذكرت قواعد الترجيح في الدلالة على أرجح الأقوال لمزيد من التأصيل والبيان، والتوضيح والبرهان.

ثالثاً: كتبت الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم وجعلتها بين قوسين مُزهرين ﴿ ﴾ وذكرت اسم السورة ورقم الآية في صلب الرسالة لعدم إقبال الحواشي وذلك بين قوسين مكعبين [].

رابعاً: ضبطت الآيات وفق القراءات المختلفة التي وردت فيها. ووثقتها من مصادرها الأصلية في هذا الفن، ومن كتب التفاسير، والإعراب أحياناً.

خامساً: خرجت الأحاديث وعزوتها إلى مصادرها الأصلية وجعلتها بين قوسين هلالين () فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اقتصر على تخريجه منه، وإن لم يكن فيها أو أحدهما خرجته من كتب السنن الأربعة، وإن لم يكن فيها خرجته من الكتب التسعة، وإلا بما في كتب السنة الأخرى، وأذكر بعض أقوال علماء الحديث في الحكم عليه إن وجدت.

سادساً: خرجت الآثار، بدون الحكم عليها في الغالب، واقتصر على تخريجها من كتب أربعة هي: تفسير عبدالرزاق، وجامع البيان للطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، والدر المنثور للسيوطي، فإن لم أجد الأثر فيها اكتفيت بذكر بعض من أورده في تفسيره.

سابعاً: وثقت النقول والأقوال وجعلتها بين قوسين صغيرين « »، وإذا حذف شيئاً من النص المنقول وضعت مكانه نقطاً هكذا....، وذكرت في الحاشية "اسم



الكتاب والجزء والصفحة التي فيها بداية النص إن كان من عدة صفحات"، وأخرت ذكر معلومات الكتاب إلى فهرس المصادر والمراجع.

ثامناً: ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في صلب الرسالة ترجمةً موجزةً وافية بالغرض، واستثنت الخلفاء الأربعة، والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربعة، وأحلت بعد كل ترجمة ما بين كتاب إلى أربعة من كتب التراجم، ولا أحيل إلى الترجمة إيجازاً.

تاسعاً: شرحت الكلمات الغريبة بالرجوع إلى كتب الغريب والمعاجم.

عاشراً: عرفت بالمصطلحات، والأماكن، والفرق، والقبائل، التي تحتاج إلى تعريف.

الحادي عشر:- عزوت الأبيات الشعرية إلى دواوين أصحابها، ومصادر المعتمدة.

الثاني عشر: التزمت الترتيب الزمني للوفيات في ذكر العلماء، أو مؤلفاتهم في المتن، ولم أخالف ذلك إلا لأمر يقتضيه المقام، كأن يكون المنقول متأخر فيه بيان وإيضاح.. وهكذا.

الثالث عشر: حبرت نص ترجيح القرطبي، ونص الشاهد من الأقوال المنقولة غالباً، والقواعد الترجيحية لتمييز للقارئ.

الرابع عشر:- ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط مما تُشكّل قراءته، ويلتبس نطقه.

وأخيراً: ذيلت البحث بفهارس كاشفة لتيسير الوصول إلى المعلومة، واعتمدت فيها على الترتيب الهجائي عدا فهرس الآيات فرتبتها على ورودها في المصحف.



وبعد..

فإن الحمد بدءاً لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وهو أهل الثناء والحمد، وأحق ما قال العبد، وكلنا له عبد، فقد يسر لي إنجاز هذا العمل، وما كان ليتم لولا فضله ورحمته، وإسباغ نعمته ومنته، وتوفيقه وتسديده.

ثم كلمة شكر ووفاء، لأهل الفضل والعطاء، والذي الكريمين اللذين وجدت في رحابهما كل الدفء الأسري، والتأييد المعنوي، والدعاء القلبي. فاللهم اجزمهم عني خير الجزاء، وأنعم عليهما، وبارك فيهما، وزدهما من نعمك كما تحب وترضى.

وكلمة شكر لزوجي الحبيب، الذي طالما قصرت في حقه، لوفاء حق هذا البحث، غير أنه لنُبِّله، وكريم أصله، وطيب معدنه، شحذ الهمة وقوى العزيمة، وأقال العثرة ومسح العبرة، فله أجمل عبارات الشكر والعرفان، وأنهاراً من الثناء والامتنان.

وكلمة وفاء.. لصاحب اليد البيضاء.. فضيلة شيخي الدكتور: عبدالعزيز عزت الوائلي الأستاذ بقسم الكتاب والسنة الذي تفضل مشكوراً - وإن شاء الله - مأجوراً على إتمام الإشراف، ورعاية هذا الموضوع فقد أعطاني الكثير من خلاصة فكرة، وثمانين وقته، كل هذا بصدر رحب، وكرمٍ في الخلق أعجز عن وصفه، فاللهم اغفر له وارحمه، وبارك له في علمه وعمله، واجزه خير الجزاء.

ولا أنسى الشكر الوافر، والعرفان العاطر، لأستاذتي الفاضلة الدكتورة: لولوه القوييلي، والتي تفضلت بدءاً بالموافقة على الإشراف، ما جعل الرسالة تسير بخطى واثقة إلى الأمام، فلها مني كل الوفاء، وأعذب الثناء.

والشكر موصول لجامعتي - جامعة أم القرى - التي أتاحت لي الالتحاق لدراسة الماجستير، وأستاذتي المتميزين عضوي اللجنة المباركة د/ عبدالقيوم بن عبدالغفور السندي الأستاذ المساعد في قسم القراءات، ود/ عبدالرحمن بن جميل قصاص الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لقبولها مناقشة هذه



الرسالة، والتي ستحظى بملحوظاتها القيّمة، وتوجيهاتها المشرفة.. لا حرمها الله الأجر.. ورفع لهما الذكر.

كما أشكر عمي الفاضل د/ سليمان السلومي، وعمي العزيز د/ عبدالعزيز السلومي الأستاذ المشارك في قسم التاريخ والحضارة، على ما قدما لي من آراء وتوجيهات، جعل الله مكانهما في أعلى الدرجات.

وإن أنسى فلن أنسى شقيقتي الغالية ميمونة، صاحبة القلب الميمون، والفضل الممنون، وشقيقتي الحبيبة أميمة.. واللتين ما فتتا تدخلان السرور على قلبي، وتزيدان من تشجيعي ومساندتي، حفظهما الله.

وأشقائي عبدالله وعبدالمملك وعبداللطيف الذين لم يدخروا معانئة، وعطاءً، رعاهم المولى.

والصغيرتين الكريمتين هاجر ونورة.. أنبتها الله النبات الحسن.. ووفقهما إلى كل حسن.

وأجمل الكلمات، لذوي القلوب الأصفياء، والنفوس الأوفياء، والدة زوجي حفظها الله، و د/ حصة الرشود. الأستاذ المشارك في قسم النحو، على تقديم العون والمساعدة، والتدقيق والمراجعة للمسائل النحوية واللغوية، فجزاها الله كل خير، وأبعد عنها كل شر وضير، وشكر وثناء ل د/ نورة الرشود. الأستاذ المساعد في قسم الشريعة، وأخص منهم أستاذتي القديرة: فاطمة الرشود المدرسة بالحرم المكي الشريف والتي تتلمذت على يدها منذ نشأة هذا البحث فاللهم ارفع قدرها، وأعل شأنها.

ولو أني أوتيت بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنثر

لما كنت بعد القول إلا مقصراً ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكر

لكل أستاذاتي الفاضلات، وأخواتي الكريمات، لكل من ساعدني، أو وجهني، أو أفادني، أو سأل عن سيرتي، أو دعا لي بظهر الغيب، ولا أستطيع لهم حصراً، غير أن الله تعالى يعلمهم وسيوفيههم أضعاف ما قدموا، هو أهل التقوى وأهل المغفرة.



وأخص منهم بالذكر خالتي العزيزة مريم اللحيدان، ود/ سلمى بن داود،
وأ/ هيفاء بوقس، وأ/ فوزية الغامدي، وأ/ حنان اليامي، وأ/ فضيلة الزهراني .

وختاماً: فلست مدعية أن صنيعي في بحثي هذا يصل إلى الكمال. كلا..
وحاشا.. ولكنني حاولت - يعلم الله - قدر إمكاني، ووسع طاقتي أن يكون قريباً منه،
ولقد قال أحد السابقين: «إني رأيت ألا يكتب إنسان كتابه في يومه إلا قال في غده: لو
غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أجمل، وهذا
من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»^(١).

فإن كنت قد أصبت فبتوفيق الله وحده، وله المنة والفضل، وإن كنت أخطأت
فمني والشيطان -نعوذ بالله منه- ، وأستغفر الله أن أقول في القرآن برأيي، أو أحمله ما
لا يحتمل بظني، أو أركن إلى ما تقاصر من فهمي، ورحم الله علماءنا السابقين، الأئمة
المفسرين، وكلّ يؤخذ من قوله ويرد سوى محمد ﷺ، والكمال لله وحده.

سألت مربي أن ينفعا ويرفعنا بالقرآن العظيم، وأن يوفقنا إلى خير العمير، وأن يرزقنا
إخلاص النية وقبول العمل، وأن يجنبنا مواطن الردى والزلل
هو حسبي ونعم الوكيل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

كتبتة:

أسماء بنت محمد بن عبد الله السلومي

١٤٢٩/٤/١هـ

(١) كتب هذا أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معترفاً عن كلام
استدركه عليه. ينظر: كشف الظنون: (١٧/١).



التمهيد

ترجمة موجزة للإمام القرطبي

وفيهِ -

• أولاً:

• ثانياً:

• ثالثاً:

• رابعاً:

• خامساً:

• سادساً:

• سابعاً:



ترجمة موجزة للإمام القرطبي

أولاً: اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح^(١) - الأنصاري الخزرجي؛ فنسبه يرقى إلى الأنصار من الخزرج، الأندلسي- القرطبي مولداً ونشأة، المالكي المذهب، ثم المصري الوفاة^(٢).

وعلى الرغم من أن القرطبي صاحب مؤلفات معروفة حازت الثناء، وذو شهرة بين العلماء فإن مصادر ترجمته أغفلت أمرين^(٣):

الأول: تحديد العام الذي ولد فيه.

الثاني: تحديد المكان الذي شهد فيه مسقط رأسه.

ونستطيع ظناً أن نحدد تاريخ ميلاده في أواخر القرن السادس، أو أوائل القرن السابع، أما المكان الذي ولد فيه فقرطبة^(٤) وذلك لنسبته إليها، وفيها أمضى فترة صباه وشطراً كبيراً من حياته.

(١) بإسكان الراء والحاء المهملة، وقيل: ابن فرج بجيم في آخره. ينظر: شذرات الذهب: (٣٣٥/٥)، والديباج المذهب: (٣١٧/١).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام: (٧٤/٥٠)، والوافي بالوفيات: (٨٧/٢)، والديباج المذهب: (٣١٧/١)، وشذرات الذهب: (٣٣٥/٥)، ونفح الطيب: (٢١٠/٢)، وطبقات المفسرين للداودي: (٣٤٧)، ومقدمة تفسير الإمام القرطبي تحقيق محمد طلحة منيار: (٥)، والقرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير لفتح السنوسي: (٨٥).

(٣) ينظر: القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير: (٨٥)، والقرطبي ومنهجه في التفسير للقصبي زلط: (٨) ومجلة الحرس الوطني العدد ١٣٤ شهر ربيع أول، ١٤١٤ هـ بقلم: د/ حمد الدخيل.

(٤) قرطبة هي مدينة عظيمة قديمة من بنيان الأوائل، طيبة الماء والهواء أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، وبها المحرث العظيم الذي ليس في بلاد الأندلس مثله ولا أعظم منه بركة، وهي في وسط الأندلس، وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنع النبلاء.

ينظر: نفح الطيب: (١/٤٦٠)، ومعجم البلدان: (٣/٣٧٩).

❖ ثانياً: حياته ونشأته:

نشأ أبو عبدالله في كنف أبيه ورعايته، وكان يغلب على حاله وحال أسرته الفقر والبساطة فكان والده فلاحاً لا هم له - بعد الإمام بمبادئ الإسلام العامة - إلا حرث الأرض وزراعتها وتشجيرها، فلم يكن من ذوي الجاه والسلطان، ولا من ذوي العلم والمعرفة، ولم يتبوأ والده مكانة اجتماعية مرموقة، ولعل الظروف الصعبة، الشاقة، التي ولد فيها القرطبي، وعدم شهرته في عصره من الأسباب التي أسهمت في صرف الناس عن الاهتمام برصد شيء يتعلق بمولده وحياة طفولته وصباه، فلم يحظَ بعناية المترجمين والمؤرخين الذين يتناقلون أخباره، ونشأته إلا بشذرات يسيرة، متناثرة في كتب التراجم والطبقات.

أما حديث القرطبي نفسه عن أسرته فقد اقتصر - على جانب واحد، وفي نطاق ضيق جداً، فأورد الظروف التي أحاطت بوفاة والده الذي قتله أعداء الإسلام على غفلة ضمن من قتل في مزارعهم، فبين كيفية وفاته وانتقاله إلى جوار ربه^(١).

وفي حديثه عن نفسه وعن عمله بقرطبة في عهد الشباب يقول: « ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري نقل التراب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة »^(٢).

❖ ثالثاً: صفاته وأخلاقه:

تميز الإمام القرطبي بصفات جميلة، وأخلاق فاضلة، استمدها من القرآن والسنة النبوية المطهرة فإنه لم يعط للدنيا وزخارفها الفاتنة ما تستحق من الحرص والتكالب على ملذاتها، بل اتجه وجهة أخرى جعلته يتحكم في زمام قيادتها، ويوجهها نحو وجهتها المثلى، يأخذ منها نصيبه، ويجعلها وسيلة تبلغه نحو هدفه المنشود، وهو نوال

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٥/٤١٢).

(٢) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: (٣٨).

مرضاة الله تعالى، ونصرة دينه ونشره بين العالمين..

وقد وصفه المؤرخون وامتدحوه بالصفات الحميدة فقالوا في وصفه: « كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة »^(١).

وتتجلى هذه الصفات فيما يلي:

١- ورعه وزهده في الدنيا. فكان لا يتكلف في شيء من حياته بل كان يلبس ثوباً واحداً وعلى رأسه طاقية^(٢)، ومما يدل على ورعه تصنيفه كتابي: قمع الحرص بالزهد والقناعة، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

٢- جهاد النفس، ومراقبة الله في السر والعلانية، ويتضح ذلك في أقواله ومنها قوله: « فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه، وخالف شيطانه وديناه، كانت الجنة نزله ومأواه، ومن تمادى في غيه وطغيانه وأرعى في الدنيا زمام عصيانه، ووافق نفسه وهواه في مناه ولداته، وأطاع شيطانه في جميع شهواته كانت النار أولى به، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات ٣٧-٤١] »^(٣)

٣- جديته في الحياة وقوة عزيمته، ومما يدل على هذا تصانيفه المفيدة التي تدل على كثرة إطلاعه ووفور علمه، فقد قال عنه ابن فرحون^(٤): « أوقاته معمورة ما بين توجيه وعبادة وتصنيف »^(٥).

(١) ينظر: الديباج المذهب: (٣١٧/١)، وطبقات المفسرين للداودي: (٣٤٧).

(٢) ينظر: طبقات المفسرين للداودي: (٣٤٧).

(٣) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: (٤٠٦).

(٤) هو: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري ولد ونشأ وتوفي بالمدينة: (٧٩٩هـ). ينظر: شذرات الذهب: (٣٥٧/٦)، الأعلام: (٥٢/١).

(٥) الديباج المذهب: (٣١٧/١)، وقال عنه أيضاً المقرئ في نفع الطيب: (٤٠٩/٢).



٤ - نزاهة نقده، وعفاف لسانه، وإنصافه للمخالفين، فكثيراً ما يقف موقف الدفاع عن مهاجمهم ابن العربي من المخالفين، مع توجيه اللوم إليه أحياناً، على ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق علماء المسلمين، فمثلاً عندما تعرض لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَبِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧] نراه يعيب على ابن العربي^(١) تشنيعه على من يقول من الحنفية وغيرهم بحل النبيذ، وجعله إياهم مثل أغبياء الكفار فيقول: « هذا تشنيع شنيع حتى يلحق فيه العلماء الأخيار في قصور الفهم بالكفار »^(٢)

ومن تأمل سيرة هذا العالم الورع، وتدبر كتبه ومؤلفاته، اتضح له ما يتصف به من صفات مثالية رائعة، وأخلاق سامية فاضلة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في الدار الباقية..

❖ رابعاً: عقيدته ومذهبه^(١):

حرص القرطبي على التزام الكتاب والسنة في تلقي العقيدة فقال: « فرض على كل مكلف تعلم أمر التوحيد، والقطع به؛ وذلك لا يحصل إلا من جهة الكتاب والسنة »^(٢). وكان يرى الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد مطلقاً، موافقاً بذلك أهل السنة والجماعة، فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢]: وفيها دليل على قبول خبر الواحد، وهو مجمع عليه من السلف معلوم

(١) هو: محمد بن عبدالله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي، أحد الأعلام صنف في التفسير أحكام القرآن، وشرح الموطأ، وشرح الترمذي، وغير ذلك، وولى قضاء بلده، (م: ٤٦٨ هـ - ت: ٥٤٣ هـ) ينظر: وفيات الأعيان: (٤/٢٩٦)، وطبقات المفسرين: (٤١١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٣٦١).

(٣) ينظر: منهج الإمام القرطبي في أصول الدين، رسالة ما جستير لأحمد المزيد، والبيئة وأثرها على الإمام القرطبي، إعداد صلاح الدين إدريس: (٤٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٢/٢١٢).



بالتواتر، من عادة النبي ﷺ في توجيهه ولاته ورسله آحاداً للآفاق، ليعلموا الناس دينهم...»^(١).

أما في الصفات: فكان في بعضها يقدم العقل على النقل، وقد تأثر الإمام القرطبي بالبيئة العقديّة التي نشأ فيها وهي تعتنق المذهب الأشعري^(٢)، فقد شاعت العقيدة الأشعرية عند معظم علماء الأندلس آنذاك، فكان يؤول بعض الصفات على رأي بعض علماء الأشاعرة^(٣) ومن ذلك مثلاً: صفة العين في قوله ﷺ: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلِيٍّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] قال: «وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزّه عن الحواس والتشبيه والتكييف»^(٤)

وأحياناً يخالف الأشاعرة ومن ذلك مثلاً: صفة الاستواء قال فيها «وقد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك،.....»^(٥).

أما عن أسماء الله ﷻ: فقد نص على أن أسماء الله توقيفية فقال: «لا يصح وضع

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٥٢ / ٢).

(٢) الأشعرية هم: أصحاب أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري، يقولون بأن إرادته ﷻ واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة، وأفعال عباده من حيث إنها مخلوقة له، لا من حيث إنها مكتسبة لهم، وكما أراد وعلم أراد من العباد ما علم، وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ، فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لا يتغير ولا يتبدل.. ومذهبهم في الوعد والوعيد، والأسماء والأحكام، والسمع والعقل، مخالف للمعتزلة من كل وجه. ينظر: الملل والنحل: (٩٤ / ١).

(٣) حيث ينقل في تفسيره عن أبي الحسن الأشعري ت: ٣٢٤هـ، ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: (٤٣٠ / ٣)، (٣٢٠ / ٤)، وعن أبي بكر الباقلاني ت: ٤٠٣هـ، ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٨ / ١)، (١٤ / ٧)، و عن عبد الملك الجويني إمام الحرمين ت: ٤٧٨هـ، ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: (٩١ / ٥)، (١٤ / ٧).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٣٠ / ٩).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢١٩ / ٧). وقد وقال ابن تيمية عن القرطبي: «وقد ذهب فيها إلى رأي السلف الذي لا ينفي الجهة، بل قال بإثبات هذه الصفة لله تعالى» ينظر: مجموع الفتاوى: (٢٦١ / ٣).



اسم الله بنظر إلا بتوقيف من القرآن أو الحديث أو الإجماع»^(١)، لا يُثبت منها إلا ما جاء في الكتاب والسنة، ولكنه خالف أحيانا ما نص عليه؛ حيث سمي الله بالقديم، والصحيح أنه ليس اسماً من أسماء الله تعالى.

وعن المذهب الفقهي: فقد انتشر- الفقه المالكي، وكان هو المذهب السائد في الأندلس والمغرب العربي، وهذا له أثر كبير في التأثير على علماء التفسير هناك مثل ابن العربي، وابن عطية^(٢)، وابن جزي الكلبى^(٣)، والقرطبي أيضاً فجاءت اختياراته للأحكام والأقوال - في الغالب - على المذهب المالكي. إلا أنه - كان لا يتعصب لمذهبه، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أيّاً كان قائله. فمثلاً عندما تعرّض لقوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نَسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ذكر خلاف العلماء في حكم من أكل في نهار رمضان ناسياً... فيذكر عن مالك^(٤) أنه يفطر وعليه القضاء، ولكنه لا يرضى ذلك الحكم فيقول: «وعند غير مالك ليس بمفطر كل من أكل ناسياً لصومه. قلت: وهو الصحيح، وبه قال الجمهور: إن كل من أكل أو

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٣٤٣).

(٢) ابن عطية هو: القاضي أبو محمد عبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الغرناطي إمام في الفقه وفي التفسير وله "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، وكان من أوعية العلم (٤٨٠ - ٥٤١ هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٩/٥٨٧)، ومعجم المؤلفين: (٥/٩٣)، وطبقات المفسرين: (١٨٥).

(٣) ابن جزي الكلبى هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبدالرحمن بن جزي الكلبى أبو القاسم الغرناطي، له تصانيف عديدة منها "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم" و"تقريب الوصول إلى علم الأصول" (٦٩٣ - ٧٤١ هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (٣/٣٥٦)، وطبقات المفسرين: (٣٥٧)، ومعجم المؤلفين: (٩/١١).

(٤) هو: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، صاحب المذهب المشهور، قيل إن أمه كانت حاملاً به ثلاث سنين (م: ٩٣ هـ ت: ١٩٧ هـ). ينظر: الثقات: (٧/٥٩)، والكاشف: (٢/٢٣٤)، وتقريب التهذيب: (٥١٦)، وطبقات المفسرين: (٤٩٦).

شرب ناسياً فلا قضاء عليه، وإن صومه تام» (١)

✪ خامساً: حياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه:

تعلم القرطبي في صغره جميع العلوم الدينية والعربية، وأقبل عليها إقبال المحب لها، الشغوف بها، ولذلك نلاحظ درايته الفائقة في مختلف العلوم التي يتناولها بالبيان، حتى كأنه قد تخصص فيها وصرف وقته كله في دراستها، فنجده كذلك في الفقه وأصوله، واللغة وغرائبها، وفي النحو وأبوابه، وفي علوم القرآن، والقراءات، وهو كذلك في الحديث النبوي، وعلم الرجال، ولا بد أن يكون من وصل إلى هذا التميز في العطاء والتأليف، متميزاً أيضاً منذ البداية في الأخذ والتلقي، ولذا نجده يكثر في كتبه من قوله "سمعت شيخنا... " و"أخبرنا قراءة مني عليه... " (٢) وكان ذلك بقرطبة، وهو في مرحلة الطلب. ولم يقتصر علم القرطبي على الأخذ من شيوخه، بل تعداه إلى مطالعة الكتب، والنظر فيها، وقد أجازه غير واحد من مشايخه ببعضها ولذا كان يقول "وقد روينا ذلك بالإجازة... " (٣).

ومما ساعد الإمام القرطبي في طلبه للعلم وحياته العلمية العصر الذي عاش فيه فترة حياته أيام كان بالأندلس وقبل أن ينتقل إلى مصر، فقد كان محمد بن تومرت (٤) مؤسس الدولة الموحدية من أقطاب علماء عصره، وقد أفسح في دعوته للعلم وحض على تحصيله.

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/٣٢٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٢٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١٣/٢٦٩).

(٤) هو: محمد بن عبدالله بن تومرت البربري، أبو عبدالله الملقب بالمهدي المصمودي أصله من جبل السوس من أقصى المغرب، فقيه، أديب، أصولي، وكان رجلاً صالحاً زاهداً ورعاً فقيهاً. توفي (٥٢٤هـ). ينظر:

تاريخ الإسلام (٣٦/١٠٦)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٦/١٠٩).



كما أن قرطبة التي نشأ فيها القرطبي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وكان أهلها أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، كان لهذا كله أثر كبير في التكوين العلمي للإمام القرطبي ~ ولم تكن الحياة العلمية في مصر - وقد انتقل إليها الإمام القرطبي أيام الأيوبيين - بأقل منها في الأندلس أيام الموحدين^(١).

أما عن شيوخه:

لقد تتلمذ الإمام القرطبي ~ على كبار علماء الإسلام واللغة والأدب، الذين سجّل لهم تاريخ التربية الإسلامية أنصع الصفحات وأشرفها، ولكي تتضح شخصية القرطبي الثقافية والعلمية فلا بد أن نترجم لبعض شيوخه الذين تربى القرطبي على موائد علومهم، وتلقى عنهم ثقافته الإسلامية، ونهل من مواردهم العذبة، وتأثر بهم، وتزود بما عندهم من فقه وتفسير وحديث ولغة، والذين كان لهم أثر واضح في صياغة شخصيته وتكوينه الثقافي والديني، خاصة وقد تعددت بيئاته ما بين الأندلس، والمغرب، ومصر، واشتهر معظم شيوخه بالترحال في حواضر العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، فأخذ عنهم العلم والتجارب، ومن هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم في الأندلس:

١ - أحمد بن محمد بن محمد بن محمد القيسي، القرطبي المعروف بـ (ابن أبي حجة) وهو لقب غلب على جده ثم سرى في عقبه، ويكنى أبا جعفر، ولد سنة ٥٦٢ هـ تصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية وانتقل من إشبيلية^(٢)، وأسره الروم في البحر، فامتحن بالتعذيب، وتوفي على أثر ذلك سنة ٦٤٣ هـ^(٣).

(١) ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير (٦٥).

(٢) هي: مدينة كبيرة عظيمة من مدن الأندلس، بها قاعدة ملك الأندلس وسريه، وبها كان ملك بني عباد. وهي غربي قرطبة، قريبة من البحر، ومما اشتهرت به زراعة القطن، وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له الوادي الكبير، جل تجارة أهلها الزيت، استولى عليها النصارى سنة ٦٤٦ هـ. وهي الآن من بلاد الأسبان. ينظر: معجم البلدان (١/ ١٣٠).

(٣) ينظر: الذيل والتكملة: (٥/ ٥٨٥)، وهديّة العارفين: (١/ ٩٤)، والأعلام (١/ ٢١٩).



وقد اختصر أبو جعفر القرطبي كتاب (التبصرة) لمكي^(١) في القراءات اختصاراً حسناً، وألف كتاباً فقهياً جمع فيه ما اتفق عليه الشيخان في صحيحيهما من أحاديث الأحكام الشرعية سماه: (منهاج العباد)، وله (تسديد اللسان، لذكر أنواع البيان) في النحو^(٢)

وكان إمامنا القرطبي لا تفوته مجالس شيخه أبي جعفر العلمية، ومناقشاته الثقافية فسمع منه الكثير، وأثبت تلك المعلومات فيما صنف من كتب ومؤلفات. فمثلاً: يذكر القرطبي تعليل شيخه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: (أشرف آية في القرآن آية الكرسي) فيقول: «سمعت شيخنا الأستاذ المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن محمد القيسي ~ يقول: إنما كانت أشرف آية لأنه تكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمرة وظاهر ثمان عشرة مرة. وليس يوجد ذلك في غيرها»^(٣)

٢- ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد الأشعري، أبو سليمان، من أهل قرطبة وآخر قضاتها ولي قضاءها وقد كان استوطنها قبل ذلك، وأخذ على أسيانها، وكان قاضياً بقرطبة إلى أن استولت الروم عليها عام ٦٣٢ هـ فتحول إلى إشبيلية وبها توفي سنة (٦٣٢ هـ)^(٤). وقد سأله الإمام القرطبي عن غسل والده فقال: «سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن ربيع بن أبي، فقال: إن حكمه حكم القتلى في المعترك»^(٥).

(١) هو مكّي بن أبي طالب القيسي حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني، غلب عليه علم القرآن، وكان من الراسخين فيه، له تصانيف منها: مشكل إعراب القرآن، والتبصرة في القراءات، (ت: ٤٠٧ هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٥٩١)، ومعرفة القراء الكبار: (١/٣٩٤)، ومعجم المفسرين للداودي: (٥٢١).

(٢) القرطبي حياته وآثاره العلمية: (١٠٨).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار: (١٦٤).

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام: (٤٦/١٤٦)، والتكملة لابن الأبار (١/٦٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/٤١٢).



٣ - يحيى بن عبدالرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعري، أبو عامر، الشيخ الفقيه الإمام المحدث القاضي توفي سنة ٦٣٩ هـ^(١). كان الإمام القرطبي ينعتة بقوله "شيخنا القاضي لسان المتكلمين"^(٢).

٤ - علي بن قطرال: هو علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي، أبو الحسن ولي القضاء في زمانه، وتوفي سنة ٦٥٤ هـ^(٣) وهو أحد الأعلام في زمانه، وقد سأله القرطبي بعد شيخه ربيع عن غسل والده فقال: "ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء، فقالوا: غسّله وكفّنه، وصل عليه"^(٤).

هؤلاء هم شيوخ القرطبي في الأندلس، ومن العلماء الذين تحدث عنهم وذكر تلمذته لهم، ورجع إليهم في المشكلات والدقائق العلمية في مصر كان من أبرزهم:

١ - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه، الملقب بضياء الدين المعروف بأبي العباس القرطبي، وابن المزين، من فقهاء المالكية المشهورين وكان من الأئمة والعلماء المعروفين، ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٥٦ هـ وقد تجاوز ٧٨ سنة^(٥)

وهو من العلماء المسلمين الذين رحلوا من الأندلس إلى المشرق الإسلامي، ليؤدوا فريضة الحج، ويتزودوا بالعلم والعرفان، وقد قدم للمكتبة الإسلامية مؤلفات

(١) ينظر: تاريخ الإسلام: (٤٦/٤٥٨)، والديباج المذهب (٣٥٣).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٦٤١).

(٣) ينظر: شذرات الذهب: (٥/٣٥٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٥/٤١٢).

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام: (٤٨/٢٢٤)، والديباج المذهب (٦٨)، ونفح الطيب (٣/٣٧٠)، وشذرات

الذهب: (٥/٢٧٣).



منها^(١) (المفهم في شرح صحيح مسلم) وقد سمع منه تلميذه القرطبي بعض شرحه هذا، واختصر صحيح البخاري، وله كتاب آخر أسماه (كشف الإقناع عن الوجد والسماع). وقد ذكره الإمام القرطبي في شيوخه، وحدث عنه وأكثر، ونقل عنه في تفسيره كثيراً، فتارة يقول: سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي^(٢)، وتارة يقول: أنبأنا الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبو العباس^(٣).

وقد ذكر صاحب كتاب طبقات الحنفية: «هناك إمامان محدثان فقيهان مالكيان متعاصران قرطبان متأخران، عم النفع بتصانيفهما الموافق والمخالف "أحدهما" أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي "والآخر" أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحبه ورفيقه وتلميذه صاحب التفسير»^(٤) واعتراف الأحناف للقرطبي - وهو يخالفهم في مذهبهم الفقهي - يدل على شهرته وتمكنه.

٢- أبو محمد عبد الوهاب بن رواج بن ظافر بن علي بن فتوح بن حسين الأزدي، القرشي المالكي، ولد سنة ٥٥٤ هـ وكان فقيهاً، محدثاً، متواضعاً، وتوفي سنة ٦٨٤ هـ عن أربع وتسعين سنة^(٥) وقد تتلمذ القرطبي عليه وأخذ عنه كثيراً في رواية الحديث، وقد لازمه كثيراً وقرأ عليه جملة من الكتب كما ذكر ذلك في كتابه التذكرة^(٦). وكان حريصاً على حضور دروس وحلقات شيخه ابن رواج التي تقام بمسجده بثغر الإسكندرية^(٧)

(١) ينظر: الديباج المذهب (٦٨)، ونفح الطيب (٣/ ٣٧٠).

(٢) التذكرة: (٣٤).

(٣) المصدر السابق: (١٠٥).

(٤) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: (٢/ ٢٨٢).

(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤١١)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٤٢).

(٦) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢٢٩).

(٧) ينظر: التذكار في أفضل الأذكار: (٦).



٣ - أبو علي البكري، صدر الدين الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح محمد بن محمد بن عمروك القرشي التميمي البكري، ولد بدمشق سنة ٥٧٤هـ وتوفي بمصر- سنة ٦٥٠هـ^(١). وقد سمع القرطبي منه قبل وفاته بمصر سنة ٦٤٧هـ، كما ذكر ذلك في التذكرة^(٢).

٤ - ابن الجميزي أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي المصري الشافعي، ولد بمصر سنة ٥٥٩هـ، وتوفي سنة ٦٤٩هـ^(٣) سمع منه في بلدته التي استقر بها منية بني خصيب^(٤)، كما ذكر ذلك في التذكار^(٥)، وذكره كثيراً في تفسيره بكنيته أبي الحسن اللخمي^(٦).

أما عن تلاميذه:

فلم تُشر كتب التراجم التي ترجمت للإمام القرطبي إلى تلاميذه إلا العدد اليسير منهم، ولا شك أن القرطبي تتلمذ عليه أضعاف هذا العدد، ولكن المؤرخين سكتوا فلم يتكلم منهم أحد وبهذا بقيت التلمذة عليه سجلاً مطوياً لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء التلاميذ الذين تتلمذوا على الإمام القرطبي وذكرهم العلماء الذين ترجموا للإمام القرطبي هم:

-
- (١) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٥١ / ١٢)، وتذكرة الحفاظ (١٤٤ / ٤).
 - (٢) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٤٢٨).
 - (٣) ينظر: معرفة القراء الكبار: (٢ / ٦٥١)، وشذرات الذهب (٥ / ٢٤٦).
 - (٤) هي: مدينة كبيرة حسنة على شاطي النيل في الصعيد الأدنى تقع في شمال أسيوط. تعرف الآن بالمنيا.
 - ينظر: معجم البلدان (٥ / ٢١٨).
 - (٥) ينظر: التذكار في فضل الأذكار للقرطبي: (١٠١)، قال: «أنبأ ابن رواج إجازة عن الحافظ السلفي...».
 - (٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١ / ٣٣٧).



١ - ابنه شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القرطبي، قال السيوطي^(١):
وروى عنه - أي القرطبي - بالإجازة: ولده شهاب الدين أحمد وكان عالماً، مشاركاً في
الفنون^(٢).

٢ - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن
عاصم الثقفي، العاصمي الغرناطي، الإمام الحجة، الحافظ، العلامة، شيخ القراء
والمحدثين بالأندلس، توفي بغرناطة سنة ٧٠٨هـ. وقد ذكر تلمذته على القرطبي
صاحب الذيل والصلة^(٣).

٣ - إسماعيل بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالصمد الخراساني، توفي سنة
٧٠٩هـ.^(٤)

٤ - ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي المعروف
(بالسطريجي) ناوله القرطبي كتابه التذكرة، وكتب إليه بخطه ما نصه: ناولت جميع
هذا الكتاب ضياء الدين أحمد بن أبي السعود بن أبي المعالي البغدادي، المعروف
(بالسطريجي) وأذنت له أن يناوله من شاء^(٥).

(١) السيوطي: هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان بن سابق الخضيرى السيوطي الشافعي، جلال
الدين أبو الفضل، عالم شارك في أنواع العلوم من تصانيفه " الدرر المنثور في التفسير بالمأثور " و " الجامع
الصغير في الحديث " و " إتمام الدراية " (٨٤٩ - ٩١١هـ). ينظر: الضوء اللامع: (٤/ ٦٥)، وشذرات
الذهب: (٨/ ٥١)، ومعجم المؤلفين: (٥/ ١٢٨).

(٢) ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: (٧٩).

(٣) ينظر: الذيل والصلة للمراكشي: (٥/ ٥٨٥).

(٤) نص ابن حجر على سماعه من القرطبي ينظر: الدرر الكامنة: (١/ ٣٧٩).

(٥) ينظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٣٥).

سادساً: مكانته العلمية ومؤلفاته:

الشيخ ~ علم من أعلام الأمة، وإمام من أئمتها الأفاضل، له مكانة علمية عالية، استفاد ممن سبقه من العلماء وتأثر بهم كثيراً ونقل عنهم، وكذلك أخذ منه العلماء من بعده وتأثروا به ونقلوا عنه كثيراً، وهذا مما يدل على مكانته العلمية، وهمة العالية الجليلة.

فمن العلماء الذين استفاد منهم القرطبي ونقل عنهم^(١) على سبيل المثال:

١ - النحاس^(٢) وقد نقل عنه القرطبي بالتصريح في جامعه ما يقارب (٦٣٧) موضعاً^(٣)

٢ - ابن عطية: وقد نقل عنه القرطبي بالتصريح في جامعه ما يقارب (٣١٥) موضعاً^(٤)

٣ - ابن العربي: وقد نقل عنه القرطبي بالتصريح في جامعه ما يقارب (٤١١) موضعاً^(٥)

ولقد تأثر المفسرون الذين جاءوا من بعده بتفسيره وانتفعوا به، واستفادوا منه كثيراً ونقلوا عنه وأشهر هؤلاء:

(١) هذه نتائج استقرئتها على الحاسب الآلي وظهرت كما ذكرت والله أعلم.

(٢) النحاس هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر المصري النحوي صاحب التصانيف من كتبه "إعراب القرآن"، و"معاني القرآن"، "والكافي" في النحو "والناسخ والمنسوخ" (٣٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤٠١/١٥)، وطبقات المفسرين: (٥٣)، وشذرات الذهب: (٣٤٦/٢)، ومعجم المؤلفين (٨٢/٢).

(٣) ينظر: على سبيل المثال الجامع لأحكام القرآن: (٤١/٩).

(٤) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٣١٦/٨).

(٥) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٥٦/٩).



- ١- أبو حيان^(١) صاحب تفسير البحر المحيط.
- ٢- الحافظ ابن كثير^(٢) في تفسيره المعروف بتفسير القرآن العظيم
- ٣- الإمام الشوكاني^(٣) صاحب تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

وغيرهم كثير، وإلى يومنا هذا ما زالوا ينهلون من هذا الكتاب العظيم، يستخرجون منه أنفس الفوائد، وأجمل الدرر المكنونة فيه من المعاني والأحكام، وكل هذا يدل على مكانة القرطبي العلمية القوية بين العلماء وأهل زمانه. ومن بعدهم مما جعل العلماء يتوجونه بعبارات المدح والثناء الجميل. قال عنه الإمام الذهبي^(٤): «إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله»^(٥). ومن قوله هذا فإن الناظر في مؤلفات الإمام يجد أنها تستوفي التحقيق العلمي الناصع،

(١) أبو حيان هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي- أديب ونحوي ومفسر- ولغوي. أخذ القراءات عن أبي جعفر الطباع وتولى تدريس التفسير بالمنصورية. (٦٥٤ - ٧٤٥). ينظر: شذرات الذهب: (١٤٥ / ٦)، والبدر الطالع: (٢ / ٢٨٨)، وطبقات المفسرين (٤٩٢)، ومعجم المؤلفين: (١٣٠ / ١٢).

(٢) ابن كثير هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير أبو الفداء محدث ومؤرخ ومفسر له " تفسير القرآن العظيم " ومختصر علوم الحديث " والبداية والنهاية " (٧٠٠-٧٧٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١ / ٣٧٣)، وطبقات المفسرين: (٧٩)، وشذرات الذهب: (٦ / ٢٣١)، ومعجم المؤلفين: (٢ / ٢٨٣).

(٣) الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن الشوكاني الصنعاني أبو عبدالله، المفسر- والمحدث، والفقير، من تصانيفه: " البدر الطالع " نشأ بصنعاء، وتوفي بها (١١٧٣هـ - ت: ١٢٥٠هـ) ينظر: البدر الطالع: (٢ / ٢١٤)، ومعجم المؤلفين: (١١ / ٥٣).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبدالله، حافظ مؤرخ، علامة محقق توفي سنة (٧٤٨هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٥ / ٢٢)، والبداية والنهاية (١٤ / ٦٤٩) وشذرات الذهب (٨ / ٢٦٤).

(٥) تاريخ الإسلام: (٧٥ / ٥٠).



والمتمعن فيها يرى أن صاحبها ذو دقة نادرة في الفهم، وقوة بالغة في الحفظ، وقدرة عجيبة على التأليف.

وللإمام ~ مؤلفات مطبوعة وأخرى نص عليها في كتبه إلا أنها لم تر النور بعد؛ فمن تلك المطبوعة ما يلي:

١ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان^(١)، وهو أهم وأفضل آثاره العلمية، وله منزلة عالية بين كتب التفسير، قال عنه الذهبي: «قد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه»^(٢) وقال فيه ابن تيمية^(٣) بعد ذكره لتفسير الزمخشري^(٤): «وتفسير القرطبي خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة، وأبعد عن البدع»^(٥).

(١) لهذا الجامع عدة طبعات أولها طبعة دار الكتب المصرية في عشرين مجلداً، وآخرها وأفضلها طبعة الرسالة التي أشرف على تحقيقها الدكتور/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي في أربعة وعشرين مجلداً.

(٢) تاريخ الإسلام: (٧٥ / ٥٠).

(٣) ابن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الدمشقي الحنبلي، الإمام الفقيه المجتهد الناقد المفسر الأصولي شيخ الإسلام، وقد امتحن وأوذي مراراً، له مصنفات عديدة منها " الفتاوى " و" اقتضاء الصراط المستقيم " و" رفع الأعلام عن الأئمة الأعلام " (٦٦١ - ٧٢٨ هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١ / ١٧١)، وطبقات المفسرين: (٣٧)، والبدر الطالع: (١ / ٦٣)، ومعجم المؤلفين: (١ / ٢٦١).

(٤) الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم النحوي، اللغوي، المعتزلي، صاحب "الكشاف" و"المفصل" وغيرهما، يلقب بجار الله (٤٦٧ هـ - ٥٣٨ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢٠ / ١٥١)، وطبقات المفسرين: (٥١٠)، شذرات الذهب: (٤ / ١١٨)، ومعجم المؤلفين: (١٢ / ١٨٦).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٨٧ / ١٣).



- ٢ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وقد ذكره في تفسيره كثيراً^(١).
- ٣ - الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى^(٢).
- ٤ - التذكار في فضل الأذكار^(٣)، وهو في فضائل القرآن الكريم.
- ٥ - قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة^(٤).
- ٦ - الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام^(٥)

وعن الآثار والمؤلفات التي نص عليها في تفسيره:

- ١ - الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام^(٦). ذكره القرطبي في تفسيره^(٧) لقوله تعالى: ﴿وَقَدَيْنَهُ بِذَيْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصف: ١٠٧]
- ٢ - الانتهاز في قراءة أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز. ذكره القرطبي في كلامه حول ترك البسملة في سورة براءة^(٨).

-
- (١) مطبوع عدة طبعات، والطبعة التي اطلعت عليها هي طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٢٣هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.
 - (٢) ضبط نصه وشرح مادته اللغوية عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة أ.د/ محمد حسن جبل وخرج أحاديثه وعلق عليه طارق أحمد محمد، وأشرف عليه وقدم له مجدي فتحي السيد، طبع بدار الصحابة للتراث، ومنه نسخة خطية بمكتبة عارف حكمت.
 - (٣) له عدة طبعات لعل من أجودها، طبعة دار البيان بتحقيق عبدالقادر الأرنؤوط.
 - (٤) وهو مطبوع عن مكتبة الصحابة بطنطا سنة ١٤٠٨ هـ بتحقيق مجدي السيد في (٢١٤) صفحة.
 - (٥) مطبوع عن دار التراث العربي. بمصر، دون تاريخ بتحقيق د/ أحمد حجازي السقا.
 - (٦) منه نسخة خطية بمكتبة طوب قبو بإستانبول.
 - (٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٨ / ٧٣).
 - (٨) ينظر: المصدر السابق: (١٠ / ٩٢).



٣ - منهج العباد ومحجة السالكين الزهاد: ذكره القرطبي في تفسيره^(١) لقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤].

٤ - المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس ذكره القرطبي في تفسيره^(٢) لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:٢٠٣].

٥ - اللمع اللؤلؤية في شرح العشرينيات النبوية: ذكره في تفسيره^(٣) لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤].

٦ - أرجوزة في أسماء النبي ﷺ ذكرها ابن فرحون في ترجمته^(٤).

وهناك ثلاثة مؤلفات غير ما ذكر، ذكرت في تاريخ الأدب العربي لم يذكرها أحد غيره هي^(٥):

١ - رسالة في ألقاب الحديث.

٢ - كتاب الأفضية .

٣ - المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح^(٦).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٢٢ / ١٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٤ / ٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٩١ / ١٣).

(٤) ينظر: الديباج المذهب: (٦٨)، ونسبها إليه الداودي في طبقات المفسرين: (٣٤٧).

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي: (٢٧٦ / ٣).

(٦) وهو كتاب لغوي اختصر فيه القرطبي كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع (ت: ٥١٥هـ)، وكتاب الصحاح للجوهري وهو بمكتبة بريل بليدن هولندا برقم (٢٨٣).

◉ سابعاً: وفاته^(١):

بعد أن خرج الإمام أبو عبدالله القرطبي من مسقط رأسه من قرطبة ببلاد الأندلس، ورحل إلى مصر- ومرَّ بكثير من مدنها، وقابل كبار علماء الإسلام في الإسكندرية بالديار المصرية، ومكث بمصر- حوالي (٣٨) عاماً، وأخيراً استقر باقي حياته في مدينة منية بني الخصيب (المنيا حالياً) وتوفي بها ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة (٦٧١هـ) الموافق ٣١ من مارس سنة ١٢٧٣م) رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.



(١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: (١/١٦٤)، والأعلام للزركلي: (٥/٣٢٢).

ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير

القسم الأول

منهج الإمام القرطبي في تفسيره
ومنهجه في الترجيح في تفسيره

❖ الفصل الأول: منهج الإمام القرطبي في تفسيره.

❖ الفصل الثاني: منهج الإمام القرطبي في الترجيح في تفسيره.



الفصل الأول

منهج الإمام القرطبي في تفسيره

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث: -

- المبحث الأول:
- المبحث الثاني:
- المبحث الثالث:

* *

* *

* *

تمهيد

إن المفسر الذي يريد أن يتصدى للتعليق، لا بد له أن يرسم خط سيره في هذا الطريق الشاق، فيضع لنفسه منهجاً علمياً يحدد فيه الخطوات التي سيتبعها خلال التفسير.

والقرطبي - رحمة الله عليه - لم يفته هذا فقد بين لنا منهجه وخطته في تفسير القرآن الكريم وكان مراعيًا ومطبقاً لما انتهجه، فيقول في مقدمة كتابه: «لما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عمري وأستفرغ فيه مُنتي^(١)، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما ومبيناً ما أشكل منهما بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف»^(٢)

وبهذا يتلخص منهجه في ما يلي:

- ١ - تفسير الآيات، وبيان اللغات في بعض المفردات^(٣)
- ٢ - ذكره للإعراب والقراءات^(٤).
- ٣ - الرد على أهل الزيغ والضلالات^(٥)

(١) المنة: بالضم: القوة، والتي بها قوام الإنسان. ينظر: مقاييس اللغة: (٥/٢٦٧)، والمعجم الوسيط: (٢/٨٨٩)، والقاموس المحيط (١٦٦٠) مادة (منن).

(٢) مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٢٨).

(٣) كما هو مبين بالتفصيل في المطلب الأول من البحث الثاني.

(٤) كما هو مبين بالتفصيل في المطلب السادس من البحث الأول، والمطلب الثالث من البحث الثاني.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، على سبيل المثال: (٨/٤١٩، ٤٢٢، ٤٨٠)، (٩/٨٨، ١٠٠).

٤ - استشهاده بالأحاديث في بيان الأحكام^(١)، ونزول الآيات^(٢)

٥ - الجمع بين معاني الآيات^(٣).

٦ - تبيين ما أشكل من الآيات بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف^(٤).

وكان مبعث كتابته للتفسير هو تأثيره الشديد بآيات الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، اللتين تدلان في مضمونهما على التذكر والتفكير في مخلوقات الله تعالى، والعمل النافع في الدنيا والآخرة^(٥) فقال ~ : « وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي^(٦)، وعملاً صالحاً بعد موتي، قال الله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [١٣] ﴿القيامة: ١٣﴾ وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [٥] ﴿الانفطار: ٥﴾ وقال رسول الله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ^(٧)).^(٨)

ولم يكتف شيخنا ببيان منهجه التفسيري هذا، بل أضاف إلى ذلك شيئاً آخر، هو ما اشترطه على نفسه، وأخذه على عاتقه فقال: « وشرطي في هذا الكتاب: إضافة

(١) ينظر: المصدر السابق، على سبيل المثال: (٤٧٧/٨، ٤٨٣، ٤٩٤)، (١٢/٩، ٥٤).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، على سبيل المثال: (٣٣٢، ٣٩٣، ٤٥٩، ٤٩١، ٤٩٤)، (٨/٩، ١١، ٨٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن على سبيل المثال: (٤٦١/٨)، (٧١/٩، ١١٥).

(٤) كما هو مبين بالتفصيل في المطلب الثالث، والرابع، والخامس من المبحث الأول.

(٥) ينظر: القرطبي، حياته وآثاره العلمية، ومنهجه في التفسير، لفتح السنوسي: (٢١٨).

(٦) الرَّمْس: الدفن والقبر، ورمسه: دفنه وسوى عليه الأرض، وكل ما هيل عليه التراب فقد رُمس. ينظر: لسان العرب: (١٠١/٦)، وتهذيب اللغة: (٢٩٤/١٢)، والقاموس المحيط (٧٠١) حرف الراء، مادة (رمس).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٣/١٢٥٥)، برقم (١٦٣١).

(٨) مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٢٨).



الأقوال إلى قائلها^(١)، والأحاديث إلى مصنفها^(٢)، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فبقي من لا خبرة له بذلك حائراً، لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علمٌ جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من أخرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام، ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب. وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتيين، واعتضت من ذلك تبيين أي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد للطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية لتضمن حكماً أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب وسميته بـ "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" جعله الله خالصاً لوجهه وأن ينفعني به ووالدي ومن أراد به منه، إنه سميع الدعاء قريب مجيب آمين^(٣)»

(١) كما هو مبين بالتفصيل في المطلب الثالث، والرابع، والخامس من هذا المبحث، إلا أن القرطبي في بعض الأحيان لم يلتزم بشرطه هذا فقد يترك ذلك، ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٢٤، ٣٧٦، ٣٩٨، ٤١٧)، (٩/١٢، ٣٤، ٨٧، ٩٦، ١٠٧، ١٢٧).

(٢) ينظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣١٢، ٣١٥، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٦٢، ٤٠١، ٤٠٥، ٤١٦، ٤٣٠، ٤٥٣)، (٩/١٥، ٥٧، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٨٥، ٩٤، ٩٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٨، ١٤٤).

وفي بعض الأحيان لم يلتزم القرطبي بشرطه هذا فقد يترك ذلك، ينظر المصدر السابق على سبيل المثال: (٨/٣١١، ٣٢٤، ٣٦٢، ٤٠٦، ٤١٦)، (٩/٥٥، ٦٢، ١٠٨).

(٣) مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٢٨).



المبحث الأول

تفسيره القرآن بالمأثور

ويشتمل على ستة مطالب : -

- ✦ المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.
- ✦ المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.
- ✦ المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة.
- ✦ المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين.
- ✦ المطلب الخامس: تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين.
- ✦ المطلب السادس: عنايته بالقراءات.



تفسيره القرآن بالمأثور

يعتبر التفسير بالمأثور نوعاً من أنواع التفسير، ويعرفه العلماء المتقدمون بأنه: « ما جاء في القرآن، والسنة، وكلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه »^(١) وقد عبّر ابن تيمية عما سبق بأنه أصح طرق تفسير القرآن، قال ~ : « أصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن، وإذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك... »^(٢) وهذا هو تعبير المتأخرين، قال الشيخ مساعد الطيار^(٣): « للتفسير ستة طرق والذي يذكر منها غالباً أربعة، وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بأقوال التابعين... »^(٤)

والمأمل في تفسير القرطبي يدرك اهتمامه بتفسير القرآن بالمأثور من كلام الله ﷻ، وكلام رسول الله ﷺ، وصحابته -رضوان الله عليهم- وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان، ويوضح هذا المبحث المطالب التالية..

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/ ١٠)، والتفسير والمفسرون: (١/ ١٥٢).

(٢) مقدمة في أصول التفسير: (٨٧).

(٣) هو مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بالرياض، له من التصانيف: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ومفهوم التفسير والتأويل وغيرها.

(٤) ينظر: فصول في أصول التفسير: (٢٢)، ومفهوم التفسير والتأويل: (٢٤).

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن أبلغ التفاسير، وأصح طرق التفسير، وأشرفها، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر، ولا أحد أعلم بكلامه ومراده منه سبحانه وتعالى^(١)، وقد اهتم القرطبي بهذا النوع من التفسير، وقد ذكر هذا في تفسيره في مواضع كثيرة، منها على سبيل المثال في المقرر دراسته^(٢):

١ - ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] حيث فسر الظلم بتفسير القرآن له في آية أخرى، وكان قد بينه الرسول ﷺ لأصحابه. قال القرطبي: «عند قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١] أي من عذاب الله الموحد أم المشرك؟ فقال الله قاضيا بينهم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي بشرك. قاله أبو بكر الصديق وعلي... وفي الصحيحين^(٣) عن ابن مسعود^(٤): (لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير: (٧٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٣٨، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٠٢، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٨١، ٥٠٣)، (٩/٢٠، ٣٠، ١٢٧).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢] إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨] (٣/١٢٦٢) برقم (٣٢٤٦)، وبنحوه في باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] (٣/١٢٢٦) برقم: (٣١٨١) وبنحوه في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] (٤/١٧٩٣) برقم (٤٤٩٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه (١/١١٤)، برقم: (١٢٤).

(٤) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن، من كبار علماء الصحابة، تولى إمارة الكوفة في عهد عمر رضي الله عنه (ت: ٣٢هـ). ينظر: معرفة الصحابة: (٤/١٧٦٥) وأسد الغابة: (٣/٣٨٤)، والإصابة: (٤/٢٢٣).



وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١)

٢- وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأعام: ٣٤] قال القرطبي: ﴿وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مبین لذلك النصر- أي ما وعد الله ﷻ به فلا يقدر أحد أن يدفعه، لا ناقض لحكمه ولا خلف لوعده: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٧١] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [١٧٢] ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [١٧٣] [الصافات: ١٧١-١٧٣] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]»^(٢)

٢- وفي قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعام: ٣٨].. أي ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن إما دلالة مبينة مشروحة، وإما جملة يتلقى بيانها من الرسول ﷺ، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ الرُّسُولَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره؛ إما تفصيلاً وإما تأصيلاً وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]»^(٣)



(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ٤٤٤)، ودراسة هذه المسألة في ص ٣٥٩ من هذا البحث.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ٣٦٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٨ / ٣٧١)، ودراسة هذه المسألة في ص ٢٣٦ من هذا البحث.

المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحل: ٤٤] بين الله في هذه الآية مهمة الرسول ﷺ وهي بيان القرآن، ولما كانت هذه المهمة موكلة بالرسول ﷺ لزمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن، ومن المقومات التي تجعلنا نرجع إلى تفسيره ﷺ أن السنة وحي من الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى﴾ [النجم: ٤] ولذا فالسنة بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل في فهم القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿تُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه لا أحد أعلم من خلق الله بمراد الله ﷻ من رسوله ﷺ.


ولقد نهج القرطبي في تفسيره بالمأثور عن رسول الله ﷺ هذا المنهج^(١) فكان يقف عنده، ويقتصر عليه في شرح اللفظ والآية، ولا يستعرض غيره من آراء المفسرين لأنه لا مجال للاجتهاد والرأي مع النص ويتضح ذلك في المثال التالي:

قال القرطبي ~ في قوله تعالى: ﴿كُنَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأعام: ١٢] أي: وعد بها فضلاً منه وكرماً، فلذلك أمهل. وذكّر النفس هنا عبارة عن وجوده، وتأکید وعده، وارتفاع الوسائط دونه. ومعنى الكلام: الاستعفاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال إليه، وإخباراً منه سبحانه بأنه رحيم بعباده، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب على نفسه، فهو موضوعٌ عنده: إن رحمتي تغلب غضبي)^(٣) أي: لما

(١) ينظر: المصدر السابق في الجزء المقرر دراسته: (٨/ ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٨٥، ٤٠٦، ٤٦٦، ٤٧٧).

(٢) أبو هريرة هو: عبدالرحمن بن صخر، وقيل عبدالرحمن بن غنم، وقيل عبدالله بن عائذ، واختلف في اسمه مشهور بكنيته كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسمي في الإسلام عبدالرحمن (ت: ٥٧ هـ). ينظر: الاستيعاب: (٤/ ١٧٦٨)، والإصابة: (٤/ ٣١٦)، وتقريب التهذيب: (٦٨٠).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه: 



أظهر قضاءه، وأبرزه لمن شاء، أظهر كتاباً في اللوح المحفوظ، أو فيما شاءه، مقتضاه خبر حق ووعد صدق: "إن رحمتي تغلب غضبي" أي: تسبقه وتزيد عليه^(١)

وقد يستعرض القرطبي بعض آراء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى جانب ما ورد عن رسول الله ﷺ، وفي هذه الحالة نرى القرطبي يرجح المأثور عن النبي ﷺ، ويقف بجواره، ويرد ما يخالفه ويتضح ذلك في المثال التالي:

ف عند تفسيره لمفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩] قال القرطبي: «روى البخاري عن ابن عمر^(١) عن النبي ﷺ قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)^(٢)..... إلى أن قال: وقيل: المراد بالمفاتيح خزائن الرزق عن السدي^(٣)

﴿﴾ =

(٤/٢١٠٧) برقم: (٢٧٥١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٢٩).

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبدالرحمن، ولد بعد المبعث ببسبر، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة، وأجازه الرسول ﷺ يوم الخندق، وهو أحد الكثيرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشد الناس إتباعاً للأثر. (ت: ٧٣ هـ) في آخرها، أو أول التي تليها. ينظر: طبقات ابن سعد: (٤/١٤٢)، والثقات: (٣/٢٠٩)، وتقريب التهذيب: (٣١٥).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] (٤/١٧٣٣) برقم: (٤٤٢٠)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]: (٦/٢٦٨٧) برقم: (٦٩٤٤).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٠٤)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٧).

والسدي هو: إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، أبو محمد الحجازي الكوفي السدي الكبير، قال عنه أحمد بن حنبل: ثقة، وقال عنه ابن حجر: صدوق يهيم (١٢٧ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد =



والحسن^(١). مقاتل^(٢) والضحاك^(٣): خزائن الأرض^(٤)..... والأول المختار والله أعلم^(٥).

وهكذا كان منهج الإمام القرطبي في التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ يقف عنده ولا يتجاوزه، أو يتخطاه إلى غيره^(٦).



﴿ =

(٦/٣٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٤)، وتقريب التهذيب: (١٠٨)، وطبقات المفسرين: (٧٩).

(١) ذكر الأثر عن الحسن بن أبي زنين في تفسيره: (٢/٧٣).

وهو: الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت البصري الأنصاري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، ولد في زمن عمر - ١١٠ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤/٥٦٣)، وتقريب التهذيب: (١٦٠)، وتذكرة الحفاظ: (١/٧١)، وطبقات المفسرين: (١٠٦).

(٢) هو: مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي المفسر كان من أوعية العلم وبحراً في التفسير؛ إلا أنه رمي بالتجسيم وهو متروك الحديث له تصانيف منها "نظائر القرآن" و"التفسير الكبير" و"الآيات المتشابهات" (١٥٠ هـ). ينظر: المجروحين: (٣/١٥)، وسير أعلام النبلاء: (٧/٢٠١)، وتقريب التهذيب: (٥٤٥)، وطبقات المفسرين (٥٢٠).

(٣) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم وقيل أبو محمد صاحب التفسير كان من أوعية العلم حدث عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وغيرهم (ت: ١٠٢). ينظر: الثقات (٦/٤٨٠)، سير أعلام النبلاء: (٤/٥٩٨)، وتقريب التهذيب: (٢٨٠)، وطبقات المفسرين: (٢١٠).

(٤) ذكرهما الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٥٤) و البغوي في معالم التنزيل: (٢/٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٥٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٠١)، ودراسة هذه المسألة في ص ٢٨٩ من هذا البحث.

(٦) ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير: (١٩٠).

المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

للصحبة منزلتها العظمى في الإسلام، ولها شرف لا يخفى على مسلم، إذ يكفي فيها أنها تعني لقيا رسول الله ﷺ، كما أن الصحابة عاصروا التنزيل، وحضروا المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولذا كان للصحبة مكانة خاصة في ميزان المسلمين بعدهم، بل صارت أقوالهم حجة عند بعض العلماء لا يعدل عن أقوالهم، ولا يرى قولاً غير قولهم، واعتماد قولهم أحد طرق التفسير بالمأثور وهو وجه من التفسير قيم؛ قال الحاكم^(١): "إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، له حكم المرفوع"^(٢). وقال الزرقاني^(٣): "معقباً على قول الحاكم: «ووجهة نظر الحاكم ومن وافقه: أن الصحابة ﷺ قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعانينا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه»"^(٤).

٥- وقد اشتهر في التفسير من الصحابة عشرة هم^(٥): الخلفاء الراشدون الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس^(٦)، وأبي بن كعب^(٧) وزيد بن ثابت^(٨)، وأبو موسى

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني، الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع صاحب المستدرک وغيره من الكتب المشهورة، طلب العلم في صغره (م: ٣٢١هـ: ت: ٤٠٥هـ) ينظر: الوفيات: (٧/١)، وطبقات الشافعية: (١/١٩٣).

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (٢٠) والمستدرک (١/٢٧).

(٣) هو محمد بن عبدالعظيم الزرقاني، من أهالي الجعفرية بالمحافظة الغربية بمصر، ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، (ت: ١٣٦٧هـ) ينظر: ملتقى أهل التفسير على الرابط <http://www.tafsir.org>.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/١٢).

(٥) ينظر: الإتيان للسيوطي: (٨٥٤).

(٦) هو: الصحابي الجليل عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم، أبو العباس ابن عم رسول الله ﷺ، حبر عليه السلام

الأشعري^(٣)، وعبدالله بن الزبير^(٤) رضي الله عنه أجمعين.

وقد اعتنى القرطبي بهذا النوع من التفسير اعتناءً كبيراً فلا يكاد يخلو تفسيره لآية من ذكر قول لصحابي أو من بعده من سلف الأمة. وقد كان من شرطه في كتابه إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله^(١) وقد اعتمد في تفسيره على أهم كتب التفسير بالمأثور ومن الأمثلة على ذلك مايلي:

الأمة وفقه العصر، وإمام التفسير، صحب النبي ﷺ نحواً من ثلاثين شهراً وحدث عنه، كان يسمى الخبر والبحر لسعة علمه وهو أحد العبادله من فقهاء الصحابة. (ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ت: ٦٨هـ). ينظر: الاستيعاب: (٩٣/٣)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٣٣١)، تقريب التهذيب: (٣٠٩)، طبقات المفسرين: (١٦٧).

(١) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية من بني النجار، ويكنى أبا الطفيل، صحابي أنصاري، سيد القراء، من فضلاء الصحابة وقد شهد أبي بن كعب العقبة مع السبعين من الأنصار، اختلفوا في سنة موته اختلافاً كثيراً قيل (١٩هـ وقيل ٣٢هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: طبقات ابن سعد: (٣/٤٩٨)، وسير أعلام النبلاء: (١/٣٨٩)، تقريب التهذيب: (٩٦).

(٢) هو: زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري النجاري أبو سعيد أحد كتاب الوحي ومن الراسخين في العلم من الصحابة، توفي سنة (٤٨هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٢/٣٥٨)، والاستيعاب: (٢/٥٣٧)، والثقات: (٣/١٣٥).

(٣) هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن صفار الأشعري، من فقهاء الصحابة، ومن الشجعان الولاة الفاتحين وأحد الحكامين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين ت ٤٤هـ. ينظر: طبقات ابن سعد: (٤/١٠٥)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٣٨٠)، والإصابة (٦/١٩٤).

(٤) هو: عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي أبو بكر، فارس قریش في مكة، أول مولود بعد الهجرة، من خطباء قریش المعدودين (١-٧٣هـ). ينظر: الاستيعاب (٢/٩٥٠)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٣٨١)، وأسد الغابة (٣/٢٤٢)، وتقريب التهذيب: (٣٠٣).

(٥) ينظر: مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٢٨).



١- تفسير القرطبي لبعض الآيات بقول الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه ^(١)،
ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ
لِيُوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأعام: ١٢١] قال القرطبي: «ومعنى ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾: أي لمعصية عن
ابن عباس ^(١)... قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأعام: ١٢١]، أي:
يوسوسون فيلقون في قلوبهم الجدل بالباطل. روى أبو داود عن ابن عباس في قوله:
﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوْحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ يقولون: ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم
فكلوه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ^(١) «...» ^(١)

٢- تفسير القرطبي لبعض الآيات بقول الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه ^(١).

ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾
[الأعام: ٩٨] قال عبدالله بن مسعود: (فلها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي
تموت فيها) ^(١) «...» ^(١)

-
- (١) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٤٦، ٤١٠، ٤١٤، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٣، ٥٠٥)، (٩/٦، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٧، ٥٣، ٧٥، ٨٧، ٩٩، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٧).
- (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٧٩).
- (٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/١٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٠)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٤٩).
- (٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٦).
- (٥) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣١٨، ٤٦٩، ٣١٧، ٤٨٤)، (٩/٢٣، ٢٦، ٧٤).
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٥٦)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني كما في الدر المنثور: (٣/٣٣٢).
- (٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٦٩)، ودراسة هذه المسألة في ص ٤٠٦ من هذا البحث.

المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين، وأتباعهم

لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر- الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، كل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير ويعتمدها^(١)، وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة رضي الله عنهم بالتفسير، والرجوع إليهم لفهم بعض ما خفي من كتاب الله تعالى، كذلك فقد اشتهر أعلام من التابعين بتفسير كلام الله، فوضحوا ما خفي من معانيه، ومن اعتمد من المفسرين على تفسير التابعين الإمام القرطبي، ونص في مقدمته " أن يضيف الأقوال إلى قائلها... "^(٢)، ومن أشهر من ذكرهم القرطبي في تفسيره ونقل عنهم من التابعين هم:

مجاهد بن جبر^(٣)، والحسن البصري، وقتادة^(٤)، وسعيد بن جبير^(٥)، وعبدالرحمن بن زيد^(٦)، والربيع بن أنس^(٧)، وأبو العالية^(٨)، وعكرمة^(٩)، وعطاء^(١٠)، والشعبي^(١١)،

(١) ينظر: فصول في التفسير: (٣٦).

(٢) ينظر: مقدمة تفسير الإمام القرطبي (٢٨).

(٣) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب المخزومي، روى عن ابن عباس وعن أبي هريرة وعن عائشة وغيرهم، إمام في التفسير وفي العلم، ثقة (ت: ١٠٢ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤/٤٤٩)، وتقريب التهذيب: (٥٢٠)، وطبقات المفسرين: (٥٠٤).

(٤) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري الضريع، كان من أوعية العلم ومن يضرب به المثل في قوة الحفظ وهو حجة بالإجماع (٦٠-١١٨ هـ). ينظر: الثقات: (٥/٣٢١)، وسير أعلام النبلاء (٥/٢٨٣)، وتقريب التهذيب (٤٥٣)، وطبقات المفسرين: (٣٣٢).

(٥) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد ويقال أبو عبدالله الكوفي ثقة ثبت فقيه، روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي موسى الأشعري وكان من سادات التابعين علما وفضلا (ت: ٩٥ هـ) على يد الحجاج. ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤/٣١٢)، وتقريب التهذيب (٢٣٤)، وطبقات المفسرين: (١٣٢).

(٦) هو: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري العدوي المدني مولاهم، كان صاحب قرآن وتفسير، روى عن أبيه، وابن المنكدر توفي سنة: (١٨٢ هـ). ينظر: الثقات: (٣/٢٤٩)، وتقريب التهذيب: (٣٤٠)، وطبقات المفسرين: (١٣٢).



وسعيد بن المسيب^(١)، والضحاك، وغيرهم كثير. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- تفسير القرطبي في بعض الآيات بقول مجاهد بن جبر^(٢)، وابن جبير^(٣) ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

﴿﴾

المفسرين للداودي (١٨٨).

- (١) هو: الربيع بن أنس بن زياد البكري، عالم مرو في زمانه، سجن وأوذي في الله، توفي سنة: ١٣٩هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (١٠٢/٧)، و الثقات: (٢٢٨/٤).
- (٢) هو: رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية، مقرئ حافظ مفسر، من أعلم الناس بالقرآن في زمانه أخذ القراءة عرضاً عن أبيّ، وزيد بن ثابت، وابن عباس. توفي سنة (٩٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢٠٧/٤)، وتقريب التهذيب (٣٢٨) وطبقات المفسرين للداودي (١٢٥).
- (٣) هو: عكرمة أبو عبدالله البربري المدني مولى ابن عباس، عالم بالتفسير حدث عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم، ثقة ثبت لم يثبت تكذيبه، ولا ثبت عنه بدعة (٢٥هـ ت: ١٠٤هـ وقيل بعدها). ينظر: الثقات: (٢٢٩/٥)، سير أعلام النبلاء (١٢/٥)، وتقريب التهذيب: (٣٩٧)، وطبقات المفسرين: (٢٦٥).
- (٤) هو: عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه، فاضل من أساطين العلم، توفي سنة: (١١٤هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (٤٦٧/٥)، وسير أعلام النبلاء: (٧٨/٥) وتقريب التهذيب: (٣١٩).
- (٥) هو: عامر بن شراحيل الشعبي أبو بكر الهمداني، علامة عصره وحافظ زمانه (م: ٢٨-ت: ١٠٤هـ). ينظر: الثقات: (١٨٥/٥)، وطبقات الحفاظ: (٣٢)، وتقريب التهذيب: (٢٨٧/١).
- (٦) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي، المخزومي من كبار التابعين، مات سنة (٩٤هـ). ينظر: طبقات ابن سعد (١١٩/٥)، الثقات: (٢٧٣/٤)، والكاشف: (٤٤٤/١)، وتقريب التهذيب (٣٨٨).
- (٧) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤١٤، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٥٦، ٤٧٤)، (٩/٢٠، ٢٦، ٣٧، ٤٥، ٥٣، ٩٧، ١١١، ١٢٤، ١٣٤).
- (٨) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤١٤، ٤٥٥، ٤٦٩، ٤٨٨)، (٩/٣٧، ٥٣).



أَرْجُلِكُمْ ﴿ [الأعام: ٦٥] قال ~ : « ومعنى ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الرجم بالحجارة والظوفان والصيحة والريح، كما فعل بعاد، وثمرود، وقوم شعيب، وقوم لوط، وقوم نوح، عن مجاهد، وابن جبير، وغيرهما (١) ﴿ (١) »

٢- تفسير القرطبي بقول قتادة (١)، والحسن البصري (١) ومن ذلك تفسيره لقول لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ قال القرطبي: «عد من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شيء منه ألهتهم. والفلق: الشق؛ أي يشق النواة الميتة، فيخرج منها ورقاً أخضر، وكذلك الحبة. ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبّة، وهذا معنى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأعام: ٩٥] عن الحسن وقتادة (١) ..» (١).



-
- (١) أخرج رواية مجاهد: الطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣١٠)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٨٣).
- (٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤١٤)، ودراسة هذه المسألة في ص ٣١٠ من هذا البحث.
- (٣) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٥١، ٤٦٥، ٤٨٠، ٤٨٩)، (٩/ ٦، ١٣، ٣٧، ٩٧، ١٣٤).
- (٤) ينظر على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٣٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٨١، ٥٠٥)، (٩/ ١٢، ٣٧، ٥٤، ٧٤، ١٣٨).
- (٥) أخرج رواية قتادة: عبدالرزاق في تفسيره: (١/ ٢٠٦)، والطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٥١)، وعزاه السيوطي إليهم وإلى ابن المنذر وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٢٤).
- (٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٦٥)، ودراسة هذه المسألة في ص ٤٠٦ من هذا البحث.

المطلب الخامس: تفسيره القرآن بأقوال من جاء بعد عصور التابعين

لقد نقل القرطبي في تفسيره بعد أقوال الصحابة والتابعين أقوال من بعدهم من تابعي التابعين أو من بعدهم فنقل عن المفسرين الذين سبقوه، وأورد أقوالهم وتفسيرهم للآيات التي تعرض لتفسيرها: كالزجاج^(١)، والنحاس^(٢)، والثعلبي^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن العربي^(٥)، والقشيري^(٦) وغيرهم كثير.

(١) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٧٦، ٤١٧، ٤٢٦، ٤٣٩، ٤٧٢، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٧)، (٩/٢٥، ٢٨، ٣٦، ٣٩، ٥٣، ١٣٨).

والزجاج هو: إبراهيم بن السري الزجاج، أبو إسحاق، عالم بالنحو واللغة والتفسير أخذ عن ثعلب والمبرد من تصانيفه: معاني القرآن، والإشتقاق (٢٤١ - ٣١١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/٢٣٤)، والبلغة: (١/٤٥)، وشذرات الذهب: (٢/٢٥٩)، ومعجم المؤلفين: (١/٣٣).

(٢) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٢٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧٦، ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٥١، ٤٧٣، ٤٨٧، ٥٠١)، (٩/١٢، ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٤١، ٤٣، ٧٥، ٧٨، ٩٧، ١٠٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩).


(٣) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤١٧، ٤٣٤).

والثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق النيسابوري له في التفسير "الكشف والبيان" و "العرائس" في قصص الأنبياء (ت: ٤٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٤٣٥)، وطبقات المفسرين: (٥٠)، وشذرات الذهب: (٣/٢٣٠)، ومعجم المؤلفين: (٢/٦٠).

(٤) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣١٦، ٤٠٦).

(٥) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: المصدر السابق: (٨/٤٠٣، ٤١٩، ٤٢١، ٤٧٦، ٤٩٤، ٤٩٥)، (٩/١٤، ١٧، ٥٦، ١٠٠، ١١٢).

(٦) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: المصدر السابق: (٨/٣٥٧، ٤٢٣، ٤٣٥، ٤٥٠)، (٩/٤٣، ٨٥).

وهو: عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد النيسابوري أبو القاسم القشيري صنف التفسير الكبير، وسماه كتاب التيسير في علم التفسير، وكتاب اللطائف، وهو مؤلف كبير في التفسير جليل القدر والشأن وله الرسالة في رجال الطريقة وكتاب نحو القلوب. (٤٦٥هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: 

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ - ما نقله القرطبي عن الزجاج في قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] استثناء ليس من الأول. قال الزجاج: يرجع إلى يوم القيامة، أي: خالدين في النار إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب، فالاستثناء منقطع^(١)، وقيل: يرجع الاستثناء إلى النار أي: إلا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار في بعض الأوقات^(٢)

٢ - ما نقله القرطبي عن النحاس في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: ١٠٥] أي: نصرف الآيات مثل ما تلونا عليك، أي كما صرفنا الآيات في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه في هذه السورة نصرف في غيرها... قال النحاس^(٣): وفي المعنى قول آخر حسن وهو أن يكون معنى ﴿نُنْصِرُ الْآيَاتِ﴾ نأتي بها آية بعد آية ليقولوا درست علينا فيذكرون الأول بالآخر، فهذا حقيقة، والذي قاله أبو إسحاق مجاز^(٤).

(١١/١٩٨)، طبقات الشافعية الكبرى: (٥/١٥٣)، طبقات المفسرين: (٢٣٧) معجم المؤلفين: (٦/٦).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: (٢/٢٩٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٢٨).

(٣) ينظر إعراب القرآن: (٢/٨٨).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٨٧).

المطلب السادس: عنايته بالقراءات

إن كل مفسر يتصدى لتفسير كتاب الله ﷻ يحتاج إلى فهم وتطبيق علم القراءات؛ وذلك لأنه أحد الأبواب المهمة التي يتوقف عليها في كثير من الأحيان معرفة معاني جملة من الآيات القرآنية، فإذا كان علم النحو يدرس التراكيب؛ لبيان وظيفتها في الجملة، فإن علم القراءات يبيّن جانب الدلالة. حتى عرف هذا العلم بجانب علم التفسير عند بعض الباحثين "بالخادم الأمين لعلم التفسير"^(١)، وإدراكاً من أبي عبد الله القرطبي لهذا العلم وأهميته فقد تلقاه في شبابه في بداية تعليمه على يد شيخه ابن أبي حجة في قرطبة فقد قرأ عليه القراءات السبع، كما قال بعض مترجميه "تلا بالسبع في بلده على أبي جعفر بن أبي حجة"^(٢) واهتم بالقراءات غاية الاهتمام حيث اعتمد عليها في تفسيره وأشار إليها في مقدمته له. بأن يضمه نكتاً من القراءات فقال: «... يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات..»^(٣)، وقد وثّق القرطبي بما ذكره في مقدمة كتابه الجامع لأحكام القرآن فقد أخذ هذا الأمر بنفس طویل، فما يذكر آية في تفسيره وفيها قراءة إلا ذكرها سواء كانت هذه القراءة متواترة أم شاذة، ويوجه القراءات، فكانت عنايته للقراءات بقسميها:

الأول: القراءات المتواترة^(٤):

كان منهج القرطبي في القراءات المتواترة أنه يذكرها ويعتمدها^(٥)، لأن كل قراءة

(١) ينظر: القرآن نزوله وتدوينه لبلاشير (١٠٨).

(٢) الذيل والتكملة للمراكشي (٥/٥٨٥).

(٣) ينظر: مقدمة تفسير الإمام القرطبي (٢٨).

(٤) هي: ما تواتر بسند صحيح عن النبي ﷺ ووافقت رسم المصحف العثماني وكان لها وجه في العربية. وقيل: هي ما نقلت إلينا بطريق التواتر جمعاً عن جمع إلى رسول الله، وهذا الجمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب. ينظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري (٣).

(٥) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٢،

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٨٠،



من القراءات المتواترة بمنزلة آية مستقلة، فكان يثبتها جميعاً، ويوجه كل قراءة. ومن الأمثلة على ذلك في إثباته، وتوجيهه القراءات المتواترة، ما يلي:

١- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُؤْنِثُ نُوْنُوْهُ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قال القرطبي: «﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قراءة نافع^(١) بالتشديد على التكثير لأن المشركين ادعوا أن الله بنات؛ وهم الملائكة وسموهم جنًّا لا جتناهم، والنصارى ادعت المسيح ابن الله، واليهود قالت: عزيز ابن الله، فكثرت ذلك من كفرهم؛ فشدد الفعل لمطابقة المعنى. تعالى الله عما يقولون. وقرأ الباقون بالتخفيف على التقليل^(٢) ..»^(٣)

٢- وما ذكر القرطبي في القراءات المتواترة قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] قرأه ابن كثير^(٤) بإسكان الصاد مخففاً من الصعود، وهو الطلوع. وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف^(٥)، ومعناه يتكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شيء كقولك يتجرع ويتفوق^(٦)

﴿﴾ =

(٤٨٨، ٤٩٢، ٤٩٩)، (٩/٦، ٩، ١٠، ٢٣، ٢٥، ٣٩، ٤٦، ٦١، ٧٧، ٩٥، ١٣٨).

(١) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني مولى بني ليث أصله من أصبهان، أبو رويم، وقد ينسب لجدته، صدوق ثبت في القراءة، من كبار السابعة (ت: ١٦٩ هـ). ينظر: الثقات: (٥/٤٧٢)، ومعرفة القراء الكبار: (١/١٠٧)، وتقريب التهذيب: (٥٥٨).

(٢) كلا القراءتين متواترتان، ينظر: الحجة في القراءات السبع: (١/١٤٧)، و التيسير في القراءات السبع: (١/١٠٥) والتبصرة في القراءات: (١٩٦).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٨٠).

(٤) هو عبدالله بن كثير بن المطلب الإمام أبو معبد مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي إمام المكيين في القراءة، أصله فارسي وكان داريا بمكة وهو العطار مأخوذ من قوله عطر دارين، ودارين موضع بناوحي الهند، وقيل: في نسبه الداري إنه قرشي من بني عبدالدار (ت: ١٢٠ هـ). ينظر: الثقات: (٨/٣٤٦)، ومعرفة القراء الكبار: (١/٨٦)، وتقريب التهذيب: (٣١٨).

(٥) كلا القراءتين متواترتان ينظر: الحجة في القراءات السبع (١/١٤٩)، والتبصرة في القراءات: (١٩٩)، والحجة للقراء السبعة: (٣/٤٠١).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٢٥).



أما إذا كانت إحدى القراءات المتواترة تفيد معنى عاماً أو معنى زائداً على معنى القراءة الأخرى فكان القرطبي يختارها ويقدمها على الأخرى ولا يرد القراءة الأخرى لثبوتها كما في المثال التالي:

في قوله تعالى: ﴿رَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ [الأنعام: ٨٣] قال القرطبي: « وقرأ الكوفيون: "درجاتٍ" بالتنوين ومثله في "يوسف" أوقعوا الفعل على من لأنه المرفوع في الحقيقة، التقدير: ورفع من نشاء إلى درجاتٍ، ثم حذفت "إلى". وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو^(١) بغير تنوين على الإضافة، والفعل واقع على الدرجات، وإذا رفعت فقد رفع صاحبها^(٢)، يقوي هذه القراءة قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥] وقوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم ارفع درجاته)^(٣) فأضاف الرفع إلى الدرجات وهو لا إله إلا هو الرفيع المتعالي في شرفه وفضله، فالقراءتان متقاربتان لأن من رفعت درجاته فقد رفع، ومن رفع فقد رفعت درجاته، فاعلم^(٤) »

(١) أبو عمرو هو: زبان بن العلاء بن عمار أبو عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة، ولد بالحجاز وسكن البصرة مات بالكوفة (١٥٤هـ) وعمره ٨٦ سنة. ينظر: الثقات: (٣٤٥/٦)، تقريب التهذيب: (٦٦٠)، والبلغة: (١٠١/١).

(٢) القراءتان متواترتان ينظر: الحجة في القراءات السبع: (١٤٤/١)، والتبصرة في القراءات: (١٩٥)، والحجة للقراء السبعة: (٣٣٦/٣).

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه، في كتاب الجنائز، باب في الرجل ينتهي إليه نعي الرجل ما يقول، (٤٤/٣)، برقم: (١١٩٧٥)، وفي كتاب الدعاء باب ما يدعى به في الصلاة على الجنائز (٩٩/٦)، برقم: (٢٩٧٨٦)، وأخرجه عبدالرزاق في كتاب الجنائز، باب القراءة والدعاء في الصلاة على الميت، (٤٨٧/٣)، برقم: (٦٤٢٢).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٤٥/٨).

الثاني: القراءات الشاذة^(١):

القارئ لتفسير القرطبي يجد أنه يذكر القراءات الشاذة منسوبة إلى أصحابها^(٢)، إلا أن منهجه وموقفه منها كان متبايناً: فتارة يستعرض القراءات الشاذة ويحتج بإحداها:

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ﴾ [الأعام: ١٤] كذا قراءة العامة^(٣)، أي: يَرْزُقُ وَلَا يُرْزَقُ، دليله قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [الذاريات: ٥٧].

وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، والأعمش^(٤): "وهو يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ"^(٥)

(١) هي كل قراءة صح سندها، ووافقت العربية ولو بوجه، وخالفت رسم المصحف، وهذا التعريف هو الذي اعتمده مكي القيسي في الإبانة: (٦٣)، وأبو شامة في المرشد الوجيز: (٣٨١)، وابن الجزري في منجد المقرئين: (١٦)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٣٩٣/١٣).

واصطلاح ابن جني في المحتسب (٣٢/١) أن القراءة الشاذة هي كل قراءة خرجت عن القراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد في كتابه السبعة.

أما السيوطي فقد عرفها في الإتيان: (٢٦٢/١) بأنها القراءة التي لم يصح سندها، وأن القراءة التي صح سندها، وخالفت الرسم أو العربية أو لم تشتهر تسمى آحادية، ولا يقرأ بها.

(٢) ينظر على سبيل المثال في المقرر دراسته: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٥٤، ٣٥٥، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٩، ٤٩٠، ٤٩٢، ٥٠١، ٥٠٩، ٥٤٤، ٥٤٧، ٥٧٧، ٩٧).

(٣) أي قراءة القراء العشرة وهي المتواترة.

(٤) الأعمش هو: سليمان بن مهران، مولى بنى كاهل، ويكنى أبا محمد الأسدي، ولد في السنة التي قتل فيها الحسين بن علي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع لكنه يدلّس، من الخامسة، وكان فيه دعاية. (ت: ١٤٨ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد: (٦/٣٤٢)، والثقات: (٤/٣٠٢)، وتقريب التهذيب: (٢٥٤).

(٥) وهي قراءة شاذة، بضم الياء الأولى وكسر العين، وفتح الياء الثانية وفتح العين وهذه قراءة اختارها البصريون. ينظر: مختصر- في شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٢)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري: (١/٤٧٠)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/٣٢٥)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٣٨)، والزنجشيري في الكشف: (٢/١١)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٢/١٤٠)، وأبو حيان في البحر



وهي قراءة حسنة، أي أنه يرزق عباده، وهو سبحانه غير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون من الغذاء...»^(١)

وتارة إذا كانت القراءة شاذة، أي لم تثبت قرآنيته، وأضيف إلى ذلك أنها ضعيفة المعنى فإن القرطبي يضعفها، ويستبعدها مثال ذلك:

قوله في القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣] قرأ الأعمش وخيفة من الخوف، وقرأ أبو بكر^(٢) عن عاصم^(٣) خفية بكسر الخاء، والباقون: بضمها. لغتان^(٤) وزاد الفراء^(٥) خُفوة وخِفوة قال، ونظيره حُبِيَّةٌ وَحَبِيَّةٌ وَحُبوةٌ وَحِبوةٌ^(٦)، وقراءة الأعمش بعيدة لأن معنى تضرعاً أن تظهروا التذلل وخفية أن تبطنوا مثل ذلك»^(٧).

﴿﴾ =

المحيط: (٩٠ / ٤).

- (١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٣ / ٨)، ودراسة هذه المسألة في ص ١٧٠ من هذا البحث.
- (٢) هو شعبة بن عياش بن سالم الحنات الأسدي، أبو بكر الكوفي، ولد (٩٥ هـ) وهو الإمام صاحب القراءة صدوق، وربما يهيم، يأتي بكنيته. ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: (٣٧٧ / ٣).
- (٣) عاصم هو: عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي مولاهم، المقرئ، قرأ على السلمي وزر الأسدي وحدث عنها حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين (ت: ١٢٨ هـ). ينظر: التاريخ الكبير: (٤٨٧ / ٦)، وتقريب التهذيب: (٢٨٥)، والكاشف: (٥١٨ / ١).
- (٤) ينظر: التيسير في القراءات السبع: (١٠٣ / ١)، والحجة في القراءات السبع: (١٤١ / ١)، والسبعة في القراءات: (٢٥٩ / ١).
- (٥) هو: يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان أبو زكريا المعروف بالفراء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي وأخذ عنه له تصانيف منها " معاني القرآن " و " المصادر في القرآن " و " غريب الحديث " (١٤٤-٢٠٧ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١١٨ / ١٠)، وطبقات المفسرين: (٥٤٥)، وشذرات الذهب: (١٩ / ٢)، ومعجم المؤلفين: (١٩٨ / ١٣).
- (٦) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٣٨ / ١).
- (٧) الجامع لأحكام القرآن (٤١٢ / ٨).



وتارة يبين بالقراءات الشاذة بعض لغات قبائل العرب ولهجاتها مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥٠] قال القرطبي: «وقرى: " ضللت " بفتح اللام وكسر ها، وهما لغتان. قال أبو عمرو بن العلاء: ضللت بكسر اللام^(١) لغة تميم^(٢)، وهي قراءة يحيى بن وثاب^(٣) وطلحة بن مصرف^(٤) والأولى هي الأصح والأفصح؛ لأنها لغة أهل الحجاز، وهي قراءة الجمهور^(٥).

وقال الجوهري^(٦): والضلال والضلالة ضد الرشاد، وقد ضللت أضلُّ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [سبأ: ٥٠] فهذه لغة نجد^(٧)، وهي الفصيحة، وأهل

(١) وهذه من القراءات الشاذة ذكرها ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن: (٤٣) وإعراب القراءات الشواذ: (١/٤٨٢)، وقال السمرقندي قرأ بعضهم " ضللت " بالكسر- وهو شاذ. ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٣)، و الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٥٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/٦٢)، وأبو حيان في تفسير البحر المحيط: (٤/١٤٥).

(٢) تميم: بطن من العدنانية وهم بنو تميم بن مرة بن أدد بن طابخة بن إلياس بن مضر- بن نزار بن معد بن عدنان وكانت منازلهم بأرض نجد. ينظر: جمهرة أنساب العرب (١/١٨٩).

(٣) هو: يحيى بن وثاب بتشديد المثلة، الأسدي مولاهم، الكوفي المقرئ، ثقة عابد من الرابعة، وكان ثقة قليل الحديث، صاحب قرآن (ت: ١٠٣ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد: (٦/٢٩٩)، وتقريب التهذيب: (٥٩٨)، والكاشف: (٢/٣٧٨).

(٤) هو: طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الياامي بالتحانية الكوفي، ثقة قارئ فاضل، قرأ على الأعمش، من الخامسة (ت: ١١٢ هـ) ينظر: الثقات: (٤/٣٩٣)، سير أعلام النبلاء: (٥/١٩١)، و تقريب التهذيب (٢٨٣).

(٥) قرأ بفتح اللام القراء العشرة بلا خلاف.

(٦) هو: إسماعيل بن حماد، أبو النصر الفارابي، ومشهور بالجوهري مصنف كتاب الصحاح يضرب به المثل في ضبط اللغة، توفي سنة (٤٠٠ هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٨٠)، والبلغة: (١/٦٦)، ومعجم الأدباء: (٢/٢٠٥).

(٧) كل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد، وقيل: ما ارتفع عن بطن الرمة والرمة واد معلوم ذكر في موضعه فهو نجد إلى ثانيا ذات عرق، ونجد إلى أن تميل الحرة فإذا ملت إليها فأنت بالحجاز، وقيل نجد هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام. ينظر: معجم البلدان: (٤/٢١١).

العالية^(١) يقولون ضللتُ بالكسر أَضِلُّ^(٢) «أ.هـ»^(٣)

(١) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعميرها إلى تهامة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة. قال أبو منصور عالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً وهي بلاد واسعة وإذا نسبوا إليها قالوا علوي والأنتى علوية على غير قياس، والعالية: ليست بأب ولا قبيلة إنما هو نسب إلى العلو من الأرض، وإذا ذُكِرَتِ الْعَالِيَّةُ فِي الْمَدِينَةِ فَهِيَ أَعْلَاهَا مِنْ حَيْثُ يَأْتِي وَادِي بَطْحَانَ، وَيُطَلَّقُ الْيَوْمَ عَلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ «الْعَوَالِي» جَمْعُ عَالِيَّةٍ. ينظر: معجم البلدان: (٣/١٩٠)، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: (١/١٣٢).

(٢) ينظر: مختار الصحاح: (١٦٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٩٧).



المبحث الثاني

تفسيره القرآن باللغة

ويشتمل على أربعة مطالب :

✧ **المطلب الأول:** عنايته بمعاني المفردات.

✧ **المطلب الثاني:** عنايته بمعاني الحروف والأدوات.

✧ **المطلب الثالث:** عنايته بالإعراب.

✧ **المطلب الرابع:** عنايته بالأساليب البلاغية في الخطاب القرآني.



تفسيره القرآن باللغة

المقصود بهذا المبحث تفسير القرآن بلغة العرب، وسبب اعتبار هذا طريقاً من طرق التفسير هو: نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب، وقد اعتمد الصحابة والتابعون على اللغة في تفاسيرهم، واستشهدواهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن.

ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى، قال يحيى المديني^(١): سمعت مالك بن أنس يقول: (لا أوتى برجل يفسر- كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا) وقال مجاهد: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، بل شدد العلماء على من فسر القرآن وهو غير عالم بلغة العرب)^(٢)

ولقد اهتم القرطبي باللغة في تفسيره، ومن أبلغ الأدلة على اهتمامه بها، هو كتابه "المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح"، ومن تأمل تفسيره الذي بين أيدينا، أدرك ما لهذا الإمام من علم غزير باللغة، وسعة فهم لمفرداتها، ودلالات معانيها، وأدواتها، وإعرابها، ولقد أفاد القرطبي في اللغة والنحو من أبرز مصادرهما، ونقل عنها، ومن أهمها ما يلي^(٣):

١ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري: ولقد أفاد القرطبي من هذا الكتاب اللغوي كثيراً، ونقل عنه، ومن الأمثلة على ذلك^(٤) ما نقله عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] قال القرطبي: « أي شدائده وسكراته،

(١) هو: يحيى بن سليمان بن نضلة المديني، وهو يحدث عن مالك بالموطأ، وغير الموطأ، وروى عن مالك وأهل المدينة أحاديث عامتها مستقيمة. ينظر: الثقات: (٩/٢٦٩)، لسان الميزان: (٦/٢٦١).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (١/٢٩٢).

(٣) ينظر: القرطبي ومنهجه في التفسير (١٧٤).

(٤) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/٣١٩، ٤٣٤، ٣٤٦، ٤٧١، ٤٧٦)، (٩/٢٤، ١١٣).



والغمرة: الشدة وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه غمره الماء ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره، ومنه غمرات الحرب، قال الجوهري^(١): والغمرة الشدة والجمع غُمر، مثل نوبة ونوب^(٢)»

٢ - الكتاب لسيبويه^(٣): أشار إليه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ﴾ قال القرطبي: «بالفتح ففيه وجهان: أحدهما أن يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمراً كأنه قال: فله أنه غفور رحيم لأن ما بعد الفاء مبتدأ أي: فله غفران الله. الوجه الثاني: أن يضم مبتدأ، تكون "أن" وما عملت فيه خبره تقديره فأمره غفران الله له، وهذا اختيار سيبويه، ولم يجز الأول^(٤)»

٣ - كتاب المقتضب للمبرد^(٥)، وقد نقل القرطبي عنه واستفاد منه كثيراً^(٦) ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨] عدد بعض الأقوال ثم قال: «.. قال المبرد: بدأ لهم جزاء كفرهم الذي كانوا يخفونه، وقيل: المعنى بل ظهر للذين اتبعوا الغواية ما كان الغواية يخفون عنهم من أمر

(١) ينظر: مختار الصحاح: (٢١٠) مادة غمر.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٤٦١).

(٣) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، توفي (١٨٠ هـ) ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٢)، وشذرات الذهب (٦/ ١٤٦).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٩٤).

(٥) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد، كان فصيحاً بليغاً، وثقة وعارفاً، أخذ العربية عن الكسائي الأزدي، وعن أبي حاتم السجستاني، وله تصنيف في التفسير "معاني القرآن وإعراب القرآن" وله تصانيف في النحو (ت: ٢٨٥ هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء: (٩/ ١٣٦)، وشذرات الذهب: (٢/ ١٩٠)، وطبقات المفسرين للداودي: (٤٧٩)، ومعجم المؤلفين: (١٢/ ١١٤).

(٦) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/ ٣٣١، ٤٢٦، ١٣٢).



البعث والقيامة، لأن بعده ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] (١)
فبهذا يتضح قوة فهم القرطبي للغة وحرصه على تفسير ألفاظ القرآن الكريم
وتوضيحها بلغة العرب، فبين معاني الكلمات، ومدلولاتها، وإعرابها.
وإليك بيان هذا في المطالب التالية..



(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٥٤).

المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات

من يستعرض جامع القرطبي يجد فيه مباحث لغوية كثيرة حاول من خلالها أن يوضح اللفظ القرآني، وأن يبين مدلولاته، فترى القرطبي يأخذ المعنى اللغوي للكلمة فيجعله أصلاً لمعاني الكلمات التي تقترب من هذه الكلمة في حروفها، وذلك نقلاً عن أئمة اللغة وما تناقله العلماء عنهم. ومن الأمثلة على ذلك^(١):

١- عند تفسيره لكلمة "أكنة" في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: ٢٥] قال القرطبي: «والأكنة: الأغطية؛ جمع كنان، مثل الأسننة والسنان، والأعنة والعنان، كنتت الشيء في كنه إذا صنته فيه، وأكنتت الشيء -ء أخفيتته، والكنانة معروفة، والكنة: بفتح الكاف والنون امرأة أبيك، ويقال امرأة الابن أو الأخ لأنها في كنه»^(٢)

٢- وأيضاً عند تفسيره لكلمة "يصدفون" في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦] قال القرطبي: «أي يعرضون، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي، يقال: صدف عن الشيء -ء إذا أعرض عنه صدفاً وصدوفاً فهو صادف، وصادفته مصادفة: أي لقيته عن إعراض عن جهته، قال ابن الرقاع^(٣):

إذا ذكّرَن حديثاً قلن أحسنه وهنّ عن كلّ سوء يُتقى صُدْفٌ^(٤)

والصدف في البعير: أن يميل خفه من اليد أو الرجل إلى الجانب الوحشي، فهم يصدفون أي: مائلون معرضون عن الحجج والدلالات»^(٥).

(١) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/ ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٣، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٠٤)، (٩/ ٧، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٥، ٧١، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٩٧، ٩٩، ١٤٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٤٤).

(٣) هو: عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عدة بن شعل بن معاوية بن قاسط بن عميرة بن قضاة، ونسب إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته. طبقات فحول الشعراء: (٢/ ٦٨١).

(٤) البيت: في ديوان ابن الرقاع: (٢٣٦).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٨٤).

المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات

من يستقرئ تفسير القرطبي يجد أن من اهتمامه ~ في التفسير باللغة، عنايته بمعاني الحروف والأدوات، والأمثلة على ذلك كثيرة^(١)، وبها يتضح المقال، فعلى سبيل المثال:

١- ما ذكره في معنى حرف اللام في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١] قال القرطبي: «اللام لام كي، أي أمرنا كي نسلم، وبأن أقيموا الصلاة لأن حروف الإضافة يعطف بعضها على بعض، قال الفراء: المعنى أمرنا بأن نسلم، لأن العرب تقول أمرتك لتذهب وبأن تذهب بمعنى. قال النحاس: سمعت أبا الحسن بن كيسان^(٢) يقول: هي لام الخفض، واللامات كلها ثلاث: لام خفض، ولام أمر، ولام توكيد لا يخرج شيء عنها»^(٣).

٢- وذكر القرطبي في معنى "لولا" وجه من الأوجه: وهي أن تكون بمعنى (هلاً) فهي للتحضيض والعرض^(٤): قال في قوله ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣] "لولا" تخضيض، وهي التي تلي الفعل بمعنى هلا، وهذا عتاب على ترك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب..»^(٥) وقال في قوله ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧] قال الحسن: "لولا" ها هنا بمعنى

(١) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/ ٣٢٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٨، ٣٩٥، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٩٧، ٥٠٤)، (٩/ ٢٢، ١٠٣).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي، اللغوي الفاضل، كان يحفظ البصريين والكوفيين في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وله التصانيف والأقوال المشهورة في التفاسير ومعاني الآيات وكان فوق الثقة (ت: ٢٩٩هـ) ينظر: تاريخ بغداد: (١/ ٣٣٥)، والوافي بالوفيات: (٢/ ٢٤).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٢٨).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (٤٢٠).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٨٧).



هلا... وكان هذا منهم تعنتاً بعد ظهور البراهين وإقامة الحجة بالقرآن الذي عجزوا
أن يأتوا بسورة مثله، لما فيه من الوصف وعلم الغيوب»^(١).



(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٦٨).

المطلب الثالث: عنايته بالإعراب

كما أن لأبي عبدالله القرطبي عناية بالإعراب، فإذا ما تحدث عن آية وكان معناها يحتاج إلى الحديث عن إعرابها، فإنه يتحدث ويبين إعرابها، وذلك كثير عند القرطبي^(١)، ومن ذلك مثلاً:

١- ما ذكره من الإعراب في قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢] قال القرطبي: «اللام لام القسم، والنون نون التأكيد. وقال الفراء: وغيره يجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله ﴿الرَّحْمَةَ﴾ ويكون ما بعده مستأنفاً على جهة التبيين، فيكون معنى ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ ليمهلنكم وليؤخرن جمعكم، وقيل المعنى: ليجمعنكم أي في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه، وقيل: ﴿إِلَى﴾ بمعنى "في" أي ليجمعنكم في يوم القيامة. وقيل: يجوز أن يكون موضع ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ نصبا على البدل من الرحمة فتكون اللام بمعنى "أن"، المعنى كتب ربكم على نفسه ليجمعنكم أي أن يجمعكم، وكذلك قال كثير من النحويين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَسْجُذُنَّهُ﴾ [يوسف: ٣٥] أي: أن يسجنوه، وقيل: موضعه نصب بـ "كتب" كما تكون "أن" في قوله ﴿وَكَلَّمَ﴾ ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا ابْجَهَلَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وذلك أنه مفسر للرحمة بالإمهال إلى يوم القيامة عن الزجاج.^(١)

٢- وفي بيانه لإعراب "ديناً" في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينَاقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٦١] قال القرطبي: ﴿دِينًا﴾ نصب على الحال عن قطرب^(١)، وقيل:

(١) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠،



نصب بهداني عن الأخفش^(١)، قال غيره: انتصب حملاً على المعنى، لأن معنى هداني: عرفني ديناً، ويجوز أن يكون بدلاً من الصراط أي هداني صراطاً مستقيماً ديناً، وقيل منصوب بإضمار فعل فكأنه قال: اتبعوا ديناً، واعرفوا ديناً^(٢)»



﴿

(١٤/٥). معجم الأدباء: (٤٤٥/٥)، والبلغة: (٢١٤/١).

(١) الأخفش هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش مولى بني مجاشع بن دارم من أهل بلخ سكن البصرة، قرأ النحو على سيبويه، وكان الأخفش أربع أصحاب سيبويه، ومن تصانيفه: كتاب الأوسط، وأمره الكسائي أن يضع كتاباً في معاني القرآن فوضع كتاباً وصار الكسائي يحذو مثاله حتى وضع كتابه في المعاني، ويقال الفراء أيضاً هذا أيضاً مثاله (ت: ٢١٥ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٧/١٨٨)، البلغة: (١٠٤/١)، وطبقات المفسرين: (١٣٤) ومعجم المؤلفين: (٤/٢٣١).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٣٨).

﴿
:
﴾
﴿
﴾

المطلب الرابع: عنايته بالأساليب البلاغية في الخطاب القرآني

بين القرطبي كثيراً من الأساليب العربية النحوية والبلاغية في تفسيره ومن الأساليب العربية البلاغية التي بينها في الخطاب القرآني الالتفات^(١) ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّثْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُنمِكِن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام:٦] قال القرطبي: « والمعنى ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم أنبياءهم؛ أي: ألم يعرفوا ذلك... »

﴿مَكَثْتُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُنمِكِن لَّكُمْ﴾ خروج من الغيبة إلى الخطاب، عكسه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتِ بِهِنَّ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾ [يونس:٢٢] وقال أهل البصرة: أخبر عنهم بقوله: " ألم يروا! " وفيهم محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ثم خاطبهم معهم، والعرب تقول: قلت لعبدالله: ما أكرمه! وقلت لعبدالله: ما أكرمك ولو جاء على ما تقدّم من الغيبة لقال: ما لم نمكّن لهم. ويجوز: مكّنه ومكّن له؛ فجاء باللغتين جميعاً، أي: أعطيناهم ما لم نعطكم من الدنيا. »^(١)

ومن ذلك أيضاً: عنايته بأسلوب المجاز والاستعارة وهذا كثير^(٢) ومن الأمثلة على هذا:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:١٧] قال القرطبي: « المس والكشف من صفات الأجسام، وهو هنا مجاز وتوسع، والمعنى: إن تنزل بك يا

(١) هو: التعبير عن معنى من المعاني بطريقة من الطرق الثلاثة، وهي التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عن ذلك المعنى نفسه بطريقة آخر، كأن يعبر أولاً بالغيبة ثم يعبر ثانياً بالخطاب، وثالثاً بالتكلم بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: (١/٧٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٢٥).

(٣) ينظر: على سبيل المثال في الجزء المقرر دراسته: (٨/٣٣٥، ٣٥٨، ٣٥٩).



محمد شدة من فقر أو مرض فلا رافع وصارف له إلا هو، وإن يصبك بعافية ورخاء ونعمة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، من الخير والضر-؛ روى ابن عباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي: (يا غلام - أو يا بني - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جف القلم بما هو كائن؛ فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدرُوا عليه، واعمل لله بالشكر واليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) (١) «(١)» .



(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، في ذکر عبدالله بن عباس ؓ: (٣/٦٢٤)، برقم:

(٦٣٠٤). وقال عنه الترمذي في سننه: (٤/٦٦٧): «قال: هذا حديث حسن صحيح» .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٣٥).



المبحث الثالث

تفسيره القرآن بالرأي

ويشتمل على مطلبين : -

✧ المطلب الأول: عنايته بالمناسبات.

✧ المطلب الثاني: عنايته بفقہ اللغة، وأسرار العربية.



تفسيره القرآن بالرأي

يعد التفسير بالرأي النوع الثاني من أنواع التفسير التي نشأت، ومر بها علم التفسير في مراحلها المتعددة، وقد عُرف التفسير بالرأي بأنه: «عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر- كلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانتها في ذلك بالشعر العربي... وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر^(١)»

ويتضح لنا أن شيخنا الجليل قد يستعمل - أحياناً - الاجتهاد والعقل في تفسيره وهو في استعماله هذا يخضع العقل للشرع، لا كما يفعل أصحاب التفسير بالرأي المذموم الذين يعتمدون على العقل أكثر من اعتمادهم على النقل كالمعتزلة^(٢) والباطنية^(٣)

(١) ينظر: التفسير والمفسرون: (١/٢٥٥).

(٢) المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً، احترازاً من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقاً عليه لقول النبي ﷺ: (القدرية مجوس هذه الامة) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الإیمان: (١/١٥٩) برقم: (٢٨٦). وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه وله شاهد»، والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد، القول بان الله تعالى قديم، ونفوا الصفات القديمة أصلاً، واتفقوا على ان كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت.. واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة قبل ورود السمع، والحسن والقبیح يجب معرفتهما بالعقل، واعتناق الحسن واجتناب القبیح واجب كذلك.. وافترقت المعتزلة إلى عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرهما، وهذه بعض أسماء فرقها: واصلية، وعمرية، والمذيلية، والنظامية، والأموارية، والشامية، والجاحظية، والحايطية، والحمارية، والخياطية، والسحامية، وأصحاب صالح قبة، والمويسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية. ينظر: الملل والنحل: (١/٤٣)، الفرق بين الفرق: (١/١٨).

(٣) الباطنية: هم الذين ادعوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأثقال، وأرادوا بالأغلال التكليفات الشرعية. ينظر: فضائح الباطنية: (١/١١).



مثلاً^(١)، فقد تجنب التأويل بالرأي المذموم وقد صدر كتابه قبل البدء في التفسير بـ: "باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي والجرأة على ذلك".

ويبين ~ مفهوم كلام السلف في منعهم للتأويل بالرأي ووجه أدلتهم بأن المقصود بكلامهم هو التأويل بالرأي المجرد عن الدليل فهذا لا يعمل به القرطبي، وينهى عنه، أما التفسير المبني على الأدلة والفهم والاستنباط وطول التأمل فهذا هو الذي سلكه القرطبي حيث ذكر في مقدمته: « فإن من قال فيه بما سنع في وهمه، وخطر على باله، من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح »^(٢).

وفي هذا المبحث مطلبان..



(١) قال القرطبي في مقدمته: « وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغريير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزّلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي » ينظر: مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٩٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٥٨).

المطلب الأول: عنايته بالمناسبات

يجد القارئ والمتأمل في الجامع لأحكام القرآن عناية القرطبي ~ بمناسبة الآية أو الآيات لما قبلها وارتباط ذلك بمعنى الآية وبيانه، فهو يذكر اتصال الآية بالآية التي قبلها في بعض الأحيان، أو اتصال الآية بآيات قبلها، ومن هذه الأمثلة ما يلي: -

أ - ما ذكره في مناسبة الآية للآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١] قال القرطبي: « ووجه اتصال هذا بما قبله ^(١): أن الكفار لما افتروا على الله الكذب، وأشركوا معه، وحلوا وحرموا؛ دهم على وحدانيته بأنه خالق الأشياء، وأنه جعل هذه الأشياء أرزاقاً لهم. ^(٢) »

ب - ما ذكره في مناسبة الآية لمجموعة آيات قبلها: قال ﷺ: ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَنْضَرَعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢] قال القرطبي: « وهذه الآية متصلة بما قبلها ^(٣) اتصال الحال بحال قريبة منها وذلك، أن هؤلاء سلخوا في مخالفة نبيهم، مسلك من كان قبلهم في مخالفة أنبيائهم فكانوا بعرض أن ينزل بهم من البلاء ما نزل بمن كان قبلهم ^(٤) »

(١) وهو قوله تعالى: ﴿ قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٥٢ / ٩).

(٣) وهي قوله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا فِي الظُّلْمَةِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَن يَشَاءِ اللَّهُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٣٩] قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ دَعْوَانِ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ دَعْوَانٌ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ [الأنعام: ٣٩ - ٤١].

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٦ / ٨).

المطلب الثاني: عنايته بفقهِ اللغة وأسرار العربية

لقد أخبر سبحانه عن كتابه بقوله: ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فيبين أن مقاصد إنزال هذا القرآن هو تدبره وتأمله، فالتدبر والتأمل فيه هو مفتاح العلم والعمل، ولا يخفى على كل ذي لب وفهم أن المؤمن كلما أمعن النظر فيه تبين له من معانيه بأسراره وحكمه واستنباطه التي قل أن تجد مثلها؛ فقد بين سعة فهمه لمقاصد كتاب الله ﷻ في مقدمته حيث قال في وصف هذا الكتاب العزيز «الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وجعل أمثاله عبراً لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار...»^(١).

وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى دلائل في الآيات يستنبطها ويستخرجها بعد ذكره لمعناها العام ومن تلك عنايته بفقهِ اللغة، وأسرار العربية^(٢)، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩] قال القرطبي: «فدلت الآية لمن تدبر ونظر ببصره وقلبه نظر من تفكر، أن المتغيرات لا بد لها من مغير؛ وذلك أنه تعالى قال: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ فتراه أولاً طلوعاً، ثم إغريضاً^(٣) إذا انشق عنه الطلع - والإغريض يسمى ضحكا أيضا

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٩).

(٢) يقصد بفقهِ اللغة: العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة، من النواحي التاريخي والنواحي الوصفية. ينظر: فصول في فقهِ العربية: (٩).

(٣) الإغريضُ الطَّلُعُ حين ينشقُّ عنه كافرؤه، أو ما في جَوْفِ الطَّلَعِ، وقال الكسائي: الإغريض كل أبيض



- ثم بلحاً، ثم سياباً^(١)، ثم جدالاً إذ اخضر واستدار قبل أن يشتدّ، ثم بسرّاً إذا عظم، ثم زهواً إذا احمر؛ يقال أزهي يزهى، ثم موكتاً^(٢) إذا بدت فيه نقط من الإرتاب. فإن كان ذلك من قبل الذنب فهي مذنبه، وهو التذنوب، فإذا لانت فهي ثعدة، فإذا بلغ الإرتاب نصفها فهي مجزعة، فإذا بلغ ثلثها فهي حلقانه^(٣)، فإذا عمها الإرتاب فهي منسبته^(٤)، يقال: رطب منسبت، ثم ييبس فيصير تمراً. فنبه الله تعالى بانتقالها من حال إلى حال، وتغيرها ووجودها بعد أن لم تكن، على وحدانيته وكمال قدرته، وأن لها صناعاً قادراً عالماً. ودل على جواز البعث لإيجاد النبات بعد الجفاف^(٥).



- مثل اللبن وما ينشق عنه الطلع. ينظر: تهذيب اللغة: (٥٠/٨)، وفتحه اللغة وأسرار العربية: (١٩٥)، ولسان العرب: (١٩٦/٧)، وتاج العروس: (٤٥٨/١٨).
- (١) السِّيَابُ: إِذَا فُتِحَ حُفِّفَ وَإِذَا شَدَّذَتْهُ ضَمَّتْهُ وَهُوَ الْبَلْحُ أَوْ الْبَسْرُ الْأَخْضَرُ. ينظر: فتحة اللغة وأسرار العربية: (١٩٦)، ولسان العرب: (٤٧٩/١)، وتاج العروس: (٨٧/٣). المعجم الوسيط: (٤٦٦/١).
- (٢) الوكت في الرطبة: نقطة تظهر فيها من الإرتاب، وفي التهذيب إذا بدا في الرطب نقط من الإرتاب قيل قد وكت، فإذا أتاها التوكيت من قبل ذنبها فهي مذنبه. ينظر: لسان العرب: (١٠٨/٢)، وتاج العروس: (١٣٥/٥).
- (٣) حلقانه: يقال للبرس إذا بدا الإرتاب فيه من قبل ذنبه التذنوبه فإذا بلغ نصفه فهو مجزع فإذا بلغ ثلثه فهو حلقان و محلقتن يريد أنه كان يقطع ما أرطب منها ويرميه عند الانتباز لئلا يكون قد جمع فيه بين البسر والرطب، قال ابن سيده: بسرة حلقانه بلغ الإرتاب حلقها، وقيل هي التي بلغ الإرتاب قريباً من الثفروق من أسفلها، وحلق التمرة والبسرة منتهى ثلثها كأن ذلك موضع الحلق منها. ينظر: المخصص لابن سيده: (١٢٠/٣)، وفتحه اللغة وأسرار العربية: (١٩٦)، ولسان العرب: (٥٩/١٠).
- (٤) انسبت الرطبة: جرى فيها كلها الإرتاب، وانسبت الرطب عمه كله الإرتاب، وانسبت الرطبة: أي لانت، ورطبة منسبته أي لينة. ينظر: المخصص لابن سيده: (١٢٠/٣)، وتهذيب اللغة: (٢٧٠/١٢)، ومقاييس اللغة: (١٢٥/٣)، ولسان العرب: (٣٩/٢).
- (٥) الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٨).



الفصل الثاني

منهج الإمام القرطبي في الترجيم في التفسير

وفيه تمهيد ومبحثان: -

◉ المبحث الأول:

◉ المبحث الثاني:

* *

* *

* *

التمهيد

وفيه معنى الترجيح والاختيار، وأهميتها.

تعريف الترجيح:

لغة: الرء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رزانة وزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن^(١).

وأرجح الميزان أي: أثقله حتى مال^(٢).

ورجحتُ الشيء "بالثقل": فضلته وقوّيته^(٣).

وفي اصطلاح الأصوليين:

هو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليعمل بها، أي بالأمانة التي قويت^(٤).

وقيل: هو تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر، وعبر بعضهم: بزيادة وضوح في أحد الدليلين^(٥).

وقيل: إثبات مزية لأحد الدليلين على الآخر^(٦).

والمراد به عند المفسرين: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته، أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف، أو ردّ ما سواه من الأقوال^(٧).

(١) ينظر: مقاييس اللغة: (٤٨٩/٢).

(٢) ينظر: لسان العرب: (٤٤٥/٢).

(٣) ينظر: المصباح المنير: (٢١٩/١)، والتوقيف على مهمات التعاريف: (١٧٠/١).

(٤) ينظر: الإبهاج للسبكي: (٢٠٨/٣)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: (٤٢٥/٤).

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف: (١٧٠/١).

(٦) ينظر: التعريفات للجرجاني: (٨٧).

(٧) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣٥/١).

❖ أما الاختيار:

ففي اللغة: مصدر اختار - على وزن افتعل - من الخير، وهو التخيّر والانتقاء والاصطفاء^(١).

والخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه، فالخير: خلاف الشر- لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه^(٢).

والاختيار يأتي بمعانٍ منها: التفضيل، فيقال هذا خير من هذا أي يفضله^(٣)، ويأتي بمعنى الانتقاء^(٤)، وكذلك يأتي بمعنى الاصطفاء، فمحمد ﷺ خيرة الله من خلقه، أي اصطفاه منهم، وفي الذكر المبين: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [الفص: ٦٨] أي ليس لهم أن يختاروا على الله^(٥).

قال ابن تيمية: « والاختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل والانتقاء والاصطفاء كما قال ﷺ ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الدخان: ٣٢]... ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥] أي اصطفى منهم، وانتقى سبعين رجلاً...^(٦) »

والاختيار في الاصطلاح: يعرّف بأنه ترجيح الشيء، وتخصيصه، وتقديمه على غيره^(٧).

(١) ينظر: لسان العرب: (٤/٢٦٦).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: (٢/٢٣٢).

(٣) ينظر: المصباح المنير: (١/١٨٥).

(٤) ينظر: مختار الصحاح: (١/٢٨٢).

(٥) ينظر: لسان العرب: (٤/٢٦٦)، ومختار الصحاح: (١/٨١).

(٦) جامع الرسائل: (١/١٣٧).

(٧) ينظر: قواعد الفقه: (١/١٦٤)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي: (١/١١٩).



وعرفه أئمة القراءات: بأنه الوجه الذي يختاره القارئ من بين مروياته، أو الراوي من بين مسموعاته، أو الآخذ عن الراوي من بين محفوظاته، وكل واحد منهم مجتهد في اختياره (١)

وفي التفسير: هو الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية، وترجيحه بدليل، مع تصحيح بقية الأقوال.

وبعد عرض الترجيح والاختيار يتضح أن بينهما عموماً وخصوصاً فكل اختيار ترجيح، وليس كل ترجيح اختياراً، لأن الاختيار يشمل الترجيح وغيره، كرد الأقوال الضعيفة، والشاذة، وترجيح أحد الأقوال المتضادة.

كما أن الترجيح غالباً في اختلاف التضاد، والاختيار في اختلاف التنوع، وإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. ويبقى الأمر كما قال أهل العلم: " لا مشاحة في الاصطلاح ". والله أعلم.

❖ أهمية هذا الفن:

إن معرفة الراجح في تفسير كتاب الله تعالى من أهم مقاصد طلب العلوم الشرعية بعامة، ودراسة التفسير بخاصة، ولذا عني المفسرون عناية بالغة ببيان القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى فهم كتاب الله على الوجه الصحيح، ومعرفة الراجح من الأقوال، ولا يكون هذا إلا بالتأمل الدقيق في آيات القرآن، والنظر العميق في السنة النبوية، ومدارسة كتب السلف الصالح، ولذا حث العلماء على ضرورة معرفة هذه الأصول.

قال ابن تيمية: « لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؛ وإلا فيبقى في كذب وجهل في

(١) ينظر: علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية: (٣٠).



الجزئيات، وجهل وظلم في الكلّيات فيتولد فساد عظيم»^(١)

وقال الزركشي^(٢): «ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة، وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض؛ لبلاغته ولطف معانيه؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعوّل في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها، وسياقه، وظاهره، وباطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، ويدق عنه الفهم»^(٣).



(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: (٢٠٣/١٩).

(٢) هو محمد بن بهادر بن عبدالله العالم المصنف المحرر بدر الدين أبو عبدالله المصري الزركشي مولده سنة خمس وأربعين أخذ عن الشيخين جمال الدين الإسني وسراج الدين البلقيني، ومات في ثالث رجب سنة: (٧٩٤هـ) بالقاهرة. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١٣٣/٥)، وطبقات الشافعية: (١٦٧/٣)، والضوء اللامع: (٢٠٤/٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (١٥/١).



المبحث الأول

صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي

ويشتمل على أربعة مطالب : -

✦ **المطلب الأول:** التنصيص على القول الراجح.

✦ **المطلب الثاني:** التفسير بقول مع النص على ضعف غيره.

✦ **المطلب الثالث:** التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم

وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض.

✦ **المطلب الرابع:** اقتصار الإمام القرطبي على نص الترجيح بالمسألة

لأحد العلماء السابقين، مما يدل على تأييده لقوله.



المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح

تعتبر هذه الطريقة أشهر طرق الترجيح عند المفسرين، بل هي الأصل في ذلك، كما أنها المقدمة في صيغ الترجيح عند الدلالة على القول الراجح، وتأتي بالنص على الصواب وما في معناه كالصحة، وقد ذكر القرطبي في تفسيره هذا عدة طرق منها:

١- التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال: كقوله:

❖ والصحيح^(١)، وهذه من أكثر الصيغ عنده.

❖ والصواب^(٢).

❖ وهذا قول صحيح^(٣)، أو وهذا صحيح^(٤).

❖ وهذا هو الحق^(٥).

ومن الأمثلة على ذلك - مما هو مقرر دراسته - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال القرطبي ~ « ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ أي: هم جماعات مثلكم في أن الله عَلَّمَ خلقهم، وتكفل بأرزاقهم، وعدل عليهم، فلا ينبغي أن تظلموهم، ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به... »

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن في الجزء المقرر دراسته في سورة الأنعام: (٦/٤٢٠، ٤٣٠)، (٧/٥٢، ٧٨، ٨٤، ١٠٤، ١١٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١/٣٨٣)، (٢/٢٨٤)، (٣/٢٩١)، (٥/٥٢، ١٦٥، ٣٤٧)، (٦/٣١٥، ٣٢٠، ٣٦٩)، (١٠/٢٤٥، ٣١٥)، (١٢/٦١)، (١٣/٢٩٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١١/١١٥)، (١٣/١٤١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١/٥٢، ٩١، ١٩٦، ٢٩٧)، (٢/٤٨، ٢٣٢، ٢٨٨)، (٣/٣٩، ٤٣٤)، (٥/٧٥، ٢٠٧، ٣٨٨)، (٦/٣، ١٣٣)، (٧/٢٢٣)، (٩/٣٤٣)، (١٠/٢٣٢)، (١٢/٣٢)، (١٦/١٠، ١٧٩)، (١٨/١٨٤).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١/١١٠، ١١٤)، (٣/٩٤، ٩٥)، (١٣/١٦)، (١٤/٩٧).



وقيل: هي أمثال لنا في التسييح والدلالة، والمعنى: وما من دابة ولا طائر إلا وهو يسبح الله تعالى، ويدل على وحدانيته، لو تأمل الكفار...

وقيل: غير هذا مما لا يصح؛ من أنها مثلنا في المعرفة، وأنها تحشر وتنعم في الجنة، وتعوض من الآلام التي حلت بها في الدنيا، وأن أهل الجنة يستأنسون بصورهم.

والصحيح ﴿إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ في كونها مخلوقه دالة على الصانع، محتاجه إليه، مرزوقة من جهته؛ كما أن رزقكم على الله «أ.هـ»^(١).

٢- التصريح بتفضيل قول على غيره: كقوله:

❖ أصح الأقاويل، والأصح^(١)، وأصح الأقوال^(١).

❖ أظهر الأقوال^(١)، والأظهر^(١).

❖ أحسن الأقوال^(١).

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] عدد الأقوال في كيفية التوفي^(١)، ثم قال ~ : «ويقال هذا أمر لا يعرف حقيقته إلا

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٠/٨) ودراسة هذه المسألة في ص ٢٣٠ من هذا البحث.

(٢) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (١٣٦/٦)، (٢٨٦/١١)، (١٤٨/١٨)، (٢٣٧/١٩).

(٣) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٧٨/٤)، (١٧٦/٦)، (٤٦/١٢)، (١٧٦/١٥)، (٢٢٧/١٨).

(٤) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٣٢٥/١٤)، (٢١/١٩).

(٥) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٣/١٦٠، ٢٩١)، (٤/٣٠٤)، (٥/٤٨، ٦/٥)، (٥/١٢٤، ٢٥٦)،

(٨/٢٤، ١٤٨)، (١١/٣٤، ٣٩، ٧٨، ١٢٥، ٣٠١)، (١٣/٨٤، ١٠٥، ٢١٧)، (١٤/١٤٥، ٢٤٩)،

(١٥/١٤٧، ١٣٨، ٢١٦، ٣١٨)، (١٦/٢٢١، ٢٤٥)، (١٩/١٠١، ١٧٠، ١٨٨)، (٢٠/٣٠).

(٦) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٧/١٣٤)، (٩/١١٥).

(٧) ينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في ص ٣٠١ من هذا البحث.

الله تعالى. وهذا أصح الأقاويل والله أعلم»^(١).

و عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١]

قال القرطبي: «فالمعنى " يخافون " يتوقعون عذاب الحشر.. وقيل: " يخافون " يعلمون. فإن كان مسلماً أنذر ليترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق، وقال الحسن: المراد المؤمنون^(٢). وقال الزجاج: كل من أقر بالبعث من مؤمن وكافر^(٣). وقيل: الآية في المشركين، أي أنذرهم بيوم القيامة. والأول أظهر» أ.هـ^(٤).

٣- التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية: كقوله:

❖ والقول المختار^(٥)

❖ وهو الاختيار^(٦)، أو والاختيار^(٧).

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] ذكر القرطبي الحديث المروي عن ابن عمر^(٨) وقيل: المراد بالمفاتيح

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤٠٨/٨).

(٢) لم أجده - بحسب اطلاعي القاصر - في كتب التفسير، إلا عند القرطبي.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥١/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٦/٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢٠٩/٩).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٠٧/٧)، (٣٤/٨)، (١١١/١٠)، (٢٣٦/١١)، (٢٢٨/١٦).

(٧) ينظر: المصدر السابق: (٣٩٤/١)، (٦/٣)، (١٢٨/١١)، (١٣١)، (٦٣/١٢)، (٢٢٢/١٥)،

(٢٧٥/١٩).

(٨) عن النبي ﷺ قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله).



خزائن الرزق. وقيل خزائن الأرض... إلى غير هذا من الأقوال^(١) ثم قال والأول المختار والله أعلم^(٢).



(١) ينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في ص ٢٨٩ من هذا البحث.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٠١).

المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره

وهذا النهج مقرر عند العلماء - رحمهم الله - فقد قال في هذا ابن عبدالبر^(١): « ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أن المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أن الحق في الوجه الآخر، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده »^(٢)

وقد نهج القرطبي هذا النهج في تفسيره، فنجد أنه ~ عندما يذكر الخلاف في المسألة، يضعف أو يرد أحد القولين، مما يدل على ترجيحه أو اختياره للآخر، وبعبارة أخرى: عندما يذكر الأقوال في تفسير آية ما، ينص على بطلان، أو فساد قول آخر، ومن هذا يتبين اختياره وقوله في المسألة.

ولهذا صيغ مبنوثة في تفسيره منها قوله:

❖ « وهو خطأ^(٣) ».

❖ « وهو قول باطل^(٤) ».

❖ « وهذا القول لا يصح^(٥)، وغير صحيح^(٦) ».

(١) هو الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، ولد في ربيع الآخر من سنة ٣٦٨هـ، وطلب الحديث قبل مولد الخطيب بأعوام، ومات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة (٤٦٣هـ)، واستكمل خمساً وتسعين سنة وخمسة أشهر. ينظر: الوافي بالوفيات: (٩٩/٢٩) وتذكرة الحفاظ: (١١٢٨/٣).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر: (١٩٩/٢٠).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢/٢١٢)، (٣/٣٨٥)، (١١/١١٧)، (١٥/٢٨٥).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٥/٣٩٤)، (١٩/١٠٣).

(٥) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (٥/٣٦٠)، (٧/٨٦)، (١١/٤٤)، (١٠٤)، (١٥/١١٩)، (١٦/١٥٠)، (١٧/٢٧٤).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (٤/١٨)، (٥/٢٢)، (١٥٥)، (٧/٣٣)، (٨/١٢١)، (١٠/٣٦٦)، (١١/١١٧)، (١٢/٤٦)، (١٤/١٧٥)، (١٦/٧٩).



❖ « وهذا بعيد^(١)، أو وفيه بعد^(٢) ».

❖ « وليس بصحيح^(٣)... وليس بصواب...^(٤) ».

❖ « وهذا مردود...^(٥) ».

وإليك بعض الأمثلة، التي تدل على أن القرطبي ~ استعمل هذا النهج، وتلك الصيغ فيما هو مقرر دراسته.

في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] قال ~ : « والصور: قرن من نور ينفخ فيه، النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وليس جمع صورة كما زعم بعضهم... ثم ساق أدلة إلى أن قال: قلت: وممن قال: إن المراد بالصور في هذه الآية جمع صورة أبو عبيدة^(٦) وهذا وإن كان محتملاً فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنة...^(٧) ».



(١) ينظر: على سبيل المثال المصدر السابق: (١٦٧/٣، ٢١٧، ٣١٥، ٣٨٤)، (٢٧/٤)، (٢٤٤/٥)، (٢٦٣/٦)، (٨٤/٨)، (٣٥٥)، (٣٧٣/١٠)، (١١٥/١١)، (٣١٠/١٢)، (١٤٣/١٥)، (٨٩/١٧)، (١٧٩/١٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (١٥/١)، (٣١٠، ٤٤٣)، (١/٢)، (١٨، ٣٥، ٩٦، ٩٧، ١٤٤، ١٧٨، ٤٣٢)، (٣/٣)، (٤٢٣)، (٤/٤)، (٨١، ١٠٠، ٢٤٨)، (٥/٥)، (٣٨٣)، (٦/٦)، (٣٤، ٢٢٢)، (٧/٧)، (٦٨، ١٦١، ٢٩٢، ٣٤٦)، (٣٥٤)، (٨/٨)، (٣٠٣، ٣١٩)، (٩/٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٧/٧)، (١٦٥)، (١٥/١٥)، (٢١٤)، (١٦/٢٤٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١٣/٣٥٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/٢١٧)، (٤/٢١)، (٥/٢١٦)، (٦/١٣٨)، (٩/١٥٠، ٢١٧)، (١٦/٢٩٩).

(٦) هو: الإمام الحجة عبدالواحد بن واصل أبو عبيدة السدوسي البصري. مولا هم أبو عبيدة الحداد البصري نزيل بغداد ثقة تكلم فيه الأزدي بغير حجة، من التاسعة، (١٩٠هـ). ينظر: الثقات: (٨/٤٢٦)، وسير أعلام النبلاء: (٦/٣٦٣)، وتقريب التهذيب: (٣٦٧).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٣١).

المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض

وهذا الأسلوب انتهجه كثير من العلماء، وهو من الطرق المعتمدة عند علماء الحديث؛ فإذا روى أحدهم بصيغة الجزم كالألفاظ المبنية للفاعل: كقال، وروى فلان فهي من الصيغ المقبولة، والعكس إذا روي بصيغ التمريض، وبُني للمجهول كقيل، وذكر، ورُوي، ونحو ذلك^(١)

وهذا الأسلوب معتمد، ومتداول بين المفسرين، فإذا حُكي القول بصيغة الجزم، وقد يزيد عليه دليل أو تعليل، فإن المفسر اعتبر هذا القول ويراه صواباً، وإذا حكي بصيغة التمريض فهذا يراه المفسر- ضعيفاً وركيكاً، وهذه الصيغة دلالة على ضعفه وعدم اعتماده.

وقد سلك القرطبي هذه الطريقة بكثرة في تفسيره^(٢).

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] قال القرطبي ~ : « ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ أي: بالبينة؛ لأنها في معنى البيان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]

وقيل: يعود على الرب، أي كذبتهم بربي؛ لأنه جرى ذكره. وقيل: بالعذاب. وقيل بالقرآن. « ١.هـ^(٣)

(١) ينظر: فتح المغيث: (١/٥٣)، والباعث الحثيث (اختصار علوم الحديث): (١/١٢٢)، والتقييد والإيضاح: (١/٣٨) والنكت على ابن الصلاح: (١/٣٤٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن على سبيل المثال لا الحصر في المقرر دراسته: (٨/٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٦، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤٠٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٩٨).



ومثال آخر يبين استعمال القرطبي لهذا النهج، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ إِلَهٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٥١).

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، والإنذار: الإعلام، وقيل: ﴿بِهِ﴾ أي: بالله. وقيل: باليوم الآخر» أ.هـ^(١).



(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٦/٨).

**المطلب الرابع: اقتصار الإمام القرطبي على نص الترجيح
بالمسألة لأحد العلماء السابقين، مما يدل على تأييده لقوله**

إن المتأمل لكتب التفسير، والمطلع على ما فيها، يلحظ اعتماد بعض كتب التفسير اللاحقة على السابقة، وهو أمر مألوف في حياة التفسير القرآني، حيث اعتاد مؤلفوها الاقتباس منها والاسترشاد بها.

فهذا القرطبي يعتمد كثيراً على كلام النحاس^(١)، وعلى تفسير ابن عطية مثلاً^(٢)، فقد يستشهد بأقوالهم - التي تنص على الترجيح - عند عرضه للخلاف والأقوال في المسألة، مما يدل على موافقته لقولهم، واختياره لما ذهبوا إليه، وقد يذكر قول أحدهم ثم يصرح بتصحيحه وتأييده.

ويمكن أن نوضح ذلك أكثر فنقول: إنه أحياناً يذكر الأقوال في تفسير الآية، ثم يُعقب بترجيح أحد السابقين في المسألة، فيكون استشهاده بقوله ترجيحاً له.

ومن الأمثلة على ذلك - فيما قرر لي دراسته - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال القرطبي: «﴿بَدَأَهُمْ﴾ قيل: المراد المنافقون لأن اسم الكفر مشتمل عليهم فعاد الضمير على بعض المذكورين. قال النحاس: وهذا من الكلام العذب الفصيح.

وقيل: المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفتن بهم ضعفاؤهم فيظهر يوم القيامة»^(٣)

ومن استشهاده بأقوال ابن عطية في الترجيح: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣١٧، ٣٢٥، ٣٥٤، ٣٦٥، ٣٧٤، ٤٠٠، ٤٩٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٨/٣١٦، ٤٠٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٥٤)، وينظر: دراسة المسألة في ص ٢١٣ من هذا البحث.

قال القرطبي ~ : « وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام. هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد. قاله ابن عطية ^(١). قلت: وهو الصحيح؛ » ^(٢)

وأحياناً يذكر الأقوال في المسألة، ثم ينص على ما قاله القشيري فيها، مما يدل على تأييده وإعجابه بقوله، وهذا اختيار له، ومثال هذا عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿الأعام: ٦٩﴾.

قال القرطبي ~ : « قيل: نُسخ هذا بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿النساء: ١٤٠﴾ وإنما كانت الرخصة قبل الفتح، وكان الوقت وقت تقية. وأشار بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾.

قال القشيري: والأظهر أن الآية ليست منسوخة. والمعنى: ما عليكم شيء من حساب المشركين، فعليكم بتذكيرهم وزجرهم، فإن أبوا فحسابهم على الله « اهـ ^(٣) ».

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١١٧) وينظر: دراسة المسألة في ص ٦٠٦ من هذا البحث.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٢٣) وينظر: دراسة المسألة ص ٣٢٨ من هذا البحث.



المبحث الثاني

وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي

ويشتمل على عشرة مطالب : -

- ✦ المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.
- ✦ المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن.
- ✦ المطلب الثالث: الترجيح بالسياق.
- ✦ المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات.
- ✦ المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي.
- ✦ المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول.
- ✦ المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف.
- ✦ المطلب الثامن: الترجيح بدلالة العموم.
- ✦ المطلب التاسع: الترجيح بدلالة الأصل المعتبر أولاً في كلام العرب.
- ✦ المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة واشتقاقاتها.



المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية

هذا الوجه من أوجه الترجيح المعتمدة عند العلماء التي قرروها، واستدلوا بها عند الاختلاف؛ إذ قرروا أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^(١) وكثيراً ما يستدل القرطبي بدلالة النظائر القرآنية في الترجيح بين الأقوال، وله عناية بهذا النوع من التفسير وهذا هو أول ما يجب على المفسر أن ينظر فيه، لأن تفسير القرآن بالقرآن أصح طرق التفسير، وأشرفها، ولا أحد أعلم بكلامه ومراده منه - سبحانه وتعالى -^(٢)، وقال - مؤكداً الأخذ بالنص وعدم الالتفات إلى غيره إذا وجد: « وكل تأويل من غير ترجيح في مقابلة النص فإنها هي دعوى، لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه »^(٣)، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- عند تفسير القرطبي - لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] بين أن الأشد يكون ببلوغ النكاح، وإيناس الرشد وهو ما جاء مبيناً في آية النساء. حيث قال: « قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة. وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة النساء [الآية: ٦] مقيدة، فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] فجمع بين قوة البدن، وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة، وهو إيناس الرشد..... »^(٤)

٢- ومثال آخر عند قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] بين أن المراد هم اليهود والنصارى لأن الله تعالى وصفهم في كتابه بالتفرق فقال: « والمراد

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢) ..

(٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٧٣) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٢٨٤) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٣٤) .



اليهود والنصارى؛ في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك^(١) وقد وصفوا بالترقق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠].

وقيل: عنى المشركين، عبد بعضهم الصنم، وبعضهم الملائكة^(٢) «^(٣)».



(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢١٣/١)، والطبري في جامع البيان: (١٠٥/٨) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٣٠/٥) وعزا السيوطي رواية قتادة ومجاهد إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، ورواية السدي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٤٠١/٣).

(٢) ذكره الرازي في مفاتيح الغيب (٧/١٤)، ونسبه إلى ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١١١/٩) وينظر: دراسة المسألة في ص ٦١٤ من هذا البحث.

المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن

الأصل في جميع النصوص أن تُحمل على ظواهرها، إلا بدليل يجب التسليم له، والترجيح بالظاهر من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، وبهذا جاءت قواعد الترجيح والتفسير، ومنها:

١- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا لدليل^(١).

٢- من ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره، كلف البرهان على دعواه^(٢).

٣- كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد^(٣).

وقد اعتمد القرطبي ~ دلالة ظاهر اللفظ في ترجيحه بين الأقوال وتقديم ما دل عليه ظاهر التنزيل، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ رجح القرطبي أن المراد بيوم حصاده وقت الجذاذ لظاهر الآية فلم يقدم تعلق الوجوب على زمن الإيتاء حيث قال ~ : «واختلف العلماء في وقت الوجوب على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه وقت الجذاذ؛ قاله محمد بن مسلمة^(٤)؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

الثاني: يوم الطيب؛ لأن ما قبل الطيب يكون علفاً، لا قوتا ولا طعاماً، فإذا طاب وحن الأكل الذي أنعم الله به؛ وجب الحق الذي أمر الله به، إذ بتمام النعمة يجب شكر

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٣٧/١).

(٢) ينظر: قواعد التفسير: (٨٥٠/٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣٤٩/٢).

(٤) هو محمد بن مسلمة بن هشام بن إسماعيل أبو هشام المخزومي من أهل المدينة يروى عن مالك بن أنس وعن أصحابه، وكان أحد فقهاء المدينة، وكان أفقههم، وهو ثقة، (ت: ٢٠٦هـ). ينظر: التاريخ الكبير:

(١/٢٤٠)، والثقات: (٩/٥٥)، والديباج المذهب: (١/٢٢٧).



النعمة، ويكون الإيتاء وقت الحصاد لما قد وجب يوم الطيب.

الثالث: أنه يكون بعد تمام الخرص؛ لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة؛ فيكون شرطاً لوجوبها... والصحيح الأول لنص التنزيل «أهـ»^(١)

٢- ومثال آخر يبين هذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال القرطبي ~ : «قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بين سبحانه أنه منزّه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات، والرؤية ثابتة... وقال ابن عباس: لا تدركه الأبصار في الدنيا. ويراه المؤمنون في الآخرة^(٢)؛ لإخبار الله بها في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقاله السدي^(٣). وهو أحسن ما قيل لدلالة التنزيل والأخبار الواردة بروية الله في الجنة.

وقيل: "لا تدركه الأبصار": لا تحيط به، وهو يحيط بها. عن ابن عباس أيضاً.

وقيل: المعنى: لا تدركه أبصار القلوب..»^(٤).



(١) الجامع لأحكام القرآن: (٦١ / ٩)، وينظر: دراسة المسألة في ص ٥٣٨ من هذا البحث.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٩٨ / ٧)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣ / ٣٣٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٩٨ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٦٢) وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣ / ٣٣٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٤٨٢ / ٨)، وينظر: دراسة المسألة في ص ٤١٩ من هذا البحث.

المطلب الثالث: الترجيح بالسياق

دلالة السياق هي: دلالة سابق الكلام ولاحقه على معناه، ويطلق على سابق الكلام سابق، وعلى لاحقه لاحق، وعليهما جميعا سياق^(١). والترجح بالسياق من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فقد قرروا أن الأولى بالآية أن تدخل في معنى ما قبلها وما بعدها، إذا كانت في سياق واحد^(٢). قال مسلم البصري^(٣): «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»^(٤). وقال الباقلاني^(٥): «كل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامتها ذواتها، مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها»^(٦) ولقد اعتنى الإمام القرطبي ببيان دلالة سياق الآيات على أصح المعاني في تفسيره للقرآن، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ - عند قوله تعالى: ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩] فسرها بطونها لسياق ومقتضى الآية. قال ~ : «﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾: بطونها، وهذا أصح، فإنه موافق للحديث وهو مقتضى الآية، والله الموفق للهداية. وقيل: ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾: يعني الصخرة التي هي أسفل الأرضين السابعة. ا.هـ»^(٧)

- (١) ينظر: دلالة السياق القرآني وأثره في التفسير: (٦٢/١).
- (٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).
- (٣) هو مسلم بن يسار البصري، نزيل مكة أبو عبد الله الفقيه، ثقة عابد من الرابعة، مات سنة مائة أو بعدها بقليل، ينظر: الثقات: (٣٩٠/٥)، والكاشف: (٢٦١/٢) وتقريب التهذيب: (٥٣١).
- (٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد: (٢٢٩)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٣٧٤/١٣).
- (٥) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، القاضي أبو بكر الباقلاني، المتكلم الأشعري سكن بغداد وتوفي بها (ت: ٤٠٣)، من تصانيفه إعجاز القرآن، ومناقب الائمة، ونهاية الايجاز في رواية الاعجاز، ينظر: تاريخ بغداد: (٣٧٩/٥)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: (٥٩/٦).
- (٦) إعجاز القرآن: (١٩٠/١).
- (٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٠٦/٨)، وينظر: دراسة المسألة في القسم الثاني.



٢- ومثال آخر يبين أن المخاطب المشرك-كون نظراً لدلالة السياق في الآية التي تليها فقال: «المخاطب بهذا المشركون، وتم الكلام، حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون، وقد أعلمنا في الآية بعد هذه أنهم لا يؤمنون، وهذا التأويل يشبه قراءة من قرأ تؤمنون بالتاء^(١) وقال الفراء وغيره: الخطاب للمؤمنين لأن المؤمنين قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، لو نزلت الآية لعلهم يؤمنون. فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي يعلمكم ويدريكم أيها المؤمنون. أنها بالفتح^(٢)، وهي قراءة أهل المدينة والأعمش وحمزة^(٣) أي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون...»^(٤)



(١) وهي قراءة ابن عامر وحمزة. ينظر: التيسير: (١٠٦)، السبعة في القراءات: (٢٦٥/١)، والحجة في القراءات السبع: (١٤٧/١).

(٢) ينظر: التيسير: (١٠٦)، السبعة في القراءات: (٢٦٥/١)، والحجة في القراءات السبع: (١٤٧/١).

(٣) حمزة هو: حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات، مولى تيم الله، من أهل الكوفة، كنيته أبو عمارة، وكان من علماء أهل زمانه بالقراءات، وكان من خيار عباد الله عبادة وفضلاً وورعاً ونسكاً. (ت: ١٥٠ هـ) ينظر: الثقات: (٢٢٨/٦)، وسير أعلام النبلاء: (٩٠/٧)، وتقريب التهذيب: (١٧٩).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٩٦/٨).

المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات

إن من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء الترجيح بالقراءات في الآية أو الكلمة، وقد اعتمد الإمام أبو عبدالله القرطبي الترجيح بالقراءات لبيان معنى الآيات والأحكام المتعلقة بها مما يعين على فهم المعنى المراد من الآية، فقد يرجح القرطبي قراءات تفيد معنىً أوسع أو عاماً أو معنىً زائداً على معنى القراءة الأخرى، فيختارها ويقدمها على الأخرى لمعناها، ولا يرد القراءة الأخرى. كما في المثال التالي:

عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]

قال القرطبي ~ : « ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ كذا قراءة العامة ^(١)، أي: يرزق ولا يرزق دليله قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [الذاريات: ٥٧].

وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، والأعمش: "وهو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ" ^(٢) وهي قراءة حسنة، أي أنه يرزق عباده، وهو سبحانه غير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون من الغذاء «أ.هـ» ^(٣)

ونراه يرجح معنى للآية، ويؤيد ما رجحه بقراءة متواترة، مثال ذلك عند قوله تعالى: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] قال القرطبي: « وقوله ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ﴾ لليهود وقوله: ﴿وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] للمسلمين،

(١) أي قراءة القراء العشرة وهي المتواترة.

(٢) وهي قراءة شاذة، بضم الياء الأولى وكسر العين، وفتح الياء الثانية وفتح العين وهذه قراءة اختارها البصريون. ينظر: مختصر- في شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٢)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري: (١/ ٤٧٠)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/ ٣٢٥)، والشعلبي في الكشف والبيان: (٤/ ١٣٨)، والزنجشري في الكشف: (٢/ ١١)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٢/ ١٤٠)، وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/ ٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٣٣).



وهذا يصح على قراءة من قرأ ﴿يجعلونه قراطيس يبدوها ويخفون﴾ بالياء^(١). والوجه على قراءة التاء أن يكون كله لليهود...»^(٢).

ومن أمثلة ترجيحه لمعنى من معاني الآية بقراءة شاذة: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]؟ قال القرطبي ~ : « قال مجاهد: تماماً على المحسن المؤمن^(٣). وقال الحسن في معنى قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: كان فيهم محسن وغير محسن؛ فأنزل الله الكتاب تماماً على المحسنين^(٤). والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ: " تماماً على الذين أحسنوا"^(٥).

وقيل: المعنى: أعطينا موسى التوراة زيادة على ما كان يحسنه موسى مما كان علمه الله قبل نزول التوراة عليه.....»^(٦).



-
- (١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء. ينظر التيسير في القراءات السبع: (١/١٠٥)، والحجة في القراءات السبع: (١/١٤٥)، والسبعة في القراءات: (١/٢٦٢).
- (٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٥٦).
- (٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤٢٣)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبو الشيخ، وأبو المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٣٨٦)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/٣٦٤)، والثعلبي: (٤/٢٠٦).
- (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٩٠)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/٣٦٤)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٦).
- (٥) هذه قراءة شاذة ليست من القراءات المتواترة، وهي منسوبة إلى ابن مسعود في معاني القرآن للفراء: (١/٣٦٥)، وجامع البيان: (٨/٩٠)، والكشاف: (٢/٦٢). والقراءات الشاذة لابن خالوية: (٤١)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري: (١/٥٢٣).
- (٦) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٢٤).

المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي

اعتنى القرطبي ~ بهذا الوجه وقرره فكان يرجح بالسنة ولا يكتفي بذكر الحديث فقط بل يضيفه إلى من خرّجه، ونص على هذا في مقدمته حيث قال: « فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث، فبقي من لا خبرة له بذلك حائراً، لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرّجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام، ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب »^(١) وقد أفرد باباً في مقدمته أسماه: باب تبين الكتاب بالسنة وما جاء في ذلك^(٢)

ويعتبر الترجيح بالسنة الصحيحة من وجوه الترجيح المعتمدة عند العلماء، فإذا ثبت الحديث، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره^(٣)، كما أنه إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٤)، لأن النبي ﷺ أعلم الناس ببيان وتفسير القرآن، وهذا من مهامه ﷺ كما قال ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولقد كان القرطبي من الذين لا يتجاوزون حديث رسول الله ﷺ، بل كان يرجح به كثيراً.

(١) مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٢٨).

(٢) ينظر: مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٩٩).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٩١).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٠٦).

ومن الأمثلة على ذلك:

١- ما رجحه في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] للحساب والجزاء وذلك للحديث الصحيح. قال القرطبي ~ « ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: للجزاء كما سبق في خبر أبي هريرة- رضي الله عنه - ، وفي صحيح مسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلاحاء من الشاة القراء)^(١). ودلّ بهذا على أن البهائم تحشر يوم القيامة...

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - في رواية: حشر- الدواب والطيور موتها^(٢). وعدد بعض الآثار^(٣) ثم قال: قلت الصحيح القول الأول لما ذكرناه من حديث أبي هريرة. «^(٤) أ.هـ.

٢- ومثال آخر في تفسير قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] رجح فيها أن العشر- لسائر الحسنات فقال ~ : «العشر- لسائر الحسنات؛ والسبعمائة للنفقة في سبيل الله، والخاص والعام فيه سواء.

وقال بعضهم: يكون للعوام عشرة، وللخواص سبعمائة وأكثر إلى ما لا يحصى.. وهذا يحتاج إلى توقيف، والأول أصح لحديث خريم بن فاتك^(٥) عن النبي ﷺ وفيه:

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم: (٢٥٨٢)، (٤/١٩٩٧)، والترمذي في سننه في باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص برقم: (٢٤٢٠)، (٤/٦١٤). وقال: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٦)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٧).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٧٢)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢٧٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٧٢)، ودراسة هذه المسألة في ص ٢٤٢ من هذا البحث.

(٥) هو خريم بن فاتك بن الأخرم، ويقال: خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأزدي، أبو أيمن.

ويقال: أبو يحيى قال مسلم البخاري والدارقطني وغيرهم: له صحبة. ينظر: الثقات: (٣/١١٣)،



(وأما حسنة بعشر؛ فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، وأما حسنة بسبعمئة فالنفقة في سبيل الله) (١) «أ.هـ» (٢).



والإصابة: (٢/٢٧٥)، الكاشف: (١/٣٧٢).

(١) الحديث أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده: (٤/٣٢١ - ٣٤٥) برقم: (١٨٩٢٠) وهو قول رسول الله ﷺ: (الأعمال ستة، والناس أربعة، فموجبتان، ومثل بمثل، وحسنة بعشر أمثالها، وحسنة بسبعمئة. فأما الموجبتان: فمن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار، وأما مثل بمثل فمن هم بحسنة حتى يشعرها قلبه ويعلمها الله منه كتبت له، ومن عمل سيئة كتبت عليه سيئة، ومن عمل حسنة فبعشر أمثالها، ومن انفق نفقة في سبيل الله فحسنة بسبعمئة وأما الناس فموسع عليه في الدنيا مقتور عليه في الآخرة، ومقتور عليه في الدنيا موسع عليه في الآخرة، ومقتور عليه في الدنيا والآخرة، وموسع عليه في الدنيا والآخرة).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٣٧)، وينظر دراسة المسألة في ص ٦١٩ من هذا البحث.

المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدة أو مبينة لحكمه أيام وقوعه^(١)
وقال ابن تيمية: « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب
يورث العلم بالمسبب »^(٢).

ولا بد لكل من أراد أن يفسر كلام الله ويفهمه على الوجه الصحيح أن يعتني
بمعرفة سبب نزول الآية أو الآيات، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله،
وتعددت أقوالهم فيها، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح
الصريح في السببية.

والترجيح بهذا الوجه مقرر عند العلماء، ومن ثم فقد جعلوا القول الذي يؤيده
سبب نزول مقدماً على ما ليس كذلك، وإذا صح سبب النزول فهو مرجح لما وافقه
من أوجه التفسير^(٣)

وقد استعمل القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح، وجعله دليلاً على صحة
بعض الأقوال في التفسير، والأمثلة على هذا كثيرة منها:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَرْتَابَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤]

قال القرطبي ~ مؤيداً القول الذي نزل بشأنه قرآناً: « نزلت في الذين نهى الله
نبيه - عليه الصلاة والسلام - عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال:

(١) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: (١/٩٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن: (١/٧٦).

(٢) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (١٣/٣٣٩). وذكره السيوطي في الإتيان في علوم
القرآن: (١/٨٨)، وفي لباب النقول: (١/١٣).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٤١).



(الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)^(١) فعلى هذا كان السلام من جهة النبي ﷺ. وقيل: إنه كان من جهة الله تعالى، أي: أبلغهم منا السلام، وعلى الوجهين ففيه دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله تعالى. « ١. هـ^(٢)

٢- ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [١٣٤] [الأنعام: ١٢٤]

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ بين شيئاً آخر من جهلهم، وهو أنهم قالوا: لن نؤمن حتى نكون أنبياء، فنوتى مثل ما أوتى موسى وعيسى من الآيات؛ ونظيره: قوله ﷺ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾ [٥٢] [المدثر: ٥٢]

قال الوليد بن المغيرة^(١): لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً. وقال أبو جهل^(٢): والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الآية^(٣).

(١) الرواية أوردها الواحدي عن عكرمة في أسباب النزول: (٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٤٨/٣) عن عكرمة والحسن.

(٢) الجامع للأحكام القرآن: (٨/٣٩٢)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في ص ٢٦٥ من هذا البحث.

(٣) هو: الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وكان الوليد يكنى أبا عبد شمس. وكان من أشد الأذى للنبي ﷺ. ينظر: البداية والنهاية: (٤٧/٣)، والكامل في التاريخ: (٥٩٢/١).

(٤) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، ضربه معاذ يوم بدر فقطع رجله، وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته ثم تركه، وبه رمق ثم ذفف عليه عبدالله بن مسعود واحتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى. ينظر: البداية والنهاية: (٤٧/٣)، والسيرة النبوية لابن هشام: (٣/٢٦٧).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٨٧)، والبعوي في معالم التنزيل: (٢/٦١)، وابن الجوزي في زاد



وقيل: لم يطلبوا النبوة، ولكن قالوا: لا نصدقك حتى يأتينا جبريل والملائكة
ينخروننا بصدقك.

والأول أصح^(١).



المسير: (١١٨/٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢٠/٩)، وينظر: دراسة المسألة في ص ٣٨٣ من هذا البحث.

المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف

عد العلماء أقوال سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من القرون الثلاثة الأولى المفضّلة، وكذلك أئمة الأمة الأثبات، والمشهود لهم بالإمامة في العلم والدين والتقوى والإتباع، عدوا أقوالهم وقدموها على أقوال غيرهم، وقرروا أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الكتاب حجة على من بعدهم^(١).

وقد استعمل القرطبي هذا الوجه من أوجه الترجيح كثيراً في تفسيره، فهو يقول في اعتماده هذا الوجه وتقريره: « وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم »^(٢)

والأمثلة في استعماله هذا الوجه في الترجيح ما يلي:

١ - نراه في هذا المثال يرجح قول ابن عباس رضي الله عنه في أن الرسل من الإنس. فقال عند تفسيره لقوله تعالى: « **يَمَعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ** » [الأنعام: ١٣٠] ومعنى **مِّنكُمْ**: في الخلق والتكليف والمخاطبة. ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال: **مِّنكُمْ**؛ وإن كانت الرسل من الإنس، وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث.

وقال ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي كما قال: **وَلَوْأَإِلَى قَوْمِهِم مُنذِرِينَ** [الأحقاف: ٢٩]^(٣)

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ٢٧١).

(٢) مقدمة تفسير الإمام القرطبي: (٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٨٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/ ١٩١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون: (٢/ ١٧٠)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/ ٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/ ١٢٥).



وقال مقاتل^(١) والضحاك: أرسل الله رسلا من الجن كما أرسل من الإنس^(٢).

وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن ثم قرأ: ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٣)، وهو معنى قول ابن عباس، وهو الصحيح...»^(٤)

٢- ومثال آخر بين ترجيحه لقول السلف عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] قال القرطبي ~ : «وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» وهم الكفار، عن الحسن^(٥) ومجاهد^(٦)، أي: هم بمنزلة الموتى في أنهم لا يقبلون ولا يصغون إلى حجه.

وقيل: الموتى كل من مات «أ.ه»^(٧).

٣- ومثال ثالث يجزم بالقول الذي قاله السلف كمجاهد، وابن جبير. في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]

-
- (١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/ ٣٧٠).
 - (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٣٦)، وعزا السيوطي رواية الضحاك إلى الطبري كما في الدر: (٣/ ٣٥٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/ ١٩١)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/ ١٧٠) والبغوي في معالم التنزيل: (٢/ ٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/ ١٢٥).
 - (٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٨٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٥٩). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/ ١٩١)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/ ٦٦).
 - (٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٣١)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في القسم الثاني.
 - (٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٦).
 - (٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٥)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٦).
 - (٧) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٦٧)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في القسم الثاني.



قال القرطبي ~ : « ومعنى ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الرجم بالحجارة والطفوفان والصيحة والريح، كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وقوم نوح. عن مجاهد^(١) وابن جبير^(٢) وغيرهما^(٣) ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الخسف والرجفة، كما فعل بقارون وأصحاب مدين.

وقيل: ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني الأمراء الظلمة، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني السفلة وعبيد السوء عن ابن عباس^(٤) ومجاهد أيضا «أ.هـ»^(٥).



-
- (١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٠)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٨٣).
 - (٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون: (٢/١٢٦) وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/١٥٥).
 - (٣) روي أيضاً هذا القول عن السدي، وأبي مالك، وابن زيد.
 - (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٠)، وعزاه السيوطي إليهما، وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٨٣).
 - (٥) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤١٣)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في القسم الثاني.

المطلب الثامن: الترجيح بدلالة العموم

من المعلوم أن أغلب ألفاظ القرآن تتسم بالعموم والشمول لا تخص واحداً دون آخر، أو فئة دون فئة، ولا وقتاً دون وقت، ولا حالاً دون حال، وهي مع ذلك يمكن أن تفسر، أو تخصص، أو تقيد، أو تبين، فإذا لم يثبت ذلك التفسير بالتخصيص أو التقييد لألفاظ الكتاب والسنة فإنها - أي الألفاظ - تبقى على عمومها، وتحمل عليه، وهذا مفهوم هذا الوجه من وجوه الترجيح المعتمدة، فهو حجة قوية ترجح بها الأقوال، وتؤيد بها الاختيارات، وقد اعتمد هذا الوجه العلماء حيث قال أحدهم: "اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعميم ما تحتها حملت على ذلك من عمومها، حتى يأتي ما يخصها"^(١) وقد قرروا أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^(٢) وقد اعتمد القرطبي هذا الوجه من وجوه الترجيح في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣]. قال القرطبي ~: «و"سكن" معناه: هداً واستقر، والمراد: ما سكن وما تحرك، فحذف لعلم السامع. وقيل: خص الساكن بالذكر؛ لأن ما يعمه السكون أكثر مما تعمه الحركة. وقيل المعنى: ما خلق فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها، فإنه يجري عليه الليل والنهار، وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضد الحركة، بل المراد الخلق وهذا أحسن ما قيل لأنه يجمع شتات الأقوال» أ.هـ.^(٣)

- وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] نجده يرجح العموم في هذا فيقول ~: «﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ قيل: معناه: كان ميتاً حين كان نطفة، فأحييناه بنفخ الروح فيه؛ حكاه ابن

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي: (١٠١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/٥٢٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٣٢).



بحر^(١). وقال ابن عباس: أومن كان كافراً فهديناه^(٢)..... والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر، وقيل: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم^(٣).



(١) ذكر هذا الماوردي في النكت والعيون: (١٦٣/٢).

وابن بحر هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمه بن بحر القزويني، محدث قزوین وعالمها، ولد سنة أربع وخمسين ومائتين، وارتحل في هذا الشأن، وله فضائل كثيرة، (٣٤٥هـ). ينظر: الوافي بالوفيات: (٥/٢٠)، وتذكرة الحفاظ: (٨٥٦/٣) ومعجم الأدباء: (٥٣٧/٣).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٩)، وذكرها عن ابن عباس الواحدي في الوجيز: (٣٧٣/١)، والبغوي: (٦٠/٢)، والقرطبي: (١٨/٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٨/٩)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في القسم الثاني.

المطلب التاسع: الترجيح بدلالة الأصل المفسر من كلام العرب

من المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] وقد رأى العلماء - رحمهم الله - أنه يجب حمل كلام الله تعالى على الفصيح من كلام العرب، والمشهور دون ما هو شاذ ونحوه؛ وهذا الذي تدل عليه القاعدة الترجيحية المشهورة: "كلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على المعروف من كلام العرب ومعهود استعمالهم ولا يخرج عنه" (١).

والقرطبي ~ من العلماء الذين قرروا هذا فقد اعتمد الترجيح بالأصل المفسر-
أولاً من كلام العرب، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥] بين رجوعه إلى الأصل المعتبر في كلام العرب، ففسر الفلق بالشق كما هو معروف في لغة العرب حيث قال ~: « ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ عد من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شيء منه أهتهم. والفلق: الشق؛ أي: يشق النواة الميتة، فيخرج منها ورقاً أخضر، وكذلك الحبة. ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبّة... قال مجاهد: عني بالفلق: الشق الذي في الحب وفي النوى (١). » (١)

٢ - ومثال آخر في تفسير قوله ﷻ ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] نجد القرطبي يرجح بأصل اللغة فيقول: « ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ عليهم؛ كجعله ضيق الصدر في أجسادهم. وأصل الرجس في اللغة: التن.

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٥١)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/٣٢٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٦٥)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في القسم الثاني.

قال ابن زيد: هو العذاب^(١).

وقال ابن عباس الرجس: هو الشيطان أي يسلطه عليهم^(٢).

وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه^(٣). وكذلك الرجس عند أهل اللغة هو التنن.

فمعنى الآية - والله أعلم - ويجعل اللعنة في الدنيا، والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون^(٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨) وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢ / ٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨) وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٨٦)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر: (٣ / ٣٥٦) وأورده النحاس في معاني القرآن: (١ / ٣٥٣)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢ / ٦٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩ / ٢٦)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في ص ٤٨٩ من هذا البحث.

المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها

تصريف اللفظ، ورجوعه إلى أصل الاشتقاق يفيد في الدلالة على صحة بعض المعاني كما ذكر النحاة وغيرهم لأن رجوع اللفظ إلى أصل اشتقاقه يجلي المعنى الذي أخذ منه، وبهذا يمكن أن يستدل على أرجح الأقوال وأحسنها في تفسير الآية.

وهذه الطريقة متبعة عند العلماء، وقد قرروها وعملوا بها في ترجيحاتهم، وقووا بها بعض الأقوال كما ضعفوا بها البعض في تفاسيرهم^(١)

وقد استعمل الإمام القرطبي هذا الوجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية ومعرفة أولى الأقوال في تفسير الآية فمن الأمثلة التي ذكرها القرطبي في تفسيره ما يلي:

١ - عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠] نجده يرجع إلى أصل الإبسال في اللغة فيقول ~ : « ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي تترهن وتسلم للهلكة؛... والإبسال: تسليم المرء للهلاك. هذا هو المعروف في اللغة؛ أبسلت ولدي: أرهنته^(٢) قال عوف بن الأحوص بن جعفر^(٣):

وإِبْسَالِي بَنِي بَغِيْرِ جُرْمٍ بَعُونَاهُ^(٤) وَلَا بَدِمٍ مُرَاقٍ^(٥)

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥١١/٢).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: (٢٤٨/١).

(٣) هو عوف بن الأحوص بن جعفر العامري من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، أبو يزيد. شاعر جاهلي، كان في أيام حرب الفجار. ينظر: تراجم شعراء الموسوعة الشعرية: (١٨٢٧/١).

(٤) معنى بعوناه: جنيناه، والبعو الجناية، وكان عوف قد حمل عن غني لبني قشير دما: فقالوا: لا نرضى بك فرهنهم بنيه، طلبا للصلح. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٢٤/٨) وجمهرة اللغة: (٣٣٩/١).

(٥) البيت ذكره أبو عبيده في مجاز القرآن: (١٩٤/١)، وابن منظور في اللسان: (٥٦/١١)، وابن فارس في

وأنشد النابغة الجعدي^(١):

ونحن رهنا بالأفاقة^(٢) عامراً بما كان في الدرداء^(٣) رهناً فأبسلاً^(٤)

..... إلى أن قال: ومعناه: لا تحزن عليهم، فإنما عليك التبليغ والتذكير بإبسال النفوس. فمن أبسل فقد أسلم وارتهم. وقيل: أصله التحريم، من قولهم: هذا بسل عليك، أي: حرام، فكأنهم حرموا الجنة وحُرِّمت عليهم الجنة. قال الشاعر^(٥):

أجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليها^(٦)

والإبسال: التحريم. «١.هـ»^(٧)

٢- ومثال آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣] أي شدائده وسكراته. والغمرة: الشدة، وأصلها: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ومنه: غمره الماء، ثم وضعت في معنى الشدائد والمكاره، ومنه غمرات الحرب.

﴿

مقاييس اللغة: (٢٤٨/١)، وجمهرة اللغة: (٣٣٩/١).

(١) هو: الشاعر أبو ليلى النابغة الجعدي.

(٢) الأفاقة: ماء لبني يربوع، وكان النعمان بن المنذر يبدو له في أيام الربيع، ويوم الأفاقة من أيامهم، وأغار بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني على بني يربوع بالأفاقة فأسروه وهزموا جيشه، ينظر: معجم البلدان:

(١/١٥٣)، ومعجم ما استعجم: (١/٣٤٢).

(٣) الدرداء: كتيبة كانت لهم.

(٤) ديوان النابغة: (١٢١)، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن: (١/١٩٤).

(٥) هو: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن نزار، ويكنى أبا بصير، وكانوا يسمونه صناجة العرب، لجودة شعره (ت: ٧هـ) ينظر: شرح المعلقات السبع: (٥١).

(٦) ينظر: ديوان الأعشى: (٢٢٥).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٢٤)، وينظر: دراسة المسألة بالتفصيل في ص ٣٩٠ من هذا البحث.



قال الجوهري: والغمرة: الشدة، والجمع عُمرٌ مثل نوبة ونوب^(١)... وغمرات الموت شدائده^(٢).



(١) ينظر: الصحاح: (٢٠١) مادة غمر.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٦١ / ٨).

ترجمات الإمام القرطبي في التفسير

القسم الثاني

ترجمات الإمام القرطبي

من أول سورة (الأنعام) إلى آخرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

في الآية الكريمة مسألتان:

١- المسألة الأولى: في أي يوم بدأ الله تعالى الخلق؟ في قوله تعالى

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

قال القرطبي ~ : « عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (إن في الجمعة ساعة، لا يوافقها أحد يسأل الله ﷻ فيها شيئاً إلا أعطاه إياه)^(١) قال: وقال عبدالله بن سلام^(٢): إن الله ﷻ ابتدأ الخلق، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق السماوات يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، وخلق الأقوات وما في الأرض يوم الخميس، ويوم الجمعة إلى صلاة العصر، وما بين صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس...؟). خرّجه البيهقي^(٣).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، (٢/٥٨٣) برقم: (٨٥٢)، وزاد فيه (وقال بيده يقللها يزهدا)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب الجمعة باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، (١/٥٣٨) برقم: (١٧٤٩)، وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في الجمعة، (١/٣٦٠) برقم: (١١٣٧).

(٢) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإمام الحبر المشهود له بالجنة الإسرائيلي حليف الأنصار من خواص أصحاب رسول الله ﷺ كان اسمه الحصين فسماه الرسول ﷺ عبدالله، مشهور، له أحاديث وفضل (ت: ٤٤٣هـ).

ينظر: الاستيعاب: (٣/٩٢١)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٤١٣)، والإصابة: (٤/١١٨)، وتقريب التهذيب: (٣٠٧).

(٣) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب السير، باب مبتدأ الخلق. (٩/٣) برقم: (١٧٤٨٤). والبيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، الإمام الحافظ الكبير: أبو بكر البيهقي الحسروجردي، ومن تصانيفه السنن الكبير، والسنن الصغير، ومعرفة السنن والآثار، والمبسوط في جمع نصوص الشافعي، ودلائل النبوة، والأسماء والصفات... وغيرها، (م: ٣٨٤هـ - ت: ٤٥٨هـ). ينظر: طبقات =

قلت: وفيه أن الله تعالى بدأ الخلق يوم الأحد لا يوم السبت» أ. هـ^(١).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن بدء الخلق كان يوم الأحد. وقد وافق في اختياره هذا المروي عن عبدالله بن سلام، وابن عباس رضي الله عنهما، وكعب^(١)، ومجاهد^(٢)، وعكرمة^(٣)، والضحاك^(٤)، وقال به الطبري^(٥)، والسمرقندي^(٦).

﴿﴾ =

الشافعية: (١/ ٢٢٠)، وشذرات الذهب: (٣/ ٣٠٤)، ومعجم المؤلفين: (١/ ٢٠٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣١٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٤/ ٩٤)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٧/ ٣١٥).

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٧/ ٣١٧).

وكعب هو: كعب بن ماتع الحميري اليماني المعروف بكعب الأخبار كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ فجالس أصحاب محمد ﷺ عندما قدم إلى المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ السنن عن الصحابة، مات في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه. ينظر: طبقات ابن سعد: (٧/ ٤٤٥)، وسير أعلام النبلاء: (٣/ ٤٨٩)، وتقريب التهذيب: (٤٦١)، والإصابة: (٥/ ٦٤٧).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٢٠٥)، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: (٣/ ٤٧٢).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/ ٢١٠) وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: (٣/ ٤٧٣).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٢/ ٣)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٧/ ٦٩).

(٧) ينظر: جامع البيان: (٨/ ٢٠٥) ورجحه في تاريخه: تاريخ الأمم والملوك: (١/ ٣٥).

والطبري هو: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري الإمام العلم المجتهد صاحب التصانيف صنف في التفسير وسماه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" وله في التاريخ "تاريخ الأمم والملوك" (٢٢٤ - ٣١٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، وطبقات المفسرين: (٣٧٤)، شذرات الذهب: (٢/ ٢٦٠)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٤٨).

(٨) ينظر: بحر العلوم: (٣/ ٢٠٩).

والسمرقندي هو: نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، له في تفسير "بحر العلوم" ومن تصانيفه النوازل في الفقه و"تنبيه الغافلين" (٣٧٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٢٢)، تذكرة

﴿﴾ =



والزخشي^(١)، وابن عطية^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، ووافقه البيضاوي^(٤)،
والنسفي^(٥)، وابن تيمية^(٦) وأبو حيان^(٧)، وابن كثير^(٨)، والثعالبي^(٩)، وأبو السعود^(١٠)،

﴿٣﴾

الحفاظ (١٦٩ / ٣)، وطبقات المفسرين: (٥٣٠)، ومعجم المؤلفين: (٩١ / ١٣).

(١) ينظر: الكشف: (٢٩٤ / ٣).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣٥٨ / ٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٠٠ / ٢٠).

الفخر الرازي هو: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الأصولي المفسر- من تصانيفه
"مفاتيح الغيب" و"شرح الوجيز" للغزالي (١٤٤ - ٦٠٦ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٠٠ / ٢١)،
وطبقات المفسرين: (٤٤٤)، وشذرات الذهب: (٢١ / ٥)، ومعجم المؤلفين: (٨٠ / ١١).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٣٢ / ٥).

والبيضاوي هو: عبدالله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير البيضاوي كان إمامًا علامة عارفًا بالفقه
والتفسير صنف "أنوار التنزيل" ومختصر- الكشف " وشرح المصابيح " (٦٨٥ هـ). ينظر: طبقات
الشافعية الكبرى: (٥٩ / ٥)، وطبقات المفسرين: (١٧٣)، ومعجم المؤلفين: (٩٨ / ٦).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (١٧٤ / ٣).

والنسفي هو: عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات كان إمامًا في جميع العلوم
مصنفاته في الفقه والأصول صنف "المدارك" في التفسير (٧١٠ هـ). ينظر: طبقات المفسرين
(٢٦٣ / ١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢٤٧ / ٢)، ومعجم المؤلفين: (٣٢ / ٦).

(٦) ينظر: دقائق التفسير: (٥٧ / ٢)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٢٣٥ / ١٧).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٣٠٩ / ٤).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٩٣ / ٤).

(٩) ينظر: الجواهر الحسان (٢٣ / ٢).

والثعالبي هو: عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري أبو زيد مفسر- وفقه وأصولي من
تصانيفه "الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز" و"النفاثات المرجان في قصص القرآن" (٧٨٥ -
٨٧٥ هـ). ينظر: الضوء اللامع: (١٥٢ / ٤)، ومعجم المؤلفين: (١٩٢ / ٥).

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٠٣ / ٩).

وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي له في التفسير "إرشاد العقل السليم إلى مزايا
الكتاب الكريم" وله "تهافت الأجداد في فروع الفقه الحنفي" (م: ٨٩٨ - ت: ٩٢٨ هـ). ينظر: شذرات
الذهب: (٣٩٨ / ٨)، والبدر الطالع: (٢٦١ / ١)، ومعجم المؤلفين: (٣٠١ / ١١).

والألوسي^(١) والسعدي^(٢).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: بالحديث المتقدم المروي عن عبدالله بن سلام والذي ذكر فيه أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد.

ثانياً: ما جاء بنص القرآن أن مدة الخلق ستة أيام. قال ﷺ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود:٧] وثبت في السنة النبوية أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ: في كم خلقت السموات والأرض؟ قال: خلق الله أول الأيام الأحد، وخلقت الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلقت الجبال وشقت الأنهار وغرس في الأرض الثمار وقدر في كل أرض قوتها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [١١] فقضين سبعم سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾ [فصلت:١١-١٢] في يوم الخميس ويوم الجمعة وكان آخر الخلق في آخر الساعات يوم الجمعة، فلما كان يوم السبت لم يكن فيه خلق، فقالت اليهود فيه ما قالت فأنزل الله ﷻ تكذيبها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [٣٨] ﴿ق:٣٨﴾^(١)

(١) ينظر: روح المعاني: (٨/١٣٢).

والألوسي: هو محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء المفسر- والمحدث والفقير والأديب له "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" والأجوبة العراقية "وحاشية على شرح القطر في النحو (م: ١٢١٧ - ت: ١٢٧٠هـ). ينظر: معجم المؤلفين: (١٢/١٧٥).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/٢١٩).

والسعدي هو: عبدالرحمن بن ناصر السعدي النجدي المفسر- والمحدث ولد بالقصيم بنجد، وحفظ القرآن وطلب العلم على علماء نجد له "تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن"، "القواعد الحسان في تفسير القرآن"، و"طريق الوصول إلى العلم المأمول" (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ). ينظر: معجم المؤلفين: (١٣/٣٩٦).

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب التفسير، في باب تفسير سورة حم الدخان



فتبين من هذا الحديث أن بدء الخلق كان يوم الأحد وآخره يوم الجمعة، والخلق في ستة أيام، ولا خلق يوم السبت. قال ابن تيمية: «بين تعالى أن الخلق في ستة أيام، وثبت في الحديث الصحيح أن آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم الجمعة، فدل على أن أوله يوم الأحد لأنها ستة» أ.هـ^(١).

ثالثاً: أن هذا قول أكثر أهل التفسير، وهو مروى عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنه وغير واحد من السلف كمجاهد، وكعب، وعكرمة، والضحاك.

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الخلق كان يوم السبت، واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فقال: (خلق الله تعالى التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)^(٢). ولم أجد - حسب اطلاعي القاصر - أحداً من المفسرين قال به^(٣)، بل أعترض عليه بأقوال منها:

١ - قالوا: إنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل من كلام كعب الأخبار قال ابن تيمية: «ما روي أن الله خلق التربة يوم السبت، وجعل خلق المخلوقات في الأيام السبعة، فإن

﴿﴾ =

برقم: (٣٦٨٤)، (٤٨٩/٢) وقال: «هذا حديث قد أرسله عبدالرزاق عن ابن عيينة عن أبي سعيد ولم يذكر فيه ابن عباس وكتبناه متصلاً من هذه الرواية» والله أعلم.

(١) ينظر: دقائق التفسير: (٥٧/٢)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٢٣٥/١٧).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام برقم (١١٣٩٢). (٤/٢١٤٩).

(٣) إلا أن ابن الجوزي عزاه إلى ابن الأنباري، وقال: هو اختيار محمد بن إسحاق. ينظر: زاد المسير: (٢٢١/٣).



هذا الحديث قد بين أئمة الحديث كيحيى بن معين^(١)، وعبدالرحمن بن مهدي^(٢)، والبخاري وغيرهم، أنه غلط وأنه ليس من كلام النبي ﷺ بل صرح البخاري في تاريخه الكبير^(٣) أنه من كلام كعب الأخبار^(٤).

٢- أنه خلاف ما أخبر به القرآن: قال ابن تيمية: «ولو كان أول الخلق يوم السبت وآخره يوم الجمعة لكان قد خلق في الأيام السبعة، وهو خلاف ما أخبر به القرآن»^(٥).

والرد على هذا الاعتراض من وجوه منها :

الأول : الرد على من قال إنه من كلام كعب الأخبار :

أ- لو سلمنا بقولهم انه من كلام كعب؛ فإن أكثر مرويات كعب كانت عن أهل الكتاب ، وأهل الكتاب يقولون إن الأحد هو اليوم الذي بدأ الله تعالى فيه الخلق، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت . قال ابن إسحاق : « وكان اليهود إنما اختاروا السبت لأنهم اعتقدوه اليوم السابع ثم زادوا في كفرهم ؛ فقالوا : إن الله استراح فيه - تعالى الله عن قولهم - لأن بدأ الخلق عندهم

(١) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، (ت: ٢٣٣هـ) بالمدينة النبوية وله بضع وسبعون سنة ينظر: طبقات ابن سعد: (٣٥٤/٧)، والثقات: (٢٦٢/٩)، والكاشف: (٣٧٦/٢)، وتقريب التهذيب: (٥٩٧).

(٢) هو عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث قال ابن المديني ما رأيت أعلم منه من التاسعة(ت: ١٩٨هـ)، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٩٧/٧)، والتاريخ الكبير: (٣٥٤/٥)، والكاشف: (٦٤٥/١)، وتقريب التهذيب: (٣٥١).

(٣) ينظر: تعليق الإمام البخاري في التاريخ الكبير: (٤١٣/١).

(٤) ينظر: دقائق التفسير: (٥٧/٢)، وكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٢٣٥/١٧).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى: (١٨/١٨).

الأحد، وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة»^(١).

ب- كيف يكون الحديث المتقدم - والذي فيه ابتداء الخلق يوم السبت - من كلام كعب ، وقد ثبت عن كعب أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد؟ فقد أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن كعب قال : (بدأ الله تعالى بخلق السماوات يوم الأحد فالأحد والاثنان والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وجعل كل يوم ألف سنة)^(٣)

الثاني : الرد على من قال: إنه خلاف ما أخبر به القرآن :

أ- أن الحديث يزيد على القرآن ولا يخالفه ؛ ففيه تفصيل لكيفية الخلق على الأرض وحدها، وأن ذلك في سبعة أيام، أما نص القرآن ففيه بيان أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام . فلا تعارض بينهما قال الألباني^(٤) -رحمه الله - : « وليس هو - يعني الحديث - بمخالف للقرآن بوجه من الوجوه، خلافاً لما توهمه بعضهم، فإن الحديث يفصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، وأن ذلك كان في سبعة أيام ، ونص القرآن على أن خلق السموات والأرض كان في ستة أيام لا يعارض ذلك ، لاحتمال أن هذه الأيام الستة غير الأيام السبعة المذكورة في الحديث، وأنه - أعني الحديث - تحدث عن مرحلة من

(١) ينظر: الروض الأنف : (٢/ ٢٥٥).

(٢) هو عبدالله بن محمد بن أبي شيبة بن إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل، أبو بكر الكوفي، ثقة حافظ صاحب تصانيف من العاشرة (ت: ٢٣٥) ينظر: طبقات ابن سعد: (٦/ ٤١٣)، والكاشف (١/ ٥٩٢)، وتقريب التهذيب: (٣٢٠).

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الأوائل، باب أول ما فعل من فعله : (٧/ ٢٦٩) برقم : (٣٥٩٧٥).

(٤) هو محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني (م: ١٣٣٣ هـ - ت: ١٤٢٠ هـ) وعندما سئل ابن باز - رحمه الله - من مجدد هذا القرن، فقال - رحمه الله - : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر. في ظني والله أعلم. ينظر : المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين : (١ / ٣٢١).



مراحل تطور الخلق على وجه الأرض...»^(١) وقال - رحمه الله - : « و خلاصة ذلك أن الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة التي في القرآن ، وأن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجراه الله على الأرض ، فهو يزيد على القرآن ولا يخالفه»^(٢) .

ب- لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يدل على أن خلق آدم ﷺ كان في الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض ، بل إن خلق آدم كان في يوم آخر ، غير أيام خلق السماوات والأرض ، كما جاء في هذا الحديث . قال المعلمي اليماني^(٣) : « ليس في هذا الحديث أنه خلق في اليوم السابع غير آدم ، وليس في القرآن ما يدل على أن خلق آدم كان في الأيام الستة ، ولا في السنة ، ولا المعقول أن خالقية الله ﷻ وقفت بعد الأيام الستة ، بل هذا معلوم البطلان ... فتدبر الآيات والأحاديث على ضوء هذا البيان يتضح لك إن شاء الله أن دعوى مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت والحمد لله »^(٤) .

مما سبق يتضح أن قول بدء الخلق كان في يوم السبت هو أرجح القولين وأقواهما وذلك للحديث المتقدم عن أبي هريرة وفيه أن النبي ﷺ أخذ بيده حينما حدثه به ، و"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^(٥) ، أما الآثار التي ساقها الطبري في تاريخه^(٦) ؛ القائلة أن ابتداء الخلق

(١) ينظر: مشكاة المصابيح : (٣ / ١٥٩٨) تحقيق : الشيخ ناصر الألباني.

(٢) ينظر: مختصر السلسلة الصحيحة : (٤ / ٤٤٩).

(٣) هو عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي العتمي اليماني ، أبو عبدالله ، ينسب إلى بني المعلم من بلاد عتمة باليمن (م : ١٣١٣ هـ ت : ١٣٨٦ هـ) ينظر : المعجم الجامع في تراجم العلماء و طلبه العلم

المعاصرين : (١ / ٢٠٠).

(٤) الأنوار الكاشفة : (١٩٠).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين : (١ / ٢٠٦).

(٦) ينظر: تاريخ الأمم والملوك : (١ / ٢٢).



كان يوم الأحد منها : ما كان مرفوعاً لا يخلو سندها من كذاب، أو متهم بالكذب، أو مجهول، ومنها ما كان غير مرفوع فعامتته من قول عبدالله بن سلام، وكعب، ووهب^(١)، ومن يأخذ عن الإسرائيليات^(٢). ولذلك قال السهيلي^(٣): « والعجب من الطبري على تبخره في العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث ، واعنف في الرد على ابن إسحاق وغيره ، ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول »^(٤).

كما أن هذا القول - بدء الخلق كان يوم السبت - فيه رد على اليهود الذين زعموا أن ابتداء خلق العالم يوم الأحد ، وفرغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت^(٥) روي عن ابن أبي إسحاق أنه قال : « يقول أهل التوراة ابتداء الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل يوم الاثنين ، ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا رسول الله ﷺ يوم السبت »^(٦)، والله أعلم .



(١) وهب بن منبه بن كامل البيهقي أبو عبدالله الأبنواوي، من الثالثة مات سنة بضع عشرة. ينظر : الثقات : (٤٨٧/٥)، وتقريب التهذيب : (٥٨٥).

(٢) ينظر: الأنوار الكاشفة: (١٩٠) ودراسة تلك الأسانيد في بحث إزالة الشبهة عن حديث التربة للشيخ عبدالقادر السندي، موقع شبكة السنة.

(٣) هو المؤرخ عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي، ولد في مالقه (م: ٥٠٨ هـ ت: ٥٨١ هـ) عمي وعمره ١٧ سنة، له كتاب الروض الأنف. ينظر: الأعلام للزركلي: (٣/٣١٣).

(٤) ينظر: الروض الأنف: (٢/٢٥٧).

(٥) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: (١/٥١٧)، وفيض القدير: (٣/٤٤٧).

(٦) أخرجه الطبري في تاريخه: (١/٣٥)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: (١/١٥).



٢- المسألة الثانية: المراد بالظلمات والنور في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ

الظُّلْمَتِ وَالنُّورِ﴾.

قال القرطبي ~ : « واختلف العلماء في المعنى المراد بالظلمات والنور؛ فقال السدي^(١) وقتادة^(٢) وجمهور المفسرين: المراد سواد الليل وضياء النهار. وقال الحسن^(٣): الكفر والإيمان، قال ابن عطية: وهذا خروج عن الظاهر^(٤).

قلت: اللفظ يعمه، وفي التنزيل: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] «^(٥).

﴿الدراسة والترجيح:﴾

رجح القرطبي أن الظلمات: تعم سواد الليل والكفر، والنور يعم الإيمان وضياء النهار.

وقد وافق في اختياره هذا السمعاني^(٦)، والراغب الأصفهاني^(٧)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٥٩)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/٢٤٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٥٩)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٤٧).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٩/١٤٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٢/٢٢٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣١٦).

(٦) ينظر: تفسير السمعي (٢/٨٦).

والسمعاني هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعي الحنفي أبو المظفر، مفسر- ومحدث له "منهاج أهل السنة" و"تفسير القرآن"، و"القواطع في أصول الفقه" (٤٢٦ - ٤٨٩ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/١١٤)، وطبقات المفسرين (٥٢٦)، وشذرات الذهب ٣/٣٩٣، ومعجم المؤلفين (١٣/٢١).

(٧) ينظر مفردات ألفاظ القرآن: (٨٢٦).



ووافقهم السيوطي^(١)، والشوكاني^(٢)، والآلوسي^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤)،
والسعدي^(٥).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: بالآية المتقدمة الذكر.

ثانياً: عموم اللفظ لكلا النوعين: قال السعدي: «وذلك شامل للحسي- ومن ذلك الليل والنهار، والشمس والقمر، والمعنوي كظلمات الجهل والشك والشرك والمعصية والغفلة، ونور العلم والإيمان واليقين والطاعة»^(٦)

ويمكن الجواب عما استدلوا به:

بأنه استدلال في غير محله لأن لفظ الظلمات والنور في القرآن يأتي على معنيين لا
ثالث لهما^(٧):

والراغب هو: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم أديب ولغوي له " مفردات ألفاظ القرآن " وتحقيق البيان في تأويل القرآن " (٥٠٢ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٨/ ١٢٠)، البلغة: (١/ ٩١)، ومعجم المؤلفين: (٤/ ٥٩).

(١) ينظر: الجلالين: (١٠٥).

(٢) ينظر: فتح القدير: (٢/ ٩٨).

(٣) ينظر: روح المعاني: (٧/ ٨٣).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٢٩٥).

وهو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني البغدادي محدث ومفسر- ومؤرخ أصدر مجلة المنار، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد من تصانيفه "تفسير القرآن ولم يكمل"، "والخلافة والإمامة" وغيرها (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ). ينظر: الأعلام (٦/ ٣٦١)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٣١٠).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٠).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (٢٥٠).

(٧) ينظر مفردات ألفاظ القرآن: (٥٣٧-٨٢٧).



الأول: الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات، ومن ذلك قوله ﷺ: ﴿أَوْ كُظِّمَتْ فِي بَحْرِ لَيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ، لَمْ يَكْدِرْهَا﴾ [النور: ٤٠] وكقوله أيضا: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [النمل: ٦٣]

أما النور فهو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وهذا محسوس بعين البصر - وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات ومن ذلك قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]

المعنى الثاني: يعبر بالظلمة عن الجهل والشرك والكفر والفسق، كما يعبر بالنور عن أضدادها - كالعلم، والتوحيد، والإسلام، والطاعة قال ﷺ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَآءُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقوله ﷺ: ﴿أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥] وقال ﷺ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] والآية التي استدلوا بها: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] فإنها تدرج ضمن هذا النوع، لأن قوله ﷺ: ﴿نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ نور الإسلام يعيش به بين المسلمين، وقوله ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: أي في ظلمات الشرك لا يخرج منها أبدا^(١). ولا تدل على عموم النوعين كما استدل بها القرطبي. والله أعلم.

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بها في هذا الموضع سواد الليل وضياء النهار، وهو المروي عن السدي، وقتادة، والواقدي^(٢)، وهو قول

(١) ينظر: جامع البيان: (٢١ / ٨)، وتفسير السمعاني: (١٤١ / ٢)، وتفسير القرآن العظيم: (١٧٣ / ٢).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل: (٦ / ٢) والثعلبي في الكشف والبيان: (١٣٢ / ٤).

وهو: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي مولاهم، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم



الطبري^(١)، وابن أبي زمنين^(٢)، والواحدي^(٣)، والبغوي^(٤)، وابن عطية^(٥)،
والفخر الرازي^(٦)، ونظام الدين النيسابوري^(٧)، وابن جزي الكلبي^(٨)،

==

على ضعفه المتفق عليه، سمع من صغار التابعين وهو متروك. (بعد ١٢٠ هـ - ٢٠٧ هـ). ينظر: سير
أعلام النبلاء (٩/ ٤٥٤)، وتقريب التهذيب (٤٩٨)، والكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٢٤١).

(١) ينظر: جامع البيان: (٧/ ١٤٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/ ٨٥).

وهو: محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي أبو عبدالله استبحر من العلم وصنف في الزهد
والرقائق من تصانيفه " مختصر المدونه "، " ومختصر- تفسير ابن سلام " (٣٢٤-٣٩٩ هـ). ينظر: سير
أعلام النبلاء: (١٧/ ١٨٨)، وطبقات المفسرين: (٤١٠)، وشذرات الذهب: (٣/ ١٥٦)، ومعجم
المؤلفين: (١٠/ ٢٣٠).

(٣) ينظر: الوجيز: (١/ ٣٤٤).

وهو: علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري كان أوجد عصره في التفسير لازم
أبي إسحاق الثعلبي من تصانيفه " البسيط "، و" المغازي "، و" الأغراب في الإعراب " (٤٦٨ هـ). ينظر:
سير أعلام النبلاء (١٨/ ٣٣٩)، وطبقات المفسرين: (٢٦٩)، وشذرات الذهب: (٣/ ٣٣٠)، ومعجم
المؤلفين: (٧/ ٢٦).

(٤) ينظر: معالم التنزيل: (١/ ٢٤١).

والبغوي هو: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي أبو محمد يلقب بمحيي السنة صاحب
التصانيف له " معالم التنزيل "، " وشرح السنة "، " والمصايح " و" الجمع بين الصحيحين "
٥١٦ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٢)، وطبقات المفسرين (١١٣)، شذرات الذهب:
(٤/ ٤٨)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٦١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٢/ ٢٢٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/ ١٥١).

(٧) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/ ٤٧).

والنيسابوري: هو حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المعروف بنظام الأعرج عالم مشارك في
أنواع من العلوم من آثاره: " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " و" شرح الشافيه " (كان حياً ٨٢٨ هـ).
ينظر: معجم المؤلفين: (٣/ ٢٨٠).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/ ٢).

وأبوحيان^(١)، وابن كثير^(٢)، والثعالبي^(٣)، وابن عادل^(٤)، والقاسمي^(٥).

وحجة أصحاب هذا القول: السياق القرآني ففي مطلع هذه السورة ذكر **وَاللَّهُ** خلق السماوات والأرض، وأعقبها بالظلمات والنور، وإذا قرنت السماوات والأرض بالظلمات والنور دلّ على أن المراد الجانب الحسي. قال الفخر الرازي: «الأصل حمل اللفظ على حقيقته لأن الظلمات والنور إذا كان ذكرهما مقرونين بالسماوات والأرض لم يفهم منه إلا ما ذكرنا»^(٦).

وإذا ثبت هذا فإن القول بأن المراد بالظلمات والنور الجانب الحسي، هو الأرجح لدلالة سياق القرآني، والقاعدة الترجيحية تؤكد هذا وهي:

" أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه إلا بدليل يجب التسليم له^(٧) ولا دليل هنا " والله أعلم.

(١) ينظر: البحر المحيط: (٧٣/٤).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٢٧/٢).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٦٣/١).

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (١١/٨).

وابن عادل هو: عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني أبو حفص مفسر- له " اللباب في علوم الكتاب " (بعد ٨٧٩هـ). ينظر: معجم المؤلفين (٧/٣٠٠).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٤٥٣/٦).

وهو: جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد بدمشق وأقام فيها مدة ثم رحل إلى مصر ثم عاد إلى دمشق فأنقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس من تصانيفه " محاسن التأويل " وقواعد التحديث (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ). ينظر: الإعلام: (١٣١/٢)، ومعجم المؤلفين: (١٥٧/٣).

(٦) مفاتيح الغيب: (١٥٢/١٢).

(٧) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).



قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

في الآية الكريمة مسألتان:

٣- المسألة الأولى: في المراد بخلقكم من طين؟ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾.

قال القرطبي ~ : « في معناه قولان: أحدهما وهو الأشهر، وعليه من الخلق الأكثر: أن المراد آدم عليه السلام، والخلق نسله، والفرع يضاف إلى أصله، فلذلك قال: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالجمع فأخرجه مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده؛ هذا قول الحسن ^(١)، وقتادة ^(٢)، وابن أبي نجيح ^(٣)، والسدي، والضحاك، وابن زيد ^(٤) وغيرهم.

الثاني: أن تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة، ثم قلبها حتى كان الإنسان منها؛ ذكره النحاس ^(٥). «أ.هـ» ^(٦).

(١) لم أقف على الأثر الوارد عن الحسن - بحسب اطلاعي القاصر - عند غير القرطبي.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٥/٧)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٢٤٨/٣).

(٣) لم أقف على الأثر الوارد عن ابن أبي نجيح - بحسب اطلاعي القاصر - عند غير القرطبي.

وهو: عبدالله بن أبي نجيح، ويكنى أبا يسار، مولى لثقيف وكان ثقة كثير الحديث، ويذكرون أنه كان يقول بالقدر وربما دلس، ومات قبل الطاعون وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة قال: محمد بن عمر مات عبدالله بن أبي نجيح بمكة (ت: ١٣٢ هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٤٨٣/٥)، والكاشف: (٦٠٣/١)، وتقريب التهذيب: (٣٢٦/١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٥/٧).

(٥) ينظر: إعراب القرآن: (٥٥/٢).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: (٣١٨/٨).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾. خلق آدم عليه السلام، وذكر اللفظ بصيغة الجمع ﴿خَلَقَكُمْ﴾ لأنهم فرع عن أصلهم آدم عليه السلام. وهذا المروي عن مجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد، ورجحه ابن عطية^(١)، ووافقهم أبو السعود^(٢)، والشوكاني^(٣)، والآلوسي^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥)، وأفرد هذا القول بالذكر، حيث جزم به فلم يذكر غيره مقاتل^(٦)، والطبري^(٧)، والسمرقندي^(٨)، وابن أبي زمنين^(٩)، والثعلبي^(١٠)، والواحدي^(١١)، والبغوي^(١٢)، والبيضاوي^(١٣)، والنسفي^(١٤)، وابن جزي الكلبي^(١٥)، وابن كثير^(١٦).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٤/٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١١٩/٢).

(٣) ينظر: فتح القدير: (٩٨/٢).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٨٧/٧).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (٢٩٦/٧).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٣٦/١).

(٧) ينظر جامع البيان (١٤٥/٧).

(٨) ينظر: الكشف والبيان (١٣٤/٤).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العزيز (٥٨/٢).

(١٠) ينظر: الكشف والبيان: (١٣٤/٤).

(١١) ينظر: الوجيز: (٣٤٤/١).

(١٢) ينظر: معالم التنزيل: (٦/٢).

(١٣) ينظر: أنوار التنزيل: (١٤٢/١).

(١٤) ينظر: مدارك التنزيل: (٣/٢).

(١٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٣/٢).

(١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٢٧/٢).

والسيوطي^(١)، والثعالبي^(٢) والسعدي^(٣)

واستدلوا بما يلي:

أولاً: ورد نظير لهذا في القرآن. قال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [فاطر: ١١] أي ابتداء خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين^(٤). وقوله ﷺ: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] يعني خلق أبا البشر آدم من طين^(٥).

ثانياً: جاء في السنة ما يؤيد هذا ويعضده، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (... والناس بنو آدم وآدم من تراب)^(٦)، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (... الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب..)^(٧).

ثالثاً: أن في الكلام حذف يدل على أن الخلق لأصلكم آدم ﷺ قال العكبري^(٨):

- (١) ينظر: الجلالين: (١٠٥).
- (٢) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٦٤ / ١).
- (٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٠).
- (٤) ينظر: جامع البيان: (١٢٢ / ٢٢)، وتفسير القرآن العظيم: (٥٥٠ / ٣).
- (٥) ينظر: جامع البيان: (٩٥ / ٢١)، وتفسير القرآن العظيم: (٤٥٨ / ٣).
- (٦) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب التفاخر بالأحساب (٣٣١ / ٤) برقم (٥١١٦). وأخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل الشام واليمن: (٧٣٥ / ٥)، برقم: (٣٩٥٦). قال: « وهذا أصح ».
- (٧) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل الشام واليمن: (٧٣٤ / ٥)، برقم: (٣٩٥٥) قال: « وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس. قال وهذا حديث حسن غريب ». وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى في كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصية: (٢٣٢ / ١٠)، برقم: (٢٠٨٥١).
- (٨) هو: عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي الضرير أبو البقاء محب الدين أضر في صباه بالجدري وكانت تقرأ عليه المصنفات من تصانيفه " إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن " و " اللباب في علل البناء والأعراب " (٥٣٨ - ٦١٦ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٩١ / ٢٢)، وطبقات المفسرين: (١٦٢)، وشذرات الذهب: (٦٧ / ٥)، ومعجم المؤلفين: =



«خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ» في الكلام حذف مضاف أي خلق أصلكم وقوله: «مِنْ طِينٍ» متعلق بخلق و"من" هنا لا ابتداء الغاية^(١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن قوله «خَلَقَكُمْ» المقصود به أبناء آدم عليه السلام فتكون النطفة التي خلُقوا منها من طين على الحقيقة، ثم قلبها حتى كان الإنسان منها. ورجحه الفخر الرازي^(٢).

واحتج بأن كل إنسان متولد من الطين. فقال: «أن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث، وهما يتولدان من الدم، والدم إنما يتولد من الأغذية، والأغذية: إما حيوانية وإما نباتية، فإن كانت حيوانية: كان الحال في كيفية تولد ذلك الحيوان كالحال في كيفية تولد الإنسان، فبقي أن تكون نباتية، فثبت أن الإنسان مخلوق من الأغذية النباتية، ولا شك أنها متولدة من الطين، فثبت أن كل إنسان متولد من الطين... فهذا الطين قد تولدت النطفة منه بهذا الطريق المذكور ثم تولد من النطفة أنواع الأعضاء المختلفة في الصيغة والصورة واللون والشكل»^(٣).

ومن هذا يتبين أنه لا منافاة ولا تعارض بين القولين. فالقول الأول: يبين أن أصل خلق أبانا آدم عليه السلام هو من الطين، بينما القول الآخر يبين أن كل إنسان مخلوق من طين كما خلق أبونا آدم عليه السلام وهذا ما دل عليه القرآن. حيث ذكر عَلَيْكَ في أكثر من موضع أن بداية خلق الإنسان من طين فقال تعالى: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» [السجدة: ٧] وقال سبحانه وتعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» [غافر: ٦٧].

﴿﴾

(٤٦/٦).

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (١/٢٣٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٥٢) قال: «وهذا الوجه عندي أقرب إلى الصواب».

(٣) مفاتيح الغيب: (١٢/١٥٢).



وبين **عَلَيْكَ** أن لهذا الطين أطواراً فبين أولاً أنه تراب بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]. ثم أشار ثانياً إلى أن هذا التراب بُل فصار طيناً يعلق بالأيدي فقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]. ثم بين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير فقال **عَلَيْكَ**: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] ثم بين أنه يبس حتى صار صلصالاً أي تسمع له صلصلة من يبسه فقال **عَلَيْكَ**: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] والعلم عند الله تعالى ^(١).

إلا أن القول الأولى والأليق بالشرعية ^(٢) هو ما رجحه القرطبي والجمهور كونه بين المعنى مباشرة بدون ما ذكر من التحولات والتغيرات، إضافة إلى ورود أحاديث تؤيده والقاعدة الترجيحية تنص على أنه: "إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد القوال، فهو مرجح له على ما خالفه" ^(٣).

وقاعدة: "تفسير جمهور السلف و مقدم على كل تفسير" ^(٤). والله أعلم.



(١) ينظر: أضواء البيان: (٧٩ / ٢)، ودفع إيها الماضطراب: (١٧١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٤ / ٦).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٠٦ / ١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٢٨٨ / ١).



٤- المسألة الثانية: المراد بالأجلين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

قال القرطبي ~ : « قال الضحاك: ﴿أَجَلًا﴾ (أَجَلًا) في الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أَجَلُ الْقِيَامَةِ ^(١). فالمعنى على هذا: حكم أَجَلًا، وأعلمكم أنكم تقيمون إلى الموت ولم يعلمكم بأجل القيامة.

وقال الحسن ^(١)، ومجاهد، وعكرمة ^(١)، وخصيف ^(١)، وقتادة ^(١) - وهذا لفظ الحسن - : قضى أجل الدنيا من خلقك إلى أن تموت، " وأجل مسمى عنده " يعني الآخرة.... » ^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الأجل خاص لكل إنسان ما بين أن يخلق إلى أن يموت في الدنيا، والأجل المسمى ما بين أن يموت إلى أن يبعث وهذا في الآخرة، وهذا المروي

-
- (١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٦١/٤).
 - (٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١٩٦/١)، والطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١/٤)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٤٩/٣).
 - (٣) أخرجهما الطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٦١/٤).
 - (٤) لم أجد الأثر الوارد عن خصيف - حسب اطلاعي القاصر -.
 - وخصيف هو: عبدالرحمن الجزري أبو عون صدوق سيء الحفظ خلط بآخره، ورمي بالإرجاء (ت: ٣٧هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: المجروحين: (٢٨٧/١)، وسير أعلام النبلاء: (١٤٥/٦)، وتقريب التهذيب: (١٩٣/١).
 - (٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١٩٦/١)، والطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٤٩/٣).
 - (٦) الجامع لأحكام القرآن: (٣٢١/٨).



عن الحسن، والضحاك، وقتاده، والسدي^(١)، وبه قال ابن قتيبة^(٢)، والزجاج^(٣)،
ورجحه الطبري^(٤)، واختاره السمرقندي^(٥)، والنحاس^(٦)، والواحدي^(٧)، وابن
الجوزي^(٨)، ووافقهم ابن تيمية^(٩).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: الأجل العام أي أجل الدنيا ونهايتها ثم أجل مسمى عنده وهو
البعث، وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد^(١٠)، وبه قال الزمخشري^(١١)، ووافقهم

(١) أخرجها الطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٦١/٤).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن (١٥٠).

وابن قتيبة هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد كان ثقة ديناً فاضلاً، صاحب التصانيف له
"غرائب القرآن" و "غريب الحديث" و "مشكل القرآن" و "أدب الكاتب" وغيرها (٢١٣-
٢٧٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢٩٦/١٣)، وطبقات المفسرين: (١٧٦)، وشذرات الذهب:

(٢/١٦٩)، ومعجم المؤلفين: (١٥٠/٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٢٨/٢).

(٤) ينظر جامع البيان: (١٤٧/٧).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (٤٣٤/١).

(٦) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٣/١).

(٧) ينظر: الوجيز: (٣٤٤/١).

(٨) ينظر: تذكرة الأريب: (١٥٥/١).

وهو: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر المعروف بابن الجوزي، جمال الدين أبو
الفرج من تصانيفه: "زاد المسير" و "تذكرة الأريب" و "الضعفاء" (٥١٠-٥٩٧هـ). ينظر: سير أعلام
النبلاء: (٣٦٥/٢١)، وطبقات المفسرين: (١٩١)، ومعجم المؤلفين: (١٥٧/٥).

(٩) ينظر: مجموع الفتاوى: (٤٨٨/١٤).

(١٠) أخرجها الطبري في جامع البيان: (١٤٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٦١/٤)، وعزاه السيوطي
إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٢٤٩/٣)، وينظر: تفسير مجاهد: (٢١١).

(١١) ينظر: الكشاف: (٤/٢).



البيضاوي^(١)، وابن جزى الكلبي^(٢)، وابن كثير^(٣)، وأبو السعود^(٤)، والآلوسي^(٥).
والتأمل بين القولين يجد أن لا تعارض ولا منافاة بينهما وهو الذي سار عليه
بعض المفسرين بلا ترجيح أحدهما على الآخر.^(٦)
ومما يدل على ذلك:

١- أن الأجل في اللغة يطلق على غاية الوقت، وما ينتهي إليه، ويطلق على مدة
الشيء وكلا المعنيين قد وردا في كتاب الله تعالى فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَزَّمُوا
عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي حتى تنقضي- العدة . ومن الثاني
قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] أي لكان العذاب
لزاما لهم ودائماً بهم^(٧).

٢- تداخل القولين فيبينها عموم وخصوص، قال ابن كثير بعد أن ذكر قول
الحسن: « وهو يرجع إلى ما تقدم وهو تقدير الأجل الخاص وهو عمر كل إنسان،
وتقدير الأجل العام وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهاؤها وانقضاؤها وزوالها وانتقالها
والمصير إلى الدار الآخرة »^(٨).

-
- (١) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٢٩٢).
 - (٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢).
 - (٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٢٤).
 - (٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١١٩).
 - (٥) ينظر: روح المعاني: (٧/٨٧).
 - (٦) كالثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٣٤) والماوردي في النكت والعيون: (٢/٩٣)، والسمعاني في
تفسيره: (١/٨٧)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/٤)، والنسفي
في مدارك التنزيل: (٢/٣)، وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/٧٦)، والثعالبي في الجواهر الحسان:
(١/٤٦٤)، والشوكاني في فتح القدير: (٢/٩٩).
 - (٧) ينظر: لسان العرب: (١١/١١): مادة أجل، و مفردات ألفاظ القرآن: (٦٥٨) .٠
 - (٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٢٤).

واحتج القائلون بهذا بما يلي^(١):

أولاً: القيد الوارد في الآية ﴿عِنْدَهُ﴾ والذي يدل على أن علم موتكم وقيام الساعة لا يعلمه إلا هو قال ابن تيمية: « أن الله قيد الأجل المسمى بقوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ فأجل الساعة لا يعلمه إلا هو بخلاف ما لو أطلق ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فإن هذا قد يعرفه العباد كما في قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢] »^(١).

ثانياً: السياق القرآني: فإنه تعالى نبه الخلق على موضع الحجة عليهم من أنفسهم فهو الذي خلقكم وأنشأكم من طين، ثم قضى- آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لإعادتكم أحياء وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم وذلك نظير قوله ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]^(١).

القول الثالث: أن ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ هو النوم تقبض الأرواح ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هو أجل موت الإنسان وهذا المروي من رواية أخرى لابن عباس^(١).

ويعترض على هذا القول: بأن السياق يأباه فالنظم جاء لبيان قدرة الله تعالى في الخلق والإحياء والإماتة، قال أبو السعود: « لا وجه له أصلاً من حيث سياق النظم الكريم »^(١).

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢) ومجموع الفتاوى: (٤٤٨/١٤)، والبحر المحييط: (٧٦/٤).

(٢) مجموع الفتاوى: (٤٤٨/١٤).

(٣) ينظر: جامع البيان (١٤٧/٧)، وإرشاد العقل السليم: (١٢٠/٢).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤٧/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٦١/٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: (٢٤٩/٣).

(٥) إرشاد العقل السليم: (١٢٠/٢).



القول الرابع: أن الأجل الأول هو في وقت أخذ الميثاق على بني آدم حين أستخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وبقي أجل واحد مسمى في هذه الحياة الدنيا وهذا مروى عن ابن وهب ^(١).

ويعترض على هذا القول:

أن الأجل الأول إذا كان هو في وقت أخذ الميثاق على بني آدم.. فهذا لا يسمى أجلاً ولم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ تسميته أجلاً. ولم أجد أحداً من المفسرين - فيما اطلعت عليه - قال بهما.

وإذا ثبت ضعف القولين الأخيرين فالذي يتأكد رجحانهما القولان الأولان وهما الأولى في المراد بالآية الكريمة، وذلك للنظائر القرآنية، ولدلالة السياق، وينطبق عليهما جملة من القواعد الترجيحية:

وهي: " القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك ^(٢) ".

وقاعدة: " إدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عنه إلا بدليل يجب التسليم له ^(٣) ".

وقاعدة: " تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي مقدم على غيره ^(٤) " والله أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان (١٤٧/٧).

وابن وهب هو: عبدالله بن وهب بن مسلم أبو محمد الفهري مولاهم أحد الأئمة الأعلام ثقة حافظ عابد من أهل مصر (١٢٤ - ١٩٧هـ). ينظر: الثقات: (٣٤٦/٨)، سير أعلام النبلاء: (٢٢٣/٩)، وتقريب التهذيب: (٣٢٨)، وتذكرة الحفاظ: (٣٠٤/١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥/١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٢٧١/١).



قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ

﴿الأنعام: ٣﴾.

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٥- مسألة: في عامل إعراب الظرف في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي

الْأَرْضِ﴾.

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يقال: ما عامل الإعراب في الظرف من "في السماوات وفي الأرض" ففيه أجوبة:

أحدها: أي: وهو الله المعظم أو المعبود في السماوات وفي الأرض، كما تقول: زيد الخليفة في الشرق والغرب، أي: حكمه.

ويجوز ان يكون المعنى: وهو الله المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض؛ كما تقول: هو في حاجات الناس وفي الصلاة. ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر، ويكون المعنى: وهو الله في السماوات، وهو الله في الأرض..... إلى أن قال: والأول أسلم وأبعد من الإشكال. وقيل غير هذا، والقاعدة تنزيهه ﷻ عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة»^(١).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: أي وهو الإله المعبود، المدبر، المالك، المتصرف في السماوات والأرض كما تقول زيد الخليفة في الشرق والغرب. أي: حاكم أو متصرف فيهما.

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٢٣) وسيأتي ذكر الأقوال.



وقد وافق القرطبي قول الزجاج^(١)، والسمرقندي^(٢)، والواحدي^(٣)،
والسمعاني^(٤)، والبغوي^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن الأنباري^(٧)، والفخر الرازي^(٨).
ووافقهم البيضاوي^(٩)، والنسفي^(١٠)، وابن تيمية^(١١)، وابن جزي الكلبي^(١٢)،
وأبو حيان^(١٣)، وابن كثير^(١٤)، وأبو السعود^(١٥)، ومحمد بن عبد الوهاب^(١٦).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٢٨).

(٢) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٣٤).

(٣) ينظر الوسيط: (٢/٢٥٢)، والوجيز: (١/٣٤٤).

(٤) ينظر: تفسير السمعي: (٢/٨٧).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٧).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٥).

(٧) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (١/٣١٣)، وذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير:
(٣/٤).

وابن الأنباري هو: عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله أبو البركات النحوي كمال الدين ابن الأنباري، قدم
بغداد في صباه وقرأ الفقه بالمدرسة النظامية، ومن تصانيفه: الانتصار في مسائل الخلاف، وأخبار النحاة،
وغريب إعراب القرآن، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء.. وغيرها. توفي ليلة الجمعة تاسع شعبان
(ت ٥٧٠ هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: (٧/١٥٦)، وفوات الوفيات: (١/٦٣٥)، ومعجم
المؤلفين: (٥/١٨٣).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٥٦).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٢٩٣).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣).

(١١) ينظر: مجموع الفتاوى: (٢/٤٠٤).

(١٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢).

(١٣) ينظر: البحر المحيط: (٤/٧٨).

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٢٧).

(١٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٢١).

(١٦) ينظر: تفسير آيات من القرآن الكريم: (١/١١).

وهو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن يزيد ابن محمد بن يزيد بن



والشوكاني^(١)، والآلوسي^(٢)، والقاسمي^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤)، والشنقيطي^(٥).
واستدلوا لهذا القول: بأن له شاهداً من القرآن، وهو قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي
السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

أما من جهة الإعراب: فعلى تقدير صفة محذوفة من اللفظ ثابتة في المعنى فكأنه
قال وهو الله المعبود في السماوات وفي الأرض، ويكون الوقف عند قوله ﴿وَفِي
الْأَرْضِ﴾ وعلى هذا فجملة ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها، والجار
والمجرور ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلق بلفظ الجلالة باعتبار ما يدل عليه من معنى
العبودية، والألوهية الحققة في كونه إلهاً معبوداً، ومتصرفاً مالِكاً^(٦).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد وهو الله يعلم سر كرم وجهه كرم في السماوات
وفي الأرض فلا يخفى عليه شيء فيهما. وبهذا قال البلخي^(٧).

مشرف النجدي الحنبلي، هذا هو المعروف من نسبه، ويذكر أنه من مضر ثم من بني تميم، ولد سنة ١١١٥
بالعينية من بلاد نجد، ونشأ بها وقرأ القرآن، وسمع الحديث أخذ عن أبيه وهم بيت فقه حنبلي، من
تأليفه: تفسير سورة الفاتحة تفسير كلمتي الشهادة رسالة في تحريم التقليد (ت: ١٢٠٦ هـ). ينظر: هدية
العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: (٦/٣٥٠)، وإعلام الأنام بشرح فضل الإسلام: (١٣).

- (١) ينظر: فتح القدير: (٢/٦٩).
- (٢) ينظر: روح المعاني: (٧/٨٩).
- (٣) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٤٥٩).
- (٤) ينظر: تفسير المنار: (٧/٢٩٩).
- (٥) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٥٢) حيث قال: «وهذا القول في الآية أظهر الأقوال».
- (٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٢٨)، ومشكل إعراب القرآن: (١/٢٤٦)، والمحور الوجيز:
(٥/٦)، والتبيان في إعراب القرآن: (١/٤٨٠)، وإملاء ما من به الرحمن: (١/٢٣٥)، والبحر المحيط:
(٤/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم: (٢/١٢٧)، والدر المصون: (٤/٥٢٩)، وفتح القدير: (٢/٦٩).
- (٧) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٣٥).

والنحاس^(١).

ويشهد لهذا من القرآن أيضا وهو قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦].

أما من جهة الإعراب: ففي الكلام تقديماً وتأخيراً، والجار والمجرور في قوله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلق بمفعول: ﴿يَعْلَمُ﴾ فتكون السماوات والأرض ظرفان للعلم، وتام الوقف على جملة المبتدأ والخبر ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾^(٢).

وهذا القول فيه نظر من وجهين:

الأول: من جهة الصناعة النحوية: لما فيه من تقديم معمول المصدر الموصول على المصدر

الثاني: من حيث المعنى: فيلزم قائل هذه المقولة أن تكون المخاطبة في الكاف في قوله ﴿سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ لجميع المخلوقين الإنس والملائكة، لأن الإنس لا سر ولا جهر لهم في السماء^(٣) فكأنهم خصوا بالخطاب أهل الأرض دون أهل السماء بدليل عطف قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ على قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾.

وهو محمد بن الفضل بن العباس البلخي الإمام أبو بكر، وحين أخرج من بلخ دعا عليهم فقال: اللهم امنع عنهم الصدق، فلم يخرج من بلخ بعده صديق صنف التفسير الكبير، وله الاعتقاد (ت: ٣١٩ هـ وقيل ٤١٦ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي: (٤٥٠)، والأعلام: (٢٢٧/٧)، ومعجم المؤلفين: (١٢٨/١١).

(١) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٤/١)، إعراب القرآن: (٥٦/٢).

(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن: (٢٤٦/١)، والمحزر الوجيز: (٥/٦)، والتبيان في إعراب القرآن: (١/٤٨٠)، وإملاء ما من به الرحمن: (١/٢٣٥)، والبحر المحيط: (٤/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم: (١٢٧/٢)، والدر المصون: (٤/٥٢٩).

(٣) ينظر: المحزر الوجيز: (٦/٦).



القول الثالث: الوقف التام على قوله **عَلَّمَ** ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ثم استأنف الخبر فقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يُعَلِّمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فيتعلق ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ بلفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ ويتعلق ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ بـ ﴿يُعَلِّمُ﴾

ومعنى هذا القول أنه جل وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم ولا يخفى عليه شيء من ذلك^(١)

وروي عن الكسائي^(٢): أنه كان يقف على قوله ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ ويتدبّر بقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ يُعَلِّمُ﴾^(٣)

ويشهد لهذا القول قوله تعالى ﴿ءَأَمِنُمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]. وقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وخلاصة القول: أن جميع الأقوال محتملة في الآية، وكل واحد منها له مصداق وشاهد في كتاب الله تعالى^(٤) فهو سبحانه إله من في السماوات ومن في الأرض والمعبود فيهما، وعالم لسرائر خلقه وما أعلنوه فيهما، وهو تعالى مستو على عرشه فوق جميع خلقه لا تخفى عليه منهم خافية.

والقاعدة في ذلك: تنزيهه **عَلَّمَ** مما ألصقه به الجهمية^(٥) من الحركة، والانتقال،

(١) ينظر: جامع البيان: (١٤٨/٧)، وأضواء البيان: (٣٥٢/١).

(٢) الكسائي هو: علي بن حمزة بن عبدالله بن قيس بن فيروز الأسدي مولا هم الكوفي الكسائي، أحد أئمة القراءة والتجويد في بغداد، أخذ القراءة عن حمزة الزيات مذاكرة وقرأ عليه القرآن أربع مرات، من تصانيفه: معاني القرآن، ومختصر في النحو. (ت: ١٨٠ هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار: (١/١٢٠)، وطبقات المفسرين: (٢٧٩)، ومعجم المؤلفين: (٨٤/٧).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٤٩/٣).

(٤) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٢/١).

(٥) الجهمية: هم أصحاب جهنم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمد، وقتله مسلم المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم بأشياء، وقال لا قدرة للعبد أصلاً ولا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلها

وشغل الأمكنة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

إنَّ أن ما عليه جمهور المفسرين في أن الجار والمجرور ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
يتعلق بلفظ الجلالة باعتبار ما يدل عليه من معنى الإلهية هو القول الأرجح
والأبعد عن الإشكال، وعليه جملة من القواعد المعتمدة. وهي:
قاعدة: "أن تفسير الجمهور مقدم على كل تفسير" ^(١).

وقاعدة: "يجب حمل كتاب الله تعالى على الأوجه الإعرابية الثلاث
بالسياق" ^(٢).

كما أنه سأل من التقديم والتأخير والقاعدة في هذا "القول بالترتيب
مقدم على القول بالتقديم والتأخير" ^(٣). والله أعلم.



﴿﴾ =

حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى... ينظر: التعريفات للجرجاني: (١٠٨/١)، والملل والنحل
للشهرستاني: (٨٦/١)، والمغرب في ترتيب المعرب: (١٧١/١).

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٨٨/١).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٦٣٥/٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٤٥١/٢).



قال تعالى: ﴿الْمُتَّبِعُونَ كَمَ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٦﴾ [الأعام: ٦].

٦- المراد بالقرن في قوله تعالى ﴿كَمَ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾.

قال القرطبي ~ : « والقرن: الأمة من الناس، والجمع: قرون؛ قال الشاعر^(١):

إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب^(١)

فالقرن: كل عالم في عصره؛ مأخوذ من الاقتران، أي: عالم مقترن بعضهم إلى بعض، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني - يعني أصحابي - ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)^(١) هذا أصح ما قيل فيه... »^(١).

(١) قيل: هو عمرو بن عامر السلمى أدرك من حياة النبي ﷺ نحو ثلاثين سنة وعمر حتى وفد على معاوية وهو يرتعش كبرا فقال له معاوية كيف تجدك.. ثم أنشد هذا البيت والذي يليه. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (١٤٧/٥)، وتاريخ مدينة دمشق: (٢٠٤/٤٦).

وقيل هو أبو محمد التيمي، واسمه عبدالله بن أيوب، من شعراء الدولة العباسية ينظر: محاضرات الأدباء: (٣٦٠/٢) وقيل غيرهما. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٢٤/٨).

(٢) نُسب لأبي محمد التيمي في البيان والتبيين: (٢٧٣/١)، ومحاضرات الأدباء: (٤٦٧/١)، والحماسة البصرية: (٤٧/٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد: (٩٣٨/٢) برقم: (٢٥٠٩) وفي كتاب فضائل الصحابة ﷺ (٣/١٢٣٥)، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٤٥١) وكتاب الرقاق، باب ما يجذر من زهرة الدنيا: (٥/٢٣٦٢) برقم: (٦٠٦٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم (٤/١٩٦٢)، برقم (٢٥٣٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٣٢٤/٨).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن المراد بـ " القرن " : هم الأمة من الناس مقترنين في زمن واحد.
وقد وافق القرطبي في ترجيحه قول أبي عبيدة^(١)، والطبري^(٢)، والزجاج^(٣)،
والنحاس^(٤)، والثعلبي^(٥)، والواحدي^(٦)، والسمعاني^(٧)، والبغوي^(٨)،
ومحمود النيسابوري^(٩)، وابن عطية^(١٠)، وابن الجوزي^(١١)،
والفخر الرازي^(١٢)، ووافقهم البيضاوي^(١٣)، وأبو حيان^(١٤)،

(١) ينظر: مجاز القرآن: (١/١٨٥).

وأبو عبيده هو: معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي مولا هم البصري النحوي اللغوي روى عن البصريين
كان الغالب عليه معرفة الأدب والشعر (ت: ٢١٠هـ) ينظر: الثقات: (٩/١٩٦)، وتقريب التهذيب:
(٥٤١)، والبلغة: (١/٢٢٤) وطبقات المفسرين: (٥١٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/١٤٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٢٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٢٤).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٣٥).

(٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٤٥).

(٧) ينظر: تفسير السمعي: (٢/٨٨).

(٨) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٨).

(٩) ينظر: إيجاز البيان: (١/٢٨٩).

ومحمود النيسابوري هو: محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي يلقب ببيان الحق عالماً
بارعاً مفسراً ولغوياً (نحو ٥٥٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين: (٥٠٨)، ومعجم المؤلفين: (١٢/١٥٧)،
والأعلام: (٨/٤٣).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٧).

(١١) ينظر: زاد المسير: (٣/٥).

(١٢) مفاتيح الغيب: (١٢/١٥٨).

(١٣) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٢٩٣).

(١٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/٧٠).



وابن كثير^(١)، والسيوطي^(٢)، وابن عادل^(٣)، والبقاعي^(٤)، وأبو السعود^(٥)،
والآلوسي^(٦)، ومحمد رشيد رضا^(٧).

واستدل أصحاب هذا القول:

أولاً: بالنظائر القرآنية في كتاب الله تعالى، ومنها قوله ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِئَاءَ ۗ يَا ۗ ﴿٧٤﴾﴾ [مريم: ٧٤] أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم^(٨)

وقوله ﷻ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ نُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ۗ﴾ [مريم: ٩٨] أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله^(٩) وقوله ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَآدُوا﴾ [ص: ٣] من قرن يعني من جماعة من الناس^(١٠)

ثانياً: بالمعنى اللغوي " للقرن " فاشتقاقها من الاقتران أي: هم القوم الذين

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٣/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: الجلالين: (١٠٥).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٨/ ٢٩).

(٤) ينظر: نظم الدرر: (٧/ ٢٢).

والبقاعي هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ أديب من أوعية العلم المفرطين في الذكاء: (٨٠٩-٨٨٥هـ). ينظر: شذرات الذهب: (٩/ ٥٠٩)، والأعلام: (٥٦/١).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/ ١٢٤).

(٦) ينظر: روح المعاني: (٧/ ٩٤).

(٧) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٣٠٤).

(٨) ينظر: الكشف: (٣/ ٣٨)، تفسير القرآن العظيم: (٣/ ١٣٥).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٣/ ١٤١).

(١٠) ينظر: جامع البيان: (١٦/ ١٣٤)، وتفسير القرآن العظيم: (٤/ ٢٧)، ومعالم التنزيل: (٤/ ٤٧).

كانوا مقترنين في ذلك الوقت^(١).

ثالثاً: دلالة الحديث النبوي الشريف في إطلاق لفظة "قَرْنِي" على القوم المقترنين في زمانه ﷺ^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بالقرن: المدة من الزمان وهو قول الفراء^(٣)، وابن أبي زمنين^(٤)، والنسفي^(٥)، وابن جزي الكلبي^(٦).

واختلفوا في تحديد مدة القرن حالة إطلاقه على الزمان إلى عدة أقوال: فقيل: ستون عاماً، وقيل: سبعون عاماً، وقيل: ثمانون..^(٧)

قال ابن عطية بعد أن ساق هذه الأقوال: «وهذا كله ضعيف، وهذه طبقات وليست بقرون، إنما القرن أن يكون وفاة الأشياخ ثم ولادة الأطفال»^(٨)

أما ما عليه الجمهور وأكثر أصحاب الحديث في مدة القرن: أنه مائة سنة^(٩)،

(١) ينظر: مادة قرن في مقاييس اللغة: (٥/٧٧)، وتهذيب اللغة: (٩/٨٤)، ولسان العرب: (١٣/٣٣٣)، وبينت كتب الغريب أيضاً أن المراد بالقرن: أهل كل زمان يقترن فيه أهله في أعمارهم وأحوالهم. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: (٦٦٧)، والنهاية في غريب الأثر: (٤/٥١).

(٢) ينظر: فتح الباري (٥/٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/٨٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٢٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/٥٩).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٣).

(٧) ينظر: بقية الأقوال: المحرر الوجيز: (٦/٧)، واللباب في علوم الكتاب: (٨/٢٩)، وتفسير المنار: (٧/٣٠٤).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٨).

(٩) ينظر: معاني القرآن (١/٣٢٤)، المحرر الوجيز: (٦/٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٢/٣).



واستدلوا بقوله ﷺ لعبدالله بن بسر^(١): (تعيش قرناً) فعاش مائة سنة. وهذا أقرب الأقوال في تحديد مدة القرن قول من قال إنه: مائة سنة، لوروده في الحديث وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^(٢).

وعند النظر والتأمل في القولين يتبين أن ما رجحه القرطبي من أن القرن هم الأمة من الناس مقترنون في زمن واحد، هو الأرجح لأنه ينطبق عليه قاعدتان ترجيحيتان هما:

قاعدة: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٣).

وقاعدة: "أن تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها يؤيده فهو أولى بتفسير الآية"^(٤). والله أعلم.



(١) عبدالله بن بسر المازني من مازن بن منصور يكنى أبا بسر لأبيه صحبه وهو آخر من مات من الصحابة بالشام (٨٠هـ). ينظر: الاستيعاب (٣/٨٧٤)، وسير أعلام النبلاء: (٣/٤٣٠)، والإصابة: (٤/٢٣)، وتقريب التهذيب: (٢٩٧).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٠٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١/٣١٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٢/٥١١).



قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةً لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعام: ١٢].

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٧- مسألة في موقع الذين من الإعراب في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قال القرطبي ~ « ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ابتداء وخبر، قاله الزجاج^(١) وهو أجود ما قيل فيه، تقول الذي يكرمني فله درهم، فالفاء تتضمن معنى الشرط والجزاء، وقال الأخفش^(٢): «إن شئت كان "الذين" في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في "ليجمعنكم" أي: ليجمعن المشركين الذين خسروا أنفسهم. وأنكره المبرد وزعم أنه خطأ؛ لأنه لا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب، لا يقال مررت بك زيد، ولا: مررت بي زيد؛ لأن هذا لا يشكل فيبين. قال القتيبي: يجوز أن يكون "الذين" جزاء على البدل من "المكذبين" الذين تقدم ذكرهم أو على النعت لهم^(٣). وقيل: "الذين" نداء مفرد.»^(٤)

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٣٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: (٢/ ٤٨٢).

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٣١).

✪ الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ مرفوع، وخبره جملة:
﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

وقد وافق في ترجيحه قول الزجاج^(١)، والكرماني^(٢)، والباقولي^(٣)، وابن الأنباري^(٤)، والعكبري^(٥). ووافقهم ابن جزى الكلبي^(٦)، والثعالبي^(٧)، وأبو السعود^(٨).

واستدل لهذا القول بما يلي:

أولاً: أن قوله ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مشتمل على جميع الخلق، على الذين خسروا

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٣٢).

(٢) ينظر: غرائب التفسير: (١/٣٥٤).

والكرماني هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي هو تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف لباب التفسير والإيجاز في النحو (ت: بعد ٥٠٠)، ينظر: معجم الأدباء: (٥/٤٨٨)، طبقات القراء: (٢/١٩١)، ومعجم المؤلفين: (٤/٢١٣).

(٣) ينظر: كشف المشكلات: (١/٤٢٥).

والباقولي هو: علي بن الحسين بن علي الضرير الأصفهاني النحوي، أبو الحسن الباقولي، المعروف بالجامع، من تصانيفه كشف المشكلات وإيضاح العضلات في علل القرآن، والكشف في نكت المعاني والإعراب (ت: ٥٥٤٣هـ) ينظر: بغية الوعاة: (٢/٢٤٧)، ومعجم الأدباء: (٤/٨٦)، ومعجم المؤلفين: (٧/٧٥).

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (١/٣١٥).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٤٨٣)، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: (١/٢٣٨).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٥).

(٧) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٦٧).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٣٠).



أنفسهم، وعلى غيرهم، فلا وجه لاختصاصه بهم^(١).

ثانياً: أن الفاء في قوله ﴿فَهُمْ﴾ تفيد معنى الجزاء؛ تقول: الذي يكرمني فله درهم. لأن الدرهم وجب بالإكرام، فكان الإكرام شرطاً، والدرهم جزاء^(٢). قال الباقولي: «والصواب في الآية قول أبي إسحاق من أن الكلام تمّ عند قوله: ﴿لَارِيَبَ فِيهِ﴾ ثم ابتداء وقال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فمحل ﴿الَّذِينَ﴾ رفع بالابتداء، وتامه ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، إذ هو في الصلّة، وخبر المبتدأ قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ودخلت الفاء في خبر ﴿الَّذِينَ﴾؛ لأن كل اسم موصول وكل اسم نكرة موصوفة يجوز دخول الفاء في خبرهما^(٣).

وفي المسألة أقوال أخرى منها^(٤):

القول الثاني: أن ﴿الَّذِينَ﴾ منصوبة على البدل من الضمير في قوله ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، والمعنى ليجمعنّ هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم^(٥). وإلى هذا ذهب الأخفش^(٦)، والطبري^(٧)، والثعلبي^(٨)، وابن عطية^(٩).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٣٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٢/٢٣٢).

(٣) كشف المشكلات: (١/٤٢٥).

(٤) ينظر: الدر المصون: (٤/٥٥١)، واللباب: (٨/٤٨).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٦٦)، واللباب: (٨/٤٨).

(٦) ينظر: معاني القرآن للأخفش: (٢/٤٨٢).

(٧) ينظر: جامع البيان: (٧/١٥٨).

(٨) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٣٧).

(٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٤).

والسمين الحلبي^(١)، وابن عاشور^(٢)، ومحمد رشيد رضا^(٣).

واستدل لهذا القول بما يلي:

أولاً: أنه بدل من الكاف والميم في قوله ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وعلى هذا لا يجوز الوقف على قوله ﴿لَارَيْبَ فِيهِ﴾، ويكون هذا من باب بدل الاشتغال.

ثانياً: اختصاص الخسارة بعدم الإيمان، كأنه قيل من يخسر نفسه فهو لا يؤمن.

وقد رد المبرّد على قول الأخفش: بأن البدل من ضمير الخطاب لا يجوز كما لا يجوز: مررت بك زيد، وهذا عجيب، لأنه استشهد بمحل النزاع. وقال مكّي بن أبي طالب: «وهو بعيد لأن المخاطب لا يبدل منه غير مخاطب لا تقول رأيتك زيدا على البدل»^(٤).

وقال العكبري: «وهو بعيد لأن ضمير المتكلم والمخاطب لا يبدل منهما لوضوحهما غاية الوضوح وغيرهما دونهما في ذلك»^(٥).

(١) ينظر: الدر المصون: (٤/٥٥٢).

والسمين الحلبي هو: أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي السمين، صاحب الإعراب، المشهور بشهاب الدين، نزيل القاهرة، قال ابن حجر: كان ماهراً في النحو، وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية (ت: ٧٥٦ هـ). ينظر: طبقات القراء: (١/١٥٢)، و طبقات المفسرين للدواودي: (٧٣)، ومعجم المؤلفين: (١٢/٢١١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٦/٣٤).

وابن عاشور هو: محمد بن الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، له مصنفات مطبوعه من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية ينظر: الإعلام: (٦/١٧٤)، ومعجم المفسرين لعادل نويضة: (٢/٥٤١).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٧/٣٢٨).

(٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن: (١/٢٤٧).

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٤٨٣).



القول الثالث: أن ﴿الَّذِينَ﴾ منادى، وحرف النداء مقدّر.

وقد ضعّف هذا بعض المفسرين، قال ابن عطية: «وهو فاسد، لأن حرف النداء لا يسقط مع المبهات»^(١).

وقال ابن جزي الكلبي أيضاً: «وقيل: منادى، وهو باطل»^(٢).

ومن هذا يتبين أن ما رجحه القرطبي هو أرجح الأقوال في معنى الآية، والقاعدة تنص على أنه "يجب حمل كتاب الله ﷻ على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة"^(٣) والله أعلم.



(١) ينظر: المحرر الوجيز: (١٤/٦).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٥/٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٦٤٥/٢).

قال تعالى ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣].

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٨- مسألة في المراد بـ "سكن" في قوله ﷻ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

قال القرطبي ~ : «و "سكن" معناه: هداً واستقر، والمراد: ما سكن وما تحرك، فحذف لعلم السامع. وقيل: خص الساكن بالذكر؛ لأن ما يعمه السكون أكثر مما تعمه الحركة. وقيل المعنى: ما خلق فهو عام في جميع المخلوقات متحركها وساكنها، فإنه يجري عليه الليل والنهار، وعلى هذا فليس المراد بالسكون ضد الحركة، بل المراد الخلق وهذا أحسن ما قيل لأنه يجمع شتات الأقوال» أ.هـ^(١).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بما سكن: ما خلق سبحانه من جميع المخلوقات فإنها له ﷻ.

وقد وافق في ذلك قول الطبري^(١)، والواحدي^(٢)، وابن عطية^(٣)، ووافقهم البيضاوي^(٤)، وابن جزي الكلبي^(٥)، وابن كثير^(٦)، والسعدي^(٧).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٣٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/ ١٥٨).

(٣) ينظر: الوجيز: (١/ ٣٤٦).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ١٤).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (١/ ٢٩٤).

(٦) ينظر: التسهيل في علوم التنزيل: (٢/ ٤).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٢٩).

(٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٢).



واحتج أصحاب هذا القول: بأن المقصد من الآية العموم فكل ما سكن هو من مخلوقات الله ﷻ، وهي عامة لكل ما خلق الله تعالى^(١)، وما من شيء من مخلوقات الله تعالى إلا وهو ساكن في الليل والنهار وكل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من مساكن الليل والنهار^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بما سكن: ما استقر وهدأ من السكون ضد الحركة وهذا المروي عن السدي^(٣)، وبه قال السمرقندي^(٤)، والنحاس^(٥)، والثعلبي^(٦)، والبغوي^(٧)، والزخشري^(٨)، وأبو حيان^(٩)، والثعالبي^(١٠)، وأبو السعود^(١١)، والآلوسي^(١٢).

-
- (١) ينظر: المحرر الوجيز: (١٤ / ٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٤ / ٢).
 - (٢) ينظر: جامع البيان: (١٨٥ / ٧).
 - (٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٥٨ / ٧) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٦٩ / ٤)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٥٥ / ٣).
 - (٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٣٧ / ١).
 - (٥) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٥ / ١).
 - (٦) ينظر: الكشف والبيان: (١٣٧ / ٤).
 - (٧) ينظر: معالم التنزيل: (١١ / ٢).
 - (٨) ينظر: الكشاف: (٩ / ٢).
 - (٩) ينظر: البحر المحيط: (٨٧ / ٤).
 - (١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٦٧ / ١).
 - (١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٠ / ٢).
 - (١٢) ينظر: روح المعاني: (١٠٩ / ٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: النظائر القرآنية: ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأعام: ٩٦] فإنه أخبر ﷻ أنه جعل الليل سكوناً لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ويهدأ فيه فيستقر في مسكنه ومأواه، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا﴾ [يونس: ٦٧] يسكن ويهدأ فيه الخلق من تعب النهار، من سكن إليه إذا اطمأن إليه^(١).

وقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠].

ثانياً: الأصل اللغوي لكلمة سكن: قال الأزهري^(٢): «سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهبت حركته^(٣)، وكذا قال ابن فارس^(٤): «السين والكاف والنون أصل واحد مطرد يدخل على خلاف الاضطراب والحركة يقال سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن»^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان: (٢٨٤/٧)، تفسير السمعاني: (٢٣/٤)، والمفردات في غريب القرآن: (٢٣٧/١)، وأنوار التنزيل: (٤٣٣/٢)، وفتح القدير: (١٤٣/٢).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري أبو منصور الهروي اللغوي كان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه له تصانيف عديدة منها " التهذيب " في اللغة و " التقريب في التفسير " و " علل القراءات " وغيرها (٢٨٢ - ٣٧٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٣١٥/١٦)، وطبقات المفسرين: (٣٤٤)، وشذرات الذهب: (٧٢/٣)، ومعجم المؤلفين: (٢٣٠/٨).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (٤٠/١٠) وبنحوه ذكر ابن منظور في مادة سكن ينظر: لسان العرب: (٢١١/١٣).

(٤) ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا محمد القزويني أبو الحسين الرازي المالكي اللغوي له تصانيف عديدة منها " مقاييس اللغة " و " جامع التأويل في تفسير القرآن " و " حلية الفقهاء ". ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٠٣/١٧)، وطبقات المفسرين: (٤٦)، وشذرات الذهب: (١٣٢/٣)، ومعجم المؤلفين: (٤٠/٢).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: (٨٨/٣)، وكذلك قال الراغب: " سكون الشيء بعد تحرك " ينظر: مفردات ألفاظ القرآن في مادة سكن (٤١٧).



ثالثاً: السياق القرآني: تقدّم الذكر في الآية السابقة عن ملك السموات والأرض، وأنها لله وحده، وبعدها أثبت وحدانيته وملكه سبحانه وتعالى لكل ما استقر في الليل والنهار وهو جزء داخل في عموم ملكه ﷻ. قال محمد رشيد رضا: « والحكمة في ذكر هذا الملك الخاص على دخوله في عموم ما في السموات والأرض، التذكير بتصرفه تعالى بهذه الخفايا فإن السكنى والسكون من دواعي خفاء الساكن »^(١)

وخص سبحانه السكون بالذكر دون الحركة لما يلي^(٢):

١. اكتفاء بأحد الضدين ففي الآية إضمار والمعنى وله ما سكن وما تحرك كقوله:

﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد: والبرد.

٢. أن كل متحرك قد يسكن وليس كل ساكن يتحرك.

٣. السكون أكثر وأعم وجوداً وهو نهاية وعاقبة كل متحرك.

القول الثالث: أن المراد بما سكن: ما حل. وبه قال ابن الأعرابي^(٣)، ووافقه الفخر الرازي^(٤)، والسيوطي^(٥)، والبقاعي^(٦).

(١) تفسير المنار: (٣٣٠/٧).

(٢) ينظر: زاد المسير: (١٠/٣)، ومعالم التنزيل: (١١/٢)، واللباب: (٥٢/٨)، وروح المعاني: (١٠٩/٧)، والبرهان في علوم القرآن: (١١٩/٣).

(٣) نسبة الأزهري في التهذيب لابن الأعرابي ٤٠/١٠، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٠/٣).

وابن الأعرابي هو: محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبدالله الكوفي لغوي ونحوي رواية لأشعار القبائل ونسابه (١٥٠ - ٢٣١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٦٨٧/١٠)، وشذرات الذهب: (٧٠/٢١)، ومعجم المؤلفين: (١١/١٠).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٦٧/١٢).

(٥) ينظر: الجلالين: (١٠٩).

(٦) ينظر: نظم الدرر: (٣٣/٧).

واحتج أصحاب هذا القول بالأصل اللغوي لسكن:

السكن: سُكِنَ الرجل في الدار، يُقال لك فيها سَكَنَ أي سُكِنِي، و المَسْكَنُ المنزل، وأهل الحجاز يقولون مَسْكَنَ بالفتح^(١). قال الفخر الرازي: «السكون بمعنى الحلول كما يقال: فلان سكن بلد كذا إذا كان محله منه ومنه قوله ﷺ ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] «أ. هـ.^(٢)

وبعد النظر والتأمل فيما سبق يتبين أن القول الثاني هو الأرجح لنظيره في القرآن:

" والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك^(٣)."

وهو الأسلم من جهة اللغة لأن: "الأصل اللغوي وتصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية"^(٤).

وما رجحه القرطبي يدخل في المعنيين الأخيرين فما من ساكن، ولا مستقر، ولا حالٌ إلا وهو من مخلوقات الله ﷻ. قال ابن عطية: «والمقصد في الآية عموم كل شيء..»^(٥)، والله أعلم.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (٤٠ / ١٠)، ولسان العرب مادة سكن: (٢١١ / ١٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٦٧ / ١٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢ / ١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٥١١ / ٢).

(٥) المحرر الوجيز: (١٤ / ٦).



قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُوا لِيَأْخُذُوا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ قُلٌّ إِنَّهُ أَمْرٌ
أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْمُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ [الأنعام: ١٤]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٩- مسألة في قراءات ومعاني قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ﴾؟

قال القرطبي ~ : « ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ﴾ كذا قراءة العامة ^(١)، أي: يرزق ولا
يرزق دليله قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ [الذاريات: ٥٧].
وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، والأعمش: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ ^(٢) وهي
قراءة حسنة، أي أنه يرزق عباده، وهو سبحانه غير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون
من الغذاء.. «أ.هـ» ^(٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قراءة الجمهور بضم الياء الأولى وكسر العين على بناءها للفاعل،
وضم الياء الثانية وفتح العين على بناءها للمفعول، والمعنى أنه يرزق الخلق ولا يرزق.

(١) أي قراءة القراء العشرة وهي المتواترة.

(٢) وهي قراءة شاذة، بضم الياء الأولى وكسر العين، وفتح الياء الثانية وفتح العين وهذه قراءة اختارها
البصريون. ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٢)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري:
(١/٤٧٠)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/٣٢٥)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٣٨)،
والزنجشيري في الكشف: (٢/١١)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٢/١٤٠)، وأبو حيان في البحر
المحيط: (٤/٩٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٣٣).



وقال بهذا المعنى السدي^(١)، والطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والسمعاني^(٤)،
والواحدي^(٥)، والبغوي^(٦)، والزنجشيري^(٧)، والفخر الرازي^(٨)، والعكبري^(٩) وابن أبي
العز الهمداني^(١٠) ووافقهم البيضاوي^(١١)، والنسفي^(١٢)، وابن تيمية^(١٣) وابن كثير^(١٤)
وأبو السعود^(١٥)، والشوكاني^(١٦)، والشنقيطي^(١٧)، والسعدي^(١٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٥٩/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٠/٤)، وعزاه السيوطي
إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٥٥/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان: (١٥٩/٧).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١٥٩/٧).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (٩١/٢).

(٥) ينظر: الوجيز: (٣٤٧/١).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٨٨/٢).

(٧) ينظر: الكشف: (١١/٢).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٤٠/١٢).

(٩) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (٤٨٣/١).

(١٠) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: (١٢٨/٢).

والهمداني هو: حسين بن أبي العز بن رشيد الهمداني منتجب الدين، مقرئ، نحوي، من تصانيفه: مصنف
في إعراب القرآن، وشرح قصيدة الشاطبية (ت: ٦٤٣ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢١٩/٢٣)،
وشذرات الذهب: (٢٢٧/٥)، ومعجم المؤلفين: (٢٦/٤).

(١١) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٩٥/١).

(١٢) ينظر: مدارك التنزيل: (٥/٢).

(١٣) ينظر: جامع المسائل: (١١٢/١).

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٢٦/٢).

(١٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٠/٢).

(١٦) ينظر: فتح القدير: (١٠٤/٢).

(١٧) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٤/١).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٢).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: نظير هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ (٥٧).

ثانياً: ورد في الحديث ما يؤيد معناها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يديه أو قال يده، قال: (الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا...)^(١).

ثالثاً: أنها قراءة متواترة، وهي التي قرأها عامة القراء، وهي قراءة العشرة.

رابعاً: من جهة السياق القرآني: فإن الآية الكريمة لم تُسق لبيان تنزهه عن الأكل.. وإنما سيقت لبيان حاجة الخلق إليه، وإحسانه لهم، وبيان غناه عنهم، وامتناع إحسانهم إليه، فإنه يطعمهم، وهو لا يطعمونه، وهذا الوصف دال على المقصود، كما أن كون الشيء يُطعم غيره، ولا يطعمه غيره، يوجب المدح فهذه صفة كمال حيث كانت، وأما كون الشيء في نفسه لا يطعم، ولا يأكل، ولا يشرب فهذا إنما يكون مدحاً في حق الكامل المستغني عن الطعام والشراب، وليس مدحاً في حق الناقص الذي لا يستغني عنها^(٢).

(١) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه: في كتاب الأُطعمه، باب آداب الأكل، في ذكر ما يحمده العبد ربه جل وعلا بعد غسله يده من الغمر من طعام أكله، (٢٢/١٢) برقم: (٥٢١٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسييح والذكر: (٧٣١/١) برقم: (٢٠٠٣). وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ».

(٢) ينظر: جامع الرسائل: (١١٢/١).

وفي المسألة قراءات أخرى^(١) منها:

قراءة من قرأ بضم الياء الأولى وكسر العين، وفتح الياء الثانية والعين، على بنائهما للفاعل، ﴿وهو يُطعم ولا يطعم﴾ والمعنى أنه تعالى لا يأكل ومنزه عن الأكل، وغير محتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوقون من الغذاء. وقال بهذا الزجاج^(٢)، والنحاس^(٣).

وهذه القراءة وإن كانت غير متواترة فمعناها حسن - كما بيّن ذلك القرطبي - ولا يتعارض ومعنى القراءة المتواترة المتقدمة.

ومن المفسرين من ذكر القراءتين ولم يرجح بينهما، وهذا ما جرى عليه أكثر المفسرين، وأهل المعاني واللغة، لكن ظاهر صنيعهم تقديم قراءة الجمهور^(٤).

(١) قراءات شاذة لم أر - حسب اطلاعي - أحداً قال بهما. وهما: قراءة بضم الياء وكسر العين في الفعلين على بنائهما للفاعل ﴿وهو يُطعم ولا يطعم﴾ أي: إن الله يطعم عباده ويرزقهم، والولي لا يطعم نفسه ولا من يتخذه. ينظر: إعراب القراءات الشواذ: (٤٧٠ / ١) ونسبها الزمخشري، والفخر الرازي إلى الأشهب ينظر: الكشف: (١١ / ٢)، ومفاتيح الغيب: (١٤٠ / ١٢)، والفريد في إعراب القرآن المجيد: (١٢٨ / ٢) ونسبها ابن عطية وأبو حيان إلى يمان العماني وابن أبي عبلة ينظر: المحرر الوجيز: (١٦ / ٦) والبحر المحيط: (٩٠ / ٤).

وقراءة بفتح الياء والعين في الأول، أي: الولي، "ولا يُطعم" بضم الياء وكسر العين ﴿وهو يُطعم ولا يُطعم﴾ وفسر بأن معناه وهو يرزق، ولا يأكل وهنا خالف بين المعنيين وهي قراءة شاذة، ينظر: إعراب القراءات الشواذ: (٤٧٠ / ١) ونسبها الزمخشري، والفخر الرازي، وأبو حيان إلى يعقوب ينظر: الكشف: (١١ / ٢)، ومفاتيح الغيب: (١٤٠ / ١٢)، والفريد في إعراب القرآن المجيد: (١٢٨ / ٢) والبحر المحيط: (٩٠ / ٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٣٣ / ٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٥ / ١)، وإعراب القرآن: (٥٨ / ٢).

(٤) كالسمرقندي في بحر العلوم: (٤٥٩ / ١)، والثعلبي في الكشف والبيان: (١٣٨ / ٤)، والزمخشري في



لذلك فإن ما اختاره القرطبي هي القراءة الأولى والأرجح، لأنها قراءة متواترة، ومعناها صحيح ثابت، وهذا ما تؤيده القاعدة الترجيحية:

" أن معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة " ^(١).

كما أن لهذا المعنى نظير: "والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره" ^(٢)، والله أعلم.



﴿﴾ =

الكشاف: (١١ / ٢)، والرازي في مفاتيح الغيب: (١٤٠ / ١٢)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٢٩٥ / ١)، وأبو حيان في البحر المحيط: (٩٠ / ٤)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: (١٣٠ / ٢)، والآلوسي في روح المعاني: (١١٠ / ٧)، والشوكاني في فتح القدير: (١٠٤ / ٢).

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٠٤ / ١).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٣١٢ / ١).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٨]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٠ - مسألة في المراد بقوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

قال القرطبي ~ : « ومعنى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم، أي هم تحت تسخيرهم؛ لا فوقية مكان، كما تقول: السلطان فوق رعيته، أي بالمنزلة والرفعة » ا.هـ^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالفوقية هنا فوقية استعلاء وقهر، لا فوقية مكان وجهة. وقد وافق بذلك رأي الأشعرية^(٢)، والزمخشري^(٣)، ووافقهم البيضاوي^(٤)، والنسفي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، وأبو السعود^(٧)، والآلوسي^(٨)، والشوكاني^(٩).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٦/٨) وقال في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأَنْعَامُ: ٦١] قال: يعني فوقية المكان والرتبة، لا فوقية المكان والجهة. ينظر: (٤٠٨/٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى: (٢٧٢/٥).

(٣) ينظر: الكشاف: (١٢/٢).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٩٦/١).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٦/٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (٩٣/٤).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣١/٢).

(٨) ينظر: روح المعاني: (١١٤/٧).

(٩) ينظر: فتح القدير: (١٠٤/٢).

حجتهم:

أولاً: قالوا: إن قلنا إن المراد من الآية فوقية مكان، فهذا يقتضي- القول بالجهة وأنه تعالى حال في الجهة التي فوق العالم وذلك يقتضي التجسيم، والله تعالى منزه عنها. ثانياً: أن قوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ تصوير للقهر والعلو والغلبة والقدرة كقوله ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾

ويرد عليهم بأدلة أهل السنة والجماعة^(١) وهي:

أولاً: ما جاء في القرآن الكريم من أدلة صريحة تثبت العلو لله ﷻ قال شيخ الإسلام: قال بعض أكابر أصحاب الشافعي^(٢): في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده^(٣). ومنها قوله تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [١٦] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧] وأما فوق ففي خمسة مواضع: في الأنعام موضعين، وفي النحل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] وفي الفتح: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] وفي الشورى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥] من عظمة الله فوقهن^(٤).

(١) ينظر: معارج القبول: (١/٢٠٠)، وشرح العقيدة الطحاوية: (١/٣١٥)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (٣/١٣٨).

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب ابن عبد مناف بن قصي أمه أزدية ولد بالشام بغزة وقيل باليمن (١٥٠هـ)، وتوفي رحمه الله (ت: ٢٠٤هـ) بالفسطاط في شهر ربيع الأول ودفن عند معتبر باب الشمس بالفسطاط. ينظر: الثقات: (٩/٣١)، والديباج المذهب: (١/٢٢٧)، وتقريب التهذيب: (٤٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (٥/١٢١).

(٤) حجج القرآن: (١/٤٩) إثبات صفة العلو: (١/١٢٨)، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: (١/٥١).



ثانياً: جاء في السنة النبوية أحاديث تثبت علو الله تعالى: منها حديث الجارية التي سأها النبي ﷺ قائلاً: (أين الله؟ قالت: في السماء) (١)، ومنها ما روي عن العباس بن عبدالمطلب (٢) وفي آخره (وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء) (٣).

ثالثاً: إجماع سلف الأمة قال ابن تيمية: «القول بأن الله تعالى فوق العالم، معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بعد تدبر ذلك... بل نصوص العلو قد قيل إنها تبلغ مئين من المواضع، والأحاديث عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين متواترة موافقة لذلك... ولهذا لم يكن بين الصحابة والتابعين نزاع في ذلك كما تنطق بذلك كتب الآثار المستفيضة المتواترة في ذلك وهذا يعلمه من له عناية بهذا الشأن» (٤).

وقال ابن القيم (٥): «وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى، ونطق بذلك القرآن فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات، وعند المسلمين أن الله عز وجل علو الغلبة والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح فنثبت أن

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (١/٣٨١)، برقم: (٥٣٧).

(٢) هو: العباس بن عبدالمطلب بن هاشم أبو طالب عم النبي ﷺ مشهور ولد قبل الفيل بثلاث سنين (ت: ٣٢ هـ) وهو ابن ثمان وثمانين. ينظر: طبقات ابن سعد: (٤/٥)، والنفقات: (٣/٢٨٨)، وتقريب التهذيب: (٢٩٣).

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة السجدة: (٢/٤٤٧) برقم: (٣٥٤٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) ينظر: درء التعارض: (٧/٢٦).

(٥) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله لازم ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق له عدة تصانيف منها " زاد المعاد في هدى خير العباد " و " أعلام الموقعين عن رب العالمين " و " روضة المحبين " وغيرها (٦٩١-٧٥١ هـ). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (٣/٤٠٠)، وطبقات المفسرين: (٣٦٣)، وشذرات الذهب: (٦/١٦٨)، ومعجم المؤلفين: (٩/١٠٧).

الله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة»^(١).

رابعاً: إن الله ﷻ طبع أهل الفطرة على جهة العلو. فأهل الفطرة السليمة من الأولين والآخرين يقولون: إنه فوق العالم، إذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري لا يتوقف على سمع، ولم يقل قائل: يا الله؟ إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو؛ فكما لا تتوجه قلوبهم إلى رب غيره ولا إلى إله سواه، فكذلك لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى غير العلو، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى قصد جهة العلو دون سائر الجهات وهذا يتضمن اضطرارهم إلى قصده سبحانه في العلو وإقرارهم وإيمانهم بذلك؛ بحيث لا يمكن دفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمناً ولا يسرة.^(٢)

خامساً: الدليل العقلي^(٣) ويتجه إلى أن المباينة ثابتة عقلاً بين الخالق والمخلوقين، لأن الله تعالى لما خلق العالم إما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عنه. والاحتمال الأول باطل لأنه يستلزم أن يكون مخالطاً للخسائس والقاذورات، وهذا لا يقوله عاقل. وبهذا يتعين الثاني ولا ثالث لهما، وهذا دليل السبر والتقسيم^(٤) الحاصر فإذا ثبتت المباينة عقلاً، فهناك أدلة عقلية تدل على علو الذات منها: أن العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيها، ولا تستلزم نقصاً، وكل كمال وجودي لا يستلزم نقصاً فالله تعالى أحق به من كل موجود.

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية: (١٠٧/١).

(٢) ينظر: أقاويل الثقات: (٨٦/١)، والصواعق المرسله: (١٣٠٦/٤).

(٣) قد ذكر ابن القيم ثلاثين دليلاً من أدلة العقل والفطرة على علو الله تعالى. ينظر: الصواعق المرسله: (١٢٧٩/٤)، ورسالة في إثبات الاستواء والفوقية: (٨٣/١).

(٤) من مسالك العلة السبر والتقسيم: وهو حصر الأوصاف الموجودة في الأصل الصالحة للعلة في عدد ثم إبطال علة بعضها لتثبت علة الباقي. ينظر: شرح التلويح على التوضيح: (١٦١/٢)، والتعاريف: (٣٩٦/١).

وفي المسألة أقوال أخرى منها^(١):

قول أهل السنة والجماعة: وهو أن الفوقية هنا فوقية علو، وأثبتوا أن الله فوق مساواته على عرشه بائن من خلقه وهم بائون منه، عالٍ عليهم غير مختلط بهم^(٢).

وقد قال بهذا من المفسرين مقاتل بن سليمان^(٣)، والسمعاني^(٤)، والبغوي^(٥)، وابن كثير^(٦)، وابن تيمية^(٧)، وابن القيم^(٨)، والسيوطي^(٩)، والسعدي^(١٠).

قال ابن كثير: «ومعنى الآية هنا ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أي هو الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت

(١) وقد اكتفيت هنا بما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، أما عن أقوال المذاهب الأخرى كالجهمية التي زعمت أن الله بذاته في كل مكان، وبعضهم ذكر أن الفوقية هنا مجاز فقال بعضهم: هو فوقهم بالإيجاد والإعدام، وقال بعضهم: هو على حذف مضاف معناه فوق قهر عباده بوقوع مراده دون مرادهم، وغير ذلك من الأقوال. ينظر: مجموع الفتاوى: (١٢٢/٥)، والرد على الزنادقة والجهمية: (٣٨/١)، وبيان تلبيس الجهمية: (٥٣٠/٢)، والرد على الجهمية للدارمي: (٤٠/١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى: (١٢٦/٥)، والعلو للعلي الغفار: (٢٥٣/١)، واعتقاد أهل السنة: (٣٨٨/٣)، ودرء التعارض: (١٣٩/٦).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٥٠/١).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (٩٣/٢).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٨٩/٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٠/٢).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى: (١٢١/٥).

(٨) ينظر: الصواعق المرسلية: (١٢٩٩/٤).

(٩) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (١٩/٢).

(١٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٢).



وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحُكمه»^(١)

قال ابن تيمية: «فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء»^(٢).

ومن هذا يتبين أن ما اختاره القرطبي من أن الفوقية فوقية استعلاء وقهر لا فوقية مكان، ينافي المنهج والاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة، والقاعدة تنص على أن " كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو ردٌّ " ^(٣). والله أعلم.



(١) تفسير القرآن العظيم: (٢/١٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى: (٥/١٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢١٤).



قال تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَشَّهَدُونَ أَتَىٰ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرًا قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأعام: ١٩].

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١١ - المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾.

قال القرطبي ~ : « ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ أي: ومن بلغه القرآن فحذف الهاء لطول الكلام. وقيل: ومن بلغ الحلم. ودل بهذا أن من لم يبلغ الحلم ليس بمخاطب ولا متعبد » اهـ^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالبلوغ في الآية: من بلغه القرآن. وقد وافق في اختياره المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة، والقرظي^(١)، والسدي، وابن زيد^(٢)، وهو قول الفراء^(٣)، وابن قتيبة^(٤)، والطبري^(٥)، والسمرقندي^(٦)، والنحاس^(٧)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٧ / ٨).

(٢) والقرظي هو: محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة، وقيل أبو عبدالله، من حلفاء الأوس، وكان من أوعية العلم (ت: ١١٨ هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب: (١٣٧٧)، سير أعلام النبلاء: (٦٦ / ٥)، والإصابة: (٣٤٥ / ٦)، وتقريب التهذيب: (٥٠٤).

(٣) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (١٩٨ / ١)، والطبري في جامع البيان: (١٦٣ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٢ / ٤)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إلى ابن المنذر، ورواية مجاهد إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، ورواية قتادة إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٢٥٦ / ٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٢٩ / ١).

(٥) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٤٨٩).

(٦) ينظر: جامع البيان: (١٢٣ / ٧).

(٧) ينظر: بحر العلوم: (٤٣٩ / ١).

(٨) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٦ / ١).



وابن أبي زمنين^(١)، والثعلبي^(٢)، والماوردي^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)،
والبغوي^(٦)، والزنجشيري^(٧)، وابن عطية^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، والفخر الرازي^(١٠)،
ومحمود النيسابوري^(١١)، والبيضاوي^(١٢)، والنسفي^(١٣)، وابن جزي الكلبي^(١٤)، وأبي
حيان^(١٥)، وابن كثير^(١٦)، وابن القيم^(١٧)، والثعالبي^(١٨)، وابن عادل^(١٩)، والبقاعي^(٢٠)،

- (١) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٦١ / ٢).
- (٢) ينظر: الكشف والبيان: (١٤٠ / ٤).
- (٣) ينظر: النكت والعيون: (١٠٠ / ٢).
- (٤) ينظر: الوجيز: (٣٤٧ / ١).
- (٥) ينظر: تفسير السمعاني: (٩٣ / ٢).
- (٦) ينظر: معالم التنزيل: (١٣ / ٢).
- (٧) ينظر: الكشاف: (١٠ / ٢).
- (٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٠ / ٦).
- (٩) ينظر: زاد المسير: (١٤ / ٣).
- (١٠) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٧٨ / ١٢).
- (١١) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: (٢٩٠ / ١).
- (١٢) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٩٦ / ١).
- (١٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٦ / ٢).
- (١٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٥ / ٢).
- (١٥) ينظر: البحر المحيط: (٩٦ / ٤).
- (١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٠ / ٢).
- (١٧) ينظر: تحفة المودود بأحكام المولود: (٢٩٦).
- (١٨) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٦٩ / ١).
- (١٩) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٦٦ / ٨).
- (٢٠) ينظر: نظم الدرر: (٤٣ / ٧).

والسيوطي^(١)، والشوكاني^(٢)، والآلوسي^(٣)، والشنقيطي^(٤)، والسعدي^(٥).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: بالنظر القرآني قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]:
أي بَلِّغْ ما أنزل إليك من القرآن^(٦).

ثانياً: الأحاديث النبوية الدالة على أن التبليغ يكون بما جاء به الرسول ﷺ من الوحي، فعن عبدالله بن عمرو^(٧) عن النبي ﷺ قال: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..)^(٨)، فقوله ولو آية: أي من القرآن.

ثالثاً: السياق القرآني: فظاهر نظم الآية يتحدث عن القرآن وأنه وحي من الله للندارة لكم ولكل من بلغه القرآن قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] والواو للعطف، وأنذر من بلغه القرآن^(٩).

(١) ينظر: الجلالين (١٠٦)، الدر المنثور: (٢٥٦/٣).

(٢) ينظر: فتح القدير: (١٠٦/٢).

(٣) ينظر: روح المعاني: (١١٩/٧).

(٤) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٥/١).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٣/١).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٢٨/١).

(٧) هو: عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب أبو جابر الأنصاري، من أصحاب النبي ﷺ، والد جابر بن عبدالله، شهد العقبة ويدرأً وأحدأً واستشهد في أحد. ينظر: الثقات: (٢٢١/٣)، والاستيعاب: (٣/٩٥٤)، سير أعلام النبلاء: (١/٣٢٤)، والإصابة: (٤/١٨٩).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: (٣/١٢٧٥) برقم (٣٢٧٤).

(٩) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٥٩)، وإملاء ما من به الرحمن: (١/٢٣٨).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بمن بلغ: أي من بلغ الحلم^(١). ولم أر - حسب اطلاعي - أحداً من المفسرين قال بهذا القول. وهذا دليل على ضعفه ووهنه، واستبعده ابن جزي الكلبى حيث قال بعد ذكره: «وهو بعيد»^(٢) ولا يتلاءم مع السياق القرآني.

وإذا ثبت هذا فإن ما اختاره القرطبي في تفسير الآية هو القول الراجح، وتنطبق عليه جملة من القواعد الترجيحية:

تواترت عليه أقوال جماهير المفسرين^(٣)، والقاعدة " أن قول جمهور السلف مقدم على غيره"^(٤).

وقاعدة: " وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما يخالفه"^(٥).

وقاعدة: " وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه"^(٦)، والله أعلم.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٧/٨).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٥/٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٠/٦) والجواهر الحسان: (٤٦٩/١).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٢٨/١).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢٠٦/١).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥/١).



قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٢- مسألة في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾

قال القرطبي - : « ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ في موضع الخبر، أي: يعرفون النبي ﷺ، عن الحسن^(١) وقتادة^(٢)، وهو قول الزجاج^(٣).

وقيل: يعود على الكتاب، أي: يعرفونه على ما يدل عليه، أي: على الصفة التي هو بها من دلالة على صحة أمر النبي ﷺ وآله «أ. هـ»^(٤)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الضمير يعود على النبي ﷺ، وقد وافق في اختياره هذا المروي عن قتادة، والسدي، وابن جريج^(٥)، وخصيف^(٦)،

- (١) لم أجد في الكتب الأربعة - بحسب اطلاعي -، وذكره الماوردي في النكت والعيون: (١٠٠ / ٢).
- (٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٠ / ١)، والطبري في جامع البيان: (١٤٦ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٣ / ٤)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣٥٦ / ١).
- (٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٣٤ / ٢).
- (٤) الجامع لأحكام القرآن: (٣٣٩ / ٨).
- (٥) ابن جريج هو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي، مولى أمية بن خالد بن أسيد القرشي، له كنيان أبو الوليد، وأبو خالد، وكان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتقنيهم وكان يدلّس، (ت: ١٥٠ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد: (١٤٩١ / ٥)، والثقات: (٩٣ / ٧)، تقريب التهذيب: (٣٦٣).
- (٦) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٠ / ١)، والطبري في جامع البيان: (١٤٦ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٣ / ٤)، وعزاه السيوطي رواية السدي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٥٨ / ٣)، ورواية ابن جريج إلى ابن المنذر، كما في الدر المنثور: (٢٧٠ / ١).



وبه قال الفراء^(١)، والطبري^(٢)، والزجاج^(٣)، والسمرقندي^(٤)، والنحاس^(٥)، وابن أبي
زمنين^(٦)، والثعلبي^(٧)، والواحدي^(٨)، والبغوي^(٩)، والزخشري^(١٠)، وابن عطية^(١١)،
وابن الجوزي^(١٢)، والفخر الرازي^(١٣)، ووافقه البيضاوي^(١٤)، والنسفي^(١٥)، ونظام
الدين النيسابوري^(١٦)، وابن كثير^(١٧)، والثعالبي^(١٨)، والسيوطي^(١٩)، والآلوسي^(٢٠)،

- (١) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٩/١).
- (٢) ينظر: جامع البيان: (١٤٦/٧).
- (٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٣٤/٢).
- (٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٣٩/١).
- (٥) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٦/١).
- (٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٦٢/٢).
- (٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٤٠/٤).
- (٨) ينظر: الوجيز: (٣٤٧/١).
- (٩) ينظر: معالم التنزيل: (١٤/٢).
- (١٠) ينظر: الكشف: (١٣/٢).
- (١١) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٢/٦).
- (١٢) ينظر: تذكرة الأريب: (١٥٧/١).
- (١٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٩٠/١٢).
- (١٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٩٦/١).
- (١٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٦/٢).
- (١٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٦٠/٣).
- (١٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٢٦/٢).
- (١٨) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٧٠/١).
- (١٩) ينظر: الجلالين (١٠٦).
- (٢٠) ينظر: روح المعاني: (١١٩/٧).

والقاسمي^(١)، ومحمد رشيد رضا^(٢).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: أن الله تعالى أخبر في القرآن أن نبوة محمد ﷺ مذكورة في التوراة والإنجيل، وأن نعته في كتبهم واضح ظاهر، وأن أنبيائهم بشر وهم بالرسول ﷺ، قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: ٦] ولم يذكر نزول القرآن، فكان صرف هذا المعرفة إلى النبوة أولى من صرفها إلى الكتاب والقرآن^(٣).

ثانياً: الأثر المروي عن عمر بن الخطاب ﷺ حينما قال لعبدالله بن سلام: (أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه، إلى أمينه في أرضه، بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه)^(٤)

ثالثاً: سباق الآية: فالضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعود إلى النبي ﷺ لقرب قوله ﴿وَأُوْحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٩].^(٥)

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الضمير في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ يعود على الكتاب وهو القرآن، والمراد يعرفون أن القرآن من عند الله، ويعرفون ما تضمنه مما أخبرت به كتبهم، وانفرد بهذا القول ابن

(١) ينظر: محاسن التأويل: (٦/ ٤٨٥).

(٢) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٣٤٣).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٣٤٣).

(٤) هذا الأثر ذكره النحاس في معاني القرآن: (١/ ٣٢٦)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٢/ ١٣)، وعزاه السيوطي إلى السدي الصغير، عن الكلبي، عن ابن عباس ﷺ كما في الدر المنثور: (١/ ٣٥٧).

والسدي الصغير، والكلبي، كلاهما متهم بالكذب ينظر: تقريب التهذيب: (٤٤٠)، (٤١٥) وعليه فالأثر ضعيف من جهة السند، أما معناه فيستأنس به في تأييد المعنى المذكور.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٦/ ٢٢).

عاشور^(١).

وحجته السياق، وذلك لما تقدم ذكر القرآن في قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾ كان رجوع الضمير إليه فهو أقرب مذكور.

ومما قيل اعتراضاً على هذا القول: «وجاز الإضمار، وإن لم يسبق له ذكر، لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع، ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه - ﷺ - لشهرته وكونه علماً معلوماً بغير إعلام»^(٢)

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا ترجيح^(٣).

يتبين مما سبق أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح وهو القول المختار إذ هو قول جمهور المفسرين^(٤).

والقاعدة تنص على أن "قول جمهور السلف مقدم على كل تفسير"^(٥).
"وهو القول الذي تؤيده آيات قرآنية"^(٦). والله أعلم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٤٩ / ٦).

(٢) ينظر: الكشاف: (٢٣٠ / ١).

(٣) كالماوردي في النكت والعيون: (١٠٠ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٥ / ٣) وأبي حيان في البحر المحيط: (٩٦ / ٤)، والشوكاني في فتح القدير: (١٠٦ / ٢).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٠ / ٦) والجواهر الحسان: (٤٦٩ / ١).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٨٨ / ١).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (٣١٢ / ١).



قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [٢٣] أَنْظَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنعام: ٢٣-٢٤]

في الآيتان الكريمتان مسألتان:

١٣- المسألة الأولى: القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ

فِتْنَتَهُمْ ﴾.

قال القرطبي ~ : « في قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ ﴾ خمس قراءات^(١): قرأ حمزة
والكسائي^(٢) " يكن " بالياء، " فتنتهم " بالنصب خبر " يكن "، " إلا أن قالوا " اسمها،
أي إلا قولهم. وهذه قراءة بينة.

وقرأ أهل المدينة^(٣) وأبو عمرو: " تكن " بالتاء، " فتنتهم " بالنصب، " إلا أن
قالوا " أي: إلا مقالتهم^(٤) ...

(١) ثلاث منها متواترة، والباقي شاذة وهما: قراءة أبي وابن مسعود: " وما كان " بدل قوله: " ثم لم تكن "، " فتنتهم إلا أن قالوا ". ونسبها ابن عطية إلى النحاس كما في المحرر الوجيز: (٢٥/٦)، وأبو حيان في البحر المحيط: (٩٥/٤)، وهي من القراءات الشواذ كما بين ذلك ابن خالويه: (٤٢).

والثانية: " ثم لم يكن " بالياء، " فتنتهم " بالرفع، ويذكر الفتنة لأنها بمعنى الفتون، ومثله: ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ [البقرة: ٢٧٥] للأعمش من رواية المفضل، ذكرها ابن خالويه في مختصره في شواذ القرآن: (٤٢)، واللباب: (٧٤/٨) وهما الثالثة، والخامسة التي ذكرها القرطبي.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر: (٢٥٧/٢)، والتبصرة في القراءات: (١٩١)، التيسير في القراءات السبع: (١٠٢/١)، وإعراب القراءات السبع وعللها: (١٥٣/١)، والحجة في القراءات السبع: (١٣٦/١).

(٣) يقصد بها الإمام نافع وراويه.

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر: (٢٥٧/٢) والتبصرة في القراءات: (١٩١)، التيسير في القراءات السبع: (١٠٢/١)، وإعراب القراءات السبع وعللها: (١٥٣/١)، والحجة في القراءات السبع: (١٣٦/١).



وقرأ ابن عامر^(١)، وعاصم من رواية حفص^(٢)... والحسن وقتادة وغيرهم: "ثم لم تكن" بالتاء، "فتنتهم" بالرفع اسم "تكن"، والخبر: "إلا أن قالوا"^(٣)...^(٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قراءة حمزة والكسائي وهي ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] بالياء في يكن، والنصب في فتنتهم.

بحيث يكون "أن قالوا" اسم يكن. والمعنى لم يكن فتنتهم إلا قولهم^(٥).

وعلى هذا جاءت الآثار المروية في معنى قوله ﴿فِتْنَهُمْ﴾: أي ثم لم يكن قولهم، عن ابن عباس رضي الله عنه، وقتادة، والضحاك^(٦).

وقد وافق القرطبي في اختياره الطبري^(٧) النحاس^(٨)، وابن الأنباري^(٩).

(١) ابن عامر هو: عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي، الدمشقي المقرئ، أبو عمران، وقيل غير ذلك في كنيته، ثقة من الثالثة. (ت: ١١٨ هـ) وله سبع وتسعون سنة على الصحيح. ينظر: الثقات: (١٣٧/٥)، وتقريب التهذيب: (٣٠٩)، والكاشف: (١/٥٦٤).

(٢) حفص هو: حفص بن سليمان الأسدي، أبو عمر البزاز الكوفي الغاصري، وهو القارئ صاحب عاصم، ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة من الثامنة (ت: ١٨٠ هـ). ينظر: المجروحين: (١/٢٥٥)، تقريب التهذيب: (١٧٢)، والكاشف: (١/٣٤١).

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: (٢/٢٥٧) والتبصرة في القراءات: (١٩١) التيسير في القراءات السبع: (١/١٠٢)، وإعراب القراءات السبع وعللها: (١/١٥٣)، والحجة في القراءات السبع: (١/١٣٦).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٤٣).

(٥) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: (٢/١٣٤) كشف المشكلات وإيضاح العضلات: (١/٤٢٨).

(٦) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢٠٠)، والطبري في جامع البيان: (٧/١٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٧٣٠) وعزاه السيوطي رواية ابن عباس رضي الله عنه إليهما كما في الدر المنثور: (٣/٢٥٨).

(٧) ينظر: جامع البيان: (٧/١٦٦).

(٨) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٦٠).

(٩) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (١/٣١٦).



وابن عطية^(١)، ووافقه ابن عادل^(٢)، والآلوسي^(٣).

وحجتهم:

١ - ذكّر الفعل حين أسنده إلى مذكر.

٢ - أنه لما وقع بعد (كان) معرفتان، وكان أحدهما أعرف جعله اسم كان، وهو (أن) وما بعدها، وإنما كانت أعرف لأنها لا توصف، كما لا يوصف المضمر، فأشبهت المضمر، والمضمر أعرف المعارف، وكون الأعراف اسم كان أولى مما هو دونه في التعريف. ولأنها لا تتنكر أبدا كما تتنكر الفتنة لا سيما إذا قرئ بالياء فهو أقوى في نصب " الفتنة " لأنه قد بان أن الفعل لـ " القول " بالتذكير^(٤).

وفي الآية قراءات أخرى منها:

القراءة الثانية: قراءة نافع، وأبي عمرو، وعاصم من رواية أبي بكر: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ بالتاء في " تكن "، والنصب في " فتنهم " .

والمعنى: ثم لم تكن فتنتهم إلا معذرتهم، لأنهم حملوا " أن قالوا " على المقالة، والمقالة مؤنثة، أو على الفتنة وهي مؤنثة^(٥)، وفي التنزيل ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾. وهذا المعنى روي عن قتادة^(٦)، واختار هذه القراءة مكي القيسي^(٧).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ٢٥).

(٢) ينظر: اللباب: (٨/ ٧٢).

(٣) ينظر: روح المعاني: (٧/ ١٢٣).

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: (١/ ٤٢٧)، والبيان في غريب إعراب القرآن: (١/ ٣١٦) ومشكل إعراب القرآن: (١/ ٢٤٨).

(٥) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: (٢/ ١٣٤) كشف المشكلات وإيضاح العضلات: (١/ ٤٢٨).

(٦) أخرج هذا الأثر الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٦٦).

(٧) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: (١/ ٤٢٧)، ومشكل إعراب القرآن: (١/ ٢٤٨).



وحجتهم:

أن نصب الفتنة هي القول بمعنى العذر. قال مكي القيسي: « والاختيار القراءة بالتاء، ونصب " الفتنة " لأنها هي القول بمعنى العذر، ولأن " أن " وما بعدها أعرف، وعلى ذلك أكثر القراء »^(١).

وهذا عند أهل العربية شاذ غير فصيح في الكلام^(٢)

القراءة الثالثة:

قراءة ابن عامر، وابن كثير من رواية قنبل^(٣)، وعاصم من رواية حفص: " ﴿ تَمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ بالتاء في تكن، والرفع في فتنتهم.

بحيث تكون الفتنة اسم " تكن "، والخبر: " إلا أن قالوا "، وأثبت بذلك علامة التأنيث في الفعل المسند إليه الفتنة^(٤).

واختار هذه القراءة أبو علي الفارسي^(٥)، وابن خالويه^(٦).

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: (٤٢٧/١).

(٢) ينظر: جامع البيان: (١٦٦/٧).

(٣) هو أبو عمر محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومي مولاهم مكي، (١٩٥هـ)، وقنبل لقب غلب عليه، وإنما سمي بذلك لأنه كان يستعمل دواء يقال له قنبل -معروف عند العطارين- لمرض كان به فسمي بذلك، وقيل: بل هو من قوم يقال لهم القنابلة من أهل مكة، ولو كان كذلك ل قيل له قنبل، (ت: ٢٩١هـ) عن ست وتسعين سنة. ينظر: معرفة القراء الكبار: (١/٢٣٠)، ومعجم الأدباء: (١١/٥).

(٤) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: (١٣٤/٢)، والحجة للقراء السبعة: (٢٨٨/٣) كشف المشكلات وإيضاح المضلات: (٤٢٨/١).

(٥) ينظر: الحجة للقراء السبعة: (٢٨٨/٣).

وهو: الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن سليمان، أبو علي الفارسي، احد زمانه في علم العربية كان كثير من تلامذته يقول هو فوق المبرد. (٣٧٧هـ). ينظر: تكملة الإكمال: (٥٢٤/٤)، ومعجم الأدباء: (٤١٣/٢).

(٦) ينظر: الحجة في القراءات السبع: (١٣٦/١).

فالحجة لمن قرأ بالتاء أنه أراد تأنيث لفظ "الفتنة" ورفعها.

وحجتهم:

١ - أنها لما كانت معرفة، وتقدمت القول جعلها اسم كان، و" أن قالوا " خبرها فأتى بالكلام في الإعراب على رتبته، من غير تقديم أو تأخير.

٢ - أن الكلام محمول فيها على اللفظ. قال أبو علي الفارسي بعدما ذكر قراءة النصب: « والرواية الأولى أوجه من حيث كان الكلام محمولاً فيها على اللفظ.. »^(١) ومن المفسرين من ذكر القراءات السابقة بلا اختيار^(٢).

ومن هنا يتبين أن القراءات السابقة قراءات متواترة صحيحة، إلا أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح والأفصح من جهة اللغة، ولإجرائها على القواعد من غير تأويل، قال ابن عادل: « فأما قراءة الأخوين^(٣) فهي أفصح هذه القراءات لإجرائها على القواعد من غير تأويل »^(٤).

وابن خالويه هو: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله النحوي الهمداني الحلبي الدار، وكان يلقب بذا النورين، وله تصانيف كثيرة منها شرح المقصورة الدريدية، والبديع في القرآن الكريم، وحواشي البديع في القراءات، (٣٧٠ هـ). ينظر: البداية والنهاية: (٢٩٧/١١)، والبلغة: (٩٠/١)، ومعجم الأدباء: (٩٩/٣).

(١) الحجة للقراء السبعة: (٢٨٨/٣).

(٢) كالزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢٣٥/٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٩٠/٢) والزخشي في الكشف: (١٤/٢)، والباقولي في كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: (٤٢٨/١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٦/٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٨٢/١٢)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٤٠٠/٢)، وابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل: (٥/٢)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم: (١٣٤/٢)، والشوكاني في فتح القدير: (١٠٧/٢).

(٣) المقصود بهما قراءة حمزة والكسائي.

(٤) ينظر: الباب: (٧٢/٨).



وهذا الذي تؤيده القاعدة المعتبرة " أنه يجب حمل كتاب الله على الأوجه
الإعرابية القوية والمشهورة " ^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٦٤٥).



١٤- المسألة الثانية: هل يقع الكذب في الآخرة؟ حين قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا

مُشْرِكِينَ﴾ وقال تعالى عنهم: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾

قال القرطبي ~ : «كذبوا» بمعنى: يكذبون، فعبر عنه بالماضي، وجاز أن يكذبوا في الآخرة؛ لأنه موضع دهش وحيرة وذهول عقل.

وقيل: لا يجوز أن يقع منهم كذب في الآخرة؛ لأنها دار جزاء على ما كان في الدنيا - وعلى ذلك أكثر أهل النظر - وإنما ذلك في الدنيا، فمعنى ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ على هذا: ما كنا مشركين عند أنفسنا...»^(١).

﴿الدراسة والترجيح:﴾

اختار القرطبي جواز وقوع الكذب على الله في الآخرة؛ وذلك أن المشركين حين رأوا أهل التوحيد يدخلون الجنة أقسموا ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقد وافق القرطبي في اختياره هذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وقاتدة، ومجاهد، وسعيد بن جبير^(١)، وهو قول الطبري^(٢)، والزجاج^(٣)، والنحاس^(٤)، والسمرقندي^(٥)، وابن أبي زمنين^(٦)، والثعلبي^(٧).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٤٢).

(٢) أخرج هذه الآثار الطبري في جامع البيان: (٧/١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٧٥)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إلى أبي الشيخ، وعزا رواية قتادة إلى عبد بن حميد، ورواية مجاهد إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ وابن المنذر، وابن أبي شيبه، وعزا رواية سعيد بن جبير إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٥٨) وينظر: تفسير مجاهد: (١/٢١٣).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٧/١٦٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٣٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن: (١/٢٣٧)، وإعراب القرآن: (٢/٦٠).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٨).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/٦٢).

(٨) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٤١).



والواحدي^(١)، والزنجشري^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، ووافقهم البيضاوي^(٤)،
والنسفي^(٥)، وابن جزى الكلبي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وأبو السعود^(٨)، والآلوسي^(٩)،
ومحمد رشيد رضا^(١٠).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي^(١١):

أولاً: جاء في ظاهر القرآن آيات صريحة تدل على وقوع الكذب في الآخرة منها:

• تشبيه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا وذلك في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] بعد قوله ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ [المجادلة: ١٤].

• أنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] مع أنه تعالى أخبر عنهم بقوله ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

• قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣] وكل ذلك يدل على إقدامهم في بعض الأوقات على الكذب.

(١) ينظر: الوجيز: (٣٤٨ / ١).

(٢) ينظر: الكشاف: (١١ / ٢). وقد خالف هنا أصحابه المعتزلة، ووافق أهل السنة.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٣ / ١٢).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٢٩٧ / ١).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٧ / ٢).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٦ / ٢).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (١٠٠ / ٤).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٥ / ٢).

(٩) ينظر: روح المعاني: (١٢٤ / ٧).

(١٠) ينظر: تفسير المنار: (٣٤٥ / ٧).

(١١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٣ / ١٢)، واللباب في علوم الكتاب: (٧٥ / ٨).



ثانياً: السياق القرآني: فإن أول النظم الكريم وآخره على بيان حالهم في الآخرة، ومن ذلك يتبين أنهم قالوا هذا في الآخرة، فسباق الآية دلّ على وقوع الكذب منهم في الآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١] وقال ﷺ في لحاقها: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فجاء اللفظ صراحة بأنهم كذبوا. (١)

ثالثاً: تفسير السلف بين وقوع الكذب في الآخرة. قال ابن عباس: قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قال: هنا في القيامة (٢)

قال ابن تيمية بعدما ذكر الآية: « وقد جاءت الأحاديث بأن الإنسان يجحد عمله يوم القيامة، حتى يشهد عليه سمعه وبصره وجوارحه قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢] » (٣)

-
- (١) ينظر: الكشف: (١١/٢) و مفاتيح الغيب: (١٨٣/١٢)، والبحر المحيط: (١٠٠/٤)، وإرشاد العقل السليم: (١٣٥/٢) وروح المعاني: (١٢٤/٧).
- (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٦٨/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٥/٤)، وعزاه السيوطي إلى الدر المنثور: (٢٨٥/٣).
- (٣) ينظر: مجموع الفتاوى: (٤٤٦/١٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنه لا يجوز وقوع الكذب في الآخرة . وأن قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ليس من باب الكذب على الله يوم القيامة، وإنما اعتقدوا وظنوا أنهم على صواب، ولم يكونوا ليكذبوا وقد عاينوا من العذاب والحقائق ما عاينوا^(١)، وعلى هذا الاعتبار فالكذب عدم مطابقة الخبر للمخبر لا اعتقاده صحة الخبر.

وهذا قول علي الجبائي^(١)، والقاضي عبد الجبار^(١)، وضعف هذا القول غير واحد من المفسرين^(١)

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: جاء في ظاهر القرآن آيات صريحة تدل على أنهم لا يكذبون قال تعالى ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٨٣).

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري شيخ المعتزلة كان رأساً في الفلسفة والكلام له مقالات مشهورة وتصانيف، وتفسير القرآن (ت: ٣٠٣هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (٩/١٨٥)، وطبقات المفسرين: (٤٢٨)، ومعجم المؤلفين: (١٠/٢٦٩).

(٣) هو: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمداني الأسدي، شيخ المعتزلة، له من التصانيف: "تنزيه القرآن عن المطاعن" و"طبقات المعتزلة" وكان فقيهاً، شافعي المذهب (٣٥٩-٤١٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٢٤٤)، وطبقات المفسرين: (١٨٣)، وشذرات الذهب: (٣/٢٠٣)، ومعجم المؤلفين: (٥/٧٨).

(٤) قال النحاس: «وهو قول مردود لأنه قال بعدها ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ وبين لك الغلط في هذا القول قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] وضعفه أيضاً الزمخشري في الكشاف: (٢/١١)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: (٢/١٣٥)، والآلوسي في روح المعاني: (٧/١٢٤).

ثانياً: استدلووا بأدلة عقلية منها: ()

١ - أن الناس يوم القيامة غير مكلفين، وهم عارفون الله تعالى بالاضرار، وإذا كان كذلك فإنه يقتضي ألا يقدم أحد منهم على الكذب.

٢ - أنهم لو كذبوا على الله تعالى يوم القيامة لا يزيدهم هذا إلا زيادة مقت وغضب الرب عليهم - فإنه سبحانه - عالم بأحوالهم مطلع على أفعالهم؛ وإذا كان كذلك فيمتنع إقدامهم على الكذب .

٣ - أن الدار الآخرة دار جزاء على ما كان في الدنيا وإذا كذبوا في الآخرة، ثم عوقبوا على هذا الكذب صارت الدار الآخرة دار تكليف؛ وبذلك يتعذر الكذب والإنكار . فثبت بهذه الوجوه أنه لا يجوز إقدام أهل القيامة على الكذب، وإذا ثبت هذا فيحمل قوله: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أي ما كنا مشركين في اعتقادنا ووطنونا وذلك لأن القوم كانوا يعتقدون في أنفسهم أنهم كانوا موحدين متباعدين من الشرك.

٤ - وأما قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فقالوا: باختلاف الحالين وأنهم في دار الدنيا كانوا يكذبون ولا يحترزون عنه، وأنهم في الآخرة يحترزون عن الكذب، ولكن حيث لا ينفعهم الصدق.

ويجاب عن أدلتهم بما يلي:

أولاً: استدلالهم بما جاء في القرآن بأنهم لا يكتمون الله حديثاً لا يعارض عدم كذبهم في الآخرة؛ ففي يوم القيامة تختلف المواطن والأحوال، فمثلاً: قبل شهادة الجوارح يكذبون، وبعد شهادة الجوارح لا يستطيعون الكذب. قال ابن جزري الكلبي: «فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن، فيكتم قوم ويقر آخرون ويكتمون في موطن ويقرون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل» (١).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٨٣)، واللباب: (٧٥/٨).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: (٦/٢).



ثانياً: أن قولهم ما كنا مشركين: في اعتقادنا وظنوننا. هذا مخالف للظاهر، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^(١)، وهذه طريقة المعتزلة في التفسير إذا رأوا ما يعارض معتقدهم لووا عنق الآيات، وصرفوها عن ظاهرها إلى ما يوافقهم.

ثالثاً: أن قوله بعد ذلك: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا﴾ بأنه محمول على كذبهم في الدنيا، يوجب تفكيك نظم الآية، وصراف أول الآية إلى أحوال القيامة، وصراف آخرها إلى أحوال الدنيا وهو في غاية البعد^(٢).

إذا تقرر ذلك فإن ما اختاره القرطبي من حمل الآية على ظاهرها، وأن الكذب يقع من الكفار يوم القيامة هو القول الصحيح الذي لا يجوز غيره، وهو القول الذي قال به جمهور المفسرين^(٣)، ونظائره في السور المكية كثيرة^(٤) وهذا ينطبق على جملة من القواعد المعتبرة وهي:

" أن تفسير السلف مقدم على كل تفسير "^(٥).

" وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم "^(٦).

أما الآيات فنفسر باختلاف المواضع والمواطن. قال القرطبي: « ولا معارضة ولا تناقض فهم لا يكتمون الله حديثاً في بعض المواطن، إذا شهدت عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بعملهم، ويكذبون على أنفسهم في بعض المواطن قبل شهادة

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٣٧/١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٣/١٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٣/١٢)، والبحر المحيط: (١٠٠/٤)، وروح المعاني: (١٢٤/٧).

(٤) قال ﷺ في سورة غافر: ﴿تَمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) [غافر: ٧٣-٧٤].

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٢٨/١).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (٢٧١/١).

الجوارح على ما تقدم والله أعلم»^(١).

ويؤيد هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتاه رجل فقال: (يا ابن عباس سمعت الله يقول ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال: أما قوله ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجحد فيجحدون؛ فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا، فهل في قلبك الآن شيء؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا ونزل فيه شيء، ولكن لا تعلمون وجهه^(٢). والله أعلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٤٢/٨).

(٢) ينظر تفسير ابن كثير (١٢٨/٢)، والبرهان في علوم القرآن: (٣٧/٢)، والإتقان: (٥٣٣)، ودفع إيهام الاضطراب: (٨٣).



قال تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦)

[الأعام: ٢٦]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٥ - المسألة في مرجع الضمير في ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ وتأويلها.

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾ النهي: الزجر، والنأي: البعد، وهو عام في جميع الكفار أي ينهون عن اتباع محمد ﷺ وينأون عنه. عن ابن عباس^(١) والحسن^(٢).

وقيل: هو خاص بأبي طالب؛ ينهى الكفار عن إيذاء محمد ﷺ، ويتباعد عن الإيمان به. عن ابن عباس أيضا^(٣) «١.هـ»^(٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن مرجع الضمير في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ عائد على جملة الكفار المتقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٥) [الأعام: ٢٥].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٧/٤)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٢٦٠/٣)، وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته: (٣٧٠/١).

(٢) لم أجده - بحسب اطلاعي القاصر - في الكتب الأربعة، وغالباً ما ينسب القرطبي إليه، ولا يوجد له أثر.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١٩٩/١)، والطبري في جامع البيان: (١٧٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٧/٤)، والواحدي في أسباب النزول: (٢٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٣٣/١٢)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين: (٣٤٥/٢)، وسعيد بن منصور في سننه: (١٠/٥)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي كما في الدر المنثور: (٢٦٠/٣)، وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في السنة: (٣٧١/١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٣٤٧/٨).



وأن مرجع الضمير الثاني وهو قوله ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: ينهون عن اتباع محمد ﷺ.
وقد وافق في ذلك المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ومحمد بن الحنفية ^(١)، والسدي ^(٢)،
وهو ما رجحه الطبري ^(٣)، والنحاس ^(٤)، وابن عطية ^(٥)، والفخر الرازي ^(٦)، وابن أبي
الحسن النيسابوري ^(٧)، وابن كثير ^(٨)، وابن عادل ^(٩)، واختاره السمرقندي ^(١٠)، وابن
أبي زمنين ^(١١)، والواحدي ^(١٢)، والسمعاني ^(١٣)، والبغوي ^(١٤)، والسيوطي ^(١٥).

ومن المفسرين من قال: ينهون عن القرآن والاستماع إليه والإيمان به، وهذا

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٧٧/٤)، وعزاه السيوطي
إلى ابن المنذر، وابن أبي شيبة كما في الدر المنثور: (٢٦١/٣).

وهو: محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، أبو محمد الهاشمي المدني، أخوه عبدالله بن
محمد سمع من جابر بن عبدالله، روى عنه الزهري وعمرو بن دينار، مات في ولاية عبدالمملك بن مروان
(١٨٣هـ) ينظر: تاريخ مدينة دمشق (٣٧٧/١٣)، وطبقات ابن سعد: (٦١/٥)، والوفيات: (٩٣/١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٢/٧).

(٣) ينظر: جامع البيان: (١٧٢/٧).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (٣٢٧/١) وقال: «والأول أشبه لأنه متصل بأخبار الكفار وقولهم».

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٩/٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٨/١٢).

(٧) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: (٢٩١/١).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٢/٢).

(٩) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٧٨/٨).

(١٠) ينظر: بحر العلوم: (٤٤٠/١).

(١١) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٦٣/٢).

(١٢) ينظر: الوجيز: (٣٤٩/١).

(١٣) ينظر: تفسير السمعاني: (٩٦/٢).

(١٤) ينظر: معالم التنزيل: (١٦/٢).

(١٥) ينظر: الجلالين: (١٠٧).



مروي عن قتادة، ومجاهد^(١)، واختاره ابن جزى الكلبي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، وأبو
السعود^(٤)، والآلوسي^(٥)، ومحمد رشيد رضا^(٦).

وحجتهم أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو القرآن في الآية التي قبلها وهي
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] وهو المشار إليه
بقولهم ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ومن المفسرين من جمع بين المعنيين باعتبارهما شيئاً واحداً كالزخشي^(٧)،
والبيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، والثعالبي^(١٠)، والشوكاني^(١١)، والبقاعي^(١٢).

فالمشركون يكمن مرادهم في نهي الناس عن الحق؛ سواء كان تصديق الرسول
ﷺ واتباعه، أو الانقياد للقرآن الذي جاء به والإيمان به، فليس بين القولين تعارض،
وكلاهما مراد.

(١) أخرجهما: عبدالرزاق في تفسيره: (١/١٩٩)، ومجاهد في تفسيره: (١/٢١٤)، والطبري في جامع البيان:
(٧/١٧٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٧٧)، وعزا السيوطي رواية مجاهد إلى ابن أبي شيبة، وابن
المنذر، وعبد بن حميد، وعزا رواية قتادة إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما الدر المنثور: (٣/٢٦١).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٦/٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٠٤).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٣٧).

(٥) ينظر: روح المعاني: (٧/١٢٦).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٧/٣٤٨).

(٧) ينظر: الكشاف: (٢/١٢).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٢٩٧).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٨).

(١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٧١).

(١١) ينظر: فتح القدير: (٢/١٠٨).

(١٢) ينظر: نظم الدرر: (٧/٨٥).



ويكون المعنى على هذا القول أن كفار قريش ينهون الناس عن الرسول واتباعه، ويشطونهم عن الإيمان به، واستماع التنزيل وتدبره، ويتباعدون عنه بأنفسهم.

واستدل القائلون بهذا القول:

بالسياق القرآني، فسباق الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله ﷺ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ خبراً عنهم إذ لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم.

ولحاق الآية في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا أَلَيْسَ لَنَا نَارٌ وَلَا نَكُذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] عام في جميعهم دون أن يكون خبراً عن خاصٍ منهم^(١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الضمير يعود على خاص منهم، وفي بعض الكفرة نزلت الآية، كالقول بأنها في أبي طالب، أو فيه وفي أمثاله^(٢). والمعنى: وهم ينهون عنه من يريد أذيته ﷺ، ثم هم يتعدون عنه، ولا يؤمنون به^(٣)، وهذا المعنى صحيح في نفسه، ويؤيده موقف أبي طالب من النبي ﷺ كما هو مبين في السيرة النبوية^(٤).

وهذا القول مروى عن ابن عباس من رواية أخرى له، وعن القاسم بن مخيمرة^(٥)،

(١) ينظر: جامع البيان: (١٧٢/٧) ومعاني القرآن: (٣٢٧/١) والمححر الوجيز: (٢٩/٦) وتفسير القرآن العظيم: (١٣٢/٢) والبحر المحيط: (١٠٤/٤) وروح المعاني: (١٢٦/٧) وتفسير المنار: (٣٤٨/٧).

(٢) قال ابن عباس: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ نزلت في أبي طالب كان ينهي المشركين أن يؤذوا محمداً وينأي عما جاء به.

(٣) ينظر: جامع البيان: (١٧٢/٧).

(٤) ينظر: السيرة لابن هشام: (٢٦٤/١). البداية والنهاية: (١٢٦/٣).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٣/٧)، والواحدي في أسباب النزول: (٢٠٩)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٦٠/٣).

وعن عطاء بن دينار^(١)، واختاره مكى القيسي^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، والبلنسي^(٤).

إلا أن هذا القول في هذه الآية يعترض عليه من وجوه منها:

الأول: أن اللفظ في الآية الكريمة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ جاء بصيغة الجمع، وأبو طالب مفرد، فيصبح الضمير كناية عن واحد وهو خلاف الظاهر، ولو أراد أبا طالب لقال "وهو ينهى عنه" كما أن قوله تعالى ﴿وَهُمْ﴾ عائدة على جماعة الكفار المتقدم ذكرهم في قوله: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ لا يساعد على هذا التخصيص؛ لأنهم جميعهم لم يكن ينهى عن أذيته ﷺ.

وكذلك لحاق الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا أَيْلَيْنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذَبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٧) فهي عامة في جميع الكفرة^(٥).

قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية: قول من قال تأويله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن اتباع محمد ﷺ من سواهم من الناس، ﴿وَيَنْتَوَتْ﴾ عن أتباعه؛ وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله

وهو: القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي كنيته أبو عروة، نزيل دمشق، كان من خيار الناس (١٠٠ هـ).
ينظر: الثقات: (٣٣٢/٧)، وسير أعلام النبلاء: (٢٠١/٥)، وتقريب التهذيب: (٤٥٢)، وشذرات الذهب: (١٤٤/١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٣/٧)، والواحدي في أسباب النزول: (٢٠٩).

وهو: عطاء بن دينار الهذلي مولاهم أبو الريان، وقيل: أبو طلحة المصري، صدوق؛ إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفة (١٦٢ هـ). ينظر: التاريخ الكبير: (٤٧٣/٦)، والثقات: (٢٤٥/٧)، والكاشف (٢١/٢)، وتقريب التهذيب: (١٣٩).

(٢) ينظر: تفسير المشكل: (١٦٠).

(٣) ينظر: تذكرة الأريب: (١٥٧/١).

(٤) ينظر: تفسير مبهمات القرآن: (٤٢٤/١).

وهو: محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي المعروف بالبلنسي أبو عبدالله مفسر، من علماء غرناطة (٧٢٤-ت: ٧٨٢ هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي: (٤٤٣)، ومعجم المؤلفين: (٣٠٥/١٠).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٩/١٢)، واللباب في علوم الكتاب: (٧٨/٨).



ﷺ والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ خبراً عنهم إذ لم يأتنا ما يدل على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدل على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله ﷺ دون أن يكون خبراً عن خاص منهم» اهـ^(١).

الثاني: يأباه النظم القرآني فلو حملناه على أن أبا طالب كان ينأى عن إيذائه لما حصل تناسق في النظم، فالله تعالى قال بعد ذلك ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ فلا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ النهي عن أذيته لأن ذلك حسن لا يوجب الهلاك^(٢).

يتبين مما سبق أن الذي اختاره القرطبي هو الأرجح، وهو أصح الأقوال للأدلة المتقدم ذكرها، وهو القول الذي تنطبق عليه جملة من القواعد الترجيحية:

" أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه " ^(٣).
" ويجب حمل نصوص الوحي على العموم " ^(٤) والله أعلم.

(١) جامع البيان: (١٧٢/٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٨٩)، واللباب في علوم الكتاب: (٧٨/٨).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٥٢٧/٢).



قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكَوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

[الأعام: ٢٧]. ﴿٢٧﴾

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٦- المراد بوقوفهم على النار في قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

قال القرطبي ~ : « عَلَى النَّارِ ﴾ أي: هم فوقها على الصراط، وهي تحتهم.

وقيل: "على" بمعنى الباء، أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها.

وقال الضحاك: يعني جمعوا على أبوابها^(١). ويقال: وقفوا على متن جهنم، والنارُ

تحتهم.

وفي الخبر: (أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم، كأنها متن إهالة إهالة^(٢))، ثم ينادي مناد: خذي أصحابك ودعي أصحابي^(٣).

وقيل: "وقفوا": دخلوها - أعادنا الله منها - ف"على" بمعنى "في" أي: وقفوا في النار. «ا.هـ»^(٤).

(١) لم أجد - بحسب اطلاعي - في الكتب الأربعة، وذكره السمرقندي في بحر العلوم: (١/٤٤١).

(٢) الإهالة: الدسم، وقال أبو زيد: الشحم أو الزيت، وقال ابن عبد البر في التمهيد: الإهالة يعني الودك الذي يجمد على القدر من المرققة: وقال أبو عبيد الإهالة: ما أذيب من الألية والشحم. ومتن الإهالة ظهرها إذا سكبت في الإناء فإنها شبه كعب سكون جهنم قبل أن يصير الكفار في جوفها بذلك.

ينظر: غريب الحديث: (٢/٤٩٩)، وشعب الإيمان: (١/٣٣٨)، وغريب الحديث لابن الجوزي

(١/٤٨) والتمهيد: (٦/٣٥٦)، وتهذيب اللغة: (٦/٢٢٠)، ولسان العرب: (١١/٣٢) مادة أهل.

(٣) أخرجه بنحوه: الطبري في جامع البيان: (١٦/١٠٩) وابن أبي شيبة في مصنفه: (٧/٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/٣٣٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٦/٣٥٦).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٥١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بوقوفهم على النار هو وقوفهم على الصراط والنار تحتهم. وهذا المروي عن مقاتل^(١)، والواحدي^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول: بالأثر المتقدم المروي عن كعب الأحبار، وفيه وقوف الناس كلهم على متن جهنم^(٣).

ويُعرض عليه:

بأن ما جاء في الأثر من وقوفهم على الصراط هو لعموم الناس. قال تعالى ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١] وهو عبور الصراط المنسوب على ظهر جهنم، المؤمن والكافر البر والفاجر، ثم ينجي الله المؤمنين ويهوي بالكافرين.

أما ما جاء في سياق هذه الآية فهو يبين أن المخاطبين هم أهل النار من الكفار، وعطف عليها بقوله ﴿فَقَالُوا﴾ بالفاء المفيدة للتعقيب، لأن ما شاهدوه من الهول قد علموا أنه جزاء تكذيبهم، فعجلوا فتمنوا أن يرجعوا^(٤).

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم: (١/٤٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٢٢).

(٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٤٩).

(٣) متن جهنم: الصراط؛ ففي الحديث: (.. فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط، وهو جسر على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي، ومنهم الماشي، ومنهم من يجبو حبواً، ومنهم المكدوس على وجهه في النار). ينظر: أضواء البيان: (٣/٧٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: (٦/٦١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بوقوفهم على النار يعني في النار.

وإلى ذلك ذهب الزجاج^(١)، وبه قال الطبري^(٢)، والشعبي^(٣)، والسمعاني^(٤)،
والبغوي^(٥)، والفخر الرازي^(٦)، وابن عادل الحنبلي^(٧).

واستدل أصحاب هذا القول:

أولاً: أن "على" تأتي بمعنى في كما قال عَلَيْكَ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ
سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢] يعني في ملك سليمان^(٨)، والمعنى أنهم يكونوا غائصين في النار لأن
النار دركات وطبقات، بعضها فوق بعض، فهم في جوف النار، وبعضهم أعلى من
بعض فيصح معنى الاستعلاء^(٩).

ثانياً: سياق الآية ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ وهذا يعني أنهم ذاقوا
عذابها فتمنوا أن يردهم الله تعالى. وقال سبحانه في لحاقها ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ﴾ [الأعام: ٣٠].

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٢٣٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/ ١٧٤).

(٣) ينظر: الكشف والبيان (٤/ ١٤٢).

(٤) ينظر: تفسير السمعي (٢/ ٩٧).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٢/ ١٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٢٩١).

(٧) ينظر: اللباب (٨/ ٩٠).

(٨) ينظر: جامع البيان (٧/ ١٧٤).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ١٩١).



القول الثالث: أن المراد بوقوفهم على النار: الوقوف بقربها ومعابنتها، ومعرفة حقيقتها.

وبهذا قال العز بن عبد السلام^(١)، والكرماني^(٢)، وابن كثير^(٣)، والبقاعي^(٤)، وأبو السعود^(٥)، والآلوسي^(٦).

واستدل أصحاب هذا القول: بأصل اللغة يقال: وقف فلان على الشيء: أي اطلع عليه، وعاینه^(٧).

ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة بلا ترجيح أو اختيار^(٨)

وبعد النظر والتأمل في الأقوال يتبين عدم معارضة بعضها لبعض، فكل واحد منها له وجه من الصحة؛ إلا أن الذي يظهر رجحانه هو القول الثاني. قال

(١) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام: (٤٣٤/١).

والعز هو: عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب السلمي، أحد الأئمة الأعلام، إمام عصره القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، (٥٨٧هـ، ت: ٦٦٠هـ) بمصر، ودفن بالقرافة. ينظر: تاريخ الإسلام: (٤٨/٤١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٢٠٩/٨).

(٢) ينظر: غرائب التفسير: (٣٥٦/١).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٢/٢).

(٤) ينظر: نظم الدر: (٨٦/٧).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٣٨/٢).

(٦) ينظر: روح المعاني: (١٢٨/٧).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة مادة وقف: (٣٦٠/٩)، والمعجم الوسيط: (١٠٥١/٢)، معجم الأفعال المتعديه بحرف: (٤٣٩/١)، وتاج العروس: (٤٧٥/٢٤).

(٨) كالتحسب في معاني القرآن: (٣٢٨/١)، والماوردي في النكت والعيون: (١٠٥/٢)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٣٠/٦)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٢٢/٣)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٢٩٧/١) والنسفي في مدارك التنزيل: (٨/٢) وابن جزى الكلبي في التسهيل: (٦/٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان: (٤٧١/١).



الزجاج: « **﴿وَقُفُوا عَلَى النَّارِ﴾** تحتل ثلاثة أوجه: جائز أن يكونوا عاينوها، وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم، والأجود أن يكون معنى وقفوا على النار أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها..»^(١) وهو القول الذي يدل عليه السياق ؛ ودلالة السياق من أقوى الدلالات، والقاعدة الترجيحية تؤكد هذا وهي: " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنه " ^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٣٨).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).



قال تعالى ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨) [الأنعام: ٢٨].

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٧- إلام يعود الضمير في قوله ﴿عَلَيْكَ﴾: ﴿بَدَأَ لَهُمْ﴾؟

قال القرطبي ~ : « قيل: المراد المنافقون؛ لأن اسم الكفر مشتمل عليهم، فعاد الضمير على بعض المذكورين؛ قال النحاس: وهذا من الكلام العذب الفصيح^(١).
وقيل: المراد الكفار، وكانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا، وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفتن بهم ضعفاؤهم، فيظهر ذلك يوم القيامة » ا.هـ^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الضمير يعود على بعض المذكورين، وهم المنافقون، وقد وافق في اختياره هذا الثعلبي^(٣)، ووافقهما ابن كثير^(٤).

واحتج أصحاب هذا القول:

بأن في الآية الكريمة لفظ ﴿يُخْفُونَ﴾ وهؤلاء هم المنافقون الذين كانوا يخفون ويسرون الكفر والشر في الدنيا.^(٥) قال ابن كثير: « وهذا إخبار عن المنافقين في الدار الآخرة، فيظهر لهم حينئذ ما كانوا يبطنون من الكفر والشقاق، والله أعلم »^(٦).

(١) ينظر: إعراب القرآن: (٦٢ / ٢) قال: وهذا من كلام العرب الفصيح.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٥٤ / ٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٤٢ / ٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٢ / ٢).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٩٣ / ١٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٢ / ٢).

ويعترض على هذا القول بما يلي:

أولاً: أن السياق القرآني في المشركين الكافرين، والضمير في قوله ﴿هُم﴾ يعود على الذين ﴿وَقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ وهم الكفار الذين قالوا ﴿يَلَيْنَا نُرَدُّ﴾^(١).

ثانياً: أن ظهور النفاق إنما كان في المدينة، ومن حولها من الإعراب، وهذه السورة متفق على أنها مكية، فلم يكن في مكة نفاق حينئذ فلا يتناسب هذا القول ومضمون السورة المكية.

وقد ضعّف هذا القول غير واحد من المفسرين^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد هم الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفتن له ضعفاؤهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة.

وبهذا قال الطبري^(٣)، والزنجشري^(٤)، وابن عطية^(٥)، والفخر الرازي^(٦)، والنسفي^(٧)، وابن جزى الكلبي^(٨)، وأبو حيان^(٩)، وابن عادل^(١٠)، ومحمد رشيد رضا^(١١).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٣٢/٦)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٦/٢).

(٢) ينظر على سبيل المثال: المحرر الوجيز: (٣٢/٦)، التسهيل لعلوم التنزيل: (٦/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان: (١٧٦/٧).

(٤) ينظر: الكشاف: (١٣/٢).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٣٢/٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٩٣/١٢).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٨/٢).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٦/٢).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (١٠٨/٤).

(١٠) ينظر: الباب: (٩٦/٨).

(١١) ينظر: تفسير المنار: (٣٥٥/٧).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: أن إعادة الضمير إلى المتحدث عنه أولى: قال أبو حيان: «والظاهر: أن الضمير في ﴿هُم﴾ عائد على من عاد عليه في ﴿وَقِفُوا﴾، قال أبو روق^(١): وهم جميع الكافرين يجمعهم الله، ويقول ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِ ع﴾ [النحل: ٢٧]^(٢)».

ثانياً: السياق القرآني: فإن الكلام في سياق الآية ولحاقها في الكافرين وليس في المنافقين^(٣)

إذا تقرر هذا فإن القول الثاني هو الأرجح للقواعد المعتمدة في عود الضمير

وهي:

" أن إعادة الضمير إلى المتحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره"^(٤)

وقاعدة: " توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"^(٥)

وقاعدة دلالة السياق: " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من

الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له"^(٦)، والله أعلم.

(١) هو عطية بن الحارث الهمداني، وقيل الهمداني الكوفي، صاحب التفسير، صدوق من الخامسة روى عنه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. ينظر: الثقات: (٧/٢٧٧)، والكاشف: (٢/٢٦)، تقريب التهذيب: (٣٩٣)، وطبقات المفسرين: (٢٦٤).

(٢) البحر المحيط: (٤/١٠٨).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٦).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عن المفسرين: (٢/٦٠٣).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢/٦١٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (١/١٢٥).



قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

١٨- المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾

قال القرطبي ~ « وقرئ: ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾ مخففا ومشدداً^(١)، قيل: هما بمعنى واحد، كحزنته وأحزنته.

واختار أبو عبيد قراءة التخفيف، وهي قراءة علي رضي الله عنه^(٢)، وروي عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾^(٣))

قال النحاس^(٤): وقد خولف أبو عبيد في هذا، وروي: لا نكذبك، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ويقوي هذا أن رجلاً قرأ على ابن عباس: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ مخففاً، فقال له ابن عباس: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾^(٥)؛ لأنهم كانوا يسمون النبي صلى الله عليه وسلم الأمين.

(١) قرأ نافع والكسائي بالتخفيف، والباقون وهم: ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمة وابن عامر، قراءتهم بالتشديد. ينظر: النشر في القراءات العشر: (١/٢٥٧)، والحجة للقراء السبعة: (٣/٣٠٢)، والتيسير في القراءات السبع: (١/١٠٢)، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه: (١/١٣٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (١/٣٣١).

(٣) أخرج هذا الأثر عن علي رضي الله عنه: الحاكم في المستدرک على الصحيحين: (٢/٣٤٥) في باب تفسير سورة الأنعام برقم: (٣٢٣٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه الترمذي في سننه: (٥/٢٦١)، باب ومن سورة الأنعام. برقم: (٣٠٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٢) وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه، كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٣)، وأخرجه الواحدي في أسباب نزول القرآن: (٢١١).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٢٩).

(٥) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير: (١٢/١٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٢)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٤).



ومعنى ﴿يُكذِّبُونَكَ﴾ عند أهل اللغة: ينسبونك إلى الكذب، ويردّون عليك ما قلت.

ومعنى " لا يُكذِّبُونَكَ "، أي: لا يجدونك تأتي بالكذب،..... إلى أن قال: قال النحاس^(١): والقول في هذا مذهب أبي عبيد، واحتجاجة لازم، لأن علياً كرم الله وجهه هو الذي روى الحديث، وقد صح عنه أنه قرأ بالتخفيف..^(٢)»

﴿الدراسة والترجيح:﴾

اختار القرطبي قراءة التخفيف، على أن التكذيب المنفي في هذه الآية هو التكذيب القلبي. والمعنى: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، ولكن يُكذِّبون ما جئت به فيما تحكيه عن الله ﷻ. قال ابن خالويه: « والحجة لمن خفف، أنه أراد فإنهم لا يكذبونك في نفسك، ولكنهم يكذبونك فيما تحكيه عن الله ﷻ»^(٣)

وقد وافق القرطبي في اختياره المروي عن علي بن أبي طالب ﷺ، والحسن^(٤) وسعيد بن جبيرة^(٥)، وناجية بن كعب^(٦).

(١) ينظر: معاني القرآن: (١/ ٣٣٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٦٥).

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها: (١/ ١٥٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٣) وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٤).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨١).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٢).

وناجية هو: ناجية بن كعب الأسدي، من أهل الكوفة، كان شيخاً صالحاً، إلا أن في حديثه تخلیطاً لا يشبه حديث أقرانه الثقات. ينظر: المجروحين: (٣/ ٥٧)، والكاشف: (٢/ ٣١٣)، وتقريب التهذيب: (٥٥٧).



وقال بهذا المعنى مقاتل^(١)، والفراء^(٢)، والزجاج^(٣)، والسمرقندي^(٤)،
والواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، والفخر الرازي^(٧).

قال الفخر الرازي: «معنى الآية على هذا التقدير: أن القوم لا يكذبونك بقلوبهم
ولكنهم يجحدون نبوتك بألسنتهم، وظاهر قولهم، وهذا غير مستبعد، ونظيره قوله
تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»^(٨)

واحتج القائلون:

أولاً: بالآثار المتقدمة المروية عن الصحابة والسلف في نزول هذه الآية.

ثانياً: المعروف عن العرب كما حكى الكسائي: بأنها تقول كذبت الرجل إذا
نسبته إلى الكذب، وأكذبتة إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب. وعلى هذا فرّق
الكسائي بين المعنيين.

ثالثاً: أن الباء في قوله ﴿بَيَّأَتِ اللَّهُ﴾ متعلقة بقوله ﴿يَجْحَدُونَ﴾ على تضمين
الجحد معنى التكذيب^(٩). فنفى الله عَنْكَ عنهم التكذيب القلبي، وأثبت الجحود،
ومعلوم أن التكذيب باللسان لم يكن منفيّاً عنهم، فعلم أنه نفى عنهم تكذيب
القلب^(١٠).

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٤٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣١).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٤٢).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٤٤).

(٥) ينظر: تفسير الوجيز: (١/٣٥١).

(٦) ينظر: تفسير السمعي: (٢/٩٩).

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/٢٠٥).

(٨) ينظر: المصدر السابق: (١٢/٢٠٥).

(٩) ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: (٢/١٤٢).

(١٠) ينظر: فتاوى ابن تيمية: (٥/١٩٨).

وفي المسألة قراءة أخرى:

وهي قراءة التشديد، على أن المراد لا ينسبونك إلى الكذب، أي لا يعرفونك بهذه الصفة، لأنهم كانوا يسمونه الأمين قبل النبوة. وبهذا قال ابن قتيبة^(١)، والثعلبي^(٢)، والنسفي^(٣).

وقيل المعنى: لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد وبهت، وبهذا قال السدي، وقتادة^(٤).

وبعض المفسرين ذكر ما سبق من الأقوال، بلا ترجيح أو اختيار^(٥)

ومن يتأمل هذه الأقوال: في معنى قوله ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يُكذَّبُونَكَ﴾: يجد أنها متقاربة، ولا فرق بين المعنيين. قال ابن جزي الكلبي: «يقال كَذَّبَ فلان فلاناً، وأكذبه بمعنى واحد. وهو الأظهر»^(٦)

وعامة المفسرين على هذا، حيث يذكرون هذه الأقوال، أو بعضها ولا يفرقون بينها، بل يبينون أن معناها واحد^(٧) منهم ابن عطية حيث ختم هذه الأقوال بقوله:

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٣).

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٤٥).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/١٨١)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٣)، وعزا السيوطي رواية قتادة إلى عبدالرزاق، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٤).

(٥) كالباقولي في كشف المشكلات وإيضاح العضلات: (١/٤٣١)، وابن خالوية في إعراب القراءات السبع وعللها: (١/١٥٥)، والزنجشيري في الكشف: (٢/١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٣٠)، والعكبري في التبيان في إعراب القرآن: (١/٤٩١)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (١/٢٩٨)، والسيوطي في تفسير الجلالين (١/١٦٧)، والشوكاني في فتح القدير: (٢/١١١)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (٨/١١٣)، والشنقيطي في العذب النмир: (١/١٧٨).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٧).

(٧) كالفارسي في الحجة للقراء السبعة: (٣/٣٠٢)، وابن الأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن: (٣/٣٠٢)



«وجميع ما في هذه التأويلات، من نفي التكذيب، إنما هو عن اعتقادهم، وأما أقوال جميعهم، فمكذّبة، إما له، وإما للذي جاء به»^(١). وقال أبو علي الفارسي: «يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلفت اللفظتان.. ويؤكد أن القراءتين بمعنى، أنهم قالوا: قللت وكثرت، وأقللت وأكثرت بمعنى، حكاه سيبويه»^(٢).

أما من جهة القراءات: فكلا القراءتين متواترتان، فلا ترجيح بينهما. قال أبو حيان: «ورجح قراءة التخفيف بعضهم، ولا ترجيح بين المتواترين»^(٣) لاسيما وأن لا زيادة لمعنى قراءة على الأخرى، وأن معانيهما يدخل بعضها ضمن بعض. قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي، أن يقال: إنها قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء، ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم، وذلك أن المشركين لا شك أنه كان منهم قوم يكذبون رسول الله ﷺ، ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوة؛ فكان بعضهم يقول: هو شاعر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم يقول: هو مجنون، وينفي جميعهم أن يكون الذي أتاهم به من وحي السماء ومن تنزيل رب العالمين قولاً، وكان بعضهم قد تبين أمره وعلم صحة نبوته وهو في ذلك يعاند ويحسد نبوته حسداً له وبغياً»^(٤).

﴿

(١/ ٣٢١)، وابن جزى الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٧/٢) وابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٦/ ٤٠)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم: (٢/ ١٤٣) حيث قال «كلاهما بمعنى واحد، كأكثر وكثر وأنزل ونزل وهو الأظهر»، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار: (٧/ ٣٧٤).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٦/ ٤٠).

(٢) الحجة للقراء السبعة: (٣/ ٣٠٢).

(٣) تفسير البحر المحيط: (٤/ ١١٦).

(٤) جامع البيان: (٧/ ١٨١).



وبذلك يتبين أن الجمع بين معني القراءتين هو الأسلم، والأرجح أيضاً
عدم ترجيح قراءة متواترة على أخرى، وهو الذي تقرره القاعدة الترجيحية
الناطقية بأن: " اتحاد معني القراءتين أولى من اختلافه " ^(١). والله أعلم.



(١) ينظر قواعد الترجيح بين المفسرين: (١/١٠٠).



قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

[الأعام: ٣٦].

في الآية الكريمة مسألتان:

١٩- المسألة الأولى: من المراد بالموتى في قوله تعالى ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ

اللَّهُ

قال القرطبي ~ : « ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ وهم الكفار، عن الحسن^(١) ومجاهد^(٢)، أي: هم بمنزلة الموتى في أنهم لا يقبلون ولا يصغون إلى حجة. وقيل: الموتى كل من مات «أ.هـ»^(٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالموتى هم الكفار.

وقد وافق في اختياره هذا المروي عن مجاهد، وقتادة، والحسن^(٤) وقول الطبري^(٥)، والسمرقندي^(٦)، والثعلبي^(٧)، والواحدي^(٨)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٥)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٥)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٦٧).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٧٦/٧)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٦).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٧/١٣٦).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٤٥).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٤٦).

(٨) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٢).



والسمعاني^(١)، والبغوي^(٢)، وابن عطية^(٣)، ووافقهـم النسفي^(٤)، وابن كثير^(٥)،
والثعالبي^(٦)، والشوكاني^(٧)، والآلوسي^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩)، والشنقيطي^(١٠).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: جاء في السورة آية مفسرة لما أجمل هنا^(١١). قال عَلَيْكَ: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا
فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فهذا الكافر الضال الذي لا يبصر رشداً، ولا يعرف حقاً، فهو في
ظلمات الكفر كالميت، وهو مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين
وهم الأموات^(١٢).

ثانياً: النظائر القرآنية لهذه الآية^(١٣): قوله عَلَيْكَ: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [يس: ٧٠]^(١٤)، وقوله عَلَيْكَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ

(١) ينظر: تفسير السمعاني: (١٠٠/٢).

(٢) ينظر: معالم التنزيل: (٢٠/٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٤٥/٦).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: (١٠/٢).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٥/٢).

(٦) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٧٥/١).

(٧) ينظر: فتح القدير: (١١٣/٢).

(٨) ينظر: روح المعاني: (١٤٢/٧).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٣٨٦/٧).

(١٠) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٦/١).

(١١) نظم الدرر للبقاعي: (٩٥/٧).

(١٢) ينظر: جامع البيان: (٢٢/٨)، وتفسير القرآن العظيم: (٥٥٣/٣).

(١٣) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٦/١).

(١٤) أي الذي له حياة، أما الميت فقد أمات الله قلبه. ينظر: العذب النمير: (١٩٧/١).

مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] .^(١)

ثالثاً: قرينة السياق والمقابلة في الآية، فذكر سبحانه الذين يسمعون وتفسيرها بأنهم المؤمنون، وذكر الموتى وتفسيرها بالمقابل بأنهم الكفار.

قال الطاهر ابن عاشور: « وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ فالوجه أنه مقابل لـ ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾. ولذلك حسن عطف هذه الجملة على جملة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾. فمعنى الكلام: وأما المعرضون عنك فهم مثل الموتى فلا يستجيبون، كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠]. فحذف من الكلام ما دلّ عليه السياق، فإنّ الذي لا يسمع قد يكون فقدان سمعه من علة كالصمم، وقد يكون من عدم الحياة، كما قال الشاعر^(٢):

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي^(٣)

فتضمّن عطف ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ تعريضاً بأن هؤلاء كالأموات لا ترجى منهم استجابة^(٤).

رابعاً: أنه قول أهل الحجة في التفسير وهم السلف، وقول جمع من المفسرين^(٥).

(١) وما يستوي الأحياء ولا الأموات المؤمنون ولا الكفار، وهو عبارة عن عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبههم بالموتى في عدم إحساسهم. ينظر: جامع البيان: (١٢٩/٢٢)، تفسير السمعاني: (٣٥٥/٤)، وأنوار التنزيل: (٤١٧/٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (١٥٧/٣)، وتفسير الجلالين: (٥٧٤/١).

(٢) قيل: هو عبدالرحمن بن الحكم الثقفي، وقيل: بديع الزمان الهمداني، وقيل: هو عمرو بن معد بن يكرب. ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: (٤٦٢/١)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: (١١/٥).

(٣) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي: (٤٦٢/١)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: (١١/٥).

(٤) التحرير والتنوير: (٨١/٦).

(٥) ينظر: العذب النمير: (١٩٦/١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد كل من مات، وبهذا قال الزمخشري^(١)، والفخر الرازي^(٢)، ونظام الدين النيسابوري^(٣)، وأبو حيان^(٤)، وابن عادل الحنبلي^(٥).

واحتج أصحاب هذا القول: بالعموم، فكل مستجيب وغير مستجيب يبعثهم الله، فيجازيهم على أعمالهم^(٦)

ويُعرض على هذا القول:

بأنه بعيد ويأباه السياق القرآني. قال محمد رشيد رضا: «وقيل: إن لفظ الموتى على حقيقته.... وهو بعيد، وفيه ما لا يخفى من التكلف»^(٧).

إذا تقرر هذا فإن ما اختاره القرطبي هو الأرجح لما يلي:

للنظائر القرآنية؛ والقول الذي تؤيد شواهد قرآنية مقدم على غيره^(٨).

والسياق يدل عليه: "والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"^(٩).

(١) ينظر: الكشاف: (١٦/٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٠٩/١٢).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٧٢/٣).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (١٢٣/٤).

(٥) ينظر: اللباب: (١٢٠/٨).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٢٣/٤).

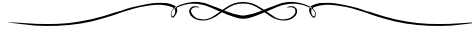
(٧) ينظر: تفسير المنار: (٣٨٦/٧).

(٨) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

(٩) ينظر: المصدر السابق: (٢٩٩/١).



وهو الذي عليه الحجة من أهل التفسير: "وتفسير السلف وفهمهم
لنصوص الوحي حجة على من بعدهم" ^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٧١).

٣٠- المسألة الثانية: المراد بقوله: ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾.

قال القرطبي ~ : « ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ أي للحساب. وعلى الأول^(١) بعثهم هدايتهم إلى الإيمان بالله وبرسوله ﷺ. وعن الحسن: هو بعثهم من شركهم حتى يؤمنوا بك يا محمد^(٢). يعني عند حضور الموت في حال الإلجاء في الدنيا. «أ.هـ»^(٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالبعث هنا، البعث للحر- والحساب، وهذا يوم القيامة. وقد وافق في اختياره هذا قول مقاتل^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والواحدي^(٦)، والبغوي^(٧)، وابن عطية^(٨)، ووافقه أبو حيان^(٩)، والسيوطي^(١٠)، والآلوسي^(١١)، ومحمد رشيد رضا^(١٢)، والشنقيطي^(١٣).

(١) يقصد بالأول هنا: القول الأول في قوله تعالى ﴿وَالْمَوْقِفَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ وهم الكفار على أن يبعثهم يهديهم إلى الإيمان.

(٢) لم أجد هذا الأثر - بحسب اطلاعي - في الكتب الأربعة، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: (٤٥/٦) والثعالبي في الجواهر الحسان: (٥١٧/١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٦٨/٨).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٤٥/١).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (٤٤٥/١).

(٦) ينظر: الوجيز: (٣٥٢/١).

(٧) ينظر: معالم التنزيل: (٢٠/٢).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٤٥/٦).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (١٢٣/٤).

(١٠) ينظر: تفسير الجلالين: (١٦٧/١).

(١١) ينظر: روح المعاني: (١٤٢/٧).

(١٢) ينظر: تفسير المنار: (٣٨٦/٧).

(١٣) ينظر: العذب النمير: (١٩٧/١).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: جاء في القرآن نظائر لهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [المجادلة: ٦]^(١) وقوله ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]^(٢).

ثانياً: أنه المعنى الظاهر الحقيقي، وهو المتبادر إلى الأذهان قال أبو حيان: «والظاهر أن الموت هنا والبعث حقيقة»^(٣).

وقال السعدي ~: «أن المراد بالآية على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة، ثم ينبئهم بما كانوا يعملون، ويكون هذا متضمناً للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك»^(٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد يهديهم الله، إلى الإيمان به وبرسوله ﷺ، وهذا في الدنيا. وهذا المروي عن الحسن، وقال به ابن أبي زمنين^(٥).

واحتج أصحاب هذا القول:

بسباق الآية: فلما كان في قوله ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿الْمُؤْتَى﴾ استعارة وشبه الكفار بهم، جرى المجاز على الذي يليه فشبهه في ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ فيكون بعث هداية لهم، وكلاهما مجاز^(٦).

(١) أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا. ينظر: بحر العلوم: (٣/٣٩٤) وتفسير القرآن العظيم: (٤/٣٢٩).

(٢) أي زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم، ثم جاء الجواب المؤكد لتخرجن من قبوركم أحياء. ينظر: بحر العلوم: (٣/٤٣٣)، وجامع البيان: (٢٨/١٢١)، والجامع لأحكام القرآن: (١٨/١٣٥).

(٣) تفسير البحر المحيط: (٤/١٢٣).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٥).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/٦٦).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/١٦)، والبحر المحيط: (٤/١٢٣)، وإرشاد العقل السليم: (٢/١٤٦).



والمراد أنه تعالى: هو القادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة، ثم إليه يرجعون للجزاء، فكذلك ههنا أنه تعالى: هو القادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه^(١).

قال ابن عطية: «تجيء الاستعارة في هذا التأويل في الوجهين، في تسميتهم موتى، وفي تسمية إيمانهم وهدايتهم بعثاً... وكأن معنى الآية: إنما يستجيب الذين يرشدون حين يسمعون فيؤمنون، والكفار حين يرشدهم الله بمشيئته فلا تتأسف أنت ولا تستعجل ما لم يقدر»^(٢).

وقد ضعف هذا القول بعض المفسرين^(٣)، قال الألوسي: «وقيل: بعثهم هدايتهم إلى الإيمان، وليس بشيء»^(٤).
وبعض المفسرين: ذكر ما سبق بلا ترجيح^(٥).

إذا تقرر ذلك فإن القول الذي ذهب إليه القرطبي هو الأرجح والأولى بالصواب للأدلة المتقدم ذكرها، ويؤيد هذا من القواعد الترجيحية "أن نصوص الوحي يجب حملها على الحقيقة"^(٦)، والله أعلم.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٠٩/١٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٤٥/٦).

(٣) ينظر: البحر المحيط: (١٢٣/٤)، وتفسير المنار: (٣٨٦/٧).

(٤) روح المعاني: (١٤٢/٧).

(٥) كابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٨/٢)، والزمخشري في الكشاف: (٢١/٢)، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم: (١٤٦/٢)، والثعالبي في الجواهر الحسان: (٥١٧/١).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣٨٧/٢).



قال تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُنَمِّرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [٢٨] ﴿ الأنعام: ٣٨ ﴾ .
في الآية الكريمة ثلاث مسائل:

٢١- المسألة الأولى: المراد بالمماثلة في قوله تعالى ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾؟

قال القرطبي ~ « ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي: هم جماعات مثلكم في أن الله ﷻ خلقهم، وتكفل بأرزاقهم، وعدل عليهم، فلا ينبغي أن تظلموهم، ولا تجاوزوا فيهم ما أمرتم به... »

وقيل: هي أمثال لنا في التسبيح والدلالة، والمعنى: وما من دابة ولا طائر إلا وهو يسبح الله تعالى، ويدل على وحدانيته، لو تأمل الكفار...

وقيل: غير هذا مما لا يصح؛ من أنها مثلنا في المعرفة، وأنها تحشر وتنعم في الجنة، وتعوض من الآلام التي حلت بها في الدنيا، وأن أهل الجنة يستأنسون بصورهم.

والصحيح ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في كونها مخلوقه داله على الصانع، محتاجة إليه، مرزوقة من جهته، كما أن رزقكم على الله « ا.هـ ^(١) .

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بأمم أمثالكم: أي أمثال لنا في الخلق والرزق، والموت والبعث.

وقد وافق في ترجيحه هذا المروي عن السدي ^(١)، وقول الزجاج ^(٢)، والطبري ^(٣)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٦)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٤٥).

(١) ينظر: جامع البيان: (٧/ ١٨٥).



والسمرقندي^(١)، والنحاس^(٢)، والسمعاني^(٣)، والزمخشري^(٤)، وابن عطية^(٥)، ووافقهم
البيضاوي^(٦)، والنسفي^(٧)، وابن جزى الكلبي^(٨)، والثعالبي^(٩)، وابن عادل^(١٠)،
والبقاعي^(١١)، والشوكاني^(١٢)، والقاسمي^(١٣)، والشنقيطي^(١٤)

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فقد جاء في آية أخرى ما يدل على هذا المعنى
قوله **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾** [هود:٦] وقوله **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا
تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [العنكبوت:٦٠]^(١٥).

ثانياً: الأحاديث النبوية التي تشهد لهذا المعنى، وأن البهائم تبعث وتحاسب؛
فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن رسول الله **ﷺ** قال: (لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى

(١) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٤٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣١)، وإعراب القرآن: (٢/٦٥).

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٠١).

(٤) ينظر: الكشاف: (٢/١٧).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٤٧).

(٦) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٠).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١١).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٨).

(٩) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٧٦).

(١٠) ينظر: اللباب: (٨/١٢٣).

(١١) نظم الدرر: (٧/١٠٥).

(١٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١١٤).

(١٣) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥١٤).

(١٤) ينظر: العذب النمير: (١/٢١١).

(١٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥١٤).

يقاد للشاة الجلحاء^(١) من الشاة القرناء^(٢) .

ثالثاً: السياق القرآني: لما قدم ذكر الكفار، وبين أنهم يرجعون إلى الله ويحشرون، بين في هذه الآية أن الدواب والطيور تحشر، فكما أن الحشر- والبعث حاصل في حق الناس فهو أيضاً حاصل في حق البهائم^(٣)

وفي المسألة أقوال أخرى منها^(٤):

(١) الجلحاء: هي الجماء التي لا قرن لها من الحيوان على التشبيه بجلح الشعر، والأجلح الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته. ويعم بعضهم به نوعي الغنم، فقال: شاة جلحاء كجماء، وقيل هي من البقر التي ذهب قرناها آخرها وهو من ذلك لأنه كانحسار مقدم الشعر، وبقر جلح: لا قرون لها. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: (٣٣٢/١)، والفائق: (٢٣١/١)، والمعجم الوسيط: (١٢٩/١)، ولسان العرب: (٤٢٤/٢)، وتهذيب اللغة: (٩١/٤).

(٢) والشاة القرناء: ذات القرن، والقرن: مادة صلبة ناتئة بجوار الأذن في رؤوس البقر والغنم ونحوها، وفي كل رأس قرنان غالباً. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: (٣٧٢/١)، والمعجم الوسيط: (٧٣١/٢).

(٣) سبق تخريجه في القسم الأول.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢١٤/١٢)، اللباب: (١٢٤/٨)، تفسير المنار: (٣٩٠/٧).

(٥) وقد أعرضت عن بعض الأقوال لضعفها ولشدوذها، وتعارضها ومقصد الآية الكريمة. فقد أوصل بعض المفسرين الأقوال إلى عشرين قولاً في معنى المائلة، منها على سبيل المثال: أنها أمثال لنا في الشبه في الطباع والأخلاق. وقال بهذا القول سفيان بن عيينه: (ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد، ومنهم من يعدد عدو الذئب ومنهم من ينبج نباح الكلب ومنهم من يتطوس [أي يتزين] كفعل الطاووس..).

وزاد الخطابي على هذا فقال: « فاعلم أنك إنما تعاشر البهائم والسباع فليكن حذرک منهم ومباعدتك إياهم على حسب ذلك ».

ويعترض على هذا القول: بأنه وإن صح دخول المائلة في ضمن الصفات الحيوانية المشتركة بين الإنسان والحيوان، لكن لا يصح أن يكون هو المراد من الآية؛ لأن السياق هنا لبيان عدم استعمال عقولهم وحواسهم في آيات الله والإيمان بالبعث وليس لتحذيرهم من شر الناس. ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين قال بهذا. ينظر: غرائب التفسير للكرماني: (٣٥٨/١)، ومفاتيح الغيب: (٢١٤/١٢)، وشفاء العليل: (٧٧)، وتفسير المنار: (٣٩٣/٧)، ومحاسن التأويل: (٥١٢/٦).



القول الثاني: أنها أمثال لنا في التوحيد والتسبيح ومعرفة الرب، ونُسب هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنه. حيث قال: (يريد، يعرفونني، ويوحّدونني، ويسبحونني، ويحمدونني)^(١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: جاء في ظاهر القرآن ما يؤيد هذا القول قال عليه السلام: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [التحل: ٤٩] وغير ذلك من الآيات^(١).

ثانياً: الآثار المروية؛ فعن أبي الدرداء^(١) قال: (أبهمت عقول البهائم عن كل شيء: إلا عن أربعة أشياء.. وذكر منها معرفة الإله)^(١).

القول الثالث: أنها أمثال لنا في أن لكل صنف ونوع منها أسماء وأوصاف تتميز بها عن الأخرى فهي مخلوقات بحيث يشبه بعضها بعضاً، ويأنس بعضها ببعض، ويتوالد بعضها من بعض كالأنس^(١) وهذا المروي عن مجاهد، وقاتادة^(١)، وبه قال

(١) لم أجد هذا الأثر في الكتب الأربعة - بحسب علمي -، وذكره الفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٢/٢١٤)، وابن القيم بأنه عن الواحدي في شفاء العليل: (٧٧).

(٢) ينظر: شفاء العليل: (٧٧)، ومحاسن التأويل: (٦/٥١٤).

(٣) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو الدرداء، اختلف في اسم أبيه، وهو مشهور بكنيته، وقيل اسمه عامر، صحابي جليل أول مشاهده له أحد وكان عابداً (ت: في آخر خلافة عثمان).

(٤) لم أقف على هذه الرواية - حسب اطلاعي القاصر - في كتب المأثور، وذكرها الرازي في مفاتيح الغيب: (١٢/٢١٤)، وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/١٢٥)، والقاسمي في محاسن التأويل: (٦/٥١٥).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/٢١٣)، وتفسير المنار: (٧/٣٩٣).

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢٠٢)، والطبري في جامع البيان: (٧/١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٨٦)، وعزا السيوطي رواية مجاهد إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ. وعزا رواية قاتادة إلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٢٦٦).

الثعلبي^(١)، والواحدي^(٢)، والبغوي^(٣).

وعند النظر والتأمل يتبين مما سبق أن الآية تحتمل الأقوال الثلاثة، ولا منافاة بينهما فإن للماثلة وجوهاً كثيرةً اهتدى بعض العلماء إلى بعضها، ويجوز أن يهتدي غيرهم إلى غير ما اهتدوا إليه؛ ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه الإخصائيون في كل علم وفن^(٤)..

إلا إن ما رجحه القرطبي هو الأولى بمعنى الآية، فهو منطبق على جملة من القواعد الترجيحية المعتبرة عند المفسرين وهي:

قاعدة: " أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية فهو مقدم على ما عدم ذلك"^(٥).

وقاعدة: " وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"^(٦)

وهو القول الذي جرت عليه عبارات السلف وأكثر المفسرين^(٧) " وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم"^(٨) قال الشنقيطي ~ : « وأكثر العلماء على أنهم إنما كانوا أمماً أمثالنا؛ لأن كلنا مخلوق، مسكين، مرزوق، يدبر شؤونه خالق رازق، وأن ذلك الخالق الرازق قدر الأوقات التي يوجدنا فيها، والأوقات التي يميئتنا فيها، والأوقات التي يرزقنا فيها، وقدر لكل منا قدر

(١) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٤٦).

(٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٢).

(٣) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٢٠).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٧/٣٩٣).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٠٦).

(٧) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣١)، و العذب النмир: (١/٢١١).

(٨) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٧١).



حياته، ورزقه، وأجله، وقدر صفته التي يكون عليها ومقداره الذي يكون عليه، ونحو ذلك»^(١).

وهو القول الموافق للسياق " وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له " ^(٢). والله أعلم.



(١) العذب النمير: (٢١١/١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥/١).

٣٢- المسألة الثانية: المقصود بالكتاب في قوله تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعام: ٣٨].

قال القرطبي ~ : « ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث.

وقيل: أي: في القرآن، أي ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن؛ إما دلالة مبيّنة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول -عليه الصلاة والسلام- أو من الإجماع أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب. قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقال: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً، وقال ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] «أ.هـ»^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المقصود بالكتاب اللوح المحفوظ، فالكتاب هنا بمعنى المكتوب، أي ما فرطنا فيما كتبنا في اللوح المحفوظ من شيء. بل كتبنا فيه كل شيء، فالاستغراق على ظاهره.

وقد وافق في اختياره هذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن زيد^(٢)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ٣٧١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧ / ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٢٨٦)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس رضي الله عنهما إليها وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣ / ٢٦٧).



وبه قال الطبري^(١)، والسمرقندي^(٢)، والشعبي^(٣)، والبغوي^(٤)، والزحشرى^(٥)،
ومحمود النيسابوري^(٦)، ووافقه ابن تيمية^(٧)، وابن جزى الكلبي^(٨)، وابن كثير^(٩)،
وابن القيم^(١٠)، والبقاعي^(١١)، والشوكاني^(١٢)، والقاسمي^(١٣)، ومحمد رشيد رضا^(١٤)،
والسعدي^(١٥).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: النظر القرآني لهذه الآية، قال عَلَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:٦] وهي مفسره لها وقد اتفق المفسرون على أن المراد بالكتاب المبين في هذه الآية: اللوح المحفوظ^(١٦).

- (١) ينظر: جامع البيان: (١٨٨/٧).
- (٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٤٦/١).
- (٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٤٦/٤).
- (٤) ينظر: معالم التنزيل: (٢١/٢).
- (٥) ينظر: الكشف: (١٧/٢).
- (٦) ينظر: إيجاز البيان: (٢٩٤/١).
- (٧) ينظر: بغية المرتاد: (٩٨).
- (٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٨/٢).
- (٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٥/٢).
- (١٠) ينظر: شفاء العليل: (٤٠).
- (١١) ينظر: نظم الدرر: (١٠٦/٧).
- (١٢) ينظر: فتح القدير: (١١٤/٢).
- (١٣) ينظر: محاسن التأويل: (٥١٥/٦).
- (١٤) ينظر: تفسير المنار: (٣٩٤/٧).
- (١٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٥).
- (١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٥/٢)، وشفاء العليل: (٤٠)، ومحاسن التأويل: (٥١٥/٦).



ثانياً: دلالة السياق من الآية. قال ابن القيم: « وهذا القول أظهر في الآية، والسياق يدل عليه»^(١). فإنه لما ذكر الدواب والطيور وأنها أمم أمثالنا قال: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بل كتبنا فيه كل شيء، ومن ذلك: آجال الطيور، وأعمارها، وأرزاقها، وألوانها، والوقت الذي تولد فيه... فدل على أن المقصود بقوله ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من أحوال مخلوقاته ما كان منها وما يكون، وبما أودع فيها من الحكم والآيات، بحسب النظام المعبر عنه بالسنن الإلهية^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بالكتاب: القرآن، والمعنى ما ضيعنا في هذا الكتاب من شيء، بل جمعنا فيه كل شيء يحتاج إليه الخلق.

وبهذا قال النحاس^(٣)، والماوردي^(٤)، والواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، وابن عطية^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، والثعالبي^(١٠)، وابن عادل^(١١).

(١) شفاء العليل: (٤٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٨٩/٦)، وتفسير المنار: (٣٩٥/٧)، والعذب النمير: (٢١٦/١).

(٣) ينظر: إعراب القرآن: (٦٥/٢).

(٤) ينظر: النكت والعيون: (١١٢/٢).

(٥) ينظر: الوجيز: (٣٥٢/١).

(٦) ينظر: تفسير السمعي: (١٠١/٢).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (٤٨/٦).

(٨) ينظر: تذكرة الأريب: (١٥٩/١).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢١٥/١٢).

(١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٧٧/١).

(١١) ينظر: اللباب: (١٢٥/٨).

وأبو السعود^(١)، والآلوسي^(٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: النظائر القرآنية. فقد نص الله ﷻ على أنه بين في القرآن كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] والكتاب هنا هو القرآن، وقوله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ثانياً: أن في الآية قرينة تدل على أن المراد القرآن. فقوله ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾:

إما عموم يراد به الخصوص: أي ما فرطنا في القرآن من شيء يحتاجون إلى ذكره، وبيانه من الأحكام والشرائع، مفصلاً أو مجملاً إلا وقد بيناه.

وإما عموم مطلق: أي ما فرطنا فيه من سائر أنواع العلوم الدينية والدنيوية.^(٣)

ويعترض على أدلتهم بما يلي:

أولاً: أن استدلالهم بالآيات السابقة في غير محله، إذ إن المراد بالكتاب فيها: القرآن لتصريحه بالتنزيل، وسياقها يدل على ذلك، وهو خلاف ما دلت عليه هذه الآية.

ثانياً: أنه لا يتوافق مع ما قبله وما بعده من السياق، فكيف يكون ذكر القرآن العظيم، بين ذكر الدواب والطيور!! ثم كيف يكون وفي لحاق الآية ذكر الحشر- ورجوع المخلوقات لله تعالى، إذ لا يكون هذا إلا للوح المحفوظ الذي حوى كافة مقادير المخلوقات. قال ابن عاشور: «وقيل: الكتاب القرآن. وهذا بعيد إذ لا مناسبة

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٤٧/٢).

(٢) ينظر: روح المعاني: (١٤٤/٧).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢١٦/١٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل: (٨/٢)، وشفاء العليل: (٤٠)، وإرشاد

العقل السليم: (١٤٧/٢)، ومحاسن التأويل: (٥١٥/٦).

بالغرض على هذا التفسير»^(١).

أما من قال بالعموم المطلق: فهم تجاوزوا الحد في الدعوى على القرآن وأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والرياضيات والهندسة.. قال الإمام الشاطبي^(٢): «فإن هذا لا يصح لأن السلف الصالح - من الصحابة والتابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن وبعلمومه وما أودع فيه، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تكلم في شيء من هذه العلوم سوى ما ثبت من أحكام التكليف، وأحكام الآخرة، ونحو ذلك فدل ذلك على أن القرآن لم يقصد منه تقرير شيء مما زعموا....». ثم قال: «وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذه يراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد. والمراد بالكتاب في قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمينه لجميع العلوم النقلية والعقلية»^(٣).

إذا تقرر هذا فإن ما اختاره القرطبي، هو الأرجح للقواعد الترجيحية

التالية:

قاعدة: " القول الذي تؤيده آيات قرآنيه فهو مقدم على غيره " ^(٤).

وقاعدة السياق: " إدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عنهما

إلا بدليل يجب التسليم له " ^(٥).

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٦/٨٩).

(٢) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي أبو إسحاق له عدة تصانيف منها " الموافقات في أصول الأحكام، والاعتصام » (ت: ٧٩٠هـ). ينظر: معجم المؤلفين: (١/١١٨).

(٣) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة: (٢/٨٩) باختصار.

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).



وهو قول السلف وأكثر المحققين على أنه اللوح المحفوظ^(١) "وفهم السلف
لنصوص الوحي حجه على من بعدهم"^(٢) "والله أعلم.



(١) ينظر: العذب النمير: (٢١٦/١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٧١/١).



٢٣- المسألة الثالثة: عود الضمير في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]

قال القرطبي ~ « ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: للجزاء كما سبق في خبر أبي هريرة، وفي صحيح مسلم عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلاحاء من الشاة القرناء). ودلّ بهذا على أن البهائم تحشر- يوم القيامة؛ وهذا قول أبي ذر^(١)، وأبي هريرة^(٢)، والحسن^(٣) وغيرهم، وروى عن ابن عباس^(٤).

وقال ابن عباس في رواية: حشر الدواب والطيور موتها^(٥). وقاله الضحاك^(٦)...

والأول أصح لظاهر الآية والخبر الصحيح، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].. وعدد بعض الآثار^(٧) ثم قال: وقالت جماعة: هذا الحشر الذي في الآية يرجع إلى الكفار...

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/ ٢٠٠)، والطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٦)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٧).

وأبو ذر هو: جندب بن جنادة على الأصح، وقيل: برير واختلف في أبيه، تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرأ، ومناقبه كثيرة جداً (٣٢هـ). ينظر: الاستيعاب: (٤/ ١٦٥٢)، وسير أعلام النبلاء: (٢/ ٤٦)، وتقريب التهذيب: (٦٣٨).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/ ٢٠٠)، والطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٨)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر، والحاكم كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٧)، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: (٢/ ٣٩٠).

(٣) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٧).

(٤) لم أجد عن ابن عباس رواية بهذا المعنى - بحسب اطلاعي - في الكتب الأربعة، ولم أجد مذكورا في الكتب التي اطلعت عليها، ولعله خطأ من النساخ، ويراد بهذا: قوله الذي يليه - والله أعلم -.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٦)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٦٧).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٢٨٦).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٢)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٢٧٣).



قلت: الصحيح القول الأول لما ذكرناه من حديث أبي هريرة، وإن كان القلم لا يجري عليهم في الأحكام، ولكن فيما بينهم يؤخذون به...»^(١).

﴿ الدراسة والترجيح: ﴾

رجَّح القرطبي أن الضمير يعود إلى البهائم، وأن الآية دلت على حشر- البهائم والدواب.

وعلى هذا القول اختلف المفسرون في المراد بحشر البهائم على قولين:

الأول: وهو الذي رجحه القرطبي أن البهائم تؤخذ فيما بينها، ويقتص بعضها من بعض، وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام.

وقد وافق في ترجيحه هذا قول مقاتل^(١)، والسمرقندي^(٢)، والواحدي^(٣)، والسمعاني^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)، والفخر الرازي^(٧)، ووافقهم البيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، وابن جزي الكلبي^(١٠)، وأبو حيان^(١١).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٧٢).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٤٥).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٤٦).

(٤) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٢).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٠٢).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/١٧).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٤٨).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/٢١٨).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٠).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١١).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٨).

(١) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٢٦).



والثعالبي^(١)، وابن عادل^(٢)، والبقاعي^(٣)، وأبو السعود^(٤)، والشوكاني^(٥)،
والآلوسي^(٦)، والقاسمي^(٧)، ومحمد رشيد رضا^(٨)، والسعدي^(٩).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: فسرت هذه الآية بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾^(١٠)
[التكوير:٥]، وكان الحديث عن أهوال يوم القيامة، قال الشنقيطي عن لفظ الحشر- في
القرآن: « وإذا استعمل بمعنى يوم القيامة فإنه يأتي مقروناً بما يدل عليه، وهو جميع
استعمالات القرآن لهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ [الكهف:٤٧]
وذلك في يوم القيامة لبروز الأرض، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا
۝٨٥﴾ [مريم:٨٥] وذلك في يوم القيامة لتقييده باليوم وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْخِخُ فِي الصُّورِ
وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢﴾ [طه:١٠٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾...
إلى غير ذلك مما هو مقيد بما يعين المراد بالحشر وهو يوم القيامة »^(١١)

ثانياً: جاء في الحديث النبوي المتقدم ذكره، المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكد
هذا المعنى، وآخر روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأى شاتين

(١) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٧٧).

(٢) ينظر: اللباب: (٨/٢٢٩).

(٣) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٠٧).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٤٧).

(٥) ينظر: فتح القدير: (٢/١١٤).

(٦) ينظر: روح المعاني: (٧/١٤٥).

(٧) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥٢٥).

(٨) ينظر: تفسير المنار: (٧/٣٩٦).

(٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٦).

(١٠) أضواء البيان: (٨/١٦).



تنتطحان^(١)، فقال: يا أبا ذر: هل تدري فيم تنتطحان؟ قال لا. قال: لكن الله يدري وسيقضي بينهما^(٢)

ثالثاً: الأصل اللغوي لكلمة حشر: وهو الجمع، والسَّوْقُ والانبعاث إلى أرض المحشر^(٣). قال أبو حيان: «وأصل الحشر: الجمع...، والظاهر أنه يراد به البعث يوم القيامة، وهو قول الجمهور، فتحشر البهائم والدواب والطيور، وفي ذلك حديث^(٤).
رابعاً: السياق القرآني: قرر عَلَيْكَ في الآيات السابقة رجوع الكفار وحشرهم إليه. وأراد أن يقرر هذا في حق البهائم، فإذا كان في حقهم مؤكداً، فهو في حق الناس أكد، وهذا من شأن الآيات المكية التي تتناول عقيدة البعث^(٥). كما أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور^(٦)

الثاني: أن المراد بحشرها موتها دفعة واحدة عند هول القيامة، وأنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن. وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، والضحاك. وهو ما اختاره الفراء بقوله: «حشرها موتها، ثم تحشر مع الناس فيقال لها كوني تراباً وعند ذلك يتمنى الكافر أنه كان تراباً مثلها»^(٧).

(١) تنتطحان: النون والطاء والحاء، أصل واحد، من نطح الشيء أي: دفعه وأزاله، وقولهم: الليل داج والكباش تنتطح: أي ينطح بعضها بعضاً، وهذا عبارة عن اقتتال الأبطال. ينظر: مقاييس اللغة: (٤٤٢/٥)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف: (٣٨٧/١).

(٢) الحديث أخرجه: أحمد في مسنده (١٦٢/٥) برقم: (٢١٤٧٦).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (١٠٥/٤)، ومقاييس اللغة: (٢٤٧)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٢٣٧)، ولسان العرب: (١٩٠/٤) مادة حشر.

(٤) تفسير البحر المحيط: (١٢٦/٤).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢١٤/١٢)، واللباب: (١٢٤/٨)، وتفسير المنار: (٣٩٠/٧).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٦٢١/٢).

(٧) معاني القرآن للفراء: (٣٣٢/١).



وقد ضعّف هذا القول غير واحد من المفسرين: قال أبو السعود: « وقيل: حشرها موتها، ويأباه مقام تهويل الخطب، وتفطيع الحال »^(١). وقال الشنقيطي عن هذا القول: « والظاهر أنه خلاف الصحيح، وأن الصحيح ما عليه الجمهور، ودل عليه ظاهر القرآن: أنه حشر بعد الموت، كما قال: ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ »^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الضمير يعود إلى الكفار لا إلى البهائم^(٣)، وهم المخاطبون في الآيات السابقة لهذه الآية^(٤)، وما تخلل بينهما كلام معترض وإقامة حجج، لأنه جاء بهم، وبالواو التي هي للعقلاء، ولو كان عائداً على أمم الطير والدواب لكان التركيب ثم إلى ربه تحشر^(٥).

وقالوا: إن الحديث الوارد المتقدم في القول الأول، المقصود منه تعظيم أمر الحساب والقصاص، وقد جاء في الحديث زيادة وهي قوله: (وللحجر لم ركب على الحجر، وللعود لم خدش العود)^(٦). والمعلوم أن الجمادات لا يعقل خطاياها ولا ثوابها ولا عقابها والمقصود من هذا التمثيل للاعتبار والتهويل.

ولم أر أحداً من المفسرين قال به - فيما أعلم -.

(١) إرشاد العقل السليم: (١٤٧/٢).

(٢) العذب النمير: (٢٢٠/١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٢/٨)، وتفسير البحر المحيط: (١٢٦/٤)، وفتح القدير: (١١٤/٢).

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ، وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه.... ﴾ [الأعام: ٣٦-٣٧].

(٥) ينظر: تفسير البحر المحيط: (١٢٦/٤).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٧٢/٨).

والجواب عما احتجوا به فيما يلي:

أولاً: أن الزيادة التي ذكرت في الحديث غير صحيحة^(١). فلا يعمل بها، وما ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ: (يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)، وهذا نص في الحديث، وليس فيه تمثيل لأنه حق وحقيقة. قال النووي^(٢) بعدما ذكر حديث أبي هريرة ﷺ: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة؛ وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره، قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة... والله أعلم»^(٣).

ثانياً: قولهم: «والمعلوم أن الجمادات لا يعقل خطابها ولا ثوابها ولا عقابها»^(٤) أنه استدلال في غير محله، لأن المسألة في حشر البهائم والدواب لا في الجمادات.

(١) الحديث الذي جاء في صحيح مسلم بدون هذه الزيادة، وهو أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء). وقد أخرجه في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم: (٢٥٨٢)، (٤/١٩٩٧) وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٤/٦١٤)، برقم: (٢٤٢٠)، وقال حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي محيي الدين أبو زكريا، ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة (٦٣١ هـ - بنوى) وتوفي رابع عشرين شهر رجب: (٦٧٦ هـ) رحمه الله تعالى شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه اعتنى بالتصنيف منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله فمما كمل شرح مسلم، والروضة والمنهاج. ينظر: البداية والنهاية: (١٣/٢٧٨)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٨/٣٩٥)، وفوات الوفيات: (٢/٥٩٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/١٣٦).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٧٢).



ثالثاً: السياق القرآني يرفضه فالآيات تتحدث عن تقرير الحشر- يوم القيامة للبهائم والدواب. قال أبو حيان: «الظاهر في الضمير أنه عائد على ما تقدم، وهو الأمم كلها من الطير والدواب. ويجاب عن قولهم: إن الخطاب للعقلاء: بأنها لما كانت ممثلة ما أراد الله منها، أُجريت مجرى العقلاء»^(١).

إذا تبين ضعف هذا القول فإن ما رجحه القرطبي من أن البهائم تحشر يوم القيامة هو الأرجح لأنه «القول الذي تؤيده آيات قرآنية فهو مقدم على غيره»^(٢)، وفيه حديث ثابت، "وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح لما خالفه"^(٣)، وهو الذي يدل عليه السياق، وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له^(٤)، والله أعلم.



(١) تفسير البحر المحيط: (١٢٦/٤).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٢٠٦/١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥/١).



قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
وَالِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

في الآية الكريمة مسألتان:

٣٤- المسألة الأولى: إلام يعود الضمير في قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾.

قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، والإنذار الإعلام،
وقيل: ﴿بِهِ﴾ أي: بالله. وقيل: باليوم الآخر» أ.هـ^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الضمير يعود إلى القرآن.

وقد وافق في اختياره هذا قول الطبري^(١)، والزجاج^(٢)،
والسمرقندي^(٣)، وابن أبي زمنين^(٤)، والنحاس^(٥)، والشعلبي^(٦)،
والواحدي^(٧)، والبغوي^(٨)، والزمخشري^(٩)، وابن عطية^(١٠).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٦/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٢٠٠/٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥١/٢).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٠/١).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٧٠/٢).

(٦) ينظر: معاني القرآن: (٣٣٣/١).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٤٩/٤).

(٨) ينظر: الوجيز: (٣٥٥/١).

(٩) ينظر: معالم التنزيل: (٤٢/٢).

(١٠) ينظر: الكشاف: (٢١/٢).

(١١) ينظر: المحرر الوجيز: (٥٥/٦).



وابن الجوزي^(١)، والفخر الرازي^(٢)، ووافقه البيضاوي^(٣)، والنسفي^(٤)، وابن جزري
الكلبي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، وابن كثير^(٧)، والثعالبي^(٨)، وابن عادل^(٩)، والبقاعي^(١٠)،
وأبو السعود^(١١)، والشوكاني^(١٢)، والآلوسي^(١٣)، والقاسمي^(١٤)، والسعدي^(١٥).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: السياق القرآني: يقرر الاتباع لما يوحى إلى رسول الله ﷺ، وهو القرآن^(١).
قال أبو حيان: «لما أخبر أنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه، أمره الله تعالى أن ينذر به، فقال:
﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أي بما أوحى إليك»^(٢).

- (١) ينظر: زاد المسير: (٤٣/٣).
- (٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٣٢/١٢).
- (٣) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٠٤/١).
- (٤) ينظر: مدارك التنزيل: (١٣/٢).
- (٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٩/٢).
- (٦) ينظر: البحر المحيط: (١٣٨/٤).
- (٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٨/٢).
- (٨) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٧٩/١).
- (٩) ينظر: اللباب: (١٥٨/٨).
- (١٠) ينظر: نظم الدرر: (١٢٥/٧).
- (١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٤/٢).
- (١٢) ينظر: فتح القدير: (١١٩/٢).
- (١٣) ينظر: روح المعاني: (١٥٧/٧).
- (١٤) ينظر: محاسن التأويل: (٥٣٨/٦).
- (١٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٧).
- (١٦) ينظر: الكشاف: (٢١/٢)، والبحر المحيط: (١٣٨/٤)، ومحاسن التأويل: (٥٣٨/٦).
- (١) البحر المحيط: (١٣٨/٤).



ثانياً: أن الأولى: عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو قوله ﴿مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عطية: «والضمير في "به" عائد على ما يوحى^(١)» وهو أقرب مذكور، وتناسق الكلام وترتيبه أولى من تشتيته. قال الشنقيطي: «وأصح الأقوال في مرجع الضمير: أنه راجع للقرآن المعبر عنه بقوله ﴿إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [الأعام: ٥٠]»^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى^(٣).

ويعترض على هذا: أن الإنذار والتخويف إنما يقع بالقول وبالكلام لا بذات الله^(٤).

القول الثالث: أن الضمير يعود إلى اليوم الآخر^(٥).

ولم أر - بحسب اطلاعي القاصر - أحداً من المفسرين قال بهما.

وإذا تبين هذا فإن ما اختاره القرطبي هو الأرجح وذلك "أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور"^(٦). وللسياق القرآني "فإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج به"^(٧). والله أعلم.



-
- (١) المحرر الوجيز: (٥٥ / ٦).
 - (٢) العذب النمير: (٣٠٤ / ١).
 - (٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٣٢ / ١٢)، والجامع لأحكام القرآن: (٣٨٦ / ٨)، والبحر المحيط: (١٣٨ / ٤)، وفتح القدير: (١١٩ / ٢).
 - (٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٣٢ / ١٢).
 - (٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٦ / ٨)، والبحر المحيط: (١٣٨ / ٤)، وفتح القدير: (١١٩ / ٢).
 - (٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٦٢١ / ٢).
 - (٧) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥ / ١).

٣٥ - المسألة الثانية: من المراد بالذين يخافون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾

قال القرطبي: « فالمعنى " يخافون " يتوقعون عذاب الحشر. وقيل: ﴿يَخَافُونَ﴾: يعلمون. فإن كان مسلماً أُنذر لترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أُنذر ليتبع الحق، وقال الحسن: المراد المؤمنون^(١). وقال الزجاج: كل من أقر بالبعث من مؤمن وكافر^(٢). وقيل: الآية في المشركين، أي أُنذرهم بيوم القيامة. والأول أظهر^(٣) » أهـ^(٤).

الدراسة والترجيح:

رَجَّحَ القرطبي أن المراد بالذين يخافون: كل من خاف من البعث سواء كان مسلماً فإنه ينذر لترك المعاصي، أو كان من أهل الكتاب فينذر ليتبع الحق.

وقد وافق في ترجيحه هذا الزجاج^(١)، والنحاس^(٢)، والزنجشيري^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، ووافقهم نظام الدين النيسابوري^(٦) وابن جزري الكلبي^(٧).

(١) لم أجده - بحسب اطلاعي - في الكتب الأربعة.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥١).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٣٨٦).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥١).

(٥) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣٣).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/١٧).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٥٥).

(٨) ينظر: زاد المسير: (٣/٤٣).

(٩) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/٨٥).

(١٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٩).

وأبو حيان^(١)، والثعالبي^(٢)، والشوكاني^(٣)، والآلوسي^(٤).

واحتجوا:

أولاً: بعموم اللفظ. قال ابن عطية: «يعم بنفس اللفظ كل مؤمن بالبعث من مسلم ويهودي ونصراني»^(٥)

قال أبو حيان: «وظاهر قوله ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ عموم من خاف الحشر، وآمن بالبعث من مسلم ويهودي ونصراني، فلا يتخصص بالمسلمين المقرين بالبعث... ولا بأهل الكتاب، ولا بناس من المشركين..»^(٦)

ثانياً: أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الكل فكلهم منذرين. قال الفخر الرازي: «إنه يتناول الكل، لأن لا عاقل إلا ويخاف الحشر، سواء قطع بحصوله، أو كان شاكاً فيه، لأنه بالاتفاق غير معلوم البطلان بالضرورة فكان هذا الخوف قائماً في حق الكل، ولأنه - ﷺ - كان مبعوثاً إلى الكل، وكان مأموراً بالتبليغ إلى الكل.»^(٧)

ثالثاً: أن الحججة على الذين يخافون أوكد من غيرهم^(٨) قال الزمخشري: «فهم إمّا قوم داخلون في الإسلام مقرّون بالبعث؛ إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحي إليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين، وأمّا أهل الكتاب لأنهم مقرّون بالبعث، وإمّا ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا

(١) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٣٨).

(٢) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٧٩).

(٣) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥٣٨).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٧/١٥٧).

(٥) المحرر الوجيز: (٦/٥٥).

(٦) البحر المحيط: (٤/١٣٨).

(٧) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥٠).

(٨) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣٣).



سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجح فيهم الإنذار
دون المتبردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء جميعهم»^(١)

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بالاسم الموصول هم المؤمنون. وهذا المروي عن السدي،
والفضيل بن عياض^(١)، وبه قال ابن أبي زمنين^(٢)، والواحدي^(٣)، والبيضاوي^(٤)،
والنسفي^(٥)، وابن كثير^(٦)، والسيوطي^(٧)، والقاسمي^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أن له شاهداً من القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨]^(١) وقوله ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ

(١) ينظر: الكشاف: (١٧/٢).

(٢) أخرجهما: ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٩٦).

والفضيل هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر- التميمي اليربوعي الخراساني، أبو علي، الإمام
القدوة، ثقة عابد إمام، من الثامنة، انتقل إلى مكة إلى أن مات بها (ت: ١٨٧ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد:
(٥/٥٠٠)، سير أعلام النبلاء: (٨/٤٢١)، وتقريب التهذيب: (٤٤٨)، وطبقات الحفاظ: (١/١١٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/٧٠).

(٤) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٥).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٢).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٣).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٣٩).

(٨) ينظر: تفسير الجلالين: (١/١٦٩).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٣٢).

(١٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٧).

(١) وهذا الحصر للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون بالإنذار، وغير المنتفع بالإنذار كأنه هو والذي لم ينذر سواء
بجامع عدم النفع في كل منهما، ينظر: أضواء البيان (٦/٢٨٣)، وتفسير القرآن العظيم: (٣/٥٥٣)،
وتفسير بحر العلوم: (٣/٩٨).



مَنْ أَتْبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ﴿٥٧﴾ [يس: ١١] وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] (١)

ثانياً: أن المؤمنين هم المقرون بصحة الحشر والبعث يوم القيامة لذلك كان لا بد وأن يحتاطوا لأنفسهم. قال الفخر الرازي: «يدخل فيه المؤمنون، لأنهم وإن تيقنوا الحشر فلم يتيقنوا العذاب الذي يُخاف منه، لتجويزهم أن يموت أحدهم على الإيمان والعمل الصالح، وتجويز ألا يموتوا على هذه الحالة؛ فلهذا السبب كانوا خائفين من الحشر، بسبب أنهم كانوا مجوزين لحصول العذاب، وخائفين منه» (٢).

القول الثالث: أن المراد بهم المشركون وأهل الكتاب، وبهذا جزم السمرقندي (٣)، والفخر الرازي (٤)، وابن عادل الحنبلي (٥).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: أن أهل الكتاب يعلمون أنهم يحشرون، لذلك وجبت الحجة عليهم لاعترافهم بالمعاندة (٦).

ثانياً: أن الرسول ﷺ كان يخوفهم من عذاب الآخرة، وقد كان بعضهم يتأثر من ذلك الخوف ويقع في قلبه أنه ربما الذي كان يقوله محمد حقاً، قال الفخر الرازي بعد ما سبق: «فثبت أن هذا الكلام لائق لهؤلاء» (٧).

(١) فمعنى الآية أن المؤمنين من خشية ربهم لا يأمنون، والمراد بهم المؤمنون، ينظر: تفسير السمعاني: (٤٧٩/٣)، ومفاتيح الغيب: (٩٥/١٥)، وتفسير القرآن العظيم: (٢٤٩/٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٣٢/١٢).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٠/١).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٣٢/١٢).

(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٥٩/٨).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٠/١).

(٧) مفاتيح الغيب: (٢٣٢/١٢).



ومن ذلك يتبين أن القولين السابقين لهما وجه من الصواب، إلا أن الأولى والأرجح، القول الذي رجحه القرطبي لأنه القول العام الشامل لكلا القولين، والقاعدة تنص على " أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص " ^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعام: ٥٢]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٣٦- مسألة في المقصود "بيدعون ربهم" في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

قال القرطبي ~ : « ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد بالدعاء: المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة، قاله ابن عباس^(١) ومجاهد^(٢) والحسن^(٣)، وقيل: الذكر وقراءة القرآن^(٤)، ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره، ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق، ويختموه بالدعاء طلباً للمغفرة»^(٥).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المقصود بيدعون ربهم: يسألونه ويدعونه في أول النهار وآخره.

وقد وافقه في اختياره هذا أبو حيان^(٦)، وابن كثير^(٧).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٠٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٩٨/٤)، وعزاه السيوطي إليها، وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٧٥/٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٠٣/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٢٩٨/٤)، وعزاه السيوطي إليها كما في الدر المنثور: (٢٧٥/٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٠٣/٧).

(٤) وهذا المروي عن إبراهيم النخعي.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٨/٨).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٩٤/٤).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٣٥/٢).



قال أبو حيان: « والظاهر من قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ يسألونه ويلجؤون إليه، ويقصدونه بالدعاء والرغبة، بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ »^(١)

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المقصود بيدعون: يعبدون ربهم بالغداة والعشي، يعني بالصلوات الخمس المكتوبة عليهم. وهذا المروي عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة^(٢)، والضحاك^(٣)، وبه قال الواحدي^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والزنجشيري^(٦)، والنسفي^(٧)، وابن جزري الكلبي^(٨)، والقاسمي^(٩)، والشوكاني^(١٠)

القول الثالث: أن المقصود بيدعون: يذكرون ربهم طرفي النهار، وهو المروي عن إبراهيم النخعي^(١١).

- (١) البحر المحيط: (٤/١٩٤).
 - (٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٠٣).
 - (٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٩٨).
 - (٤) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٥).
 - (٥) ينظر: بحر العلوم (١/٤٥٠).
 - (٦) ينظر: الكشاف: (٢/٢١).
 - (٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٣).
 - (٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٠).
 - (٩) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥٤٠).
 - (١٠) فتح القدير: (٢/١١٩).
 - (١١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٠٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٢٩٨)، وعزاه السيوطي إليهما، وإلى ابن المنذر، وابن أبي شيبه، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٥).
- وإبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، من الخامسة، وكان عجباً في الورع والخير، متوقياً للشهرة، رأساً في العلم. مات (٩٦)، وهو ابن خمسين أو نحوها.
- ينظر: الكاشف: (١/٢٢٧)، وتقريب التهذيب: (٩٥) وطبقات الحفاظ: (١/٣٦).

ومن المفسرين من عدد الأقوال، أو بعضها بلا ترجيح^(١).

يتبن مما سبق أن جميع الأقوال السابقة تحتلها الآية، والقول بالعموم هو الأولي، ولا خصوص لقول على قول، قال محمد رشيد رضا: « فالدعاء هنا يشمل الدعاء الحقيقي، والصلاة، والقرآن المشتملين عليه »^(٢) والقاعدة تنص على " أن نصوص الوحي تحمل على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص "^(٣).

قال الطبري: « الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى نهى نبيه محمدا ﷺ أن يطرد قوماً كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده، والثناء عليه قولاً وكلاماً، وقد يكون بالعمل له بالجوارح.....، وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها؛ فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي لأن الله قد سمى العبادة دعاء فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد يجوز أن يكون ذلك على خاص من الدعاء، ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به، من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فيعمون بالصفة التي وصفهم بها ربهم، ولا يخصون منها بشيء دون شيء »^(٤). وهذا هو الظاهر من الآية، قال الشنقيطي: « الآية أعم من الصلاة، وهذا هو الظاهر، لأنهم يدعون الله، ويعبدونه بأنواع العبادات من صلاة وغيرها، أول النهار وآخره »^(٥). والله أعلم.

(١) كالمورد في النكت والعيون: (١١٦/٢)، والسمعي في تفسيره: (١٠٧/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٤٦/٣).

(٢) تفسير المنار: (٤٣٥/٧).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

(٤) جامع البيان: (٢٠٥/٧).

(٥) العذب النمير: (٣١٤/١).



قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ [الأعام: ٥٤]

في الآية الكريمة أربع مسائل:

٣٧- المسألة الأولى: فيمن نزلت هذه الآية قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

قال القرطبي ~ : « ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾.. نزلت في الذين نهى الله نبيه - ﷺ - عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أبدأهم بالسلام) (١) ... وقال ابن عباس: نزلت الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ (٢).

وقال الفضيل بن عياض: جاء قوم من المسلمين إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا، فأعرض عنهم، فنزلت الآية (١). وروي عن أنس بن مالك (١)

(١) الرواية أوردها الواحدي عن عكرمة في أسباب النزول: (٢١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٤٨/٣) عن عكرمة والحسن.

(٢) نسبها البغوي إلى عطاء كما في معالم التنزيل: (١٠٠/٢)، وأضاف إليه بلالاً وسالمًا وأبا عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفرًا وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبا سلمة بن عبد الأسد - رضي الله عنهم - أجمعين.

(٣) أخرج هذه الرواية الطبري عن ماهان الحنفي في جامع البيان: (٢٠٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٠٠)، وعزاها السيوطي إليها وإلى الفريابي، وعبد بن حميد، ومسدد في مسنده، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٦). ولم أجدها عن الفضيل بحسب اطلاعي في الكتب الأربعة، وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز: (٥٩/٦).

(٤) هو: أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين، أمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب، مشهور (ت: ٩٣هـ) وقد جاوز المائة. ينظر: طبقات ابن سعد: (١٧/٧)، والثقات: (٤/٣)، وتقريب التهذيب: (١١٥)، الكاشف: (٢٥٦/١).

مثله سواء^(١). «ا.هـ»^(٢)

﴿ الدراسة والترجيح ﴾

اختار القرطبي أن نزول الآيات كان في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم، فأكرمهم الله تعالى بهذا الإكرام. وقد وافق في اختياره هذا المروي عن عكرمة، وبه قال الواحدي^(١)، والسمعاني^(٢)، وابن جزى الكلبي^(٣)، والثعالبي^(٤)، وأبو السعود^(٥)، والشوكاني^(٦)، والآلوسي^(٧)، والشنقيطي^(٨).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أنها نزلت في غير الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم، وهم قوم أصابوا ذنوباً عظيماً ولم يردّ عليهم ﷺ فنزلت الآية، وهذا المروي عن ماهان^(٩).

- (١) لم أجد لها عن أنس بحسب اطلاعي في الكتب الأربعة. وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان: (١٥٢/٤).
- (٢) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٢/٨).
- (٣) ينظر: الوجيز: (٣٥٦/١).
- (٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١٠٨/٢).
- (٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٠/٢).
- (٦) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٠/١).
- (٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٧/٢).
- (٨) ينظر: فتح القدير: (١٢٠/٢).
- (٩) ينظر: روح المعاني: (١٦٣/٧).
- (١٠) ينظر: العذب النمير: (٣٣٧/١).

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٠٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠٠/٤)، وعزاها السيوطي إليها وإلى الفريابي، وعبد بن حميد، ومسدد في مسنده، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٧٦/٣).

فعن ماهان: (أن قوما جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد إنا أصبنا ذنوباً عظيماً، فما أخاله رد عليهم شيئاً، فانصرفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قال: فدعاهم فقرأها عليهم).



ورجحه الطبري^(١)، واحتج بأن قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا﴾ خبر مستأنف، بعد تقضي الخبر عن الذين نهى الله نبيه ﷺ عن طردهم، ولو كانوا هم لقييل: وإذا جاءوك فقل سلام عليكم، وفي ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأولين ما ينبىء عن أنهم غيرهم^(٢).

القول الثالث:

أنها نزلت في عمر بن الخطاب عندما جاء يعتذر من مقالته ويستغفر منها، وهذا المروي عن عكرمة^(٣)، وبه جزم السمرقندي^(٤)، والماوردي^(٥)، وابن كثير^(٦).



وماهان هو: أبو سالم الحنفي الأعور، وقد قيل: ماهان أبو صالح، والصواب أن كنيته أبو سالم، ثقة عابد من الثالثة من أهل الكوفة، قتله الحجاج بن يوسف: (ت: ٨٣ هـ). ينظر: الثقات: (٧/٥٢٥)، والكاشف: (٢/٢٣٧)، وتقريب التهذيب (٥١٨).

(١) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٠٧).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٠٨).

(٣) أخرجها الطبري في جامع البيان: (٧/٢٠٢)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٢)، وذكره الواحدي في أسباب النزول: (٢١٤).

والرواية هي: عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، وأشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب، فقالوا: (يا أبا طالب لو أن بن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا، كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لإتباعنا إياه وتصديقنا له قال: فأتى أبو طالب النبي فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون؟ وإلام يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا سَفِيحٌ لَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ﴾ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾، فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأعام: ٥٤] الآية.

(٤) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥١).

(٥) ينظر: النكت والعيون: (٢/١١٩).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٠).



واستدل أصحاب الأقوال السابقة بالروايات المتقدمة الواردة في سبب نزول الآية.

ويجاب عنها: بأنه قد تعدد الوقائع المشتركة في حكم واحد، فتنزل الآية بياناً للكل، وقول السلف نزلت في كذا، قد يقصدون به أن واقعه مما يشملها لفظ الآية لنزولها إثره، أو أنها تفسير لها، وقد يكون النبي ﷺ تلاها على من سألوه عن ذنوبهم عند نزولها في ضمن السورة ومثل هذا التعبير كثير في كلام رواة التفسير^(١).

القول الرابع: من المفسرين من حمل الآية على العموم، كابن عطية^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، وأبي حيان^(٤)، وابن تيمية^(٥)، والبقاعي^(٦)، والقاسمي^(٧)، ومحمد رشيد رضا^(٨)، والسعدي^(٩).

وحجتهم في هذا:

أولاً: عموم اللفظ، فكل من آمن داخل في هذا حيث قال ابن عطية: «وهي على هذا تعم جميع المؤمنين دون أن تشير إلى فرقه» وقال الفخر الرازي: «والأقرب من هذه الأقاويل أن تحمل الآية على عمومها، فكل من آمن بالله دخل تحت هذا التشریف»^(١٠).

(١) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥٥٠) والبرهان في علوم القرآن: (١/٣٩) وتفسير المنار: (٧/٤٤٦).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٥٩).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢/١٣).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٤٣).

(٥) ينظر: دقائق التفسير: (٢/١١١).

(٦) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٣٠).

(٧) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٥٥٠).

(٨) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٤٦).

(٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٨).

(١٠) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢/١٣).



ثانياً: أن هذا هو الظاهر، قال أبو حيان: « والظاهر أنه يراد به المؤمنون من غير تخصيص لا بالسته ولا بغيرهم حيث قال: والظاهر أن الآية نزلت في معاملة جميع المؤمنين »^(١).

إذا تقرر هذا وتبين فإن حمل الآية على هذا الأخير هو أولى من حملها على خصوص سبب دون سبب، إضافة إلى أن هذه السورة نزلت دفعة واحدة. قال الفخر الرازي: « ولي هاهنا إشكال: وهو أن الناس اتفقوا على أن هذه السورة نزلت دفعة واحدة، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن يقال في كل واحدة من آيات السورة أن سبب نزولها هو الأمر الفلاني بعينه »^(٢) وعلى هذا فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٣)، والله أعلم.



(١) ينظر: البحر المحيط: (١٤٣/٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢/١٣).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٤٥/٢).

٢٨- المسألة الثانية: من أي جهة كان السلام في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ

سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾

قال القرطبي ~ : « نزلت في الذين نهى الله نبيه - ﷺ - عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام)^(١) فعلى هذا كان السلام من جهة النبي ﷺ. وقيل: إنه كان من جهة الله تعالى، أي: أبلغهم منا السلام، وعلى الوجهين ففيه دليل على فضلهم ومكانتهم عند الله تعالى. « ١. هـ. »^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن السلام كان من جهة النبي ﷺ، وعلى هذا القول اختلفوا في معناها كما اختلفت الروايات.

فالأول منها: ما اختاره القرطبي من أن مراد قوله ﴿فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يسلم على من هم بإبعادهم حينما عرض له ذلك كفار قريش، فأمره ﷺ أن يبدأهم بالسلام، إكراماً لهم، وتطييباً لقلوبهم وخواطرهم.

وقد وافق في اختياره هذا المعنى قول مقاتل بن سليمان^(١)، وابن أبي زمنين^(٢)، والسمعاني^(٣)، ووافقهم ابن جزي الكلبلي^(٤)، وأبو السعود^(٥)،

(١) الرواية أوردها الواحدي في أسباب النزول: (٢١٤) عن عكرمة، وابن الجوزي في زاد المسير: (٤٨/٣) عن عكرمة والحسن.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٢/٨).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٤٩/١).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٧١/٢).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (١٠٨/٢).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٠/٢).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٧/٢).

والبقاعي^(١)، والشوكاني^(٢)، والآلوسي^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤)، والشنقيطي^(٥).

واستدل القائلون بالرواية التي ورد فيها اللفظ صراحة بأن يبدأهم بالسلام قوله ﷺ: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام).

الثاني: المراد بقوله ﷺ: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي رُدّ عليهم السلام، وهذا في شأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابة الذين قالوا لرسول الله ﷺ لو فعلت ما طلب منك أشراف قريش حتى ننظر ما الذي يريدون؟ وإلام يصيرون؟ وعندما نزل قوله ﷺ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ ﴿ جاءوا يعتذرون من مقاتلتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر رسوله ﷺ أن يرد عليهم السلام، ويبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم، ولهذا قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٤٥] أي: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلا منه وإحسانا وامتنانا، وبهذا قال ابن كثير^(٦): « فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم »^(٧)

واستدلوا: بالرواية السابقة عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن السلام من الله تعالى، على أن المراد بقوله ﷺ: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي من ربكم، فالله يقرئهم السلام على لسان نبيه ﷺ ويبشرهم بالسلام من كل مكروه لما احتقرهم كفار قريش، وأمروا رسول الله ﷺ بطردهم، وهذا على رواية عكرمة.

(١) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٣٠).

(٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١٢٠).

(٣) بنظر: روح المعاني: (٧/١٦٤).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٥٠).

(٥) ينظر: أضواء البيان: (١/٤٧٩)، و العذب النمير: (١/٣٣٨).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٠).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٠).



أما على رواية ابن عباس رضي الله عنه، فإن المعنى: قبل الله عذرهم، واعترفهم، وبشرهم
بالسلامة مما اعتذروا منه، وعليه لا يكون السلام بمعنى التحية.
ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة، أو بعضها بلا ترجيح ^(١).

إذا تقرر هذا فالقول في هذه المسألة كالقول في سابقتها، فجميع الأقوال
تحتملها الآية لاختلاف الروايات الواردة عن السلف في هذا، ولا تفضيل لقول
على قول، لعدم ورود نص يقطع هذا الاحتمال، والله أعلم.



(١) كالمأوردي في النكت والعيون: (١١٩/٢)، والزمخشري في الكشاف: (٢٨/٢)، وابن الجوزي في زاد
المسير: (٤٩/٣)، والعز بن عبد السلام في تفسيره: (٤٣٨/١) والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٣٠٣/١)،
والنسفي في مدارك التنزيل: (١٤/٢)، ونظام الدين النيسابوري في غرائب القرآن ورجائب الفرقان:
(٨٧/٣)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (١٧٤/٧).



٣٩- المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ﴾.

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجب ذلك بخبره الصدق، ووعدته الحق، فخطب العباد على ما يعرفونه من أنه من كتب شيئاً، فقد أوجبه على نفسه.

وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ « أ. هـ (١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بكتب هنا، أي: أوجب على نفسه الرحمة إيجاب فضل وإحسان، والبارئ تعالى لا يجب عليه شيء عقلاً، إلا إذا أعلمنا أنه كتبه عليه (١).

وقد وافق في ذلك قول الزجاج (١)، النحاس (١)، والسمرقندي (١)، والواحدي (١)، والسمعاني (١)، والبغوي (١)، وابن عطية (١)، ووافقهم ابن تيمية (١)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٩٤).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: (٤/ ١٤٤) وفتح القدير: (٢/ ١٢٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٥٤).

(٤) ينظر: إعراب القرآن: (٢/ ٦٩).

(٥) تفسير بحر العلوم: (١/ ٤٥١).

(٦) تفسير الوجيز: (١/ ٣٥٦).

(٧) تفسير السمعي: (٢/ ١٠٨).

(٨) ينظر: معالم التنزيل: (٢/ ٢٦).

(٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ٦٠).

(١٠) ينظر: النبوات: (١/ ٢٤٦)، ومنهاج السنة النبوية: (١/ ٤٥١)، ومجموع الفتاوى: (١٦/ ٥٩٣).



ونظام الدين النيسابوري^(١)، والخازن^(٢)، وابن كثير^(٣)، وأبو السعود^(٤)، والشوكاني^(٥)، والآلوسي^(٦)، ومحمد رشيد رضا^(٧)، والشنقيطي^(٨).

واستدل القائلون بهذا بما يلي:

أولاً: النظائر القرآنية لهذا المعنى: فالله تعالى أوجب على نفسه الكريمة أموراً، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً. كما جاء في هذه الآية، قال ابن تيمية بعد ذكرها: « وهذا حق أوجبه الله تعالى، وليس للمخلوق أن يوجب على الخالق تعالى شيئاً »^(٩)، وجاءت آيات أخرى نظير هذا، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] أي هو حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً^(١٠)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، وفي هذا إخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة، والإنجيل،

(١) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: (٨٨/٣).

(٢) ينظر: لباب التأويل: (٥٦/٢).

والخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي، الشهير بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، توفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداودي: (٢٩٢)، وشذرات الذهب: (١٣١/٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٤٠/٢).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٧/٢).

(٥) ينظر: فتح القدير: (١٢٠/٢).

(٦) ينظر: روح المعاني: (١٦٧/٧).

(٧) ينظر: تفسير المنار: (٤٤٩/٧).

(٨) ينظر: العذب النمير: (٣٤٠/١).

(٩) مجموع الفتاوى: (٣٤٠/١).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٤٣٧/٣).



والقرآن^(١)، وقوله ﷺ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية يعني فسأوجب حصول رحمتي مني، وإحسانا إليهم^(٢). قال ابن حجر^(٣): «قوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ليس معناه أن ذلك لازم له، لأنه لا أمر له، ولا ناهي يوجب عليه ما يلزمه المطالبة به، وإنما معناه: إنجاز ما وعد به من الثواب، وهو لا يخلف الميعاد»^(٤)

ثانياً: جاء أيضاً في السنة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة والسلام - ما يقرر هذا ويشهد له^(٥) قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (يا معاذ: هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس! قال لا تبشرهم فيتكلوا)^(٦)، ومنه قوله ﷺ في غير حديث كان حقاً على الله أن يفعل به كذا، ومن ذلك ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/٣٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٢/٢٥٢).

(٣) هو: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه: (م: ٧٧٣-ت: ٨٥٢هـ). ينظر: الضوء اللامع: (٢/٣٦).

(٤) فتح الباري: (١٣/٤١٢).

(٥) ينظر: الفتاوى الكبرى: (١/٤٠٩)، ومجموع الفتاوى: (١/٣٤٠).

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب السير والجهاد، باب اسم الفرس والحمار: (٣/١٠٤٩)، برقم (٢٧٠١)، وأيضاً: في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦/٢٦٨٥) برقم: (٦٩٣٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٨) برقم: (٣٠).

نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ (١)، فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله (١)...

ثالثاً: المعروف في كلام العرب (١): أن كتب بمعنى فرض، وأوجب، وكتب الله الشيء قضاءه، وأوجهه، وفرضه، وفي التنزيل العزيز ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]

وكتب الله تعالى الشيء كتاباً: فرضه، وقضاه، وأيضاً قدره، فكتب الله الأجل والرزق، وكتب على عباده الطاعة، وعلى نفسه الرحمة، وهذا كتاب الله قدره، قال الجعدي:

يا بنت عمي كتاب الله أخرنى عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا (١)

قال النحاس: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجب، فخطب العباد على ما يعرفون من أنه من كتب شيئاً فقد أوجهه على نفسه (١) ..

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بهذه الآية أنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ عنده، وانفرد بهذا القول - بحسب اطلاعي - الثعالبي حيث قال: «قوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البغوي في شرح السنه باب الذب عن المسلمين، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، ولفظه: (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن» (٣٢٧/٤) برقم: (١٩٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (من علوم الحديث): (١٨/١٤٩).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (١٠/٨٨)، ومختار الصحاح: (١/٢٣٤)، والأفعال: (٣/٧٥)، والمعجم الوسيط: (٢/٧٧٤)، وأساس البلاغة: (١/٥٣٥)، ولسان العرب: (١/٦٩٩).

(٤) ينظر: الشعر والشعراء: (٥٦).

(٥) إعراب القرآن: (٢/٦٩).



نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿﴾ قال علماءنا: كتب معناه أوجب، وعندني أنه كتب حقيقة قال النبي ﷺ: (إن الله خلق القلم فقال له: اكتب، فكتب ما يكون إلى يوم القيامة) (١) «أهـ» (١).

والحجة في هذا القول:

حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لما قضى- الله الخلق كتب كتاباً عنده: غلبت أو قال: سبقت رحمتي غضبي فهو عنده فوق العرش) (١).

والذي يظهر - والله أعلم - صحة أدلة القولين، ولا تعارض بينهما، فهو سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ عنده، وإذا أمكن الجمع بينهما صار هو الأول والأرجح، وبهذا قال ابن جزى الكلبي (١)، وأبو حيان (١) وهذا قوله: «﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجبها. والبارئ تعالى لا يجب عليه شيء عقلاً إلا إذا أعلمنا أنه حتم بشيء- فذلك الشيء- واجب... والكتب هنا في اللوح المحفوظ» (١).

وقال الخطابي (١): «المراد بالكتاب أحد شيئين: إما القضاء الذي قضاه كقوله

(١) ذكر الثعالبي الحديث بمعناه، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بهذا اللفظ: (إن أول شيء خلقه الله القلم، فقال له: اكتب فقال: وما أكتب؟ فقال: القدر، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة...)، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة ن والقلم (٢/٥٤٠)، برقم: (٣٨٤٠).

(٢) الجواهر الحسان: (١/٤٨١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾: (٦/٢٧٤٥) برقم: (٧١١٤).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٠).

(٥) ينظر: تفسير البحر المحیط: (٤/١٤٤).

(٦) تفسير البحر المحیط: (٤/١٤٤).

(٧) الخطابي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن

الخطاب، أبو سليمان محدث لغوي له عدة تصانيف منها (معالم السنن، وغريب الحديث) (٣١٩هـ -

٣٨٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٧/٢٣)، وتذكرة الحفاظ: (٣/٢٠٩)، وشذرات الذهب:



تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] أي قضى ذلك.... وإما الكتابة في اللوح المحفوظ....»^(١).

وهذا ما تؤيده قاعدة " ينبغي حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(٢).



(٣/١٢٧)، ومعجم المؤلفين: (٢/٦١).

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري: (١٣/٤١٣).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



٣٠- المسألة الرابعة: المراد "بجهالة" في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ

سُوءًا اِبْجَهَلَةً﴾ [الأعام: ٥٤]

قال القرطبي ~ : «مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا اِبْجَهَلَةً﴾ أي: خطيئة من غير قصد، قال مجاهد: لا يعلم حلالاً من حرام ومن جهالته ركب الأمر^(١)؛ فكل من عمل خطيئة فهو بها جاهل. وقيل: من أثر العاجل على الآخرة فهو الجاهل^(٢) «ا.هـ^(٣)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بمن يعمل السوء بجهالة في هذه الآية: من يعمل المعصية والخطيئة من غير علم ولا قصد فيسمى جاهلاً، وقد وافق في اختياره هذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وأبي العالية، وابن زيد^(٤)، وقال به السمعاني^(٥)، وابن تيمية^(٦)، وابن القيم^(٧)، وأبو السعود^(٨)، والسعدي^(٩).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٠٩/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠١/٤) وعزا السيوطي رواية مجاهد إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب كما في الدر المنثور: (٤٥٩/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٤/٨).

(٣) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (١٥١/١)، والطبري في جامع البيان: (٢٩٩/٤) وابن أبي حاتم في تفسيره: (٨٩٧/٣)، و (١٣٠١/٤)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس رضي الله عنه إلى الطبري من طريق الكلبي، ورواية قتادة إلى عبدالرزاق والطبري، ورواية أبي العالية إلى عبد بن حميد، والطبري، وابن المنذر من وجه آخر كما في الدر المنثور: (٤٥٩/٢).

(٤) ينظر: تفسير السمعي: (٢٠٨/٢).

(٥) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٧٧/١) وكتب ورسائل ابن تيمية في التفسير: (٢٩١/١٤).

(٦) ينظر: شفاء العليل: (١٧١/١)، و مدارج السالكين: (٤٧٠/١) حيث قال: «وسمى عدم مراعاة العلم جهلاً؛ إما لأنه لم ينتفع به فنزل منزلة الجاهل، وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله».

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٤٨/٥).

(٨) ينظر: تيسير الكريم المنان: (١٧١/١).



واحتج أصحاب هذا القول: بالأصل اللغوي لجهل، وأنها نقيض العلم، والجهالة أن يفعل فعلاً بغير علم^(١): قال الراغب الأصفهاني: «الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام»^(٢)

وفي المسألة قول آخر:

وهو من يعمل المعصية والخطيئة بعلم وقصد، وسمي جاهل لأحد أمرين: يجهل المكروه والعقاب فيها، أي: لم يعرف أن فيه مكروهاً وعقاباً، أو يعلم أن عقابها مكروهة لكنه بسبب شهوة أثر العاجل على الآجل، فجعل جاهلاً^(٣).

قال ابن الجوزي: «وإنما سموها جهالاً: لأنهم آثروا أهواءهم على ما علموا أنه الحق»^(٤) وقال في التذكرة: «لم يرد به الجهل بالمعصية، ولكنهم سموها جهالاً لإيثارهم العاجل على الآجل»^(٥) وهذا القول مروى عن مجاهد، والضحاك من روايات أخرى^(٦)، وبه قال الطبري^(٧)، والزجاج^(٨)، والسمرقندي^(٩).

(١) ينظر: مادة جهل في تهذيب اللغة: (٣٧/٦)، ولسان العرب: (١٢٩/١١)، ومقاييس اللغة: (٤٨٩/١) قال: «الجيم والهاء واللام أصلان أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة».

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: (٢٠٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥٤/٢).

(٤) ينظر: زاد المسير (٢٨٧/١).

(٥) تذكرة الأريب في تفسير الغريب: (١١٢/١).

(٦) أخرجها عبدالرزاق في تفسيره: (١٥١/١)، و الطبري في جامع البيان: (٢٩٨/٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠١/٤) حيث قالوا: الجهالة العمدة.

(٧) ينظر: جامع البيان: (٢٩٨/٤).

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥٤/٢).

(٩) ينظر: بحر العلوم: (٢٩٦/٢).

والفخر الرازي^(١)، وابن جزى الكلبي^(٢)، والبيضاوي^(٣)، والثعالبي^(٤).

وعند النظر والتأمل في القولين السابقين، يتبين لنا أنهما كليهما على صواب، قال ابن تيمية: «الجهل هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم. فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال النبي ﷺ (إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل..^(٥))، والجهل هنا هو الكلام الباطل بمنزلة الجهل المركب، ومن هذا قول الشاعر^(٦):

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(٧)

وهذا كثير، وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]... وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل؛ فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعف القلب عن

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (٤ / ١٣) حيث قال: «المراد من قوله ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ ليس هو الخطأ والغلط، لأن ذلك لا حاجة به إلى التوبة بل المراد منه أن تقدم على المعصية بسبب الشهوة؛ فكان المراد منه بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنباً، ثم تاب منه توبة حقيقية فإن الله تعالى يقبل توبته.»

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١ / ١٤٣).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: (٢ / ١٦٠).

(٤) ينظر: الجواهر الحسان: (١ / ٣٥٦) وقال: «قلما يوجد من العصاة من لم يتقدم له علم بخطر المعصية التي يواقع» (٢ / ٣٢٦) .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم: (٢ / ٨٠٦) برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٦) الشاعر: عمرو بن كلثوم.

(٧) من معلقة عمرو بن كلثوم. ينظر: شرح المعلقات العشر: (١٤٤)، وجمهرة أشعار العرب: (١ / ٤٤).



مقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار»^(١).

وإذا أمكن الجمع بين المعنيين فهو الأولى للعموم، والقاعدة تنص على أنه "ينبغي حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٧٧/١)، وذكره بنحوه في مجموع الفتاوى: (٥٣٩/٧).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا اسْتَعَجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأعام: ٥٧]

في الآية الكريمة ثلاث مسائل:

٣١- المسألة الأولى: علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾؟

قال القرطبي ~ : « وَكَذَّبْتُم بِهِ ﴾ أي: بالبينة؛ لأنها في معنى البيان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النساء: ٨] وقيل: يعود على الرب، أي كذبتهم بربي؛ لأنه جرى ذكره. وقيل: بالعذاب. وقيل بالقرآن. « ١.هـ (١) »

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الضمير في به يعود على ما تقدم ذكره: وهو البينة (١)، وقد وافق وافق في ذلك الزجاج (١)، ومكيًا القيسي (١)، ووافقهم نظام الدين النيسابوري (١)، وابن كثير (١)، وأبو السعود (١)، والقاسمي (١)، وابن عاشور (١)، والشنقيطي (١).

- (١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٨/٨).
- (٢) قال الراغب: والبينة: الدلالة الواضحة، عقلية كانت أو محسوسة. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: (١٥٧).
- (٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥٦/٢).
- (٤) ينظر: مشكل إعراب القرآن: (٢٥٥/١).
- (٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٨٩/٣).
- (٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٤١/٢).
- (٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٩/٢).
- (٨) ينظر: محاسن التأويل: (٥٤٤/٦).
- (٩) ينظر: التحرير والتنوير: (١٣٢/٦).
- (١٠) ينظر: العذب النمير: (٣٦٦/١).

وقد جاء الضمير هنا على التذكير لا على التأنيث لسببين:

الأول: أن الهاء كناية عن البيان، أي وكذبتكم بالبيان، لأن البينة والبيان بمعنى واحد، ويكون ﴿وَكَذَّبْتُمْ﴾ أي بما أتيتكم به، لأنه هو البيان^(١)

الثاني: باعتبار المعنى المراد كما في آية النساء. قال أبو السعود: « والضمير المجرور للبينة، والتذكير باعتبار المعنى المراد. والمعنى: إني على بينة عظيمة كائنة من ربي، وكذبتكم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب »^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو التكذيب بالرب ﷻ، فيكون المعنى: وكذبتكم أنتم بربكم، وبهذا قال الطبري^(٣)، ووافقه الثعلبي^(٤)، والواحدي^(٥)، والفخر الرازي^(٦)، والعكبري^(٧) والبيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، وأبو حيان^(١٠)، وابن عادل الحنبلي^(١١)، والبقاعي^(١٢).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٥٩).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٤/٢١١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٥٣).

(٥) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٦).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب: (٧/١٣).

(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٥٠١).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٤).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٥).

(١٠) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٤٥).

(١١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٨/١٨٢).

(١٢) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٣٣).



والسيوطي^(١)، والآلوسي^(٢)، والشوكاني^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤)، والسعدي^(٥).

القول الثالث: أن الضمير يعود على ما لم يتقدم له ذكر وهو القرآن. وبهذا قال السمرقندي^(٦)، وابن أبي زمنين^(٧)، والسمعاني^(٨)، والبغوي^(٩)، ابن عطية^(١٠)، والثعالبي^(١١).

قال ابن عطية: «وقيل: على القرآن وهو وإن لم يتقدم له ذكر جلي، فإنه بعض البيان الذي منه حصل الاعتقاد واليقين للنبي ﷺ فيصح عود الضمير عليه»^(١٢).

ومن المفسرين من ذكر ما سبق من الأقوال دون اختيار^(١٣).

(١) ينظر: الجلالين: (١١٠).

(٢) ينظر: روح المعاني: (١٦٩/٧) حيث قال: «وأيا ما كان فالمراد بها القرآن».

(٣) ينظر: فتح القدير: (١٢٢/٢).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٤٥٣/٧).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٨).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٣/١).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٧٢/٢).

(٨) ينظر: تفسير السمعاني: (١٠٩/٢).

(٩) ينظر: معالم التنزيل: (٢٧/٢).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز (٦٣/٦).

(١١) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٢/١).

(١٢) ينظر: المحرر الوجيز (٦٣/٦).

(١٣) كما ماورد في النكت والعيون: (١٢٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٥١/٣)، والعز بن عبدالسلام

في تفسيره: (٤٣٩/١)، وابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (١١/٢).



وعند النظر والتأمل فيما سبق نجد أنها على صواب، إلا أن الذي يترجح
من دراسة الأدلة هو القول الثاني للقاعدة المعتمدة وهي: " أن الأصل إعادة
الضمير إلى اقرب مذكور"^(١). والله تعالى أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٦١٢/٢).



٣٢٢ - المسألة الثانية: عود الضمير في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدِي مَا

تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٧]

قال القرطبي ~ : « ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: العذاب فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله استهزاءً، نحو قولهم: ﴿أَوْ تَسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَا كُنَّا نَعْبُدُ فَاصْرِفْ عَنْ رِعَابِنَا كَيْدَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: ما عندي من الآيات التي تقترحونها»^(١) .أ.هـ

﴿الدراسة والترجيح:﴾

اختار القرطبي أن الضمير يعود على العذاب، وقد وافق في اختياره الطبري^(١)، والسمرقندي^(٢)، والثعلبي^(٣)، والواحدي^(٤)، والزنجشيري^(٥)، وابن عطية^(٦)، والفخر الرازي^(٧)، والبيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، وابن جزري الكلبلي^(١٠)، وأبو حيان^(١١)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٣٩٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/ ٢١١).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (١/ ٤٥٣).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (٤/ ١٥٣).

(٥) ينظر: الوجيز: (١/ ٣٥٦).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/ ٢٤).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٦/ ٦٣).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/ ٧).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (١/ ٣٠٤).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/ ١٥).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/ ١١).

(١) ينظر: البحر المحيط: (٤/ ١٤٥).



وابن كثير^(١)، والثعالبي^(٢)، وابن عادل^(٣)، والسيوطي^(٤)، وأبو السعود^(٥)،
والشوكاني^(٦)، والآلوسي^(٧)، والقاسمي^(٨) ومحمد رشيد رضا^(٩)، والشنقيطي^(١٠)،
والسعدي^(١١).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: النظائر القرآنية الدالة على استعجالهم بالعذاب^(١٢) قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا
عَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّقَوْلِهِمْ مَا يَجِئُهُمْ﴾ [هود: ٨] أي شيء يحبس العذاب ويؤخره،
ولم لا تعجله؟ والله ﷻ يقول: ﴿وَسَتَّعِجُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَ هُمُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [٥٣] يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ [٥٤]
[العنكبوت: ٥٣-٥٤]، وكقوله أيضاً: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨] وقوله:
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [١٦] [ص: ١٦].

ثانياً: معنى الآية المطابق لحالهم، وذلك أن الكافرين وقعوا فيما يستوجب

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٤١/٢).

(٢) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٢/١).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٨٢/٨).

(٤) ينظر: الجلالين: (١١٠).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٩/٢).

(٦) ينظر: فتح القدير: (١٢٢/٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (١٦٩/٧).

(٨) ينظر: محاسن التأويل: (٥٤٤/٦).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٤٥٤/٧).

(١٠) ينظر: العذب النمير: (٣٦٦/١).

(١١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٥٨).

(١٢) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٨/١)، العذب النمير: (٣٦٧/١).



العذاب عليهم، وما حملهم على استعجال العذاب إلا الكفر والتكذيب، وأنهم إن عاينوا ذلك العذاب علموا أنه عظيم هائل لا يستعجل به إلا جاهل مثلهم^(١).

قال ابن عطية: « وهذا يرجح بوجهين أحدهما: من جهة المعنى وذلك أن قوله ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ يتضمن أنكم واقعتم ما تستوجبون به العذاب.... والآخر: من جهة اللفظ وهو الاستعجال الذي لم يأت في القرآن استعجالهم إلا العذاب لأن اقتراحهم بالآيات لم يكن باستعجال^(٢)»

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنهم يستعجلون بالآيات التي يقترحونها، وبهذا قال الزجاج^(٣)، والنحاس^(٤).

ويعترض على هذا: أن اقتراحهم بالآيات لم يكن باستعجال كما بين ذلك ابن عطية في قوله المتقدم.

وبهذا يتبين أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، لأن القاعدة الترجيحية المعتبرة تقرر هذا وتؤكد " فالقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٥)، والله أعلم.



(١) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٨/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٦٣/٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٥٦/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (٣٣٥/١).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

٣٣ - المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]

قال القرطبي ~ : « ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ما الحكم إلا لله في تأخير العذاب وتعجيله. وقيل: الحكم الفاصل بين الحق والباطل لله. «أ.هـ»^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي معنى الآية: أن الحكم لله في تأخير العذاب وتعجيله، والأمر إليه في الثواب والعقاب. والمراد بالحكم على هذا القول الحكم الجزائي القدري فلا يقع تحريك ولا تسكين، ولا خير ولا شر، ولا شيء كائن ما كان إلا بحكمه وَعَلَىٰ قُدْرَتِهِ ومشيتته^(١). قال السعدي: « ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي فأمر ونهى، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي فيثيب ويعاقب بحسب ما تقتضيه حكمته؛ فالاعتراض على حكمه مطلقاً مدفوع وقد أوضح السبيل، وقص على عباده الحق»^(٢)

وقد وافق القرطبي في اختياره مقاتل بن سليمان^(٣)، والسمرقندي^(٤)، والزخشري^(٥)، ووافقهم البيضاوي^(٦)، والنسفي^(٧)، وأبو حيان^(٨)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٣٩٩ / ٨).

(٢) ينظر: العذب النمير: (٣٦٩ / ١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٥٨).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٤٩ / ١).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٣ / ١).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢٤ / ٢).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٠٤ / ١).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل: (١٥ / ٢).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (١٤٦ / ٤).



وابن كثير^(١)، وابن عادل^(٢)، وأبو السعود^(٣)، والآلوسي^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥)،
والسعدي^(٦).

واحتج أصحاب هذا القول:

بالنظائر القرآنية التي جاءت مبينة في آيات آخر، كقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠] أي القضاء النافذ في كل شيء من غير
مشاركة فيه لغيره^(٧) وقوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]^(٨).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الحكم لله تعالى يفصل ويميز بين الحق والباطل، وعلى هذا فالمراد بالحكم
هنا هو الحكم الشرعي، فلا تشريع لأحد إلا له **وَجْهًا**؛ فالحلل ما أحله الله، والحرام ما
حرمه، والدين ما شرعه، والأمر أمره، والنهي نهيه^(٩).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤١).

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٨/١٨٢).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٥٩).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٧/١٦٩).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٥٤).

(٦) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢٥٨).

(٧) ينظر: معالم التنزيل: (٣/٤٥٣)، وإرشاد العقل السليم: (٧/٢٣).

(٨) أضواء البيان: (٣/٢٥٨).

(٩) ينظر: العذب النمير: (١/٣٦٩).



وبه قال الشوكاني: « أي ما الحكم في كل شيء إلا لله سبحانه...، والمراد الحكم
الفاصل بين الحق والباطل »^(١).

واحتج أصحاب هذا القول:

بالنظائر القرآنية التي تؤيد هذا المعنى للحكم قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ
شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] وقوله تعالى: وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] إلى غير ذلك من الآيات^(٢)

واحتجوا أيضاً بقوله ﴿ وَكَانَ فِي الْآيَةِ ﴾ ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] لأن (الفاصلين)
جمع (الفاصل)، وهو الذي يفصل الخصوم، وينصف بينها، ويحقق الحق بينها^(٣).
ومن المفسرين من ذكر ما سبق بلا ترجيح^(٤).

وعند النظر والتأمل في القولين نجد أنهما كليهما على صواب ولا تعارض
بينهما، والآية تحتاملهما. قال الطبري جامعاً بين القولين: « فمعنى الكلام إذن ما
الحكم فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله وفيما بيني وبينكم إلا الله، الذي
لا يجوز في حكمه، ويده الخلق والأمر يقضي الحق بيني وبينكم وهو خير الفاصلين
بيننا بقضائه وحكمه » ا.هـ^(٥). وقال الفخر الرازي: « ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ وهذا مطلق
يتناول الكل.... » وقال الشنقيطي: « وعموم الآية يقتضي أن الحكم من حيث هو: هو

(١) ينظر: فتح القدير: (٢/ ١٢٢).

(٢) أضواء البيان: (٣/ ٢٥٨).

(٣) ينظر: العذب النمير: (١/ ٣٦٩).

(٤) كالموردي في النكت والعيون: (٢/ ١٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/ ٥٢)، والعز بن عبد السلام
في تفسيره: (١/ ٤٣٩).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٧/ ٢١١).



لله عَزَّ وَجَلَّ وحده.... سواء كان شرعياً أو قدرياً فإنه لله وحده»^(١). وهو منطبق على القاعدة الترجيحية المعتبرة "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(٢)، والله أعلم.



(١) ينظر: العذب النمير: (١/٣٦٩).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]

في الآية الكريمة ثلاث مسائل:

٣٤- المسألة الأولى: المراد بمفاتيح الغيب في قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ

قال القرطبي ~ : « روى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)..... إلى أن قال: وقيل: المراد بالمفاتيح خزائن الرزق عن السدي^(١)، والحسن^(٢). مقاتل والضحاك: خزائن الأرض^(٣). وهذا مجاز عبر عنها بما يتوصل إليها به. وقيل غير هذا مما يتضمنه معنى الحديث، أي عنده الآجال ووقت انقضائها. وقيل: عواقب الأعمار وخواتم الأعمال، إلى غير هذا من الأقوال. والأول المختار والله أعلم^(٤). »

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢١٢)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٠٤)، وعزاه السيوطي إليها كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٧).

(٢) لم أجد أثراً عن الحسن في الكتب الأربعة، وذكره ابن أبي زمنين في تفسيره: (٢/٧٣).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٥٤) و البغوي في معالم التنزيل: (٢/٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٥٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٠١).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن المراد بمفاتيح الغيب: هي الخمسة الواردة في الحديث والتي لا يعلمها إلا الله تعالى.

وقد وافق في ترجيحه المروي عن ابن عمر^(١)، وابن عباس^(٢)، وبه قال الثعلبي^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)، وابن العربي^(٦)، وابن عطية^(٧)، وأبي حيان^(٨)، وابن كثير^(٩)، والثعالبي^(١٠)، وابن عادل الحنبلي^(١١)، والشنقيطي^(١٢).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: النظر القرآني، فخير ما يفسر به القرآن قرآن مثله قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [فسان: ٣٤].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢١٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠٤/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى أبي الشيخ، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٢٧٧/٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢١٣/٧)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٧٧/٣).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٥٤/٤).

(٤) ينظر: الوجيز: (٣٥٧/١).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (١١٠/٢).

(٦) ينظر: أحكام القرآن: (١٩٣/٢) حيث قال: «وأما علم ابن عباس فعلم سديد من فك شديد».

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (٦٤/٦).

(٨) ينظر: البحر المحيط: (١٤٨/٤).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٤٢/٢).

(١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٣/١).

(١١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٨٦/٨).

(١٢) ينظر: أضواء البيان: (٣٥٩/١)، والعذب النمير: (٣٨٤/١).



ثانياً: تفسير القرآن بالسنة فقد فسر النبي ﷺ مفاتيح الغيب بأنها الخمس المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ كما في الحديث المتقدم ذكره.

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن مفاتيح الغيب هي خزائن الرزق وهو المروي عن السدي والحسن، ووافقهم السمرقندي^(١)، والعكبري^(٢)، والشوكاني^(٣).

واحتجوا: بالنظير القرآني في قوله تعالى: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُؤْمِرُ بِالْعَصْبَةِ﴾ [الفص: ٧٦] قال الفراء: يعني خزائنه^(٤). على أن المفاتيح جمع مَفْتَح، بفتح الميم، والمفتاح الخزانة، فعلى هذا التقدير يكون المعنى هنا: وعنده خزائن الغيب وهو على طريق الاستعارة^(٥).

القول الثالث: قيل: إن مفاتيح الغيب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى علم الغيب، وبهذا قال الزجاج^(٦) ووافقه النحاس^(٧)، والزمخشري^(٨)، وابن جزري الكلبلي^(٩)، وابن عاشور^(١٠).

واحتجوا: بأن المفاتيح جمع مَفْتَح بكسر- الميم والمِفْتَح هو الآلة التي يفتح بها المغلق، وتسمى المفتاح وعلى هذا التقدير فقد جعل للغيب مفاتيح يتوصل بها إلى ما في

(١) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥٣).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٥٠٢).

(٣) ينظر: فتح القدير: (٢/١٢٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: (١/٢٤٥)، ومعالم التنزيل: (٢/٢٩)، ومفاتيح الغيب: (٨/١٣).

(٥) ينظر: العين: (٣/١٩٤)، ولسان العرب: (٢/٥٨٣) في مادة فتح، والعذب النمير: (١/٤٠٠).

(٦) ينظر معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥٧).

(٧) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣٦).

(٨) ينظر: الكشاف: (٢/٤٢).

(٩) ينظر: التسهيل في علوم التنزيل: (٢/١١).

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير: (٦/١٣٥).



الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، فالعالم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في تلك الخزائن؛ فكذلك ههنا الحق سبحانه لما كان عالماً بجميع المعلومات عبر عن هذا المعنى بالعبارة المذكورة، وهذا على طريق الاستعارة^(١).

قال الطاهر بن عاشور: « و ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ هنا استعارة تخيلية تنبني على مكنية، بأن شُبِّهت الأمور المغيَّبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يُدَّخَر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتيحها. وأثبتت لها المفاتيح على سبيل التخيلية. والقرينة هي إضافة المفاتيح إلى الغيب، فقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ بمنزلة أن يقول: عنده علم الغيب الذي لا يعلمه غيره. »^(٢)

ويعترض على القولين الأخيرين: بأنها مجاز، وعلى طريق الاستعارة، والأولى حمل نصوص الوحي على الحقيقة لا على المجاز^(٣).

ومما سبق يتبين أن ما رجحه القرطبي ومن وافقه هو الأرجح لقوة أدلتهم، ويؤيد هذا قاعدتان معتبرتتان هما: " القول الذي تؤيده آيات قرآنية فهو مقدم على غيره " ^(٤) وهو القول الذي بينته السنة النبوية " وإذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره " ^(٥). والله أعلم.

(١) ينظر: لسان العرب: (٥٨٣/٢) مادة فتح، ومفاتيح الغيب: (٨/١٣)، والتحرير والتنوير: (١٣٦/٦)، والعذب النمير: (٤٠٠/١).

(٢) التحرير والتنوير: (١٣٦/٦).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٠٦/١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٣١٢/١).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١٩١/١).



٣٥- المسألة الثانية: المراد بقوله تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا

يَعْلَمُهَا﴾

قال القرطبي ~ : « حكى النقاش عن جعفر بن محمد^(١) : أن الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم، والحبة يراد بها الذي ليس بسقط، والرطب يراد به الحي، واليابس يراد به الميت. قال ابن عطية: وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي أن يلتفت إليه^(٢) ..

وقيل المعنى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي: من ورقة الشجر، إلا يعلم متى تسقط، وأين تسقط، وكم تدور في الهواء ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾ إلا يعلم متى تنبت وكم تنبت، ومن يأكلها^(٣) .

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بما تسقط من ورقة. أي: من ورقة شجر، وقد وافق في اختياره المروي عن ابن عباس^(٤)، وبه قال السمرقندي^(٥)، والنحاس^(٦)،

(١) هو: جعفر بن محمد الصادق وهو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي المدني، كنيته أبو عبدالله، وكان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً (م: ٨٠ - ت: ١٤٨ هـ) توفي وهو ابن ثمان وستين سنة. ينظر: الكاشف: (١/ ٢٩٥)، ورجال مسلم: (١/ ١٢٠).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ٦٥).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٠٦).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٠٤)، وسعيد بن منصور في سننه: (٥/ ٢٢)، وعزاه السيوطي إليها وإلى مسدد، وابن مردويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٧٨).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (١/ ٤٥٣).

(٦) ينظر: معاني القرآن: (١/ ٣٣٦).



والثعلبي^(١)، والواحدي^(٢)، والبغوي^(٣)، والزخشي^(٤)، وابن عطية^(٥)، ووافقهم النسفي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وابن كثير^(٨)، والشوكاني^(٩)، والسعدي^(١٠).

واحتج أصحاب هذا القول:

بأنه المعنى الظاهر من الآية وهو المتبادر إلى الذهن: فالمعروف أن الورق هو ورق الشجر، والواحدة ورقة كما قال تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾^(١)

كما أن سياق الآية الكريمة لبيان سعة علم الله تعالى وإحاطته بالجزئيات كلها^(٢). قال ابن عاشور: «جملة: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ عطفت على جملة: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ لقصد زيادة التعميم في الجزئيات الدقيقة. فإحاطة العلم بالخفايا مع

(١) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٥٤).

(٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٧).

(٣) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٢٩).

(٤) ينظر: الكشاف: (٢/٢٤).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٦٤).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٥).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٤٩).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٢).

(٩) ينظر: فتح القدير: (٢/١٢٣).

(١٠) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٩).

(١١) ينظر: تهذيب اللغة: (٩/٢٢١)، ومقاييس اللغة: (٦/١٠١)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٨٦٥)، ولسان العرب: (١٠/٣٧٤). قال ابن فارس: «الواو والراء والقاف أصلان يدل أحدهما على خير ومال، وأصله ورق الشجر... فالأول: الورق ورق الشجر، ولأن الشجرة إذا تحات ورقها انجردت كالرجل الفقير.... والورق المال،».

(١٢) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٥٧).

كونها من أضعف الجزئيات مؤذن بإحاطة العلم بها هو أعظم أولى به»^(١).

وفي المسألة قول آخر:

أن الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم، وهذا مروى عن محمد بن جحادة^(٢) أنه قال: (إن الله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقته خرجت روحه من جسده وذلك قوله سبحانه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾).

ويعترض على هذا:

أنه من التفسير الرمزي الباطني^(٣)، وهو تفسير باطل ولا يتفق مع الآية القرآنية وضعّف هذا القول غير واحد من المفسرين^(٤)، قال ابن عطية: «وهذا قول جار على طريقة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي أن يلتفت إليه»^(٥).

وإذا ثبت ضعف هذا القول تبين أن ما اختاره القرطبي هو الراجح لأنه قول الحجة من أهل التفسير^(٦)، وهو الذي يؤيده سياق الآية الكريمة، والقول الذي

(١) التحرير والتنوير: (٦/١٣٧).

(٢) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٧٨).

وابن جحادة هو: محمد بن جحادة الأودي من أهل الكوفة يروى عن الحسن وقتادة روى عنه أهل الكوفة والبصرة وكان عابداً ناسكاً، ومن زعم أنه سمع من أنس فقد وهم؛ (ت: ١٣١هـ). ينظر: الثقات: (٧/٤٠٤)، تقريب التهذيب: (٤٧١) ورجال مسلم: (٢/١٧٢).

(٣) هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات ورموز خفيه ومعانٍ باطنية تظهر لأرباب السلوك. ينظر: التفسير والمفسرون: (٢/٣٥٢).

(٤) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١١١) والمحرر الوجيز: (٦/٦٤) والجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٠٦)، وروح المعاني: (٧/١٧٢).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٦٥).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٧١).



تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"^(١).

والقاعدة الترجيحية المعتبرة تنص على: "أنه ينبغي حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والمنكر"^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٩٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٢/٣٦٩).

٣٦- المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى: ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ : بطونها، وهذا أصح، فإنه موافق للحديث وهو مقتضى الآية، والله الموفق للهداية. وقيل: ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾: يعني الصخرة التي هي أسفل الأرضين السابعة» اهـ^(١)

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بظلمات الأرض أي بطونها، وقد وافق في ترجيحه هذا قول ابن أبي زمنين^(١)، والثعلبي^(٢)، والسمعاني^(٣)، والبغوي^(٤)، ووافقهم أبو حيان^(٥)، وابن عادل^(٦)، والبقاعي^(٧)، وأبو السعود^(٨)، والشوكاني^(٩)، والآلوسي^(١٠)، ومحمد رشيد رضا^(١١).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٠٦/٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٧٣/٢).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٥٤/٤).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١١١/٢).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٢٩/٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٤٩/٤).

(٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (١٨٩/٨).

(٨) ينظر: نظم الدرر: (١٣٧/٧).

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٦٠/٢).

(١٠) ينظر: فتح القدير: (١٢٣/٢).

(١١) ينظر: روح المعاني: (١٧٢/٧).

(١٢) ينظر: تفسير المنار: (٤٥٧/٧).

واحتج أصحاب هذا القول:

أولاً: موافقته للأثر؛ فعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (ما من زرع على الأرض، ولا ثمار على الأشجار، ولا حبة في ظلمات الأرض، إلا عليها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان، وذلك قوله في محكم كتابه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَأْسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١)

ثانياً: مناسبته للسياق القرآني، فإن الآية جاءت لبيان علم الله بالمغيبات جميعها كما هي ابتداءً^(٢)، وبيان كمال ظهور علمه ﷻ. قال محمد رشيد رضا: «﴿وَلَا حَبَّةَ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ أي: وما تسقط من حبة بفعل فاعل مختار في ظلمات الأرض كالحب الذي يلقيه الزراع في بطون الأرض يسترونه بالتراب فيحتجب عن نور النهار، والذي تذهب به النمل وغيرها من الحشرات في قراها وجحورها، أو بغير فعل فاعل كالذي يسقط من النبات في شقوقها وأخاديدها... إلا في كتاب مبين»^(٣) فإذا كانت هذه الصغائر معلومة فغيرها من الجلائل أخرى^(٤).

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ترجمة أحمد بن خليل التاجر (٤/ ١٣٠)، وابن الجوزي في العلل المتناهية: (١/ ١٥٣)، قال الخطيب: قال ابن نعيم: «حديث غريب تفرد به حمويه بن الحسين، وهو غير مقبول منه». ثم قال: «وقد رواه أبو علي محمد بن علي بن عمر المذكر عن أحمد بن الخليل، وكان المذكر كذاباً معروفاً بسرقة الأحاديث، ونراه سرقة من حمويه، والله أعلم»، والحديث سنده ضعيف كما حكم عليه السيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٢٧٨).

(٢) ينظر: روح المعاني: (٧/ ١٧٢).

(٣) تفسير المنار: (٧/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ٦٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بظلمات الأرض: يعني الصخرة التي هي في أسفل الأرض السابعة، وبهذا قال السمرقندي^(١).

وهذا القول مبني على ما روي عن السدي وفيه: (... فجعل سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن بقوله ﴿تَّ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١-٢] والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاء على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح -وهي الصخرة التي ذكر لقمان- ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت، فاضطرب فتزلزت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الأرض...^(١).

ورواية أخرى عندما سأل رجل محمداً ﷺ قائلاً: يا محمد ما تحت هذه - يعني الأرض - قال: خلق. قال: فما تحتهم؟ قال: أرض. قال: فما تحتها؟ قال: خلق. قال: فما تحتهم؟ قال: أرض حتى انتهى إلى السابعة. قال: فما تحت السابعة؟ قال: صخرة. قال: فما تحت الصخرة؟ قال: الحوت....^(١)

وبيعترض على هذا: بأنها روايات من الإسرائيليات^(١) ولا حجة فيها البتة، وإنما

(١) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١/١٩٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١/٧٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، كما في الدر المنثور: (١/١٠٦)، وقد قال الطبري عن هذا الإسناد في تفسير قوله تعالى: ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ «ولست أعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً» ينظر: جامع البيان: (١/١٥٦).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه كما في الدر المنثور: (٥/٢٥٥).

(٤) الإسرائيليات: تشمل ما تأثر به تفسير القرآن من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وكل دخيل على التفسير مما فيه مبالغة، ودس وكذب وتحريف، ولو كان مروياً عن غير أهل الكتاب، أو متعلقاً بقصص غير واردة في أسفارهم، وإنما سميت هذه الأخبار على اختلاف مصادرها بالإسرائيليات تغليباً للجانب اليهودي

هي من خرافات اليهود^(١).

وإذا ثبت ضعف هذا القول فإن ما رجحه القرطبي هو الأرجح لأنه الموافق للحديث " وإذا كان الحديث في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على غيره " ^(٢)، كما أنه مناسب للسياق ودلالة السياق من أقوى الدلالات على مراد المتكلم. وكل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله^(٣)، والله أعلم.



﴿﴾ =

الذي اشتهر أمره فكثير النقل عنه، لكثرة أهله وظهورهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين. ينظر: التفسير والمفسرون: (١/١٦٥).

(١) قال الحافظ ابن كثير: " فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي، ويقع فيه إسرائيلييات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم " ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١/٧٩)، وقال المحقق: « وهو من الإسرائيليات، ولا حجة فيه البتة، وإنما هو من خرافات اليهود » ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١/٢٥٦).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٢٠٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٢/٣٤٩).



قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَاضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٠]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٣٧- ما حقيقة التوفي في قوله تعالى ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ .

قال القرطبي ~ : « ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي ينيمكم فيقبض نفوسكم التي بها تميزون، وليس ذلك موتاً حقيقة، بل هو قبض الأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت.... ويقال: إن الروح إذا خرج من البدن في المنام تبقى فيه الحياة؛ ولهذا تكون فيه الحركة والتنفس فإذا انقضى عمره خرج روحه وتنقطع حياته، وصار ميتاً لا يتحرك ولا يتنفس. وقال بعضهم: لا تخرج منه الروح، ولكن يخرج منه الذهن. ويقال: هذا أمر لا يعرف حقيقته إلا الله تعالى. وهذا أصح الأقاويل، والله أعلم»^(١)

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن حقيقة التوفي أمر لا يعرفه إلا الله تعالى، وقد وافق في ترجيحه السمرقندي^(١)، ووافقهما ابن جزى الكلبي^(١)، والشوكاني^(١).

قال ابن جزى الكلبي: «وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]»^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤٠٨/٨).

(٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٤/١).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٩٦/٣).

(٤) ينظر: فتح القدير: (١٢٤/٢).

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٩٦/٣).

وفي المسألة أقوال أخرى منها:

القول الثاني: أن التوفي يكون بقبض الأرواح عن التصرف بالنوم، كما يقبضها بالموت^(١). وبه قال الطبري^(٢)، والثعلبي^(٣)، والماوردي^(٤)، والواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، والبغوي^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، ونظام الدين النيسابوري^(١٠)، والبقاعي^(١١).

القول الثالث: أن التوفي يكون بقبض نفوسكم التي بها تميزون.

وهو المروي عن ابن عباس^(١٢)، وعكرمة^(١٣).

(١) وهذه استعارة تبعية حيث استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس الظاهرة والتميز ينظر: روح المعاني: (١٧٣/٧).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٢١٤/٧).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٥٥/٤).

(٤) ينظر: النكت والعيون: (١٢٢/٢).

(٥) ينظر: الوجيز: (٣٥٨/١).

(٦) ينظر: تفسير السمعي: (١١١/٢).

(٧) ينظر: معالم التنزيل: (٢٩/٢).

(٨) ينظر: زاد المسير: (٥٥/٣).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٢/١٣).

(١٠) ينظر: إيجاز البيان: (٢٩٨/١).

(١١) نظم الدرر: (٢٦٠/٧).

(١٢) عزا السيوطي رواية ابن عباس^(١٣) إلى أبي الشيخ، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٢٨٠/٣) قال السيوطي في الإتيان: (٥٠٨/٢)، ورواية ابن عباس^(١٤) من طريق نهشل، ونهشل كذاب. وهو نهشل بن سعيد بن وردان الخراساني من أهل نيسابور كنيته أبو عبدالله، كان أصله من البصرة يروي عن الضحاك بن مزاحم.. وكان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يرميه بالكذب. ينظر: الضعفاء الكبير: (٣٠٩/٤)، والمجروحين: (٥٢/٣).

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠٥/٤)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٨٠/٣).

وبهذا قال الزجاج^(١)، والنحاس^(٢)، والنسفي^(٣).

واحتج أصحاب هذا القول:

بالنظير القرآني لهذا القول، فالمقبوض هي الأنفس. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وعطف على الأنفس قوله: ﴿وَأَلَّتِي﴾ أي ويتوفى الأنفس التي ﴿لَمْ تَعْمَتْ﴾ لأنها لم تنقض آجالها حين نومها ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ بمنعها من التصرف بالحس والإدراك^(٤).

القول الرابع: أن التوفي يكون بخروج الذهن فقط.... إلى غير ذلك.

والجواب على هذه الأقوال وغيرها:

أن يقال: الأمر الذي لا مجال للشك فيه أن بين النوم والموت مشابهة ومشاركة في زوال الإحساس والتمييز^(٥). قال الفخر الرازي: « فعند النوم صار ظاهر الجسد معطلاً عن بعض الأعمال، وعند الموت صارت جملة البدن معطلة عن كل الأعمال، فحصل بين النوم وبين الموت مشابهة من هذا الاعتبار؛ فصح إطلاق لفظ الوفاة والموت على النوم من هذا الوجه »

والتوفي في القرآن له ثلاثة أوجه: قال ابن الجوزي: « أن التوفي في القرآن جاء على ثلاثة أوجه: أحدها الرفع إلى السماء ومنه قوله تعالى في آل عمران ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] وفي المائدة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] والثاني قبض الأرواح بالموت ومنه قوله تعالى في سورة النساء ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥٧).

(٢) معاني القرآن: (١/٣٣٦).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٦).

(٤) نظم الدرر: (٧/٢٦٠).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (٢/٤١٦)، وإرشاد العقل السليم: (٣/١٤٣).



وفي النحل ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وفي تنزيل السجدة ﴿قُلْ يَنُوفِّكُمْ مَلَكٌ
الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، وفي المؤمن ﴿فَكَا مَأْتِرِيَّتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعَدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيْتَكَ﴾
[غافر: ٧٧] والثالث قبض حس الإنسان بالنوم ومنه قوله تعالى في الأنعام ﴿وَهُوَ الَّذِي
يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وفي الزمر ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي
مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] «^(١).

أما مسألة ما الذي يخرج من البدن حال النوم؟ وما الذي يبقى؟ فهذه أمور
غيبية، والكلام على ذلك يحتاج إلى نصوص وأدلة، ولا أدلة من الكتاب والسنة على
الكيفية، والأولى الكف عن هذا.

وإذا تبين هذا وتقرر فإن ما رجحه القرطبي هو الأصح وهو الأرجح في هذه
المسألة، لأنه لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيب لا دليل
عليها من القرآن أو السنة^(١)، والأولى الكف وإحالة العلم إلى الله تعالى. والله
أعلم.



(١) نزهة الأعين النواظر: (١/٢١٣).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٢٥).



قال تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأعام: ٦١]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٣٨- ما الذي تحفظه الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: من الملائكة. والإرسال حقيقة إطلاق الشيء بما حمل من الرسالة، فأرسل الملائكة بما حملوا من الحفظ الذي أمروا به، كما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] أي: ملائكة تحفظ أعمال العباد، وتحفظهم من الآفات...

ويقال: إنهما ملكان بالليل، وملكان بالنهار، يكتب أحدهما الخير والآخر الشر، إذا مشى الإنسان يكون أحدهما بين يديه والآخر وراءه، وإذا جلس يكون أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله؛ لقوله تعالى ﴿عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ فَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]

ويقال: لكل إنسان خمسة من الملائكة؛ اثنان بالليل، واثنان بالنهار، الخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا والله أعلم. «اهـ»^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالحفظة الملائكة التي تحفظ عمل العبد، وتحفظه من الآفات، وقد وافق في اختياره المروي عن السدي^(١)، وعن قتادة^(٢)،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٠٩/٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢١٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠٦/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٨١/٣) قال في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ قال هي المعقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عمله.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢١٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٠٦/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٨١/٣).



وبه قال السمعاني^(١)، والفخر الرازي^(٢) ووافقهم ابن كثير^(٣)، وابن عادل^(٤)، والشوكاني^(٥)، والشنقيطي^(٦).

واستدل أصحاب هذا القول:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن فقد جاء في مواضع آخر تفسير لهذا الذي يحفظونه. قال الشنقيطي: «لم يبين هنا ماذا يحفظون، وبينه في مواضع آخر، فذكر أن مما يحفظون بدن الإنسان بقوله: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١١] وقوله: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨] وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠].^(٧)

ثانياً: عموم هذا القول قال الفخر الرازي: «والقول الأول أقوى، لأن قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ يفيد حفظة الكل من غير تخصيص»^(٨).

(١) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/٢١٢).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٣) حيث قال: أي من الملائكة يحفظون بدن الإنسان كقوله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وحفظة يحفظون عمله ويحفظونه كقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ الآية وكقوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ وقوله: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمُتَلَقِيَانِ﴾ الآية.

(٤) ينظر: الباب في علوم الكتاب: (٨/١٩٥).

(٥) ينظر: فتح القدير: (٢/١٢٤) قال: «والمعنى أنه يرسل عليكم من يحفظكم من الآفات ويحفظ أعمالكم».

(٦) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٦٢).

(٧) ينظر: المصدر السابق: (١/٣٦٢).

(٨) مفاتيح الغيب: (١٣/١٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بها حفظ الأعمال فقط، خيراً كانت أو شراً، وبه قال مقاتل^(١)، والطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، وابن أبي زمنين^(٤)، والثعلبي^(٥)، والواحدي^(٦)، والبغوي^(٧)، والزنجشري^(٨)، وابن عطية^(٩)، والبيضاوي^(١٠)، والنسفي^(١١)، وابن جزري^(١٢)، الكلبي^(١٣)، والثعالبي^(١٤)، والبقاعي^(١٥)، وأبو السعود^(١٦)، والآلوسي^(١٧)، والسعدي^(١٨).

- (١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٥٠).
- (٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢١٦).
- (٣) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥٥).
- (٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٢/٧٤).
- (٥) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٥٥).
- (٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٨).
- (٧) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٢٩).
- (٨) ينظر: الكشف: (٢/٢٥) قال: «ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون».
- (٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٦٧) قال: « والمراد بذلك الملائكة الموكلون بكتب الأعمال » ثم عدد الأقوال، وقال: والأول أظهر.
- (١٠) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٥).
- (١١) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٦).
- (١٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١١).
- (١٣) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٨٤).
- (١٤) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٤٠).
- (١٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٦١).
- (١٦) ينظر: روح المعاني: (٧/١٧٥).
- (١٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٥٩).

واستدل أصحاب هذا القول:

بأن له نظيراً في القرآن يفسره: قال تعالى: ﴿إِذْ نَلَقَى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٌ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١]

قال الحكمي^(١): «الملائكة بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام: فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].... ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله سبحانه وهو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عليّة ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه سبحانه، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله سبحانه... ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه وقد جاء في بعض الآثار تسمية عزرائيل قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].... ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل حالاته وهم المعقبات قال الله تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].... ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾...»^(١)

(١) هو: حافظ بن أحمد الحكمي، وُلِدَ الشَّيْخُ فِي ٢٤/٩/١٣٤٢ هـ بِمَدِينَةِ جَازَانَ، فَصَنَّفَ مَنَظُومَتَهُ (سَلَّمَ الوَصُولَ إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ فِي التَّوْحِيدِ) الَّتِي انْتَهَى مِنْ تَسْوِيدِهَا سَنَةَ ١٣٦٢ هـ، وَلاَقَتْ اسْتِحْسَانَ شَيْخِهِ وَالْعُلَمَاءِ الْمَعَاصِرِينَ لَهُ، وَبَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ سَنَةَ ١٣٧٧ هـ انْتَقَلَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَكَّةَ عَلَى إِثْرِ مَرَضٍ أَلَمَّ بِهِ. يَنْظُرُ: الْمَعْجَمُ الْجَامِعُ فِي تَرَاجُمِ الْعُلَمَاءِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ الْمَعَاصِرِينَ: (١/٤٨).

(٢) يَنْظُرُ: مَعَارِجُ الْقَبُولِ: (٢/٦٥٨).



وإذا ثبت هذا فإن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، لأنه القول الشامل للأقوال وتخصيص نوع على نوع، تخصيص بلا مخصص، وينبغي حملها على العموم والشمول، فيكون متناولاً لكلا النوعين من الحفظ كما بين ذلك الشنقيطي في قوله المتقدم^(١)، وإلى هذا أشارت القاعدة الترجيحية بأنه: "ينبغي حمل الآية على العموم^(٢) وهو الموافق لتفسير السلف، رضوان الله عليهم أجمعين، والقاعدة الترجيحية تنص على " أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^(٣)". والله أعلم.



(١) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٦٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٧١).



قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ لِسِينًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]

في الآية الكريمة مسألتان:

٣٩- المسألة الأولى: المراد بالعذاب في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ

تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾

قال القرطبي ~ : « ومعنى ﴿عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ الرجم بالحجارة، والظوفان، والصيحة، والريح، كما فعل بعاد وثمود، وقوم شعيب، وقوم لوط، وقوم نوح. عن مجاهد^(١) وابن جبير^(٢) وغيرهما^(٣) ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: الخسف والرجفة، كما فعل بقارون وأصحاب مدين.

وقيل: ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ يعني الأمراء الظلمة، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ يعني السفلة وعبيد السوء عن ابن عباس^(٤) ومجاهد أيضاً^(٥) أ.هـ.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣١٠)، وعزاه السيوطي

إليهما وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٨٣)، وينظر: تفسير مجاهد: (١/ ٢١٦).

(٢) ذكر هذا الأثر الماوردي في النكت والعيون: (٢/ ١٢٦) وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/ ١٥٥).

(٣) روي أيضاً هذا القول عن السدي، وأبي مالك، وابن زيد.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣١٠)، وعزاه السيوطي

إليهما، وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٢٨٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤١٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول مجاهد، والسدي، وابن زيد^(١)، في أن المراد بالعذاب من فوق هو الرجم، والطوفان، والريح، وأن المراد بالعذاب من تحتهم هو الخسف، وقد وافق في اختياره من المفسرين قول مقاتل^(٢)، والطبري^(٣)، والزجاج^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والثعلبي^(٦)، والواحدي^(٧)، والبغوي^(٨)، والزنجشيري^(٩)، وابن عطية^(١٠)، والفخر الرازي^(١١)، ووافقهم البيضاوي^(١٢)، والنسفي^(١٣)، وابن جزي الكلبلي^(١٤)، وأبو حيان^(١٥)، وابن كثير^(١٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٠).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٥١).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٢٠).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٥٩).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٥٦).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (٤/٥٦).

(٧) ينظر: الوجيز: (١/٣٥٩).

(٨) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٣٠).

(٩) ينظر: الكشاف: (٢/٢٦).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٧٠).

(١١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٢) قال: « وبالجملة فهذه الآية تتناول جميع أنواع العذاب التي يمكن نزولها من فوق وظهورها من أسفل ».

(١٢) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٥).

(١٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٧).

(١٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١١).

(١٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٥٥).

(١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٤٨).



وابن عادل الحنبلي^(١)، والبقاعي^(٢)، والسيوطي^(٣)، وأبو السعود^(٤)، والشوكاني^(٥)،
والألوسي^(٦)، ومحمد رشيد رضا^(٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: النظائر القرآنية التي تشهد لهذا المراد^(٨)، منها قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي
السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾^(١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾^(١٧) [الملوك: ١٦-١٧] وقوله ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ مَا نَزَّلْنَا
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾^(١٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٨-٦٩] قال الشنقيطي: « وهذا المعنى الذي بينه
جل وعلا هنا من قدرته على إهلاكهم في غير البحر بخسف أو عذاب من السماء،
أوضحه في مواضع آخر: كقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِم كِسَفًا مِّنَ
السَّمَاءِ﴾ وقوله في قوم لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾^(٢٤) [الفر: ٣٤]
وقوله: ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّنَ طِينٍ﴾^(٣٣) [الذاريات: ٣٣] إلى غير ذلك من الآيات »^(٩)

ثانياً: جاء في السنة النبوية ما يدل على أن العذاب يكون بما تقدم ذكره، ففي
الحديث عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر هذه الأمة خسف،

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٢٠٢/٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر: (١٤٣/٧).

(٣) ينظر: الجلالين: (١١١).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٦٣/٢).

(٥) ينظر: فتح القدير: (١٢٦/٢).

(٦) ينظر: روح المعاني: (١٨٠/٧).

(٧) ينظر: المنار: (٤٩١/٧).

(٨) ينظر: جامع البيان: (٢٢٠/٧)، تفسير القرآن العظيم: (١٤٨/٢).

(٩) أضواء البيان: (١٧١/٣).



ومسوخ، وقذف، قالت: قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث (١).

ثالثاً: العموم الذي جاء في الآية الكريمة عند قوله ﴿عَذَابًا﴾ وهي نكرة، وتحمل على عموم كل عذاب. قال محمد رشيد رضا: «ولما كان لفظ العذاب في الآية نكرة، جاز حمله على كل عذاب يأتي من فوق الرؤوس، ومن تحت الأرجل» (١).

وقال ابن عطية: «﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ لفظ عام للمنطابقين على الإنسان... وهذه كلها أمثلة لا أنها هي المقصود، إذ هذه وغيرها من القحوط والغرق، وغير ذلك داخلة في عموم اللفظ» (١).

كما أن هذا هو المتبادر إلى الذهن. قال الآلوسي: «والمتبادر هو ما قدمنا (١)، وهو المروي عن غير واحد من المفسرين» (١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بالعذاب من فوقهم: أئمة السوء، والعذاب من تحت أرجلهم: خدم السوء وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه (١).

ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين اختار هذا القول، بل إن بعضهم

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في الخسف: (٤/٤٧٩)، برقم (٢١٨٥) قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) تفسير المنار: (٧/٤٩١).

(٣) المحرر الوجيز: (٦/٧١).

(٤) يقصد بما قدمه: القول الأول وهو أن المراد بالعذاب من فوقهم الصيحة والحجارة، وأن المراد بالعذاب من تحتهم هو الخسف والرجفة.

(٥) روح المعاني: (٧/١٨٠).

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: (أئمة السوء، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: خدم السوء).



استبعد أن يكون هو المراد^(١) قال ابن جزي الكلبي: « وقيل: من فوقكم تسليط أكابركم، ومن تحت أرجلكم تسليط سفالتكم، وهذا بعيد^(٢) »

القول الثالث: قيل حسب المطر والنبات.

القول الرابع: قيل **مِّنْ فَوْقِكُمْ** خذلان السمع والبصر- والأذان واللسان و**مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** خذلان الفرع والرجل إلى المعاصي.

ولم أر - حسب اطلاعي - أحداً قال بهما من المفسرين، بل عده بعض المفسرين من المعاني الغامضة قال الماوردي: « وتأول بعض المتعمقين في غوامض المعاني فقال: **عَدَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ** معاصي السمع والبصر- واللسان، **أَوْ مِّن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** المشي- إلى المعاصي حتى يواقعها^(٣) ».

وهو قول بالمجاز، قال أبو حيان بعدما ذكرهما: « وهذا والذي قبله مجاز بعيد^(٤) » وحيث إنه لا يوجد مانع يمنع من إرادة المعنى الحقيقي فلا نقول به، لأن "حمل النصوص على الحقيقة أولى من حملها على المجاز"^(٥). ما لم توجد قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

إذا ثبت هذا فإن أصح الأقوال وأرجحها هو ما اختاره القرطبي للعموم، والقاعدة الترجيحية تنص على أنه: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتحصيل"^(٦).

كما أن "كلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على المعروف من كلام العرب

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٧١)، والبحر المحيط: (٢/٥٢٧)، وغيرهم.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١١).

(٣) النكت والعيون: (٢/١٢٦).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٥٥).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢/٣٨٧).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



ومعهود استعمالهم ولا يخرج عنه" ^(١). قال الطبري: « وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى بالعذاب من فوقهم: الرجم أو الطوفان، وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم: الخسف وما أشبهه، وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك دون غيره، وإن كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح، غير أن الكلام إذا تنوزع في تأويله فحملة على الأغلب الأشهر من معناه، أحق وأولى من غيره، ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها. « أ.هـ ^(٢)

وقاعدة: " القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره" ^(٣). فهذه جملة من القواعد الترجيحية المعتبرة التي تنطبق على هذا القول وتؤيده، والله تعالى أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (١/٣٦٩).

(٢) جامع البيان: (٧/٢٢١).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢).

٤٠- المسألة الثانية: من المعنى بهذه الآية ؟

قال القرطبي ~ : « والآية عامة في المسلمين والكفار. وقيل: هي في الكفار خاصة. وقال الحسن: هي في أهل الصلاة^(١) »

قلت: وهو الصحيح، فإنه المشاهد في الوجود، فقد لبسنا العدو في ديارنا، واستولى على أنفسنا وأموالنا، مع الفتنة المستولية علينا بقتل بعضنا بعضا، واستباحة بعضنا أموال بعض. نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. « ا.هـ^(٢) »

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن المعنى بهذه الآية المسلمون، وقد وافق ترجيحه المروي عن أبي بن كعب، وقتادة، والحسن، والسدي، وأبي العالية، ومجاهد، وزيد بن أسلم^(٣)، وبه قال السمرقندي^(٤)، والثعلبي^(٥)، والسمعاني^(٦)، ووافقهم النسفي^(٧)، وابن جزى الكلبي^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢٤/٧)، وعزا السيوطي رواية الحسن إلى الطبري فقط كما في الدر المنثور: (٢٨٩/٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤١٤/٨).

(٣) أخرج هذه الآثار الطبري في جامع البيان: (٢٢٢/٧) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٠/٤)، وعزا السيوطي رواية أبي بن كعب، إليهما وإلى ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية من طريق أبي العالية كما في الدر المنثور: (٢٨٤/٣). كما عزا السيوطي رواية زيد بن أسلم إلى الطبري وابن أبي حاتم، وكذلك عزا رواية السدي إليهما وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٩٠/٣)، وينظر: تفسير مجاهد: (٢١٦).

وهو: زيد بن أسلم العدوي مولى عمر، أبو عبدالله وأبو أسامة المدني ثقة عالم، وكان يرسل من الثالثة، (ت: ١٣٦هـ). ينظر: تقريب التهذيب: (٢٢٢)، والكاشف: (٤١٤/١).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٥٦/١).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (١٥٦/٤).

(٦) ينظر: تفسير السمعي: (١١٣/٢).

(٧) ينظر: مدارك التنزيل: (١٧/٢).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٢/٢).

واستدل أصحاب هذا القول:

بأحاديث نبوية تدل على أن المسلمين يتسلط بعضهم على بعض، فقد روى مسلم عن ثوبان^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد: إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً)^(٢)

ومما يعترض عليهم ما يلي:

أولاً " أن هذا الحديث ليس نصاً في المعنى بهذه الآية، بل ويعارضه حديث آخر بين تسلط الأعداء عليهم من غيرهم: فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك

(١) هو ثوبان بن بجدد أبو عبدالله الهاشمي مولى النبي ﷺ صحبه ولازمه، ونزل بعده الشام، ومات بحمص (٥٤هـ). ينظر: الثقات: (٤٨/٣)، والإصابة: (١/٤١٣)، وتقريب التهذيب: (١٣٤).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن، وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض: (٤/٢٢١٥)، برقم: (٢٨٨٩)، وأخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته: (٤/٤٧٢)، برقم: (٦٧١٢) قال أبو عيسى: « هذا حديث حسن صحيح ».

ومن الروايات في هذا المعنى: ما أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب إحياء الليل: (١/٤٢٠) برقم: (١٣٣٢). عن خباب بن الأرت عن أبيه، وكان قد شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ: (أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته، جاءه خباب فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها، قال رسول الله ﷺ: أجل إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله ﷻ فيها ثلاث خصال: فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ﷻ ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت ربي ﷻ ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي ﷻ ألا يلبسنا شيعاً فمنعنيها).



الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت^(١) وإذا تعارض الحديثان، تطرق إليهما الاحتمال، وبالتالي يسقط بهما الاستدلال.

ثانياً: أن السياق القرآني في المشركين، أما المؤمنون فلم يجر لهم ذكر إلا أن يكونوا سلكوا سبيل أهل الشرك في التكذيب وغيره، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في المؤمنين. قال الطبري: «جائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيداً لمن ذكرت من المشركين، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم»^(٢)

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المعنى بهذه الآية أهل الشرك

وبهذا قال الطبري^(٣)، ووافقه ابن عطية^(٤)، وأبو حيان^(٥)، والشعالبي^(٦).

واحتج أصحاب هذا القول:

بالسياق القرآني، وإن الخطاب لأهل الشرك: قال ابن عطية: «والأظهر من نسق الآيات أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم»^(٧).

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب تداعى الأمم على الإسلام (١١١/٤) برقم: (٤٢٩٧).

(٢) جامع البيان: (٧/٢٢٦).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٢٦).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٧٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٥٥).

(٦) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٨٥).

(٧) المحرر الوجيز: (٦/٧٠).



قال الطبري: « إن الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان، وإياهم خاطب بها، لأنها بين إخبار عنهم، وخطاب لهم، وذلك أنها تتلو قوله ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ [الأعام: ٦٣-٦٤] ويتلوها قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الأعام: ٦٦] وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين كان بيننا أن ذلك وعيد لمن تقدم وصف الله إياه بالشرك، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب، لا لمن لم يجر له ذكر.. »^(١)

القول الثالث:

أن المعني ببعض الآية أهل الشرك والكفر وهي قوله: ﴿عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ ، وبعضها أهل الإسلام، وهو قوله: ﴿أَوْ يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وهذا في رواية أخرى عن الحسن^(١) ووافقه أبو السعود^(٢)، ومحمد رشيد رضا^(٣).

قال ابن عطية: « وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من أن الآية تتناول معانيها المشركين، والمؤمنين »^(٤)، ويعترض على هذا القول: بأن فيه تفكيكاً وتجزئة لنظم الآيات. قال الألوسي: « ولا يخفى أنه تفكيك للنظم الكريم »^(٥).

(١) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٢٦).

(٢) أخرجها الطبري في جامع البيان: (٧/٢٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٠)، وعزاه السيوطي إليها وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٩٠).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٦٣) قال: «البعض الأول الكفار، والآخر المؤمنون».

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٧/٤٩٣).

(٥) المحرر الوجيز: (٦/٧٠).

(٦) روح المعاني (٧/١٨٠).



وإذا ثبت بُعد هذا، فإن أولى القولين بالصواب هو القول الثاني، وأن المعني بهذا أهل الشرك؛ وذلك لدلالة السياق، وهي من أقوى الدلالات على مراد المتكلم، وهو الذي تؤيده القاعدة الترجيحية: " أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه إلا بدليل " ^(١) والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).



قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]

في الآية الكريمة مسألتان:

٤١- المسألة الأولى: من المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي

آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

قال القرطبي ~ : «والخطاب مجرد للنبي ﷺ. وقيل: إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه. وهو صحيح؛ فإن العلة سماع الخوض في آيات الله، وذلك يشملهم وإياه.

وقيل: المراد به النبي ﷺ وحده؛ لأن قيامه عن المشركين كان يشق عليهم، ولم يكن المؤمنون عندهم كذلك، فأمر أن يُنابذهم بالقيام عنهم إذا استهزءوا وخاضوا؛ ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء» اهـ^(١).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين معه، وقد وافق بذلك قول النحاس^(١)، والثعلبي^(١)، وابن عطية^(١)، وابن العربي^(١)، وأبي حيان^(١)، والثعالبي^(١)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤١٨/٨).

(٢) ينظر: إعراب القرآن: (٧٣/٢).

(٣) ينظر الكشف والبيان: (١٥٧/٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٧٢/٦).

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (١٩٤/٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٥٧/٤) حيث قال: «هذا خطاب للرسول ﷺ ويدخل فيه المؤمنون».

(١) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٦/١).

والألوسي^(١)، ومحمد رشيد رضا^(٢)، والسعدي^(٣).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: بشاهد من القرآن يدل على دخول المؤمنين مع النبي ﷺ في الخطاب، حيث جاء اللفظ فيها بصيغة الجمع في قوله ﷺ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] قال الشنقيطي: « هذا المنزل الذي أحال عليه هنا^(٤) هو المذكور في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾^(٥) ».

ثانياً: السياق القرآني للآية فإنه جاء بعدها: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٦٩] مما يدل على شمول الخطاب للمؤمنين مع الرسول ﷺ.

ثالثاً: أن المؤمنين يشاركون النبي ﷺ في السماع، لذلك كان لا بد أن يشملهم الخطاب. قال ابن عطية: « الخطاب مجرد للنبي ﷺ وحده، والمؤمنون داخلون في الخطاب معه، وهذا هو الصحيح؛ لأن علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله، تشملهم وإياه^(٦) » وقال السعدي: « أمر الله رسوله أصلاً، وأتمته تبعاً إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم^(٧) ».

(١) ينظر: روح المعاني: (١٨٢/٧) قال: « والخطاب هنا وفيما قبل لسيد المخاطبين عليه الصلاة والسلام والمراد غيره ».

(٢) ينظر: تفسير المنار: (٥٠٥/٧).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٦٠).

(٤) في آية النساء.

(٥) أضواء البيان: (٣١٩/١).

(٦) المحرر الوجيز: (٧٢/٦)، وكذلك قال الثعالبي في الجواهر الحسان: (٤٨٦/١).

(٧) تيسير الكريم الرحمن: (٢٦٠).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الخطاب للنبي ﷺ وحده.

واحتجوا بأن اللفظ القرآني في هذه الآية جاء بصيغة الخطاب للمفرد، وقيامه ﷺ عن المشركين، وفراقه لهم كان يشق عليهم، وإن لم يكن المؤمنون عندهم كذلك، فأمر أن ينادهم بالقيام عنهم إذا استهزءوا وخاضوا ليتأدبوا بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء^(١).

ويعترض على هذا القول:

بأن عادة خطابات التكليف من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم تكون عامة للرسول ﷺ، وأمته من بعده، إلا ما نص الدليل على خصوصيته به ﷺ. قال محمد رشيد رضا: « والصواب من القول في الآية أنها عامة، والمخاطب بها أولاً بالذات سيدنا محمد ﷺ، والمعنى العام الجامع: أن المخاطب به كل مؤمن في كل زمن »^(٢).

كما أنه هذا القول لم أر - بحسب اطلاعي - أحداً قال به من المفسرين، وغالب ذكرهم له بصيغة التمريض^(٣).

إذا ثبت هذا فيتبين مما سبق أن ما رجحه القرطبي هو الأرجح وتنطبق عليه قاعدتان ترجيحيتان هما:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية فهو مقدم على غيره"^(٤)

وقاعدة: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه"^(٥). والله أعلم.

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٧٢ / ٦) والجامع لأحكام القرآن: (٤١٨ / ٨).

(٢) تفسير المنار: (٥٠٥ / ٧).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٧٢ / ٦) والجامع لأحكام القرآن: (٤١٨ / ٨) روح المعاني: (٧ / ١٨٢).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢ / ١).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥ / ١).



٤٢- المسألة الثانية: هل يقيم النسيان منه ﷺ عند قوله تعالى ﴿وَأَمَّا

يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعُدَّ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ؟

قال القرطبي ~ : « والنسيان جائز عليه؛ قال ابن العربي: وإن عذرنا أصحابنا في قولهم: إن قوله تعالى ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] خطاب للأمة باسم النبي ﷺ؛ لاستحالة الشرك عليه، فلا عذر لهم في هذا؛ لجواز النسيان عليه قال ﷺ (... ونسي- آدم فسيت ذريته) خرّجه الترمذي وصححه^(١) .

وقال مخبراً عن نفسه: (... إنما أنا بشر- مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني) خرّجه في الصحيح^(٢) فأضاف النسيان إليه.

وقال وقد سمع قراءة رجل: (لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها)^(٣).... إلى أن قال: وشذت الباطنية، وطائفة من أرباب علم القلوب، فقالوا: لا يجوز النسيان عليه، وإنما ينسى قصداً ويتعمد صورة النسيان ليُسنّ. ونحا إلى هذا عظيم من أئمة التحقيق، وهو أبو المظفر الأسفراييني^(٤) في كتابه "الأوسط" وهو منحى غير سديد

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب سورة الأعراف: (٢٦٧/٥)، برقم: (٣٠٧٦). قال أبو عيسى: « هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ».

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (١٥٦/١)، برقم: (٣٩٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له (٤٠٠/١)، برقم: (٥٧٢).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا (١٩٢٢/٤)، برقم: (٤٧٥١)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها (٥٤٣/١) برقم: (٧٨٨).

(٤) هو: شافهفور العلامة المفتي، أبو المظفر، طاهر بن محمد الأسفراييني، ثم الطوسي، الشافعي، صاحب "التفسير الكبير"، وكان أحد الأعلام، صنف تاج التراجم في تفسير القرآن العظيم باللغة الفارسية توفي بطوس (ت ٤٧١هـ).

و جمع الضد مع الضد مستحيل بعيد»^(١).

الدراسة والترجيح:

ضعّف القرطبي قول القائلين أن النسيان لا يقع منه ﷺ، فدل هذا على أنه اختار قول القائلين بجواز النسيان عليه ﷺ، وقد وافق في ترجيحه هذا ابن العربي^(٢)، ووافقهم الآلوسي^(٣)، والشوكاني^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: بالأحاديث المتقدمة، والتي تنص على وقوع النسيان منه ﷺ.

ثانياً: أن النسيان من الأعراض البشرية اللازمة بأصل الخلقة لقوله ﷺ (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون..). وهذا نص صريح في تعليل الحكم بكونه بشراً فكيف ينزه عنه مع صريح قوله، ولا يناقض ذلك النبوة، ولا يقدر في الرسالة لكونه ليس نسياناً عن البلاغ أصلاً.

ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤٠١/١٨)، وطبقات المفسرين للداودي: (٤١٩/١)، ومعجم المؤلفين: (٣١٠/٤).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٢٢/٨).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (١٩٤/٢).

(٣) ينظر: روح المعاني: (١٨٣/٧) قال بعد ذكره للقول الثاني: «لا وجه للأول والنسيان جائز عليه».

(٤) ينظر: فتح القدير: (١٢٩/٢).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (٥٠٥/٧) قال بعدما ذكر القول المخالف: «والصحيح الأول فإن السهو لا يناقض النبوة».

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن النسيان لا يقع منه ﷺ، لتبرئته وتنزيهه ﷺ من النسيان، وبهذا قال كبار الروافض^(١) - قبحهم الله -^(٢).

واحتجوا:

بأن النبي ﷺ منزّه عن النسيان المضاف إلى الشيطان وقد ثبت بنص القرآن أن الشيطان ليس له سلطان على عباده المؤمنين، والنبي ﷺ أخلصهم وأفضلهم بل قال تعالى ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١٠٠] وهذا الإشكال مبني على أن النسيان مضاف إلى الشيطان وهو ينافي العصمة^(٣)

ويعترض على هذا بما يلي:

أولاً: معارضته لصريح القرآن، وعدول عن ظاهره في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾، وفي هذا قاعدة تبين " أنه لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يرجع إليه، ولا دليل^(٤) "

ثانياً: أن قولهم: إن النسيان مضاف إلى الشيطان...، غير مسلّم به لأمرين:

الأول: أن سلطان الشيطان تارة يُحدث وسواس الشر- في القلوب، وتارة ينسي- المرء الخير بسبب ما يُشغل المرء به من حديث النفس، وشُغل فكره بأمر آخرى فينسى المرء الخير أو الحق، والنبي ﷺ معصوم من التصرف الأول إذ ليس للشيطان

(١) هم فرقة من الشيعة سمو بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سب الصحابة فلما عرفوا مقالته، وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب، والروافض غلوا في النبوة والإمامة حتى وصلوا إلى الحلول، وساهم الرسول ﷺ نصارى هذه الأمة. ينظر: الملل والنحل: (٢٠/١)، والتعاريف: (٣٦٩/١).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (١٩٤/٢).

(٣) ينظر: تفسير المنار (٥٠٨/٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١٣٧/١).



حظ في قلبه ^(١)، وإنما يقع النسيان له ﷺ من قبيل التصرف الثاني ^(٢).

الثاني: أن هذا النسيان حصل للأنبياء السابقين - عليهم السلام - وقد جاء هذا صريحاً في القرآن ومنسوباً إلى الشيطان، فهذا نبينا موسى ﷺ قال للخضر: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] وقال ﷺ عن نبيه يوسف ﷺ: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢] والمقصود أنه ﷺ معصوم من الوسوسة، وأما النسيان المضاف إلى الشيطان على الوجه المذكور فلا ينافي وقوع العصمة.

فإذا ثبت ضعف هذا الأخير؛ فإن ما رجحه القرطبي هو الراجح، " لأن الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره" ^(٣)، كما أنه تؤيده آيات قرآنية فهو مقدم على غيره ^(٤)، وعليه أكثر العلماء، والله تعالى أعلم.



(١) لما جاء في حديث شق الصدر: أن جبريل ﷺ لما استخرج العلقمة قال: (هذا حظ الشيطان منك).

(٢) والدليل على ذلك: أن النبي ﷺ رأى ليلة القدر فخرج ليعلم الناس بها فنسيها فقال: (تلاحى رجلان فنسيتهما) فعلل النسيان بالتلاحى، وهو من عمل الشيطان؛ فهذا النوع ليس من السلطان الذي يكيد به للإضلال في شيء، وإنما هو تدبير لنسيان الخير أو الحق.

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٠٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١/٣١٢).



قال تعالى ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٤٣- هل الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ

آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدَّوْا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]

قال القرطبي ~ : « قيل: نُسخ هذا بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدَّوْا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وإنما كانت الرخصة قبل الفتح، وكان الوقت وقت تقية. وأشار بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]

قال القشيري: والأظهر أن الآية ليست منسوخة. والمعنى: ما عليكم شيء من حساب المشركين، فعليكم بتذكيرهم وزجرهم، فإن أبوا فحسابهم على الله. «ا.هـ»^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي القول بعدم النسخ، وقد وافق في هذا قول النحاس^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وابن كثير^(٤)، والآلوسي^(٥)، ومحمد رشيد رضا^(٦).

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٢٣).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: (١/ ٤١٧).

(٣) ينظر: زاد المسير: (٣/ ٦٣) قال: «والصحيح أنها محكمة لأنها خبر، لأن كل عبد يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره». وينظر: نواسخ القرآن: (٣٢٥) قلت: «ولو قال هؤلاء إنها منسوخة بآية السيف كان أصلح، وكان معناها عندها إباحة مجالستهم وترك الاعتراض عليهم، والصحيح أنها محكمة لأنها خبر وقد بينا أن المعنى ما عليكم شيء من آثامهم إنما يلزمكم إندارهم».

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٤٩) قال مضعفًا القول الثاني: «وزعموا أن هذا منسوخ بآية النساء المدنية».

(٥) ينظر: روح المعاني: (٧/ ١٨٦) قال بعد قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ «أنها خبر، ولا نسخ في الأخبار».

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٥١٦).



واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أن النسخ لا يأتي في الأخبار، والآية محكمة قال الشاطبي: « وآية الأنعام خبر من الأخبار، والأخبار لا تُنسخ ولا تُنسخ » أ.هـ^(١).

ثانياً: من قال بأن الآية الناسخة - آية النساء - المراد منها الإباحة المطلقة، فنقول: إن الأمر ليس كذلك فالإباحة الواردة في الآية هنا، هي إباحة على قدر الحاجة من التصرف بين المشركين في طلب المعاش، وفي الطواف ونحوه^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو القول بنسخها بآية النساء المدنية، وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وابن جريج، والسدي^(٣)، وبه قال مقاتل^(٤).

ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين اختار هذا^(٥).

ويجاب عن الروايات الواردة بقول النحاس حيث قال: « وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ » خبر ومحال نسخه، والمعنى فيه بين: ليس على من اتقى الله عز وجل إذا نهى إنساناً عن منكر من حسابه شيء، الله عز وجل مطالبه ومعاقبه وعليه ألا ينهاه، ولا

(١) الموافقات: (٣/١١٠) وكذلك قال النحاس: « بأن الآية خبر ومحال نسخها » ينظر: الناسخ والمنسوخ: (٤١٧/١).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٢/٢).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٧) والنحاس في الناسخ والمنسوخ: (١/٤١٧)، وعزا السيوطي رواية السدي إلى أبو الشيخ، ورواية ابن عباس رضي الله عنه إلى النحاس في ناسخة كما في الدر المنثور: (٣/٢٩٣).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٥٢).

(٥) ذكره المقرئ في الناسخ والمنسوخ: (١/٨٦)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ: (١/٣٧) والكرمي في الناسخ والمنسوخ: (١/١٠٥).



يقعد معه راضياً بقوله وفعله، وإلا كان مثله، وهذان الحديثان ^(١) وإن كانا عن ابن عباس فإنهما من حديث جوير ^(٢) «^(٣)»

ويتبين مما سبق أن ما رجحه القرطبي هو الأرجح فهو المنطبق على القاعدة الترجيحية " لا يصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه " ^(٤) والله أعلم



(١) يقصد بهما ما يلي: الأول: عن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله ﷺ ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ قال: نسخ هذا آية السيف ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ سَمِعْتُمْ﴾.

أما الثاني فهو في هذه الآية، فعن جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس في قول الله ﷻ ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ قال هذه مكية نسخت بالمدينة بقوله ﷻ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدَّوْا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ﴾ فنسخ هذا ما قبله وأمر المؤمنين ألا يقعدوا مع من يكفر بالقرآن ويستهزئ به (ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: (١/٤١٧)).

(٢) جوير اسمه جابر بن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، وجوير لقب، نزيل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً من الخامسة، مات بعد الأربعين، وقد ضعفه البخاري في الضعفاء: (١/٢٧) وكذلك ابن حجر في تقريب التهذيب (١٤٣) وكذلك قال ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين: (١/١٧٧) قال أحمد: لا يشتغل بحديثه، وقال يحيى بن معين ليس بشيء، وقال النسائي وعلي بن الجنيد والدارقطني: متروك.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس: (١/٤١٧).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٧١).



قال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ لَأَيُؤَخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٠]

في الآية الكريمة مسألتان:

٤٤- المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾

قال القرطبي ~ : « أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي ترتمن وتسلم للهلكة؛ عن مجاهد^(١)، وقتادة^(٢)، والحسن، وعكرمة^(٣)، والسدي^(٤) والإبسال: تسليم المرء للهلاك. هذا هو المعروف في اللغة؛ أبسلت ولدي: أرهنته^(٥) قال عوف بن الأحوص بن جعفر: وإبسالي بنيي بغير جرمٍ بعوناه^(٦) ولا بدمٍ مُراقٍ^(٧)

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٣٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤) وينظر: تفسير مجاهد: (٢١٧/١).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٥/١)، والطبري في جامع البيان: (٢٣٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٩٥/٣).

(٣) رواية الحسن وعكرمة: أخرجهما الطبري في جامع البيان: (٢٣٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: (٢٤٨/١).

(٦) ومعنى بعوناه: جنيناه، والبعو الجناية، وكان عوف قد حمل عن غني لبني قشير دماً؛ فقالوا: لا نرضى بك فرهنهم بنيه، طلباً للصالح. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٢٤/٨) وجمهرة اللغة: (٣٣٩/١).

(٧) البيت ذكره أبو عبيده في مجاز القرآن: (١٩٤/١)، وابن منظور في اللسان: (٥٦/١١)، وابن فارس في مقاييس اللغة: (٢٤٨/١)، وجمهرة اللغة: (٣٣٩/١).

وأنشد النابغة الجعدي:

ونحن رهنا بالأفاقة عامراً بما كان في الدرداء^(١) رهناً فأبسلاً^(٢)

.... إلى أن قال: ومعناه: لا تحزن عليهم، فإنما عليك التبليغ والتذكير بإبسال النفوس. فمن أبسل فقد أسلم وارتهن. وقيل: أصله التحريم، من قولهم: هذا بسل عليك، أي: حرام، فكأنهم حرموا الجنة وحُرِّمت عليهم الجنة. قال الشاعر^(٣):

أجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها^(٤)

والإبسال: التحريم. «ا.هـ»^(٥)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول مجاهد، والحسن، وعكرمة، والسدي، وكذلك المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^(٦)، في أن معنى أن تبسل: أن تُسَلِّمَ للهلاكه وترتهن، والمعنى: وذكر بالقرآن الناس مخافة أن تُسَلِّمَ نفس للهلاك، وترهن بسوء عملها^(٧).

وقد وافق القرطبي في اختياره قول الفراء^(٨)، وأباعبيده^(٩)، وابن قتيبة^(١٠)، والطبري

(١) الدرداء: كتيبة كانت لهم.

(٢) ديوان النابغة: (١٢١)، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن: (١/١٩٤).

(٣) هو: الأعشى.

(٤) ينظر: ديوان الأعشى: (٢٢٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٢٤).

(٦) أخرجه: ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣١٨)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٢٩٥).

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن: (١/٢٥٦)، والتبيان في إعراب القرآن: (١/٥٠٦).

(٨) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٣٩).

(٩) ينظر: مجاز القرآن: (١/١٩٤).

(١٠) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٥).



(^١) والزجاج (^١)، والنحاس (^١)، وابن أبي زمنين (^١)، والواحدي (^١)، والسمعاني (^١)،
والبغوي (^١)، والزنجشري (^١)، ومحمود النيسابوري (^١)، وابن الجوزي (^١)، ووافقهم
البيضاوي (^١)، والنسفي (^١)، والشوكاني (^١)، والقاسمي (^١).

واستدلوا لهذا القول بأصل الكلمة في اللغة: فتبسل: الباء والسين واللام أصل
واحد، تتقارب فروعها، وهو المنع والحبس، ومن هذا الباب قولهم: أبسلت الشيء
أسلمته للهلكة، ومنه أبسلت ولدي رهنته، قال الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا﴾ (^١)، والمستبسل الذي يقع في مكروهه، ولا مخلص له منه، فيستسلم موقناً

- (١) ينظر: جامع البيان: (٢٣٢/٧).
- (٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٠٦/٢) وقال: «معنى تبسل بعملها تكون غير قادرة على التخلص
والمستبسل المستسلم.... وقيل: أن تبسل أن ترهن والمعنى واحد».
- (٣) ينظر: معاني القرآن: (٣٣٩/١).
- (٤) ينظر: تفسير كتاب الله العزيز: (٧٧/٢).
- (٥) ينظر: الوجيز: (٣٦١/١) قال: «أن تبسل نفس بما كسبت أي تسلم للهلكة، وتحبس في جهنم فلا تقدر
على التخلص».
- (٦) ينظر: تفسير السمعاني: (١١٦/٢) قال بعد أن عدد الأقوال: «والصحيح هو الأول» يعني قول مجاهد.
- (٧) ينظر: معالم التنزيل: (٣٣/٢).
- (٨) ينظر: الكشاف: (٢٧/٢).
- (٩) ينظر: وضح البرهان: (٣٣٤/١).
- (١٠) ينظر: تذكرة الأريب: (١٦٠/١) قال: «لثلاث تبسل أي تسلم إلى الهلكة».
- (١١) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٠٦/١).
- (١٢) ينظر: مدارك التنزيل: (١٨/٢).
- (١٣) ينظر: فتح القدير: (١٢٩/٢).
- (١٤) ينظر: محاسن التأويل: (٥٧٩/٦) قال: «مخافة أن تسلم إلى الهلاك وترتهن بسوء كسبها وغرورها بإنكار
الآخرة».
- (١٥) ينظر مقاييس اللغة: (١٤٨/١) وقال صاحب تاج العروس (٨٤/٢٨) وقوله تعالى ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا
كَسَبَتْ﴾ أي تُسَلَمَ للهلكة.



للهلكة^(١) وقال النحاس بعدما عدد الأقوال: « وقول مجاهد حسن، أي: تسلم بعملها، بعملها، لا تقدر على التخلص »^(٢).

كما أن شواهد الشعر العربي، تدل على هذا المعنى، ومنها قول الشاعر الشنفرى^(٣):

هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مُبْسِلاً بالجرائر^(٤).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن تُبْسِل: أي أن تُحرم الثواب، ولهذا شاهد من الشعر العربي كما تقدم من كلام المؤلف ~ . وبهذا قال الراغب الأصفهاني^(٥).

القول الثالث: المراد بأن تبسل: أن تجزى وهو المروي عن الكلبي^(٦)، وبه قال الكسائي^(٧)، والأخفش^(٨).

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (٣٠٤ / ١٢)، ولسان العرب (٥٥ / ١١) مادة بسل.

(٢) ينظر: معاني القرآن: (٣٣٩ / ١).

(٣) هو: الشاعر الشنفرى الأسدي من بني الأواس، ابن الحجر بن الغوث، شاعر جاهلي يضرب به المثل في الحذق والدهاء، وكان قد أسرته بنو شبابة بن فهم، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان رجلا من بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى. ينظر: ديوان الحماسة: (١٨٨ / ١).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٢٣٢ / ٧)، وديوان الحماسة: (١٨٨ / ١) وذكره ابن منظور في لسان العرب: (٣٧٧ / ٤)، والأزهري في تهذيب اللغة: (٣٠٤ / ١٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن: (٤٧ / ١).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٣٢ / ٧).

(٧) ذكره السمعاني في تفسيره: (١١٦ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٦٥ / ٣).

(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش: (٤٩٢ / ٢)، وذكر هذا السمرقندي في بحر العلوم: (٤٥٨ / ١)، والسمعاني في تفسيره: (١١٦ / ٢).



القول الرابع: المراد بأن تبسل: أن تُفصح، وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه من رواية أخرى له ^(١).

القول الخامس: بأن تبسل: أن تُحبس، وتؤخذ بما كسبت، وهذا المروي عن قتادة، وابن زيد ^(٢).

وبعض المفسرين عدد بعض الأقوال بلا ترجيح أو اختيار بل مجرد ذكر ^(٣).

وعند التدبر في الأقوال، والتأمل فيها نجدها أقوالاً محتملة، ومتقاربة في المعنى. قال ابن كثير: « وكل هذه الأقوال والعبارات متقاربة في المعنى وحاصلها: الإسلام للهلكة، والحبس عن الخير، والارتهان عن درك المطلوب كقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] » ^(٤).

واختلاف السلف - رحمهم الله - في معنى ﴿تُبَسَّلَ﴾ اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، وإذا ورد عنهم أكثر من محتمل لغوي بلا تضاد في تفسير آية فإن الأصل قبولها لغة، وقبولها في التفسير إن لم يمنع مانع من ذلك ^(٥) ولا مانع هنا فقد تعدد الألفاظ والمعنى متقارب. قال ابن تيمية: « فإذا قال أحدهم ﴿أَنْ تُبَسَّلَ﴾ أي: تُحبس، وقال الآخر: تُرْتَهَن، ونحو ذلك لم يكن من اختلاف التضاد،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٣٢/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤)، وعزا السيوطي هذه الرواية إليهما وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٢٩٤/٣) وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنة (٣٧٤/١) حيث قال: « وهذا التفسير من باب التفسير باللازم، أي من لازم أخذهم بالعذاب بما كسبوا: أن يفضحوا ».

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٣٢/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٨/٤)، وعزا السيوطي رواية ابن زيد إليهما كما في الدر المنثور: (٢٩٥/٣).

(٣) كالثعلبي في الكشف والبيان: (١٥٨/٤)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٦٥/٣) والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (٤٤٣/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (١٤٩/٢).

(٥) ينظر: التفسير اللغوي: (٦٠٥).



وإن كان المحبوس قد يكون مرتبها، وقد لا يكون؛ إذ هذا تقريب للمعنى كما تقدم،
وجميع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود
من عبارة أو عبارتين»^(١).

لذلك كان الأولى والأرجح حمل الآية على عموم هذه المعاني. قال
الآلوسي: «أن ﴿نَفْسٌ﴾ جاءت نكرة للعموم مثله في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾
﴿التكوير: ١٤﴾ والمراد أي لثلاث تجس وترهن كل نفس في الهلاك أو في النار أو تسلم إلى
ذلك، أو تفضح، أو تحرم الثواب بسبب عملها السوء، أو ذكر بحبس أو حبس كل
نفس بذلك وحمل النكرة على العموم مع أنها في الإثبات لاقتضاء السياق له»^(٢).

وعليه قاعدة ترجيحية معتبرة وهي: " يجب حمل نصوص الوحي على
العموم ما لم يرد دليل بالتحصيل"^(٣). والله أعلم.

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٣٤٣/١٣).

(٢) ينظر: روح المعاني: (١٨٧/٧).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

٤٥- المسألة الثانية: هل الآية منسوخة بآية القتال؟

قال القرطبي ~ بصيغة الجزم: «أي لا تعلق قلبك بهم فإنهم أهل تعنت، وإن كنت مأمورا بوعظهم. قال قتادة: هذا منسوخ نسخه ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(١)... ثم ذكر ذلك بصيغة الجزم أيضا فقال: «والآية منسوخة بآية القتال^(٢). وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن قوله: ﴿وَدَرَ الذَّيْتُ أَخْذُوا دِيْنَهُمْ﴾ تهديد، كقوله ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ [الحجر: ٣]. ومعناه: لا تحزن عليهم، فإنما عليك التبليغ والتذكير بإبسال النفوس. «ا.هـ^(٣)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول قتادة وهو: أن الآية منسوخة بآية القتال، وحملوا الأمر في الآية الكريمة على الكف عنهم، وترك التعرض لهم^(٤)، وقد وافق القرطبي في هذا قول الطبري^(٥).

وذكر هذا القول بعض المفسرين بلا اختيار أو ترجيح^(٦).

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٥/١) والطبري في جامع البيان: (٢٣١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٧/٤)، وعزاه السيوطي إليهم، وإلى عبد بن حميد، وأبو داود في ناسخه، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه كما في الدر المنثور: (٢٩٤/٣).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٤٢٥/٨).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٠٦/١).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٢٣١/٧).

(٦) كالسدوسي في الناسخ والمنسوخ (٤٢/١)، والجصاص في أحكام القرآن: (١٦٧/٤)، والمقري في الناسخ والمنسوخ: (٨٦/١)، وابن حزم في الناسخ والمنسوخ: (٣٧/١) وابن أبي زمنين في تفسيره: (٧٦/٢)، والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (٤٤٢/١)، وابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٤٤٢/١).

واستدل أصحاب هذا القول:

بما روي عن قتادة في قوله: ﴿وَذَرِ الذُّبَابَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِعِبَادٍ وَلَهُمْ﴾ قال: ثم أنزل في سورة براءة فأمر بقتالهم؛ فقال: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فنسختها.

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الآية محكمة وليست منسوخة، وهذا المروي عن مجاهد^(١) وبه قال النحاس^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وأبو حيان^(٦)، والثعالبي^(٧)، والشوكاني^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩).

﴿﴾ =

(١٢/٢)، والكرمي في الناسخ والمنسوخ: (١٠٥/١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٣١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣١٧/٤)، وعزاه السيوطي إليهما، وإلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٢٩٤/٣)، وينظر: تفسير مجاهد: (٢١٨/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (٣٣٩/١) وقال في الناسخ والمنسوخ: (٤١٨/١) « ليس هذا بخبر، وهو يحتمل النسخ غير أن البين فيه أنه ليس بمنسوخ وأنه على معنى التهديد لمن فعل هذا أي ذره فإن الله ﷻ مطالبه ومعاقبه ومثله ﴿ثُمَّ ذَرَّهُمْ فِي خَوَاضِحِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ». «

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٧٥/٦).

(٤) ينظر: نواسخ القرآن: (٣٢٧) والمصنف من علم الناسخ والمنسوخ (٣٢/١).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٠٦/١).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٥٨/٤) قال: « وليس فيها نسخ لأنها متضمنة خبرا وهو التهديد ». «

(٧) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٧/١).

(٨) ينظر: فتح القدير: (١٢٩/٢).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٥١٩/٧) قال: « وهذا الأمر بترك هؤلاء المغرورين قد جاء على سبيل التهديد كقوله: ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ ». «



وحجتهم:

أن الآية متضمنة للخبر، فخرجت مخرج التهديد كقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١] كقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذَا نَصْرًا﴾ [الحجر: ٣]. قال ابن عطية: «وليس فيها نسخ لأنها متضمنة خبراً وهو التهديد»^(١).

وقال ابن الجوزي: «أنه خرج مخرج التهديد كقوله ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ فعلى هذا هو محكم وهو الصحيح»^(٢).

وإذا ثبت هذا فهو الأولى والأرجح، وذلك أنه " لا يصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح النقل الصريح بنسخها، أو انتفى حكمها من كل وجه"^(٣). والله أعلم.



(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ٧٥).

(٢) ينظر: نواسخ القرآن: (٣٢٧) والمصنفى من علم الناسخ والمنسوخ (١/ ٣٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ٧١).



قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ [الأنعام: ٧٣]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٤٦- المراد بالصور في هذا الموضع عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾

قال القرطبي ~ : « والصور: قرن من نور ينفخ فيه، النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء. وليس جمع صورة كما زعم بعضهم؛ أي: ينفخ في صور الموتى على ما نبينه.

روي مسلم من حديث عبدالله بن عمرو: (... ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها^(١) ورفع ليتها. قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله^(٢). قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطراً كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)، وذكر الحديث^(٣). وكذا في التنزيل: ﴿ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٦٨] ولم يقل: (فيها)، فعلم أنه ليس جمع الصورة.... ثم ساق أدلة إلى أن قال: قلت: ومن قال إن المراد بالصُّور في هذه الآية جمع صور: أبو عبيدة^(٤) وهذا وإن كان محتملاً فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنة... »^(٥).

(١) أي أَمَالَ صَفْحَةً عُنُقِهِ وهو جانبه، ينظر: لسان العرب: (٤٦١ / ١٤)، وتاج العروس: (٨٤ / ٥)، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: (٤٣٣ / ١).

(٢) أراد باللوط: تطيين الحوض وإصلاحه، وهو من اللصوق، ولأَطَّ الحَوْضُ أَصْلَحَهُ بالطَّيْنِ. ينظر: لسان العرب: (٣٩٤ / ٧) وتاج العروس: (٨٤ / ٢٠).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال، ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور وبعث من في القبور: (٢٢٥٨ / ٤)، برقم: (٢٩٤٠).

(٤) ينظر: مجاز القرآن: (١٦٩ / ١). قال أبو الهيثم: وأبو عبيدة كان صاحب أخبار وغرائب، ولم يكن له معرفة بالنحو.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٤٣١ / ٨).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن المراد بالصور هنا: أنه القرن، وقد وافق في ترجيحه الطبري^(١)،
والماوردي^(٢)، والكرماني^(٣) والسمعاني^(٤) والبغوي^(٥)، والراغب الأصفهاني^(٦)،
ونظام الدين النيسابوري^(٧)، وأبا حيان^(٨)، وابن كثير^(٩)، والثعالبي^(١٠)، والشوكاني^(١١)،
والألوسي^(١٢)، والقاسمي^(١٣)، ومحمد رشيد رضا^(١٤).

واستدلوا بأدلة منها:

أولاً: تفسير القرآن للصور في غير هذا الموضع قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]
قال ابن عباس رضي الله عنه: في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ (يعني النفخة الأولى، ألم
تسمع أنه يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ٠٠

(١) ينظر: جامع البيان: (٢٤١/٧).

(٢) ينظر: النكت والعيون: (١٣٣/٢).

(٣) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (٣٦٧/١).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١١٧/٢).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٣٤/٢).

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: (٤٩٨).

(٧) ينظر: غرائب القرآن: (١٠٠/٣).

(٨) ينظر: البحر المحيط: (١٦٥/٤).

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥١/٢).

(١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٨٩/١).

(١١) ينظر: فتح القدير: (١٣١/٢).

(١٢) ينظر: روح المعاني: (١٩١/٧).

(١٣) ينظر: محاسن التأويل: (٥٨٣/٦).

(١٤) ينظر: تفسير المنار: (٥٣١/٧).

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ يعني الثانية، فإذا هم قيام ينظرون^(١).

ثانياً: الأحاديث النبوية التي تشهد لهذا المعنى: فعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ في قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ (قال النبي ﷺ هو قرن ينفخ فيه)^(١). وعن أبي سعيد ﷺ^(٢) أن رسول الله ﷺ قال: (كيف أنعم؟ وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته، وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ؟ قلنا يا رسول الله: فكيف نقول قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله)^(٣) قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظافت به الأخبار عن رسول الله ﷺ»^(٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بالصور: جمع صورة، فيكون المراد النفخ في صور الموتى. وبهذا القول انفرد أبو عبيدة^(٥)

واحتج أصحاب هذا القول: بقراءة الحسن بفتح الواو ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٤٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٢٤/٤)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٢٩٩/٣).

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الزمر، (٤٧٣/٢) برقم: (٣٦٣١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري، له ولأبيه صحبة، واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير من الحديث، (مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٦٧/٥)، والثقات (١٥٠/٣)، وتذكرة الحفاظ (٤٤/١)، وتقريب التهذيب: (٢٣٢).

(٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الأهوال، (٦٠٣/٤) برقم: (٨٦٧٨). قال: «لم نكتبه من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد، ولولا أن أبا يحيى التيمي على الطريق لحكمت للحديث بالصحة على شرط الشيخين -رضي الله عنهما-، ولهذا الحديث أصل من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد».

(٥) ينظر: جامع البيان: (٢٤١/٧).

(١) ينظر: مجاز القرآن: (١٦٩/١).

وهي قراءة شاذة^(١).

والرد على هذا القول بوجوه منها:

١- قولهم هذا مخالف لقول أهل السنة والجماعة، قال أبو الهيثم الرازي^(٢):
«والدليل على صحة ما قالوا - يعني أهل السنة والجماعة - أن الله تعالى حيث ذكر الله
ﷻ تصويره الخلق في الأرحام قبل نفخ الروح، وكانوا قبل أن صورهم نطفاً ثم علقا
ثم مضغاً ثم صورهم تصويراً، فأما البعث فإن الله تعالى ينشئهم كيف شاء، ومن ادعى
أنه يصورهم ثم ينفخ فيهم فعليه البيان ونعوذ بالله من الخذلان^(٣)». كما أن فيه تبديلاً
لكلام الله فقد قال ﷻ ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال سبحانه:
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [يس: ٥١] [الزمر: ٦٨] فمن قرأ "ونفخ في الصور" وقرأ "فأحسن صوركم"
فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله^(٤).

٢- أنه لو كان المراد نفخ الروح في تلك الصور لأضاف تعالى ذلك النفخ إلى
نفسه، لأن نفخ الأرواح يضيفه الله إلى نفسه كما قال سبحانه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وقال: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] وقال ﷻ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا
شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، وأما نفخ الصور، بمعنى النفخ في القرن فأهل التفسير

(١) ينظر القراءات الشاذة: (٣٨)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٤)، وذكرها القرطبي في الجامع
لأحكام القرآن: (٤٣١ / ٨) وأبو حيان في البحر المحيط: (٤ / ١٦٥).

(٢) هو: أبو الهيثم سهل بن عبدالرحمن الكندي، أبو الهيثم الرازي اللُّغوي، ويلقب سهل بالسندي، أحد أئمة
العربية، له كتاب الشامل في اللُّغة، وكتاب زيادات معاني القرآن وغير ذلك، وكان بارعاً في الأدب
علامة، كان قاضياً بقزوين وهدان، (ت: ٢٧٦هـ). والله أعلم.

ينظر: تاريخ الإسلام: (٤٩٩ / ٢٠)، التدوين في أخبار قزوين: (٣ / ٦٢).

(٣) قال الأزهري « قد أحسن أبو الهيثم في هذا الكلام، ولا يجوز عندي غير ما ذهب إليه، وهو قول أهل
السنة والجماعة... » ينظر: تهذيب اللغة: (١٢ / ١٦٠) ولسان العرب: (٤ / ٤٧٦).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (٣٩ / ١٣).



مجمعين على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام^(١)، والله تعالى لا يضيفه إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّفُورِ ۗ﴾ [المدثر: ٨] وقال عليه السلام: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]^(٢)

إذا ثبت بطلان هذا القول فإن ما رجحه القرطبي هو الراجح، لأنه "القول الذي تفسره وتؤيده آيات قرآنية"^(٣) كما جاء في آية الزمر.

وقد ورد حديث يؤيده: "وإذا ورد حديث في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره"^(٤). والله أعلم.



(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ٤٣١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٨ / ١٣)؛ ولسان العرب (٤ / ٤٧٦).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١ / ٣١٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (١ / ١٩١).



قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَبُّكَ وَقَوْمِكَ فِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ [الأنعام: ٧٤]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٤٧- مسألة: عند قوله تعالى: ﴿ءَأَزَرَ﴾ هل هو اسم لوالد إبراهيم عليه السلام؟ أم

أن له أسماً آخر؟

قال القرطبي ~ : « ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ﴾ تكلم العلماء في هذا، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري^(١) في النكت من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارح^(٢). والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر.

وقيل: آزر عندهم ذم في لغتهم، كأنه قال: وإذ قال لأبيه: يا مخطئ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ وإذا كان كذلك فالاختيار الرفع.

وقيل: آزر اسم صنم. وإذا كان كذلك، فموضعه نصب على إضمار الفعل، كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه: أتتخذ آزر إلهاً، أتتخذ أصناماً آلهة؟

قلت: ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق؛ فقد قال محمد بن إسحاق^(٣)

(١) لم أجد ترجمة لهذا العلم المذكور، وقال المحقق: «لعله يريد أبا بكر محمد بن الحسن بن محمد النقاش صاحب تفسير شفاء الصدور. ينظر السير: (٧٥/١٥)».

(٢) ذكر هذا القول بدون نسبة إلى الجويني الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٥)، وذكره بعض المفسرين عن الجويني كالشوكاني في فتح القدير: (٢/١٣٣).

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر، ويقال أبو عبدالله المطلبي مولاهم المدني الإمام، إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة، وكان من بحور العلم وله غرائب في سعة ما روى تستنكر، واختلف في الاحتجاج به (ت: ١٥١ هـ). ينظر: الثقات: (٧/٣٨٠)، وسير أعلام النبلاء: (٧/٣٣)، والكاشف: (٢/١٥٦)، وتقريب التهذيب: (٤٦٧).

والكلبي^(١) والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام وهو تارح مثل إسرائيل ويعقوب^(٢).
قلت: فيكون له اسمان كما تقدم....»^(٣).

✎ الدراسة والترجيح:

اضطرب قول القرطبي في هذه المسألة فأول حديثه بين أن الذي في القرآن آزر، وأبطل الاتفاق الذي عليه النسابون من أن اسمه تارح، وفي آخر حديثه ذكر قول الضحاك، ومحمد بن إسحاق، والكلبي، في أن آزر اسم لوالد إبراهيم عليه السلام، وتارح أيضاً، وقال: فيكون له اسمان.

فأما القول الأول فقد قال به السدي، ومحمد بن إسحاق في رواية له^(٤)، وهو الذي رجحه الطبري^(٥)، والزخشي^(٦)، وابن عطية^(٧)، والفخر الرازي^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، ووافقه البيضاوي^(١٠)، والنسفي^(١١)،

(١) هو: محمد بن السائب الكلبي كنيته أبو النضر من أهل الكوفة وهو الذي يروي عنه الثوري ومحمد بن إسحاق ويقولان حدثنا أبو النضر حتى لا يعرف، وكان يقول حدثني أبو سعيد يريد به الكلبي فيتوهمون أنه أراد أبا سعيد الخدري وكان الكلبي سبئياً من أصحاب عبدالله بن سبأ. ينظر: المجروحين: (٢/٢٥٣)، والكاشف: (٢/١٧٤)، وتقريب التهذيب: (٤٧٩).

(٢) ذكر هذا البغوي في معالم التنزيل: (٢/٣٥)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٦٠).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٣٣) ثم عدد أقوالاً أخرى وقال: قلت فعلى هذا آزر اسم جنس والله أعلم.

(٤) أخرج روايتهما: الطبري في جامع البيان: (٧/٢٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٢٤).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٤٢).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/٢٩).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٨٥).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٣٨).

(٩) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦١).

(١٠) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٨).

(١١) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/١٩).



ونظام الدين النيسابوري^(١)، وابن جزى الكلبي^(٢)، وأبو حيان^(٣)، وابن كثير^(٤)،
والألوسي^(٥)، ومحمد رشيد رضا^(٦).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: أنه أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية. قال الفخر الرازي: «أن
اسم والد إبراهيم ﷺ هو آزر، وأما قولهم: أجمع النسابون على أن اسمه كان تارح،
فنقول: هذا ضعيف لأن ذلك الإجماع إنما حصل لأن بعضهم يقلد بعضاً، وبالأخرة
يرجع ذلك الإجماع إلى قول الواحد والاثنين مثل قول وهب وكعب وغيرهما، وربما
تعلقوا بما يجدونه من أخبار اليهود والنصارى ولا عبرة بذلك في مقابلة صريح
القرآن»^(٧).

ثانياً: الأحاديث النبوية تشهد بأن اسمه آزر، جاء في الحديث الصحيح: عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة
وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك...)^(٨).

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٠٣/٣).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٣/٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط: (١٦٨/٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٥/٢).

(٥) ينظر: روح المعاني: (١٩٤/٧).

(٦) ينظر: المنار: (٥٣٦/٧).

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: (٣٧/١٣).

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾
وقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾: في (١٢٢٣/٣) برقم:
(٣١٧٢)، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير، (٢/٢٦٠)، برقم: (٢٩٣٦).



ثالثاً: القراءة الصحيحة المتواترة بالنصب، على انه علم غير منصرف فينصب في موضع الخفض، وهي قراءة الجمهور^(١).

وإن سلّمنا بالقول الثاني في أن اسمه أيضاً تارح فهذا لا بأس به من وجوه منها:

الأول: أن والد إبراهيم كان مسمى باسمين، أو أن أحدهما كان لقباً. قال الطبري: « إن قال قائل: إن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح، فكيف يكون آزر اسماً له والمعروف به من الاسم تارح؟ قيل له: غير محال أن يكون له اسمان كما لكثير من الناس في دهرنا هذا، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم، وجائز أن يكون لقباً، والله تعالى أعلم »^(٢).

الثاني: أن اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه: تارح، فلما صار مع النمرود قياً على خزانة آلهته سماه آزر^(٣).

الثالث: قيل: إن اسمه بكلام قومه " بالسريانية " تارح^(٤)، وفي العربية كما ذكر القرآن آزر.

الرابع: أن والد إبراهيم عليه السلام كان تارح، وآزر كان عما له، والعلم قد يطلق عليه اسم الأب، كما حكى الله تعالى عن أولاد يعقوب أنهم قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ومعلوم أن إسماعيل كان عما ليعقوب، وقد أطلقوا عليه لفظ الأب فكذا ههنا.

قال الفخر الرازي بعد أن عدد بعض هذه الوجوه: « واعلم أن هذه التكلفات، إنما يجب المصير إليها لو دل دليل باهر على أن والد إبراهيم ما كان اسمه آزر،

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر: (٢/٢٥٩)، ومشكل إعراب القرآن: (١/٢٥٨).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٤٢).

(٣) ذكره الثعلبي في كتاب العرائس (قصص الأنبياء): (٧٤).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٥٥)، والفريد في إعراب القرآن المجيد: (٢/١٧٤).



وهذا الدليل لم يوجد البتة، فأى حاجة تحملنا على هذه التأويلات، والدليل القوي على صحة أن الأمر على ما يدل عليه ظاهر هذه الآية ^(١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن أزر ليس اسماً لأبيه، وإنما هو اسم لصنم، وبهذا قال مجاهد والسدي ^(٢)، ويكون التقدير على هذا في محل نصب، وقيل في الكلام تقديم وتأخير، التقدير أتخذ أزر أصناماً. وإذا كان كذلك فموضعه نصب على إضمار الفعل كأنه قال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرُ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً﴾ أتخذ أصناماً آلهة. ^(٣)

القول الثالث: أن أزر صفة وهي ذم وعيب في لغتهم وهذا مروى عن معتمر بن سليمان ^(٤).

وهذه الصفة على قولين: الأول: بأنه المعوج ^(٥).

الثاني: بأنه يا مخطئ ^(٦)، أو كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ.

واستندوا على قراءة الحسن بالرفع: ﴿أزر﴾ أي يا أزر على النداء المفرد،

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (٣٨/١٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٤٢/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٢٥/٤)، وعزا السيوطي رواية مجاهد إليها وإلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣٠٠/٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٣٣/٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٢٥/٤)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن جرير كما في الدر المنثور: (٣٠٠/٣) حيث قال: (بلغني أنها أعوج، وهي أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه).

وهو: معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري، يلقب بالطفيل ثقة من كبار التاسعة، وقد جاوز الثمانين (م: ١٠٦ - ت: ١٨٧ هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٩٠/٧)، والثقات: (٥٢٥/٧)، وتقريب التهذيب: (٣٩٥).

(٥) ذكره الفراء في معاني القرآن: (٣٤٠/١).

(٦) ذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢١٥/٢).

فيكون يا مخطئ أتتخذ أصناما آلهة ؟^(١)

ويعترض على هذا القول^(٢):

أولاً: إذا كان آزر صفة على ما قالوا: فهي نكرة، ولا يجوز أن تنعت المعرفة بالنكرة.

ثانياً: كيف يأتي النبي إبراهيم عليه السلام بفعل كهذا السب والشتم لأبيه ؟ وقد حكى الله تعالى عنه في القرآن بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ﴾ فكيف يليق بالرجل الحلیم مثل هذا الجفاء مع الأب، وهو لا يجوز المصير إليه إلا عند من يقول بجواز اشتمال القرآن على ألفاظ من غير لغة العرب.

ثالثاً: القراءة التي استندوا إليها شاذة، ولا يعتد بها.

وقد ذكر القولين السابقين بعض المفسرين، ولم أر أحداً منهم اختار أو رجح واحداً منها.^(٣)

مما سبق يتبين أن الأرجح من بين الأقوال، القول: أن والد إبراهيم عليه السلام هو آزر، لأنه الذي جاء صريحاً في نص القرآن، وهذا منطبق عليه جملة من القواعد وهي:

" لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن "^(٤).

(١) ينظر: المحتسب: (٣٣١/١)، ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٤)، والجامع لأحكام القرآن:

(٨/٤٣٣) والبحر المحيط: (٤/١٦٨) وهي قراءة شاذة.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٨٥)، ومفاتيح الغيب: (١٣/٣٨).

(٣) كالتحسب في معاني القرآن: (١/٣٤١)، وابن أبي زمنين في تفسيره: (٢/٧٩)، والهمداني في الفريد في

إعراب القرآن المجيد: (٢/١٧٤) والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٦٠)، والسمعاني في تفسيره:

(١/١١٨)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٣٥)، والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (١/٤٤٥)،

والشوكاني في فتح القدير: (٢/١٣٣).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٣٧).



وقاعدة: "إذا ثبت الحديث، وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره"^(١).

وقاعدة: "معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة"^(٢).
والله أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (١/١٩١).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (١/١٠٤).



قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف: ٧٦]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٤٨- مسألة: عند قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ هل قوله على جهة الاعتقاد؟

أم على جهة الاحتجاج؟

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ اختلف في معناه على أقوال، فقيل: كان هذا منه في مهلة النظر وحال الطفولية وقبل قيام الحجّة؛ وفي تلك الحال لا يكون كفر ولا إيمان، فاستدل قائلو هذه المقالة بما روي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فعبدته حتى غاب عنه، وكذلك الشمس والقمر، فلما تم نظره قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(١). واستدل بالأقول؛ لأنه أظهر الآيات على الحدوث.

وقال قوم: هذا لا يصح، وقالوا: غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو الله تعالى موحد، وبه عارف، ومن كل معبود سواه بريء..... إلى آخر الردود على هذا القول ثم قال: «إنما قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ لتقرير الحجّة على قومه، فأظهر موافقتهم، فلما أفل النجم قرر الحجّة، وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون ربا. وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها.. ثم ذكر قول النحاس^(١) وأنه من أحسن ما قيل في هذا»^(٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٢٨).

(٢) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٧٧) قال: «ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس ؓ أنه قال: في قول الله عز وجل ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥] قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه ازداد نورا على نور، وكذا إبراهيم ؑ عرف الله ﷻ بقلبه واستدل عليه بدلائله فعلم أن له ربا وخالقاً فلما عرفه الله ﷻ بنفسه ازداد معرفة فقال أتحتاجوني في الله وقد هدان».

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٤٠).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن قول إبراهيم عليه السلام قول احتجاج لا اعتقاد، وقد وافق في اختياره هذا اختيار الفراء^(١)، وابن قتيبة^(٢)، والزجاج^(٣)، والنحاس^(٤)، والسمعاني^(٥)، والزنجشري^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، وابن عطية^(٨)، والفخر الرازي^(٩)، ووافقهم نظام الدين النيسابوري^(١٠)، وابن جزى الكلبي^(١١)، وأبي حيان^(١٢)، وابن كثير^(١٣)، والثعالبي^(١٤)، والآلوسي^(١٥)، والقاسمي^(١٦)، ومحمد رشيد رضا^(١٧)، والشنقيطي^(١٨).

- (١) ينظر: معاني القرآن: (٣٤١ / ٢).
- (٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٢٠٢).
- (٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٦٦ / ٢).
- (٤) ينظر: معاني القرآن: (٣٤١ / ١).
- (٥) ينظر: تفسير السمعاني: (١١٩ / ٢).
- (٦) ينظر: الكشاف: (٣١ / ٢).
- (٧) ينظر: زاد المسير: (٧٥ / ٣).
- (٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٩١ / ٦).
- (٩) ينظر: مفاتيح الغيب: (٥١ / ١٣) قال: «الاحتمال الأول أولى بالقبول لما ذكرنا من الدلائل الكثيرة».
- (١٠) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٠٧ / ٣).
- (١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٤ / ٢) قال: «وهذا أرجح لقوله فيما بعد ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾».
- (١٢) ينظر: البحر المحيط: (١٧٢ / ٤).
- (١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٦ / ٢) قال: «والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرا لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام».
- (١٤) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٩١ / ١).
- (١٥) ينظر: روح المعاني: (١٩٨ / ٧) قال: «وهذا هو الحق الحقيقي بالقبول».
- (١٦) ينظر: محاسن التأويل: (٥٩٢ / ٦).
- (١٧) ينظر: تفسير المنار: (٥٥٧ / ٧).
- (١٨) ينظر: أضواء البيان: (٣٦٢ / ١)، والعذب النمير: (٤١٤ / ١).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي^(١):

أولاً: النظائر القرآنية التي تبين أن الله تعالى عصم إبراهيم عليه السلام من الشرك وامتدحه بالاستقامة، فقال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٢] وقال عنه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤) [الصافات: ٨٤] أي لم يشرك به قط • وقال تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١١) [الأنعام: ١١١] وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

قال الشنقيطي: « ونفي الكون الماضي يستغرق الكون في جميع الزمن كائنا ما كان، وكذلك قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] ونفي الإشراف عنه في الكون الماضي يدل بدلالة القرآن - دلالة المطابقة - على أنه لم يتقدم له كون إشراف البتة • ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) [الأنبياء: ٥١] فعلم الله به وبصلاحه يدل على ذلك؛ هذا هو الحق الذي لا شك فيه »^(١)

ثانياً: جاء في جملة من الآيات والأحاديث ما يبين أن الناس خلُقوا على الفطرة السليمة قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كل مولود يولد على الفطرة)^(١) فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٦)، وتفسير القرآن العظيم: (٢/١٥٦)، وأضواء البيان: (١/٣٦٢).

(٢) العذب النمير: (١/٤١٥).

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين (١/٤٦٥)، برقم: ٤٦٥



الله أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ناظراً في هذا المقام؟؟ بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب.

ثالثاً: السياق القرآني القصصي فقد جاء في سباقها: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٧٥] فلما أثبت له اليقين قال بعد ذلك مرتباً عليه بالفاء: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ﴾، فلما أيقن ورأى كوكبا يقول: هذا ربي على وجه الاعتقاد؟ هذا من المحال الممتنع، ثم قال تعالى في لحاقها: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ [الأعراف: ٨٠] والمعنى جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبهه من القول، فدل أن هذا في سبيل المناظرة والمحاجة، لا في سبيل النظر بنفسه^(١).

وبيّن المفسرون أن قوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ لها تأويلان وكلاهما قد يغني عن الآخر^(٢):

❖ الأول وهو الذي عليه الجمهور: أن المناظر إذا أراد أن يفحم خصمه سلّم له مقدمة تسليماً جديلاً مؤقتاً ليتمكنه أن يفحمه، وعليه فمعنى: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على التسليم الجدلي، وفي زعمكم الكافر الفاسد، كما قال تعالى ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِي﴾ وهو عكس واحد لا شريك له. والمعنى: أين شركائي على قولكم؟ ليقرّعهم ويوبّخهم. فمقصوده بهذا ليفحمهم، فلو قال لهم عند أول وهلة: الكوكب مخلوق مسخر، لا يمكن أن يكون رباً. لقالوا له: أنت كذاب فلما تنزل معهم، وسلّم لهم الكذب والمحال، أمكنه أن يفحمهم بطريقة المعارضة بقلب الدليل على الخصم: فهم يستدلون على عبادتهم لها بما هي عليه من المظاهر والظواهر، لكن إبراهيم عليه السلام قلب عليهم الدليل، حيث بين أن ما كان سبب عبادتهم لها هو نفسه الدليل والسبب في نفي استحقاتها للعبادة،

(١٣١٩) وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/٢٠٤٧)، برقم: (٢٦٥٨).

(١) العذب النمير: (١/٤١٥).

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٢٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٦)، ومعاني القرآن: (١/٣٤١)،

والعذب النمير: (١/٤١٥).



وبطلان عبادتهم لأنها كانت متغيرة حادثة، ومسخرة لقوة أعلى منها هي قوة الخالق لها
عَلَيْكَ.

❖ الثاني: أن المقرر في علوم العربية أن الجملة إذا صُدرت بهمزة استفهام أو همزة تسوية، وكان المقام يدل عليها، أن حذفها جائز، فقال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ إنكاراً لهم، وعليه فالمعنى "أهذا ربي" أو "مثل هذا يكون ربا" وفي التنزيل قوله: ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] أي أفهم الخالدون.

وحذف الهمزة كثير وفائض في كلام العرب: قال عمر بن أبي ربيعة^(١):

فو الله ما أدري وإن لحاسب بسبع رميت الجمر أم بثمان^(٢)

والتقدير: أبسبع أم بثمان؟

ويستأنس بالقراءة الشاذة وهي باستفهام: (أهذا ربي؟)

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن قول إبراهيم عليه السلام كان في مقام النظر وقبل قيام الحجّة، وهذا مروى عن ابن عباس^(٣) وهو الذي رجحه الطبري^(٤) ولم أر أحداً غيره قال به - فيما أعلم - بل ضعفه بعض المفسرين. قال الشنقيطي: «إن هذا القول غلط لا شك فيه»^(٥).

(١) هو: عمر بن عبد الله أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة القرشي المخزومي الشاعر المشهور لم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة وله في ذلك حكايات مشهورة. ينظر: الثقات: (١٥٠/٥)، التاريخ الكبير: (١٦٨/٦)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٤٣٦/٣).

(٢) البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة: (٢٠٩)، وخزانة الأدب: (١٢٩/١١).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٤٨/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٢٨/٤).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٢٤٨/٧).

(٥) العذب النمير: (٤١٤/١).

واحتجوا بما يلي:

- ١- بأن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] فقولُه هذا يدل على أنه قال هذا قبل أن يتيقن الحقيقة، وقبل أن يتم له النظر.
 - ٢- واستأنس بما روي عن ابن عباس، والقصة التي رواها محمد بن إسحاق^(١).
- ويجاب عن هذا الاحتجاج بما يلي^(٢):

١- أن هذا دعاء من إبراهيم عليه السلام، والأنبياء لا يزالون يسألون الله تعالى الهدى ويتضرعون إليه في أن يدفع عنهم الضلال، ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

٢- أنه كان معرضاً لقومه ولأجل هذا التعريض لم يقل لأكونن ضالاً بل قال: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ليشير إلى ضلال قومه.

٣- أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فهو من مراسيل علي بن طلحة مولى بني العباس، وقد روى عن ابن عباس تفسيراً كثيراً وهو لم يره، وقال فيه أحمد بن حنبل: له أشياء منكرات.

أما عن القصة التي رواها محمد بن إسحاق فقد أخذها عن بعض اليهود الذين كانوا يلقبون المسلمين أمثال هذه القصص، وهي قصة موضوعة لهذه المسألة^(٣).

وقد ذكر القولين السابقين بعض المفسرين بدون اختيار أو ترجيح أحدهما على الآخر^(٤).

(١) ينظر: جامع البيان: (٢٤٨/٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٦٦/٢)، وزاد المسير: (٧٥/٣)، وتفسير المنار: (٥٥٧/٧)، والتحرير والتنوير: (١٧٧/٦).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٥٥٧/٧).

(٤) كالثعلبي في الكشف والبيان: (١٦٠/٤)، والماوردي في النكت والعيون: (١٣٦/٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٣٨/٢)، والشوكاني في فتح القدير: (١٣٣/٢).



ومن ذلك يتبين ضعف القول الثاني، وأن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، وأصح التأويلين لأنه الوارد بظاهر القرآن، وعليه قاعدة ترجيحية هي :

"أن القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا ينسب ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية^(١)"، وجاء في الحديث الصحيح ما يؤيد أن إبراهيم عليه السلام كان على الملة الصحيحة كسائر الخلق بل هو أولى بذلك، والقاعدة تنص على أن "كل قول يطعن في عصمة النبوة وقاعدة الرسالة، فهو مردود"^(٢)

كما أن السياق القرآني بين أن إبراهيم عليه السلام كان محاجاً لقومه، ولم يكن محل نظر، والقاعدة تؤيد هذا :

"إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنه"، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على غيره^(٣) "والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣٢٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (١/٣٢٨).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥ - ٢٩٩).



قال تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ

[الأنعام: ٨٢]

٤٩- مسألة في من قائل؟ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

قال القرطبي ~ : « فقال الله قاضيا بينهم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك. قاله أبو بكر الصديق وعلي وسلمان^(١) وحذيفة^(٢). وقال ابن عباس: هو من قول إبراهيم، كما يسأل العالم ويجيب نفسه^(٣). وقيل: هو من قول قوم إبراهيم، أي أجابوا بما هو حجة عليهم. قاله ابن جريج^(٤) ».

(١) هو: أبو عبد الله سلمان الفارسي، يقال إنه مولى رسول الله ﷺ، ويعرف بسلمان الخير، كان أصله من فارس، ويقال بل كان أصله من أصبهان، أول مشاهده الخندق (ت: ٣٤٤ هـ). ينظر: الاستيعاب: (٢/٦٣٤)، والثقات: (٣/١٥٧)، وتقريب التهذيب: (٢٤٦).

(٢) هو: حذيفة بن اليمان العبسي، واسم اليمان حسيل بن جابر بن ربيعة بن عبس حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين صح في مسلم عنه أن رسول الله ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأبوه صحابي أيضا استشهد بأحد ومات حذيفة في أول خلافة علي (ت: ٣٦ هـ). ينظر: الثقات: (٣/٨٠)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٣٦١)، وتقريب التهذيب: (١٥٤).

(٣) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢٠٧)، والطبري في جامع البيان: (٧/٢٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٣)، وعزا السيوطي رواية أبي بكر إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٣/٣٠٨) وعزا رواية علي ﷺ إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه كما عزا رواية سلمان إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، أما رواية حذيفة فعزاها إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن أبي شيبة، وأبو عبيد، وابن المنذر وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٠٩).

(٤) ذكره دون نسبة الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٩)، والسمرقندي في بحر العلوم (١/٤٦٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/٩٥).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٥٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٤٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول ابن زيد^(١) في أن هذا من قوله، سبحانه وتعالى، ليفصل القضاء بينهم، وقد وافق في اختياره الطبري^(٢)، وابن عطية^(٣)، والبغوي^(٤)، ووافقهم ابن كثير^(٥)، وأبو السعود^(٦)، والثعالبي^(٧) والشوكاني^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩).

واحتج أصحاب هذا القول:

أولاً: أن الجواب الفصل من الله تعالى، لما سأل إبراهيم عليه السلام قومه عن أولى الفريقين بالأمن جاء الجواب من الله تعالى مستأنفاً وهو فصل وقضاء منه بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه، حتى لا يلجأ القوم إلى التكذيب. قال الطبري: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن وفصل قضاء منه بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه»^(١٠)

ثانياً: السياق القرآني فقد عطف هذه الآية على قوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣] فهي خبر منه^(١١)

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٥٥/٧).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٢٥٥/٧).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٩٥/٦).

(٤) ينظر: معالم التنزيل: (٤١/٢).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٨/٢).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٧٣/٢).

(٧) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٣٧/١).

(٨) ينظر: فتح القدير: (١٣٥/٢).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٥٨٠/٧).

(١٠) جامع البيان: (٢٥٥/٧).

(١١) ينظر: تفسير المنار: (٥٨٠/٧).



قال ابن عطية: « وهذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الآية ويحسن رصفها وهو خبر من الله تعالى »^(١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن هذا من قول إبراهيم عليه السلام فحين سأله عن أي الفريقين أحق بالأمن؟ أجاب عن ذلك بقوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ وهذا القول جزم به الزمخشري^(١)، والنسفي^(٢)، وابن جزى الكلبي^(٣).
ومن المفسرين من ذكر القولين بلا اختيار ولا ترجيح^(٤).

القول الثالث: هو أن هذا من قول قوم إبراهيم فهم أجابوا بما هو حجة عليهم. قاله ابن جريج.

ويكفي في ضعف هذا القول: أنه لو كان من قول قوم إبراهيم لكانوا قد أقرروا بالتوحيد، واتبعوا إبراهيم عليه السلام، والأمر ليس كذلك^(٥). ولم أر أحداً من المفسرين - بحسب اطلاعي القاصر - قال به.

(١) المحرر الوجيز: (٩٥/٦).

(٢) ينظر: الكشاف: (٣٣/٢).

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٢١/٢).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٤/٢).

(٥) كالزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢٦٩/٢)، والنحاس في معاني القرآن: (٣٤٢/١)، و السمرقندي في بحر العلوم (٤٦٤/١)، والماوردي في النكت والعيون: (١٣٩/٢)، والسمعاني في تفسيره: (١٢١/١)، والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (٤٤٧/١)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٣٠٩/١)، والألوسي في روح المعاني: (٢٠٧/٧).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٥٨٠/٧).



يتبين مما سبق أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، وذلك لأنه الوارد عن سلف هذه الأمة "، وتفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^(١)، والله أعلم.

واختلفوا في المراد ﴿يُظْلَمُ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾

والذي عليه جُلُّ المفسرين^(١) أن المراد بالظلم هنا الشرك وذلك لما يلي:

أولاً: جاء في القرآن ما بين أن الظلم هو الشرك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]

ثانياً: الحديث الصحيح المفسر لهذه الآية: فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك! إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِي لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣])^(١)
ثالثاً: رواه غير واحد من الصحابة والتابعين^(٢).

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/ ٢٧١).

(٢) كمقاتل بن سليمان في تفسيره: (١/ ٣٥٧)، والطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٥٤)، والنحاس في معاني القرآن: (١/ ٣٤٢)، و السمرقندي في بحر العلوم: (١/ ٤٦٤) والبغوي في معالم التنزيل: (٢/ ٤١) والسمعاني في تفسيره: (١/ ١٣٦)، و الواحدي في الوجيز: (١/ ٣٦٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٣/ ٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/ ٧٧)، والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (١/ ٤٤٧) والبيضاوي في أنوار التنزيل: (١/ ٣٠٩)، والنسفي في: مدارك التنزيل: (٢/ ٢١)، و الثعالبي في الجواهر الحسان: (١/ ٥٣٧)، والشوكاني في فتح القدير: (٢/ ١٣٥)، والشنقيطي في أضواء البيان: (١/ ٤٨٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) كأبي بكر، عمر، وعلي وابن عباس، وأبي بن كعب، وحذيفة، وقتادة، والسدي، وعلقمة... ينظر إلى هذه الآثار في تفسير عبدالرزاق: (١/ ٢٠٧)، وجامع البيان: (٧/ ٢٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم: (٤/ ١٣٣٣)، والدر المنثور: (٣/ ٣٠٨).



وقيل: المراد سائر أنواع الظلم وهو مرجوح.

والأول أولى وأرجح لأنه "إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره^(١) " والله تعالى أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٠٦).



قال تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ [الأنعام: ٨٣]

٥٠- ما المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا﴾

قال القرطبي ~ : «قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا﴾ تلك إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خاسمهم وغلبهم بالحجة.

وقال مجاهد: هي قوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(١)

وقيل: حجته عليهم أنهم لما قالوا له: أما تخاف أن نخبلك آهتنا لسبك إياها؟ قال لهم: أفلا تخافون أنتم منها إذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة والتعظيم، فيغضب الكبير فيخبلكم؟^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المشار إليه جميع الحجج التي حاج بها إبراهيم عليه السلام قومه، وقد وافق في اختياره ماروي عن الربيع بن أنس^(١)، والفراء^(٢)، واختاره الزمخشري^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، ووافقهم البيضاوي^(٥)، والنسفي^(٦)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٤٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٥)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣١٠).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤١).

(٥) ينظر: الكشاف: (٢/٣٣).

(٦) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦٢).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٠٩).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢١).



وابن جزى الكلبي^(١) وأبو السعود^(٢)، والشوكاني^(٣)، والآلوسي^(٤)، والقاسمي^(٥)،
ورجحه أبو حيان^(٦)، ومحمد رشيد رضا^(٧)، والشنقيطي^(٨).

واحتج القائلون بهذا:

أولاً: بعموم كل الاحتجاجات التي حاج إبراهيم عليه السلام بها قومه، قال أبو حيان:
« تلك: إشارة إلى جميع ما وقع من الاحتجاج من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى
قوله ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وهذا الظاهر^(٩)»

ثانياً: أن اسم الإشارة " تلك " فيه معنى البعد لتفخيم شأن المشار إليه^(١٠)،
والمراد بالحجة جنسها لا فرد من أفرادها. قال محمد رشيد رضا: « الإشارة إلى كل ما
تقدم في هذا السياق أقوى، وأظهر، وأعم، وأشمل، والمراد بالحجة جنسها لا فرد من
أفرادها، أي وتلك الحجة التي تضمنها ما تقدم من المقال، البعيدة المرمى في إثبات
الحق وتزييف الضلال، هي حجتنا البالغة^(١١) ».

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٥ / ٢).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٧٤ / ٢).

(٣) ينظر: فتح القدير: (١٣٥ / ٢).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٢٠٧ / ٧).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦٠٨ / ٦).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (١٧٦ / ٤).

(٧) ينظر: المنار: (٥٨٢ / ٧).

(٨) ينظر: أضواء البيان: (٣٦٣ / ١)، والعذب النمير: (٤٤٠ / ١). قال: « الظاهر شمولها لجميع احتجاجاته
عليهم ».

(٩) البحر المحيط: (١٧٦ / ٤).

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٧٤ / ٢).

(١١) تفسير المنار: (٥٨٢ / ٧).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المشار إليه هي الآية المتقدمة حينما خوفوه بالأصنام، وزعموا أنها تُجبله وتستجلب له البرص ونحوه، قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١] حينها سألهم إبراهيم عليه السلام عن أي الفريقين أحق بالأمن؟ وأجاب عن ذلك بقوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ فهذه هي حجة الله التي آتاها إبراهيم عليه السلام فيما روي عن مجاهد، وبهذا جزم الطبري^(١)، والثعلبي^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن كثير^(٤)، والثعالبي^(٥)، والبقاعي^(٦).

واحتج القائلون: بأنها هي الحجة المتقدم ذكرها

وإذا قلنا بهذا القول فإننا: نحصر- الحجة ونخصصها في حجة واحدة. قال الشوكاني: «عدم إدخال الحجج السابقة في قوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ غير ظاهر»^(١) وقال الشنقيطي: «أما عدم الخوف من الأصنام، فهذا أمر حجته أعطيت لجماعة من الرسل، ولم يخص بها إبراهيم عليه السلام ألا ترى أن قوم هود قالوا له: إن بعض آلهتهم اعتراه بسوء، كما نص الله عليه بقوله: ﴿إِن تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرْنَا بِبَعْضِ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾... فأجابهم نبي الله هود عليه السلام ﴿إِنِّي أَشْهَدُ لِلَّهِ وَأَشْهَدُ وَأَنِّي بَرِيٌّ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٥٤) من دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾^(٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِن رَّبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦]... وهذا ما يبين أن الحجة التي آتاها الله نبيه إبراهيم هي

(١) ينظر: جامع البيان: (٢٥٩/٧).

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (١٦٦/٤).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٩٦٦/٦).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٩/٢).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان: (٤٩٣/١).

(٦) ينظر: نظم الدرر: (١٦٨/٧).

(٧) فتح القدير: (١٣٥/٢).

إفحامه الخصوم، ومناظرته لهم جميعاً»^(١)

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا اختيار ولا ترجيح^(٢).

والظاهر مما سبق أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح وذلك لأن القول بالعموم أولى من الخصوص كما نصت بذلك القاعدة: " يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتحصيل"^(٣). وقال به غير واحد من المفسرين. قال الشنقيطي: « والظاهر أن الإشارة في قوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ راجعة إلى المناظرة كلها، من قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكِبَاتِ﴾ كما جزم به غير واحد، وهو الصواب»^(٤) والله أعلم.

(١) ينظر: العذب النمير: (٤٤٠/١).

(٢) كالمورد في النكت والعيون: (١٣٩/٢)، والسمعاني في تفسيره: (١٢١/١)، والبغوي في معالم التنزيل: (٤١/٢)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٦١/١٣).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

(٤) العذب النمير: (٤٤٠/١).



قال تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا
فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦]

في الآيات الكريمة مسألتان:

٥١- المسألة الأولى: عود الضمير في قوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ ؟

قال القرطبي ~ : « ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: ذرية إبراهيم. وقيل: من ذرية نوح.
قاله الفراء^(١) واختاره الطبري^(٢) وغير واحد من المفسرين كالكشيري وابن عطية
وغيرهما^(٣) والأول قاله الزجاج^(٤)..»^(٥)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الهاء تعود إلى ذرية إبراهيم ، وقد وافقه في ذلك البقاعي^(٦) ،
وأبو السعود^(٧) ، والشوكاني^(٨) ، والقاسمي^(٩) .

(١) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٦٠).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٩٧) قال: «يعود الضمير إلى نوح، وهذا هو الجيد».

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٤٦).

(٦) ينظر: نظم الدرر: (٧/١٧٢).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٧٥).

(٨) ينظر: فتح القدير: (٢/١٣٦).

(٩) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٦١١).

واحتجوا:

أولاً: بالسياق القرآني فمساق النظم الكريم لبيان شئون إبراهيم عليه السلام العظيمة ^(١) قال البقاعي: « ولما كان السياق كله لمدح الخليل، وكان المذكورون إلا لوطاً من نسله، وكان التغليب ^(٢) مستعملاً شائعاً في لسان العرب، ولا سيما ولوط عليه السلام ابن أخيه ومثل ولده حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام » ^(٣) وقد يدخل لوط عليه السلام ضمن نسله في المعاضدة والمناصرة ^(٤).

ثانياً: أن ابن عباس رضي الله عنه قال: (هؤلاء الأنبياء جميعاً مضافون إلى ذرية إبراهيم، وإن كان فيهم من لم تلحقه ولادة من جهته من قبل أب ولا أم، لأن لوطاً ابن أخي إبراهيم، والعرب تجعل العم أباً كما أخبر الله عن ولد يعقوب أنهم قالوا ﴿ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] وإسماعيل عم يعقوب) ^(٥).

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٧٥/٢) قال " « أي إبراهيم، لأن مساق النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة ».

(٢) كما في قوله: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣] فإسماعيل عمه دخل في آبائه تغليباً وكما قال في قوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿ فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود، وذم على المخالفة لأنه كان في تشبه بهم فعومل معاملتهم، ودخل معهم تغليباً؛ وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار والملائكة من النور. ينظر: تفسير ابن كثير (١٥٦/٢).

(٣) نظم الدرر: (١٧٢/٧).

(٤) ينظر: زاد المسير: (٧٩/٣).

(٥) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط: (١٧٧/٤)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: (١٧٥/٢)، والألوسي في روح المعاني: (٢١٢/٧).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الهاء تعود إلى نوح عليه السلام وبهذا قال الفراء ^(١)، والطبري ^(٢)، والثعلبي ^(٣)، والسمعاني ^(٤)، والبلغوي ^(٥)، وابن عطية ^(٦)، والنسفي ^(٧)، وابن جزري الكلبي ^(٨)، والثعالبي ^(٩)، وأبو حيان ^(١٠).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: أنه تعالى ذكر في جملتهم يونس ولوطاً. ومعلوم أنهما من ذرية نوح عليه السلام، ولو أريد بها ذرية إبراهيم عليه السلام لما دخل، فلذلك وجب أن تكون الهاء في ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ من ذكر نوح عليه السلام. ^(١١)

ثانياً: أن الأصل عود الضمير إلى الأقرب ونوح عليه السلام أقرب المذكورين؛ لذلك صح عود الضمير إليه.

ومن المفسرين من ذكر القولين، ولكن دون ترجيح أحدهما على الآخر ^(١٢).

(١) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٦٠).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٦٧).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٢٢) قال: «والصحيح أنه أراد به ومن ذرية نوح».

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٤٢).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/٩٧) قال: «يعود الضمير إلى نوح وهذا هو الجيد».

(٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢١) قال بعد أن ذكر القولين: «والأول أظهر».

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٥).

(٩) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٩٣).

(١٠) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٧٧).

(١١) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٦٠).

(١٢) كالزخشري في الكشاف: (٢/٣٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٣/٦٤)، ونظام الدين



يتبين مما سبق أن كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى كما بين ذلك الزجاج^(١) وكان موقف ابن كثير كذلك حيث قال: «وعود الضمير إلى نوح لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه وهو اختيار ابن جرير، وعوده إلى إبراهيم لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن...»^(٢) إلا إنه عند النظر إلى القواعد المتعلقة بالضمائر يتبين أن القول الثاني هو الأقوى لأن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور^(٣). والله أعلم.



النيسابوري في غرائب القرآن: (١١٢/٣)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٣١١/١) ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار: (٥٨٦/٧) .٠

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٦٩) قال: «جائز أن يكون من ذرية نوح، وجائز أن يكون من ذرية إبراهيم، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى».

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦٠).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٦٢١).



٥٢- المسألة الثانية: من هو إلياس عليه السلام؟ في قوله تعالى ﴿وإلياس كل من

الصّٰلِحِيْنَ﴾

قال القرطبي ~ : «توهم قوم أن إلياس هو اليسع: وليس كذلك؛ لأن الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر.

وقال وهب: اليسع هو صاحب إلياس، وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى ^(١).

وقيل: إلياس هو إدريس ^(٢). وهذا غير صحيح؛ لأن إدريس جد نوح وإلياس من ذريته.

وقيل: إلياس هو الخضر. ^(٣)»

الدراسة والترجيم:

ضعّف القرطبي قول من قال: إن إلياس هو اليسع، فدل بهذا على أن إلياس غير اليسع ^(٤)، وهو إلياس بن يسي بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران ابن أخي موسى نبي الله ﷺ ^(٥). وقد وافق في ذلك الطبري ^(٦)، والثعلبي ^(٧)، والسمعاني ^(٨)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦١ / ٧) وذكره الشوكاني في فتح القدير: (١٣٧ / ٢)، والثعلبي في العرائس: (٢٦١)، وذكره أبو القاسم في تاريخ مدينة دمشق: (٣٧٦ / ١٧).

(٢) هذا المروي عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦١ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٣٦ / ٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر، كما في الدر المنثور: (١١٧ / ٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٤٥٠ / ٨).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢٠ / ٤).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٢٦١ / ٧)، وبين أن هذا الذي ذكره أهل الأنساب في كتبهم.

(٦) ينظر: جامع البيان: (٢٦١ / ٧).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٦٧ / ٤).

(٨) ينظر: تفسير السمعي: (١٢٢ / ٢).

والبغوي^(١)، وأبا حيان^(٢)، والآلوسي^(٣).

واحتجوا: بأن الله تعالى أفرد كل واحد منهم بالذكر وهو الذي عليه أكثر المفسرين: قال الفخر الرازي: «وأما أكثر المفسرين فهم متفقون على أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو إلياس بن ياسين من ولد هارون أخي موسى ﷺ»^(٤).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن إلياس هو إدريس، وهذا مروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٥)، بحيث يكون له اسمان كيعقوب وإسرائيل.

ويعترض على هذا: أن الله تعالى نسب في هذه الآية إلياس إلى نوح، وجعله من ذريته، ونوح ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته^(٦).

وقد ضعّف هذا القرطبي بقوله: «غير صحيح لأن إدريس جد نوح، وإلياس من ذريته»^(٧).

القول الثالث: أن إلياس صاحب اليسع، وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى.

(١) ينظر: معالم التنزيل: (٤٢/٢) قال: «والصحيح أنه غير إدريس لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس بن بشير بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران».

(٢) ينظر: البحر المحيط: (١٧٧/٤).

(٣) ينظر: روح المعاني: (٢١٤/٧).

(٤) مفاتيح الغيب: (١٤٠/٢٦).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٣٦/٤).

(٦) ينظر: جامع البيان: (٢٦١/٧).

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٥٠/٨).



القول الرابع: أن إلياس هو اليسع.

القول الخامس: أن إلياس هو الخضر.

ويكفي ضعفاً لها عدم وجود أدلة عليها، ولم يقل بها أحد من المفسرين.

إذا تقرر ضعف الأقوال الأربعة الأخيرة فإن الأرجح هو ما اختاره القرطبي

ومن وافقه، والله أعلم.





قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكْفِيرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٥٣- مسألة في من المراد بالقوم الموكلين بالإيمان في قوله تعالى:

﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكْفِيرِينَ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكْفِيرِينَ﴾ يريد الأنصار من أهل المدينة، والمهاجرين من أهل مكة.

وقال قتادة: يعني النبيين الذين قص الله ﷺ^(١) قال النحاس: وهذا القول أشبه بالمعنى لأنه قال بعد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾^(٢).
وقال أبو رجاء^(٣): هم الملائكة^(٤).

وقيل: هو عام في كل مؤمن من الجن والإنس والملائكة. والباء في "بكافرين" زائدة على جهة التأكيد^(٥).

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٦/١)، والطبري في جامع البيان: (٢٦٤/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٣٩/٤)، وعزاه السيوطي إليهم وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣١٢/٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (٣٤٣/١).

(٣) هو عمران بن ملحان - بكسر الميم وسكون اللام -، ويقال بن تيم أبو رجاء العطاردي، مشهور بكنته، وقيل غير ذلك في اسم أبيه، مخضرم ثقة معمر مات سنة (١٠٥ هـ) وله مائة وعشرون سنة. ينظر: الثقات: (٢١٧/٥)، والإصابة: (١٤٨/٧)، وتقريب التهذيب: (٤٣٠).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦٤/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٣٩/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣١٢/٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٤٥١/٨).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بـ ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ أنهم الأنصار، وهو القول المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، والضحاك، والسدي، وابن جريج ^(١) وبه قال مقاتل ^(٢)، والفراء ^(٣)، والثعلبي ^(٤)، والواحدي ^(٥)، والسمعاني ^(٦)، والبغوي ^(٧)، ونظام الدين النيسابوري ^(٨)، وابن الجوزي ^(٩)، وابن كثير ^(١٠)، ومحمد رشيد رضا ^(١١).

واحتجوا: بأن لفظة ﴿قَوْمًا﴾ تُطلق على الجماعة المجتمعة في وقت واحد، وفي زمن واحد، وهذا لا يتحصل في الأنبياء، فلكل قوم نبي كما قال تعالى: ﴿الْأَبْعَادُ الْعَادِقُونَ هُودٍ﴾، كما أن لفظة ﴿بِكَافِرِينَ﴾ تُطلق على غير الأنبياء وهو وصف لقوم حاضرين ^(١٢) وهم أول من آمن بهذه الدعوة، وناصروا هذا الدين. قال محمد رشيد رضا: «والمختار عندنا المهاجرون؛ فقد كانوا أول من آمن بها، وصبر على بلائها، وكانوا بعد الهجرة في مقدمة الأنصار في كل عمل وكل جهاد، ولكن الأنصار

(١) أخرج هذه الآثار الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٩)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إليهما، وإلى ابن المنذر، كما في الدر المنثور: (٣/٣١٢).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٥٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤٢).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٦٧).

(٥) ينظر: الوجيز: (١/٣٦٤).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٢٣).

(٧) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٤٣).

(٨) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: (١/٣٠٠).

(٩) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦٣).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦١).

(١١) ينظر: تفسير المنار: (٧/٥٩٤).

(١٢) ينظر: تفسير المنار: (٧/٥٩٤).

مقصودون بالذات لأن القوة والمنعة لم تكن إلا بهم»^(١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن المراد الأنبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم وهذا المروي عن قتادة، واختاره الزجاج^(١)، ورجحه الطبري^(٢)، والنحاس^(٣)، وابن جزي الكلبى^(٤)، والشوكاني^(٥)، والشنقيطي^(٦) وجزم به السمرقندي^(٧)، والزنجشيري^(٨)، والبيضاوي^(٩)، والنسفي^(١٠).

واحتجوا: بنظم الآيات والسياق القرآني؛ ففي سباق الآية ذكر الأنبياء ثم قال في لحاقها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾ قال الطبري: «وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ يعني به: الأنبياء الثمانية عشر، الذين ساهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية، وذلك أن

(١) تفسير المنار: (٧/٥٩٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٠) قال: وهو، والله أعلم، يعني به الأنبياء الذين تقدموا لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾.

(٣) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٦٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤٣) قال: « وهذا القول أشبه بالمعنى لأنه قال بعد ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٥) قال: « والأول أرجح لدلالة ما بعده ».

(٦) ينظر: فتح القدير: (٢/١٣٧) قال بعد أن ذكر هذا القول: « وهذا أولى لقوله فيما بعد ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾ ».

(٧) ينظر: العذب النمير: (١/٤٧٨).

(٨) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٦٦).

(٩) ينظر: الكشاف: (٢/٣٣).

(١٠) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣١٠).

(١١) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢٢).



الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، ففيها بينهما بأن يكون خبراً عنهم أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم»^(١).

ومن المفسرين من جمع بين القولين: كابن عطية^(٢) وأبي حيان^(٣) وابن القيم حيث قال: «والقوم الموكلون بها هم الأنبياء أصلاً، والمؤمنون بهم تبعاً، فيدخل كل من قام بحفظها والذب عنها والدعوة إليها، ولا ريب في أن هذا للأنبياء أصلاً وللمؤمنين بهم تبعاً، وأحق من دخل فيها من أتباع الرسول ﷺ خلفاؤه في أمته وورثته، فهم الموكلون بها؛ وبهذا تنتظم الأقوال التي قيلت في الآية»^(٤)، ووافقهم الثعالبي^(٥)، وأبو السعود^(٦)، والآلوسي^(٧).

القول الثالث: أن المراد الملائكة وهو مروى عن أبي رجاء^(٨).

ويعترض على هذا:

أولاً: أن لفظة "قوماً" في غالب القرآن تطلق على بني آدم دون الملائكة. قال ابن القيم: «وأما قول من قال: إنهم الملائكة فضعيف جداً، لا يدل عليه السياق، وتأباه لفظة "قوماً" إذ الغالب في القرآن، بل المطرد تخصيص القوم ببني آدم دون الملائكة»^(٩).

(١) جامع البيان: (٧/٢٦٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٠٠).

(٣) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٧٩) قال: «وإن كان قد فسر بها مخصوصون فمعناها عام».

(٤) مفتاح دار السعادة: (١/١٦١).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٤٩٤).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٨٧).

(٧) ينظر: روح المعاني: (٧/٢١٦).

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٣٩).

(٩) ينظر: مفتاح دار السعادة: (١/١٦١).



ثانياً: السياق القرآني لا يدل عليه، فسباق الآيات في ذكر الأنبياء ثم قال في لحاقها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةً﴾ ولا يكون الاقتداء بالملائكة^(١). ولم أر أحداً من المفسرين قال به فيما أعلم، بل ضعفه بعضهم: قال الفخر الرازي: «وهو بعيد لأن اسم القوم قلما يقع على غير نبي»^(٢).

ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة بلا ترجيح أو اختيار^(٣).

وإذا تبين ضعف القول الأخير فإن الأرجح الجمع بين القولين الأولين، وحمل الآية على العموم بحيث تنتظم الأقوال التي قيلت في الآية، ولا يكذب بعضها بعضاً^(٤)، قال ابن القيم: «والصواب أن المراد من قام بها إيماناً ودعوة وجهاداً ونصرة، فهؤلاء هم الذين وكلهم الله بها»^(٥) ويؤيد هذا القول ويعضده القاعدة التي تقول: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بتخصيص قول على قول"^(٦)، والله أعلم.



(١) ينظر: الكشاف: (٣٣/٢)، ومفتاح دار السعادة: (١/١٦١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٦٨/١٣).

(٣) كالموردي في النكت والعيون: (١٤٠/٢)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٦٨/١٣)، والعز بن عبدالسلام في تفسيره: (٤٤٨/١)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (٢٦٨/٨).

(٤) ينظر: العذب النمير: (٤٧٨/١).

(٥) مدارج السالكين: (١٢٦/٢).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).



قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قَرَأٰطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام: ٩١]

٥٤- مسألة في من المعني بـ "قالوا" في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلٰى

بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

قال القرطبي ~ : « ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلٰى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني مشركي قريش^(١).

وقال الحسن وسعيد بن جبير: الذي قاله أحد اليهود، قال: لم ينزل الله كتاباً من السماء. قال السدي: اسمه فنحاص^(٢).

وعن سعيد بن جبير أيضاً: قال هو مالك بن الصيف^(٣) «...»^(٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المعني بهم المشركون، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وهو الذي رجحه الطبري^(١)، وابن كثير^(٢)، والآلوسي^(٣)، والقاسمي^(٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤٢) وعزاه السيوطي إليهما وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣١٤).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤٢) وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٣١٤) وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٥٥).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٦٨).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦١) فبعد أن ذكر الأقوال قال: «والأول أصح».

(٧) ينظر: روح المعاني: (٧/٢١٩).

(٨) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٦٢٤) قال: «المشركون وهذا هو الظاهر».

ومحمد رشيد رضا^(١).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: أن الآية مكية، واليهود إنما كان ظهورهم في المدينة. قال الألوسي: « أن هذه السورة مكية، والمناظرات التي وقعت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود كلها مدنية، فلا يتأتى القول بأن الآية نزلت في اليهود »^(٢)

وقال محمد رشيد رضا: «والذي يتجه عليه قولنا أن الآية في ضمن السورة بمكة»^(٣).

ثانياً: السياق القرآني: قال الطبري: « سياق الخبر عنهم أولاً، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول عنه، لم يجوز لنا أن ندعي أن ذلك مصر-وف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل »^(٤).

ثالثاً: أن مشركي العرب كانوا ينكرون إرسال محمد ﷺ لأنه من البشر. كما قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [يونس: ٢٠] وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٥) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًَا رَسُولًا ﴾^(٦) [الإسراء: ٩٤-٩٥] وقال ها هنا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ لذلك كانوا هم المعنيين بهذا، أما اليهود كما في القول التالي فهم لا ينكرون إنزال

(١) ينظر: تفسير المنار: (٧/ ٥٩٤).

(٢) روح المعاني: (٧/ ٢١٩).

(٣) تفسير المنار: (٧/ ٥٩٤).

(٤) جامع البيان: (٧/ ٢٦٨).

الكتب من السماء^(١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المعني بذلك اليهود، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه في رواية أخرى له^(٢)، ومحمد بن كعب^(٣)، وبه قال الزجاج^(٤)، والنحاس^(٥)، والزنجشيري^(٦)، ونظام الدين النيسابوري^(٧)، والبيضاوي^(٨)، وابن جزري^(٩)، وجزم به أبو حيان^(١٠)، وأبو السعود^(١١)، والشوكاني^(١٢).

ومن المفسرين من قال إن المعني بها رجل معين من اليهود، وهذا على قولين:
الأول: أن المراد مالك بن الصيف، وفيه نزلة، وهذا مروى عن سعيد بن جبير،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٨) و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤١) وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٣/٣١٤)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٥).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/٢٦٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤١)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣١٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧١).

(٥) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٤٣).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/٣٤).

(٧) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/١١٩).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣١٠).

(٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٥).

(١٠) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٨٠).

(١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٨٩).

(١٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١٣٨).



واختاره السمرقندي^(١)، والفخر الرازي^(٢)، والنسفي^(٣).

الثاني: أن المراد فنحاص، وفيه نزلت، وهذا مروى عن السدي.

واحتج أصحاب هذا القول:

أولاً: بالأخبار الواردة في نزولها^(٤)

ثانياً: قراءة ما بعدها بالتاء على وجه الخطاب^(٥): ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ فجعلوا ابتداء الآية خبراً عن اليهود إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم.

ويعترض على هذا:

أولاً: أن الآثار التي بينت أن سورة الأنعام نزلت جملة أولى وأقوى من هذه الآثار^(٦)، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٧).

(١) ينظر: بحر العلوم: (٤٦٦/١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (٧٥/١٣) قال: «والأقرب عندي أن يقال مالك بن الصيف ٠٠٠».

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: (٢٢/٢).

(٤) عن سعيد بن جبیر قال: هو مالك بن الصيف جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً سمينا فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه: ويحك؟ ولا على موسى؟ فقال: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ فنزلت الآية، ثم قال تعالى: نقضاً لقولهم ورداً عليهم: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِطِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ هذا لليهود الذين أخفوا صفة النبي ﷺ وغيرها من الأحكام (أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦٦/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٤٢/٤) وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣١٤/٣) وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٥).

(٥) وهي قراءة نافع، وابن عامر والكوفيين بالتاء ينظر: التيسير في القراءات السبع: (١٠٥/١)، والسبعة في القراءات: (٢٦٢/١)، والتبصرة في القراءات: (١٩٦).

(٦) كالمروى عن ابن عباس ؓ أنه قال: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسييح)، وقد أخرج هذا الطبراني في المعجم الكبير: (٢١٥/١٢)، والمعجم الصغير (الروض الداني): (١٤٥/١)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي عبيدة وابن الضريس في فضائلهما وابن المنذر وابن مردويه، كما في الدر المنثور (٢٤٣/٣).

(٧) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٤٥/٢).



ثانياً: أن القراءة بياء الخطاب^(١) أقوى من حيث المعنى من القراءة بالتاء: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً﴾ قال ابن جرير الطبري: «والأصوب من القراءة في قوله ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَأَطِيسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً﴾ أن يكون بالياء لا بالتاء على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفونها كثيراً، ويكون الخطاب بقوله ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ لمشركي قريش، وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك، وكذلك كان يقرأ. فعن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً»^(٢)

وبعض المفسرين ذكر القولين والروايات فيها بلا ترجيح^(٣).

وعند النظر فيما سبق يتبين أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح لأن السورة مكية والمخاطبون في ذلك الوقت هم المشركون في مكة وهذا هو طابع السور المكية، وكذلك السياق القرآني " وإدخال الكلام في معاني ما قبله أولى من الخروج عنه^(٤). والله أعلم.



(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالياء. ينظر: التيسير في القراءات السبع: (١/١٠٥)، والسبعة في القراءات: (١/٢٦٢)، والتبصرة في القراءات: (١٩٦).

(٢) جامع البيان: (٧/٢٦٨).

(٣) كالثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٦٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٤١)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٤٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/١٠٤)، والثعالبي في الجواهر الحسان: (١/٤٩٥).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).



قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأعام ٩٣]

في الآية الكريمة مسألتان:

٥٥ - المسألة الأولى: من القائل: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؟

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ "من" في موضع خفض، أي: ومن أظلم ممن قال سأنزل، والمراد عبدالله بن أبي سرح^(١) الذي كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بالمشركين.....

وروى حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث^(٢) لأنه عارض القرآن فقال: والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً،

(١) هو: عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، يكنى أبا يحيى أخو عثمان من الرضاعة، وكان قد أسلم قديماً، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ثم افتتن، وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح، فجاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فاستأمن له فأمنه، وقال يا رسول الله: تبايعه فبايعه رسول الله ﷺ يومئذ على الإسلام، وقال الإسلام يجب ما كان قبله، وولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص فنزلها وابتنى بها داراً فلم يزل والياً بها حتى قتل عثمان، رضي الله عنه، وروى البغوي بإسناد صحيح قال: خرج ابن أبي سرح إلى الرملة، فلما كان عند الصبح قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب فلما كان عند الصبح قال اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه وقيل: مات ابن أبي سرح سنة تسع وخمسين في آخر سني معاوية. ينظر: طبقات ابن سعد: (٤٩٦/٧)، والإصابة: (١١٠/٤)، والتاريخ الكبير: (٢٩/٥).

(٢) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبدالدار القرشي العبدري، قال ابن أبي حاتم: النضر بن الحارث ويقال نضير من مسلمة الفتح، وليست له رواية، واستشهد باليرموك. ينظر: الإصابة: (٤٣٠/٦)، والجرح والتعديل: (٤٧٣/٨).

فالحايزات خبزاً، فاللاقات لقمياً»^(١).

﴿ الدراسة والترجيح: ﴾

اختر القرطبي أن المراد عبدالله بن أبي سرح، وقد وافق القرطبي في اختياره ما روي عن السدي^(١) وبه قال مقاتل بن سليمان^(٢)، والفراء^(٣)، وجزم به النحاس^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والثعلبي^(٦)، والزخشري^(٧).

واحتجوا:

بالمروي عن السدي: (نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح أسلم وكان يكتب للنبي ﷺ فكان إذا أملى عليه ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ كتب هو "عليماً حكيمًا" وإذا قال ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كتب "سَمِيعًا عَلِيمًا" فشك وكفر وقال إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلي وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: "سَمِيعًا عَلِيمًا" فقلت أنا: عليماً حكيمًا).

وفي رواية أخرى^(٨): لما نزلت الآية التي في المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤٥٩ / ٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٧٣ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٤٦ / ٤)، وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣١٧ / ٣)، وأخرجها الواحدي في أسباب النزول: (٢١٦)، والسيوطي في لباب النقول: (١٠٣ / ١).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٦٠ / ١).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٤٤ / ٢).

(٥) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (٣٤٤ / ١).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٦٨ / ١).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٧٠ / ٤).

(٨) ينظر: الكشاف: (٣٥ / ٢).

(٩) من رواية الكلبي عن ابن عباس ؓ، وقد أخرجها الواحدي في أسباب النزول: (٢١٦).



سُئِلَتْ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ [المؤمنون: ١٢] دعاه النبي ﷺ فأملاها عليه فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤] عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: وهكذا أنزلت عليّ فشك عبد الله حينئذ وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال: فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين فذلك قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

ويعترض على هاتين الروایتين بما يلي (١):

فالرواية الأولى: ليس في شيء من السور المكية "سميعة عليا"، ولا "عليها حكيمًا" إلا في سورة لقمان، والمروى عن ابن عباس أنها نزلت بعد سورة الأنعام.

أما الرواية الثانية: فسورة الأنعام متقدمة النزول على سورة المؤمنين وأن بينهما ثماني عشرة سورة مكية كما جاء في الروايات، فكيف يقال أنه ﷺ أملاه آيات المؤمنين؟ ويقال: إنها فيه نزلت؟ وسورة الأنعام متقدمة في النزول على الآيات التي كتبها!!

وبهذا يتبين ضعف هاتين الروايتين، مقابل قوة الروايات التي بينت أن نزول سورة الأنعام كانت جملة واحدة (٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن، وهذا المروى عن عكرمة (٣).

(١) ينظر: تفسير المنار: (٧/٦٢٥).

(٢) كالمروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح) وقد أخرج هذا الطبراني في المعجم الكبير: (١٢/٢١٥)، والمعجم الصغير (الروض الداني): (١/١٤٥)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبو عبيدة وابن الضريس في فضائلها وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٣/٢٤٣).

(٣) عزا السيوطي رواية عكرمة إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣١٨) قال: (لما نزلت: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ ٢ [المرسلات: ١، ٢] قال النضر وهو من بني عبدالدار: والطاحنات طحناً =



القول الثالث: أن هذه الآية نزلت في مسيلمة الكذاب^(١)، وهذا المروي عن قتادة^(٢)، وابن جريج^(٣).

القول الرابع: أن هذه الآية وإن كان سبب نزولها في مخصوصين فهي شاملة لكل من ادعى مثل دعواهم^(٤). وبهذا قال الطبري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن جزي الكلبي^(٧)، وابن تيمية^(٨)، وأبو حيان^(٩)، والشنقيطي^(١٠).

قال ابن تيمية: « وهذا يعم من قال: إنه يمكن معارضة القرآن كابن أبي سرح في حال رده، وطائفة متفرقين من الناس، ويعم المتفلسفة الصابئة والمنافقين والكافرين

والعاجنات عجنًا، وقولا كثيرا، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ صدق الله

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير ابن حبيب بن الحارث بن عبدالحارث بن همان بن ذهل بن الدول بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة، وقيل: أبا هارون، وكان قد تسمى بالرحمان، وكان يقال له رحمان اليمامة، وقتل مسيلمة وحشي بن حرب، وهو من الجيش الذي جهزه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأميرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه (١١ هـ) وقيل غيره. ينظر: عمدة القاري: (١٦/١٥١)، وتهذيب الاسماء: (٢/٤٠٠).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢٠٦)، والطبري في جامع البيان: (٧/٢٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٤٦)، وعزاه السيوطي إلى الطبري، وأبي الشيخ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣١٧) وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٦)، والسيوطي في لباب النقول: (١/١٠٣).

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣١٧).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٨٤).

(٥) جامع البيان: (٧/٢٧٤).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٠٩).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٦) قال: « اللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين ».

(٨) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (١٢/٢٦).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٨٤).

(١٠) ينظر: العذب النمير: (١/٥١٤). قال: « ويدخل في حكمهم غيرهم من المتنبيين ».



ممن يزعم أن رسالة الأنبياء كلام فاض عليهم قد يفيض على غيرهم مثله، فيكون قد أنزل مثل ما أنزل الله في دعوى الرسل»^(١)

وإن ورد لهذه الآية سبب إلا أن المراد بها العموم. قال الطبري: «ولا تمنع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قبله مفترياً كذباً... فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره: أوحى الله إليه وهو في قبله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم، وجائز أن يكون عني به جميع المشركين من العرب...»^(٢)

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا ترجيح أو اختيار^(٣).

إذا تبين وتقرر صحة القول الأخير وأن الأولى حمل الآية على العموم، فهذا القول هو أرجح الأقوال وعليه تنطبق جملة من القواعد الترجيحية: "ينبغي حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(٤)، "والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"^(٥). والله أعلم.

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٢٦/١٢).

(٢) جامع البيان: (٢٧٤/٧).

(٣) كالمورد في النكت والعيون: (١٤٤/٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٤٥/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٨٦/٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٨٤/١٣)، والنسفي في مدارك التنزيل: (٢٢/٢)، والشوكاني في فتح القدير: (١٤٠/٢).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٥٤٥/٢).

٥١- المسألة الثانية: المراد بقوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ : أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم وهو توبيخ.

وقيل: أخرجوها كرهاً؛ لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، وروح الكافر تنتزع انتزاعاً شديداً، ويقال: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وهوانه؛ كذا جاء في حديث أبي هريرة وغيره. وقد أتينا عليه في كتاب التذكرة والحمد لله^(١).

وقيل: هو بمنزلة قول القائل لمن يعذبه: لأذيقنك العذاب ولأخرجن نفسك، وذلك لأنهم لا يخرجون أنفسهم، بل يقبضها ملك الموت وأعوانه. وقيل: يقال هذا للكفار وهم في النار. «^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد: خلصوا أنفسكم من العذاب، وقد وافق القرطبي في اختياره أحد الوجهين اللذين ذكرهما الزجاج^(٣)، وبه قال النحاس^(٤)، وابن عطية^(٥)، ووافقهم الألوسي^(٦).

(١) التذكرة: (٥٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٤٦٢ / ٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٧٢ / ٢).

(٤) ينظر: إعراب القرآن: (٨٣ / ٢).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (١١٠ / ٦).

(٦) ينظر: روح المعاني: (٢٢١ / ٧).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد أخرجوا أرواحكم كرهاً، وهذا خطاب لهم من الملائكة عند الموت، وهو القول الآخر للزجاج^(١)، وبه قال السمرقندي^(٢)، والثعلبي^(٣)، والواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والبغوي^(٦)، والزخشري^(٧)، والنسفي^(٨)، وابن جزري^(٩)، وابن كثير^(١٠)، وابن القيم^(١١)، وأبو السعود^(١٢).

واحتجوا: بما روي في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال: (إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقولون: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، قال: فلا يزال يقال لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٢).

(٢) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٦٨).

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٧٠).

(٤) ينظر: الوجيز: (١/٣٦٦).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٢٧).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٤٦).

(٧) ينظر: الكشاف: (٢/٣٦).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢٣).

(٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٦).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/٦٢).

(١١) ينظر: الروح: (٦٠).

(١٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٨٢).



الخبثية كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج فلا يزال حتى يخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا؟ فيقال: فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة؛ فإنه لا يفتح لك أبواب السماء، فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول، ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول^(١).

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا ترجيح^(١).

يتبين مما سبق أن لا تعارض بين القولين، وكلاهما تحتمله الآية، فالمقصود أنهم يجزون العذاب، مع ما ينالونه من العنف والتوبيخ. قال محمد رشيد رضا: «وكل من القولين جائز لغة لا تكلف فيه»^(١) فعلى القول الأول: عذاب معنوي ونفسي، فيقال لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث لا يستطيعون تخليص أنفسهم مما هم فيه، وعلى القول الثاني: عذاب جسدي محسوس؛ فعند الموت يرون الشدائد والكربات، ويقال لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ على صفة التعنيف والتغليظ وهو بمنزلة قول القائل لمن يعذبه: لأذيقنك العذاب، ولأخرجن نفسك؛ وذلك لأنهم لا يخرجون أنفسهم، بل يقبضها ملك الموت وأعوانه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى في باب قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ (٤٤٣/٦)، برقم: (١١٤٤٢) وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم: (١٤٢٢/٢) برقم: (٤٢٦٢).

(١) التذكرة: (٥٠).

(٢) كالماوردي في النكت والعيون: (١٤٤/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٨٧/٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٨٥/١٣)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٣١٢/١)، وأبو حيان في البحر المحيط: (١٨٥/٤) والشوكاني في فتح القدير: (١٤٠/٢)، والشنقيطي في العذب النмир: (٥١٤/١).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٦٢٦/٧).



و"حمل نصوص الوحي على العموم أولى من حملها على الخصوص ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ [الأنعام: ٩٤]

٥٧- مسألة: المراد بقوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: منفردين كما خلقتهم. وقيل: عُرَاة كما خرجتم من بطون أمهاتكم حفاة غرلاً^(١) بهما^(٢) ليس معهم شيء. وقال العلماء: يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه. وهذا معنى قوله " غرلاً " أي: غير مختونين، أي: يُردُّ عليهم ما قطع منه عند الختان^(٣) .

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بقوله ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي منفردين، وقد وافق القرطبي في اختياره السمعاني^(٤)، والزمخشري^(٥)، ووافقهم النسفي^(٦)، ونظام الدين

(١) غرلاً: بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل: وهو الأقف. والأغلف: الذي لا يختن، وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الختان من الذكر. ينظر: لسان العرب: (٤٩٠ / ١١) وفتح الباري: (٣٨٤ / ١١)، وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: (١٥٩ / ١).

(٢) بهما: البهم واحدها بهيم، وأراد بقوله بهما يقول: ليس فيهم شيء من الأعراض والعاهات التي تكون في الدنيا من العمى والعمور والعرج والجذام والبرص وغير ذلك من صنوف الأمراض والبلاء، ولكنها أجساد مبهمة مصححة لخلود الأبد. ينظر: العين: (٦٣ / ٤)، ولسان العرب: (٥٩ / ١٢)، وتاج العروس: (٣١٣ / ٣١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٤٦٣ / ٨).

(٤) ينظر: تفسير السمعي: (١٢٧ / ٢).

(٥) ينظر: الكشاف: (٣٦ / ٢).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢٤ / ٢).

النيسابوري^(١)، وأبو السعود^(٢)، والشوكاني^(٣).

واحتجوا: بالنظير القرآني في قوله ﷻ: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد عراة كما خرجتم من بطون أمهاتكم غرلا بهما ليس معهم شيء. وبه قال الطبري^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن أبي زمنين^(٦)، والثعلبي^(٧)، والواحدي^(٨)، والبغوي^(٩)، والقاسمي^(١٠).

واحتجوا: بما روي أن عائشة رضي الله عنها عندما قرأت قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى﴾ فقالت: يا رسول الله واسوءتاه؟ إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوءة بعض. فقال رسول الله ﷺ: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض^(١١).

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٢٣/٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٨٢/٢).

(٣) ينظر: فتح القدير: (١٤٠/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٢٧٧/٧).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٧٣/٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٦٧/٣).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٧١/٤).

(٨) ينظر: الوجيز: (٣٦٦/١).

(٩) ينظر: معالم التنزيل: (٤٦/٢).

(١٠) ينظر: محاسن التأويل: (٦٤٣/٦).

(١١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الأحوال (٦٠٩/٤) برقم (٨٦٨٩) قال: «

وهو حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».



يتبين مما سبق أن كلا القولين تحتلها الآية، فلا تعارض بينهما. قال ابن عطية: « تشبيهاً بالانفراد الأول في وقت الخلقة، ويتوجه معنى آخر، وهو أن يتضمن قوله ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ زيادة معان على الانفراد، والإشارة على هذا بقوله كما: هي إلى ما قاله النبي ﷺ في صفة من يحشر- أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً »^(١) وقال الشنقيطي: « ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الكفار يأتون يوم القيامة كل واحد منهم بمفرده ليس معهم شركاؤهم، وصرح تعالى بأن كل واحد يأتي فرداً في قوله ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾^(٢) [مر١٥] وقوله في هذه الآية: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي منفردين لا مال ولا أثاث ولا رقيق ولا خول عندكم، حفاة عراة غرلاً أي غير مختونين ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدَّا عَلَيْْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾^(٣) [الأنبياء: ١٠٤] »^(١) وعلى هذا قاعدة ترجيحة صريحة وهي: " حمل نصوص الوحي على العموم أولى من حملها على الخصوص ما لم يرد دليل بالتحصيل"^(٢). والله أعلم.



(١) المحرر الوجيز: (١١١/٦).

(٢) أضواء البيان: (٣٦٤/١).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).



قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَاتَىٰ تَوْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]

٥٨- مسألة: المراد بفالق الحب والنوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ

وَالنَّوَىٰ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ عدّ من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شيء منه آلهتهم. والفلق: الشق؛ أي: يشق النواة الميتة، فيخرج منها ورقاً أخضر، وكذلك الحبة. ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبة، وهذا معنى: يخرج الحي من الميت، ومخرج الميت من الحي، عن الحسن وقتادة^(١).
وقال ابن عباس والضحاك: معنى فالتق: خالتق^(٢).
وقال مجاهد: عني بالفلق: الشق الذي في الحب وفي النوى^(٣)»^(٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالفلق الشق وهو المروي عن قتادة، والسدي، وابن زيد^(٥)،

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٦/١)، والطبري في جامع البيان: (٢٨٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥١/٤)، وعزا السيوطي رواية قتادة إليهم وإلى ابن المنذر، وأبي الشيخ، كما في الدر المنثور: (٣٢٤/٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥١/٤)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إليهما كما في الدر المنثور: (٣٢٤/٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥١/٤)، وعزاه السيوطي إليهما، كما في الدر المنثور: (٣٢٤/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٤٦٥/٨).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٠/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥١/٤)، وعزا السيوطي رواية السدي إليهما كما في الدر المنثور: (٣٢٤/٣).



وقد وافق القرطبي في اختياره الزجاج^(١)، والطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، النحاس^(٤)،
والثعلبي^(٥)، والواحدي^(٦)، والسمعاني^(٧)، والزنجشيري^(٨)، وابن عطية^(٩)، والفخر
الرازي^(١٠)، ووافقهم البيضاوي^(١١)، والنسفي^(١٢)، وابن جزي الكلبي^(١٣)، ونظام
الدين النيسابوري^(١٤)، وأبو حيان^(١٥)، وابن كثير^(١٦)، والآلوسي^(١٧)، وأبو السعود
^(١٨)، والشوكاني^(١٩)، ومحمد رشيد رضا^(٢٠).

- (١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٣).
- (٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٨١).
- (٣) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٦٩).
- (٤) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٨٣).
- (٥) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٧٢).
- (٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٦٦).
- (٧) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٢٨).
- (٨) ينظر: الكشاف: (٢/٣٧).
- (٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١١٤) حيث قال: « وهذا هو الظاهر الذي يعطي العبرة التامة فسبحان الخلاق العليم ».
- (١٠) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٨٩).
- (١١) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣١٢).
- (١٢) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢٤).
- (١٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٦) قال: « والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب ».
- (١٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/١٢٤).
- (١٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٨٨) قال: « الظاهر أن المعنى: أنه تعالى قَالَ الْحَبُّ شَاقَهُ فَمَخْرَجَ مِنْهُ الْحَبَّ وَالنَّوَى وَمَخْرَجَ مِنْهُ الشَّجَرُ وَالْحَبُّ، والنوى عامان أي كل حبة وكل نواة ».
- (١٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦٣).
- (١٧) ينظر: روح المعاني: (٧/٢٢٦).
- (١٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٨٢).
- (١٩) ينظر: فتح القدير: (٢/١٤٢).
- (٢٠) ينظر: تفسير المنار: (٧/٦٣٠) فبعد أن ذكر الأقوال قال: « والأول أظهر في بيان المراد ».

واحتجوا:

أولاً: بالسياق القرآني فإنه سبحانه قال في لحاقها: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجهاد الميت كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] (١)

قال الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: ما قدمنا القول به، وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراج الحي من الميت والميت من الحي فكان معلوماً بذلك أنه إنما عنى بإخباره عن نفسه أنه فالق الحب عن النبات والنوى عن الغروس والأشجار كما هو مخرج الحي من الميت والميت من الحي» (٢)

ثانياً: المعروف من كلام العرب أن الفلق بمعنى الشق (٣). قال الراغب الأصفهاني: «الفلق: شق الشيء وإبانه بعضه عن بعض. يقال: فلقته فانفلق. قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ﴾ ، وقال عك: ﴿فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]» (٤)، وقال ابن فارس: «الفاء واللام والقاف أصل صحيح يدل على فرجة وبينونة في الشيء» (٥).

وقيل المراد: فالق الشق الذي في الحب والنوى وهو مروى عن مجاهد، وهذا القول يعود إلى الأول فذاك الشق الذي يفلق الحب والنوى تحت الأرض لخروج النبات منها، وهذا القول أخص منه فهو الشق الذي في الحب والنوى بعد الظهور ليرى الناس كمال قدرته، وكلاهما حق تدل على الإلهة الحق.

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٦٣/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٢٨١/٧).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (١٣٢/٩)، ومقاييس اللغة: (٤٥٢/٤)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٦٤٥)، ولسان العرب: (٣٠٩/١٠) وقال الشنيطي في العذب النмир: (٥٣٠/١): «الفلق في لغة العرب معناه: الشق».

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: (٦٤٥).

(٥) مقاييس اللغة: (٤٥٢/٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بفالق هنا خالق، وهذا مروى عن ابن عباس والضحاك.

ويعترض على هذا القول: بأنه لم يرد في لغة العرب فالق بمعنى خالق^(١). قال الطبري: «وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى فالق: أنه خالق، فنقول، إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه إياه لا أعرف له وجهها، لأنه لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق»^(٢).

ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة بلا ترجيح أو اختيار^(٣).

يتبين مما سبق أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، وذلك لدلالة السياق القرآني، " وإدخال الكلام في معاني ما بعده أولى من الخروج عنه"^(٤)، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، قال الشنقيطي بعد ذكره للقول الأول: « وهذا هو التفسير الذي عليه جمهور المفسرين، وهو المعروف عن علماء السلف والخلف»^(٥). والله أعلم.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (٩/١٣٢)، ومقاييس اللغة: (٤/٤٥٢) ولسان العرب: (١٠/٣٠٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٨١).

(٣) كالمورد في النكت والعيون: (٢/١٤٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٨٩)، والقاسمي في محاسن التأويل: (٦/٦٣٥).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).

(٥) العذب النمير: (١/٥٣٣).



قال تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٥٩- مسألة: المراد بحسباناً في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾

قال القرطبي ~ : « ومعنى ﴿حُسْبَانًا﴾ أي: بحساب يتعلق به مصالح العباد. وقال ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ﴾ [الرحمن: ٥] أي: بحساب^(١).... وقيل: "حسباناً" أي: ضياء، والحسبان: النار في لغة؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] قال ابن عباس: ناراً^(٢). والحسبانة: الوسادة الصغيرة^(٣) »

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بحسباناً أي بحساب، يعني خلقهما بحسبان يحسب حركتهما وسيرهما بأسلوب متقن لا يتغير في السنة؛ لتعلموا بذلك عدد السنين والأشهر والأيام. وهذه من نتائج الشمس والقمر التي ذكرها الله ﷻ^(٤) وقد وافق القرطبي في اختياره المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ومجاهد، وقتادة، والسدي^(٥)، وبه قال

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١١٥/٢٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٣٢٢/١٠)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى الفريابي وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم كما في الدر المنثور: (٦٩١/٧).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٥/٧)، وعزاه السيوطي إلى الطستي كما في الدر المنثور: (٣٩٤/٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٤٦٨/٨).

(٤) ينظر: العذب النمير: (٥٤٣/١).

(٥) أخرج هذه الآثار عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٧/١)، والطبري في جامع البيان: (٢٨٤/٧)، و ابن أبي

حاتم في تفسيره: (١٣٥٤/٤) وعزا السيوطي رواية ابن عباس إليهما وإلى ابن المنذر، ورواية قتادة إلى



أبو عبيده^(١)، والأخفش^(٢)، وابن قتيبة^(٣) ورجحه الطبري^(٤)، والنحاس^(٥)، وجزم به السمرقندي^(٦)، والثعلبي^(٧)، والواحدي^(٨)، والسمعاني^(٩)، والبغوي^(١٠)، والزنجشري^(١١)، وابن عطية^(١٢)، وابن الجوزي^(١٣)، والفخر الرازي^(١٤)، ووافقهم البيضاوي^(١٥) والنسفي^(١٦)، وابن جزى الكلبي^(١٧)، وأبو حيان^(١٨)، وابن كثير^(١٩)،

﴿﴾

عبدالرزاق وابن المنذر وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣٢٤)، وينظر: تفسير مجاهد: (١/٢٢٠).

- (١) ينظر: مجاز القرآن: (٢٠١).
- (٢) ينظر: معاني القرآن: (٢/٤٩٨).
- (٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٧).
- (٤) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٨٥).
- (٥) ينظر إعراب القرآن: (٢/٨٤)، ومعاني القرآن: (١/٣٤٥).
- (٦) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٠).
- (٧) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٧٢).
- (٨) ينظر: الوجيز: (١/٣٦٧).
- (٩) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٢٨).
- (١٠) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٤٧).
- (١١) ينظر: الكشاف: (٢/٣٨).
- (١٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١١٥).
- (١٣) ينظر: زاد المسير: (٣/٩١).
- (١٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٩٩).
- (١٥) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣١٥).
- (١٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٢٥).
- (١٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٦).
- (١٨) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٠).
- (١٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦٤).

والبقاعي^(١)، وأبو السعود^(٢)، والشوكاني^(٣)، والآلوسي^(٤)، والقاسمي^(٥).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: بتفسير القرآن للقرآن، فقد جاء في القرآن ما يفسر هذا، وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٌ﴾ [الرحمن: ٥] وقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

ثانياً: المعروف في لغة العرب أن الحاء والسين والباء تطلق على أربعة أصول: منها العد، تقول: حسبت الشيء أحسبه حساباً وحسباناً قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أي قدر لهما حساباً معلوماً في مواعيتهما لا يعدوانه ولا يجاوزانه. وقد قيل: إن الحسبان في هذا الموضع مصدر من قول القائل: حسبت الحساب أحسبه حساباً وحسباناً، وحكي عن العرب: على الله حسابان فلان وحسبته، أي: حسابه^(٦).

ثالثاً: السياق القرآني دل على هذا المعنى. قال الطبري: «وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تعالى ذكره ذكر قبله أياديه عند خلقه، وعظم سلطانه بخلق الإصباح لهم، وإخراج النبات والغراس من الحب والنوى، وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر، فكان وصفه إجراء الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما لأنه قد وصف ذلك قبل قوله فالتأويل الإصباح فلا معنى

(١) ينظر: نظم الدرر: (٢٠١ / ٧).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٨٣ / ٢).

(٣) ينظر: فتح القدير: (١٤٣ / ٢).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٢٣٣ / ٧).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦٤٥ / ٦).

(٦) ينظر: العين: (١٤٩ / ٣)، ومقاييس اللغة: (٥٩ / ٢)، ولسان العرب: (٣١٤ / ١) وجامع البيان:

(٧ / ٢٨٥)، والجامع لأحكام القرآن: (٤٦٨ / ٨).



لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى»^(١) وقال ﷺ في لحاقها: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨] ومعناه أن تقدير هذه الأجرام والأفلاك بصفات المخصوصة وهيئاتها المحدودة وحركاتها المقدره بالمقادير المخصوصة حيث قدر حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة في سنة، وقدر حركة القمر بحيث يتم الدورة في شهر بين البطء والسرعة، وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم في الفصول الأربعة، وبسببها يحصل ما يحتاج إليه من نضج الثمار وحصول الغلات، فهو العزيز إشارة إلى كمال قدرته، والعليم إشارة إلى كمال علمه سبحانه^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد ﴿مُحْسَبَانٍ﴾: ضياء فالله ﷻ جعل الشمس والقمر ضياء، وهذا مروى عن قتادة^(٣)، ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً قال به.

ويعترض على هذا القول من وجهين:

الأول: أن فيه تكريراً للمعنى المذكور في صدر الآية عند قوله ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾. قال الطبري «وصفه إجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما لأنه قد وصف ذلك قبل قوله: فالق الإصباح فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى»^(٤).

الثاني: قد يكون المروى عن قتادة هو في تفسير آية أخرى. قال الطبري: «وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] قال: ناراً. فوجه تأويل قوله:

(١) جامع البيان: (٢٨٥ / ٧).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٩٩ / ١٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٥ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥٥ / ٤)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المشور: (٣٢٦ / ٣).

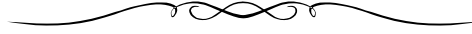
(٤) جامع البيان: (٢٨٥ / ٧).



﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ إلى ذلك التأويل وليس هذا من ذلك المعنى في شيء»^(١)

ومن ذلك يتبين ضعف هذا القول، وأن ما اختاره القرطبي وجمهور المفسرين هو الأرجح، وهو الذي تنطبق عليه جملة من القواعد الترجيحية وهي: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه إلا بدليل"^(٢) ودلالة السياق من الأدلة البينة الواضحة.

بالإضافة إلى أن له نظير في القرآن "فالقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٣). كما أن "حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب أولى"^(٤). والله أعلم.



(١) جامع البيان: (٢٨٥ / ٧).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥ / ١).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٣١٢ / ١).

(٤) ينظر: المصدر السابق: (٣٩٦ / ١).



قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ [الأنعام: ٩٨]

٦٠- مسألة: المراد بالمستقر والمستودع في قوله تعالى: ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾

قال القرطبي ~ : « أكثر أهل التفسير يقولون: المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب؛ رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس^(١)، وقاله النخعي^(٢). وعن ابن عباس أيضا: مستقر في الأرض، ومستودع في الأصلاب^(٣). قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ فقلت: لا، فقال: إن الله ﷻ يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه^(٤).

وروي عن ابن عباس أيضا: أن المستقر من خلق، والمستودع من لم يخلق؛ ذكره الماوردي^(٥)، وعن ابن عباس أيضا: ومستودع عند الله^(٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٧/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥٦/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم كما في الدر المنثور: (٣٣١/٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٧/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥٦/٤).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٨/٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٥٧/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم كما في الدر المنثور: (٣٣١/٣).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٧/٧)، وعزاه السيوطي إلى عبدالرزاق كما في الدر المنثور: (٣٣٢/٣).

(٥) ينظر: النكت والعيون: (١٤٩/٢).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٧/٧).



قلت: وفي التنزيل ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] والاستيداع إشارة إلى كونهم في القبر إلى أن يبعثوا للحساب^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالمستقر الأرض، والمستودع القبر، وهذا هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وسعيد بن جبير، وبه جزم الشوكاني^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن المراد بالمستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب وهذا هو المروي عن ابن عباس في رواية له، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة بألفاظ متقاربة^(٣) وأكثر أهل التفسير عليه^(٤)، وبه قال أبو عبيدة^(٥)، وابن قتيبة^(٦) وجزم به السمرقندي^(٧)، والواحدي^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، وابن كثير^(١٠)، والآلوسي^(١١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٧٠).

(٢) ينظر: فتح القدير: (٢/ ١٤٤).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/ ٢٠٧)، والطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٥٦)، وعزا السيوطي رواية قتادة إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٣٢).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٧٠)، والعذب النمير: (٢/ ٩).

(٥) ينظر: مجاز القرآن: (٢٠١).

(٦) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٧).

(٧) ينظر: بحر العلوم: (١/ ٤٧٠).

(٨) ينظر: الوجيز: (١/ ٣٦٧).

(٩) ينظر: زاد المسير: (٣/ ٩١).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٦٤).

(١١) ينظر: روح المعاني: (٧/ ٢٣٣).



القول الثالث: وهو أن المراد بالمستقر ما في الرحم والمستودع القبر حتى يبعثهم الله ليوم القيامة، وهو مروى عن ابن مسعود^(١)

القول الرابع: وهو أن المراد مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة، وهو رواية أخرى عن ابن مسعود^(٢)

القول الخامس: أن المستقر من خلق، والمستودع من لم يخلق، وهو مروى عن ابن عباس^{رضي الله عنه}.

ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة بلا ترجيح أو اختيار^(٣)

ومنهم من جمع بين الأقوال كالزجاج^(٤)، والطبري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وأبو حيان^(٧)، والثعالبي^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩). قال الطبري: «وأولى التأويلات في ذلك

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٨٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٥٥)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، والطبراني كما في الدر المنثور: (٣/٣٣٢).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢٠٧)، والطبري في جامع البيان: (٧/٢٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٥٥)، وعزاه السيوطي إليهم وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٣٢).

(٣) كالنحاس في معاني القرآن: (١/٣٤٥) والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٧٣)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٤٨)، و السمعاني في تفسيره: (١/١٢٩)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٤٨)، والزمخشري في الكشاف: (٢/٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/٩٢)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (١/٣١٣)، والنسفي في مدارك التنزيل: (٢/٢٥)، وابن جزري في التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٧)، والقاسمي في محاسن التأويل: (٦/٦٤٩) والشنقيطي في العذب النمير: (٢/٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٥).

(٥) جامع البيان: (٧/٢٩١).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١١٦).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٢).

(٨) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٠٠).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٧/٦٤٠).



بالصواب: أن يقال إن الله - جل ثناؤه - عمّ بقوله: ﴿فَسْتَقِرُّوا وَمُسْتَوِدِعُوا﴾ كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقراً ومستودعاً، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى، ولا شك أن من بني آدم من له مستقراً في الرحم ومستودعاً في الصلب، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر، مستودع على ظهر الأرض فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعاني فداخل في عموم قوله: ﴿فَسْتَقِرُّوا وَمُسْتَوِدِعُوا﴾ ومراد به؛ إلا أن يأتي خبر يجب التسليم له بأنه معني به معنى دون معنى وخاص دون عام»^(١).

ومن هذا يتبين أن الجمع بين الأقوال هو الأرجح؛ فليس هناك نص في الكتاب العزيز يعين المراد تعييناً يستوجب حمل الآية عليها، ولأن لفظ الوديعه تقتضي الانتقال فلا نخصص قولاً على قول. قال أبو حيان: «والذي يقتضيه النظر أن الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الإنسان من الظهر، إلى الرحم، إلى الدنيا، إلى القبر، إلى الحشر، إلى الجنة أو إلى النار، وفي كل رتبة يحصل له استقرار واستيداع استقرار بالإضافة إلى ما قبلها، واستيداع بالإضافة إلى ما بعدها، ولفظ الوديعه يقتضي الانتقال»^(٢) والقاعدة تؤيد هذا: "فيجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص"^(٣). والله أعلم.

(١) جامع البيان: (٧/٢٩١).

(٢) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٢).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [الأعام: ١٠٠]

في الآية الكريمة مسألتان:

٦١- المسألة الأولى: فيمن نزلت قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾ وما

معناها؟

قال القرطبي ~ : « والآية نزلت في مشركي العرب. ومعنى إشراكهم بالجن: أنهم أطاعوهم كطاعة الله ﷻ؛ روي ذلك عن الحسن وغيره^(١). قال قتادة والسدي: هم الذين قالوا: الملائكة بنات الله.^(٢) »

وقال الكلبي: نزلت في الزنادقة^(٣)؛ قالوا: إن الله وإبليس أخوان؛ فالله خالق الناس والدواب، وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب^(٤).

ويقرب من هذا قول المجوس^(٥)، فإنهم قالوا: للعالم صانعان إله قديم، والثاني

(١) ذكر هذا الأثر الماوردي في النكت والعيون: (١٥٠ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٩٦ / ٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٩٧ / ٧)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٦١ / ٤)، وعزا السيوطي رواية السدي إلى ابن أبي حاتم، ورواية قتادة إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد، كما في الدر المنثور: (٣٣٤ / ٣).

(٣) أخرجه الواحد في أسباب النزول: (٢١٦)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم: (٤٧٢ / ١)، والثعلبي الكشف والبيان: (١٧٥ / ٤)، والبغوي في معالم التنزيل: (٤٩ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٩٦ / ٣).

(٤) الزنادقة: هم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وكان يسمى منافقاً ويسمى اليوم زنديقاً. ينظر: المطلع على أبواب المقنع: (٣٧٨ / ١).

(٥) المجوس: هم عبدة النار، وقد اثبتوا أصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها؟.. ينظر: الملل والنحل: (٢٣٣ / ١)، والمطلع على أبواب المقنع: (٢٦٥ / ١).



شيطان حادث من فكرة الإله القديم؛ وزعموا أن صانع الشر حادث.

وكذا الخابطية^(١) من المعتزلة من أصحاب أحمد بن خابط زعموا أن للعالم صانعين الإله القديم والآخر محدث خلقه الله ﷻ أولاً ثم فوض إليه تدبير العالم وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ﷻ^(٢).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الآية نزلت في المشر-كين من العرب، وقد وافق القرطبي في اختياره الطبري^(٣)، والسمعاني^(٤)، وابن عطية^(٥)، ووافقهم ابن جزى الكلبي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وابن كثير^(٨)، والثعالبي^(٩)، والشوكاني^(١٠) والآلوسي^(١١).

(١) الخابطية: من فرق المعتزلة وهم اصحاب أحمد بن خابط، كان من أصحاب النظام، وطالع كتب الفلاسفة، ويقول بثلاث بدع: البدعة الاولى: إثبات حكم من أحكام الإلهية في المسيح ﷻ موافقة للنصارى على اعتقادهم أن المسيح الذي يحاسب الخلق في الآخرة. البدعة الثانية: القول بالتناسخ زعماً أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار التي هم فيها اليوم. والبدعة الثالثة: حمله ما ورد في الخبر من رؤية الباري تعالى على رؤية العقل. ينظر: التعريفات: (١/١٢٨)، والملل والنحل: (١/٦٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٧٩).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٩٧).

(٤) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٣١).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٢٠).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٧).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٦).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦٥).

(٩) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٠١).

(١٠) ينظر: فتح القدير: (٢/١٤٧).

(١١) ينظر: روح المعاني: (٧/٢٤١).

إلا أنهم اختلفوا في المراد بالجن هنا على قولين:

الأول: إما أن يراد بهم الملائكة، ووجه تسميتهم بالجن لاختفائهم واستتارهم عن الأعين^(١) كما قال عَلَيْكَ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) [الصفات: ١٥٨] فسمى الملائكة جنة. وفي كونهم أشركوهم بالله فالعرب كانت تقول: إنهم بنات الله وجعلوهم شركاء لله في عبادتهم، وهذا مروى عن قتادة، والسدي، وبه قال السمعاني^(٢)، وابن جزى الكلبي^(٣)، والآلوسي^(٤).

الثاني: وإما أن يكون لفظ الجن أنهم الذين يتبادر إليهم الذهن وهم قسيم الإنس، وفي كونهم أشركوهم بالله عَلَيْكَ أي أطاعوا الجن والشياطين في أمور الشرك والمعاصي، كطاعة الله عَلَيْكَ. وهو الذي قال به القرطبي، وقد وافق الزجاج^(٥)، والزمخشري^(٦)، ووافقهم ابن كثير^(٧)، والشوكاني^(٨).

أو أنهم كانوا يستجيرون بجن الأودية في أسفارهم، وكانوا يعبدونها على زعم منهم أنها تعلم الغيب، وقال بهذا ابن عطية^(٩)، ووافقه أبو حيان^(١٠)، والثعالبي^(١١).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١١٣).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٣١).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٧).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٧/٢٤١).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٧).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/٤٠).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٦٥).

(٨) ينظر: فتح القدير: (٢/١٤٧).

(٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٢٠).

(١٠) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٦).

(١١) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٠١).



فإن قيل: كيف عُبدت الجن، مع أن مشركي العرب إنما كانوا يعبدون الأصنام؟
فالجواب: أنهم ما عبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك كقوله تعالى:
﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ
لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيتَهُمْ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلَيُبْتِئَنَّ إِذَا تَعَالَى
الْأَنْعَامُ وَلَا مِرَّةً لَهُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ
خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٧-١١٩] وكقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ
أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يَتَّابِتِ لَأَتَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤] وكقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠] وتقول الملائكة يوم القيامة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ
أَنْتَ وَلِيْنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١] ولهذا قال
تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠].^(١)

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنها نزلت في الزنادقة، ويكون المراد بالجن على هذا القول: إبليس وأتباعه
الذين يفعلون الشرور ويلقون الوسوس الحبيثة في الأرواح البشرية.
وهذا مروى عن الكلبي^(١)، واختاره ابن قتيبة^(٢)، والثعلبي^(٣)، والبغوي^(٤)،

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٦٥).

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي: (٢١٦)، وبحر العلوم: (١/ ٤٧٢)، ومعالم التنزيل: (٢/ ٤٩) قالوا:
(إن الله وإبليس أخوان فالله خالق الناس والدواب وإبليس خالق الجن والسباع والعقارب).

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٧).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (٤/ ١٧٥).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٢/ ٤٩).



وابن الجوزي^(١)، والفخر الرازي^(٢)، ونظام الدين النيسابوري^(٣)، وابن عادل^(٤)،
والبقاعي^(٥).

ويعترض على هذا القول بأنه لم يكن في وقت نزول الآية قوم يسمون بالزنادقة،
كما أن الروايات التي تبين أن السورة نزلت جملة أقوى من هذه الرواية التي وردت في
خصوصها لفئة معينة^(٦).

وعلى فرض أن الرواية واردة فالكلبي قد ضعفه علماء الجرح^(٧)، والأولى عدم
الأخذ بمروياته.

وقد ذكر بعض المفسرين القولين بلا ترجيح أو اختيار^(٨).

-
- (١) ينظر: زاد المسير: (٩٦/٣).
 - (٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١١٣/١٣).
 - (٣) ينظر غرائب القرآن: (١٣١/٣).
 - (٤) ينظر: اللباب: (٣٣٣/٨).
 - (٥) ينظر: نظم الدرر: (٢١٥/٧).
 - (٦) كالمروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح) وقد أخرج هذا الطبراني في المعجم الكبير: (٢١٥/١٢)، والمعجم الصغير (الروض الداني): (١٤٥/١)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبو عبيدة وابن الضريس في فضائلها وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٢٤٣/٣).
 - (٧) قال ابن حجر عنه: «متهم بالكذب ورمي بالرفض» ينظر: تقريب التهذيب (٤٧٩) وقال البخاري في الضعفاء الكبير: (٧٦/٤) يقول يحيى بن معين: اطرحوا حديث الأربعة وذكر منهم الكلبي. وينظر: الجرح والتعديل: (٢٧٠/٧).
 - (٨) كالمسمرقندي في بحر العلوم: (٤٧٢/١)، والماوردي في النكت والعيون: (١٥٠/٢)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (٣١٤/١)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: (١٨٦/٢)، والقاسمي في محاسن التأويل: (٦٥٨/٦)، ومحمد رشيد رضا في المنار: (٦٤٦/٧).



وبهذا يثبت ضعف القول السابق، لأنه تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها^(١)، ويتبين أن الأولى والأرجح في هذا ما اختاره القرطبي من أن الآية في مشركي العرب، وذلك لأن السورة مكية وهي من أولها في خطاب للمشركين العادلين بريهم^(٢)، ودلائل السياق من أقوى الأدلة وعلى ذلك تنص القاعدة الترجيحية: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنه إلا بدليل"^(٣) والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٣٤٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٢٩٧).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٢٥).

٦٢- المسألة الثانية: عود الضمير في قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾

قال القرطبي ~ : «﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ كذا قراءة الجماعة، أي: خلق الجاعلين له شركاء.

وقيل: خلق الجن الشركاء. (١)

﴿الدراسة والترجيح:﴾

اختار القرطبي إرجاع الضمير على الجاعلين لله شركاء، وقد وافق القرطبي في اختياره السمرقندي (١)، والزمخشري (١)، ووافقهم البيضاوي (١)، وأبو حيان (١)، وأبو السعود (١)، والشوكاني (١)، والآلوسي (١)، والقاسمي (١).

وحجتهم: توحيد الضمائر، وعودته على الجاعلين له شركاء؛ إذ هم المحدث عنهم فهم أولى (١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٤٧٩/٨).

(٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٧٢/١).

(٣) ينظر: الكشاف: (٤٠/٢).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٣١٤/١).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (١٩٦/٤).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٨٦/٢).

(٧) ينظر: فتح القدير: (١٤٧/٢).

(٨) ينظر: روح المعاني: (٢٤١/٧).

(٩) ينظر: محاسن التأويل: (٦٥٨/٦).

(١٠) ينظر: البحر المحيط: (١٩٦/٤)، وروح المعاني: (٢٤١/٧)، وقواعد الترجيح عند المفسرين: (٦٠٣/٢).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الضمير يعود إلى الجن؛ فالله تعالى خلق الجن فكيف يكون شريكه مخلوقاً؟ وبهذا قال البغوي^(١)، وابن الجوزي^(٢)، والفخر الرازي^(٣).

وحجتهم: أن الأصل إعادة الضمير إلى أقرب المذكور، قال الفخر الرازي: «أن عود الضمير إلى أقرب المذكورات واجب، وأقرب المذكورات في هذه الآية هو الجن فوجب أن يكون الضمير عائداً إليه»^(٤).

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا اختيار^(٥)

وعند النظر والتأمل نجد صحة وجواز عود الضمير عليهما كليهما لأن

الحجة قائمة على الوجهين^(٦)، وبهذا قال الزجاج^(٧)، ووافقه النحاس^(٨)، والثعلبي^(٩)، وابن عطية^(١٠) وابن جزي الكلبى^(١١)، والثعالبي^(١٢)

(١) ينظر: معالم التنزيل: (٤٩/٢).

(٢) ينظر: تذكرة الأريب: (١٦٤/١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١١٦/١٣).

(٤) مفاتيح الغيب: (١١٦/١٣).

(٥) كالماوردي في النكت والعيون: (١٥٠/٢)، و السمعاني في تفسيره: (١٣١/١)، والنسفي في مدارك التنزيل: (٢٦/٢)، ونظام الدين النيسابوري في غرائب القرآن: (١٣١/٣)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (٣٣٦/٨).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٧/٢).

(٧) معاني القرآن وإعرابه: (٢٧٧/٢).

(٨) ينظر: معاني القرآن: (٣٤٦/١)، وإعراب القرآن: (٨٧/٢).

(٩) ينظر: الكشف والبيان: (١٧٥/٤).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز: (١٢٠/٦).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٧/٢).

(١٢) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٠٢/١).



ومحمد رشيد رضا^(١). قال الزجاج: « فالهاء والميم: إن شئت كانت عائدة عليهم، أي: فجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون، وجائز أن تكون الهاء والميم تعودان على الجن، فيكون المعنى: وجعلوا لله شركاء الجن والله خلق الجن »^(٢) وقال محمد رشيد رضا: « والحال أن الله تعالى قد خلق هؤلاء الجاعلين له الشركاء، وليس لشركائهم فعل ولا تأثير في خلقهم، أو خلق الشركاء المجعولين كما خلق غيرهم من العالمين، فنسبة الجميع إليه واحده »^(٣). والله أعلم.



(١) ينظر: تفسير المنار: (٦٤٦/٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه: (٢٧٧/٢).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٦٤٦/٧).



قال تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣)

[الأنعام: ١٠٣]

في الآية الكريمة مسألتان:

٦٣- مسألة في المراد بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بين سبحانه أنه منزّه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات، والرؤية ثابتة. فقال الزجاج: أي: لا يبلغ كنه حقيقته، كما تقول أدركت كذا وكذا^(١)؛ لأنه قد صح عن النبي ﷺ الأحاديث في الرؤية يوم القيامة^(٢). وقال ابن عباس: لا تدركه الأبصار في الدنيا. ويراها المؤمنون في الآخرة^(٣)؛ لإخبار الله بها في قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقاله السدي^(٤). وهو أحسن ما قيل لدلالة التنزيل والأخبار الواردة برؤية الله في الجنة.

وقيل: "لا تدركه الأبصار": لا تحيط به، وهو يحيط بها. عن ابن عباس أيضا.

وقيل: المعنى: لا تدركه أبصار القلوب، أي لا تدركه العقول فتتوهمه؛ إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].....»^(٥).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٧٩).

(٢) قوله ﷺ: «.. إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته».

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٩٨)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٧/ ٢٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٦٢) وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٣٥).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/ ٤٨٢).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن المراد: لا تدركه الأبصار في الدنيا ويراه المؤمنون في الآخرة، وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، والحسن، وإسماعيل بن علية ^(١)، فأثبتوا الرؤية للمؤمنين في الآخرة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة والأئمة المنصفين، ورجحه غير واحد من المفسرين كالطبري ^(٢)، والزجاج ^(٣)، والسمرقندي ^(٤)، والثعلبي ^(٥)، والواحدي ^(٦)، والسمعاني ^(٧)، والبغوي ^(٨)، وابن عطية ^(٩)، وابن الجوزي ^(١٠)، ووافقهم ابن جزى الكلبي ^(١١)، وابن تيمية ^(١٢)، ونظام الدين النيسابوري ^(١٣)، وأبو حيان ^(١٤)،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٦٢) وعزا السيوطي رواية الحسن إلى أبي الشيخ، والبيهقي، ورواية ابن علية إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٣٥).

وهو: إسماعيل بن إبراهيم بن سهم بن مقسم بن علية مولى بني أسد من أهل البصرة، وعلية أمه، واسم أبيه إبراهيم، وكنيته أبو بشر ولد سنة عشرة ومائة، مات في ذي القعدة (١٩٣ هـ) ينظر: الثقات: (٦/٤٤)، تذكرة الحفاظ: (١/٣٢٢) تقريب التهذيب: (١٠٥).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٧/٣٠٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٩).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٧٦).

(٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٦٨).

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٣٢).

(٨) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٥٠).

(٩) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٢٣).

(١٠) ينظر: زاد المسير: (٣/٩٨).

(١١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٨).

(١٢) ينظر: دقائق التفسير: (٢/١٢٦)، ومجموع الفتاوى: (٢/٤٤٤).

(١٣) ينظر: غرائب القرآن: (٣/١٣٨).

(١٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/١٩٨).



والزركشي^(١)، والثعالبي^(٢)، وابن القيم^(٣)، والآلوسي^(٤)، والشوكاني^(٥)،
والشنقيطي^(٦)، والسعدي^(٧).

وحتهم:

أولاً: أن الرؤية ثابتة نقلاً من الكتاب والسنة والإجماع:

فأما دلالة الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] فقيده
النظر إليه في يوم القيامة، وأطلقها في هذه الآية فيحمل المطلق على المقيد^(٨)، وقوله
تعالى في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يفهم من مفهوم مخالفته:
أن المؤمنين غير محجوبين عن ربهم بل يرونه، وهو كذلك^(٩). وقوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى كما جاءت بهذا الأحاديث
الصحيحة^(١٠).

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: (٥١/٢).

(٢) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٠٢/١).

(٣) ينظر: حادي الأرواح: (٢٠٧) ومدارج السالكين: (٢٧/١) قال: «حمد نفسه بأنه لا تدركه الأبصار
لكمال عظمته، يرى ولا يدرك، كما أنه يعلم ولا يحاط به علماً؛ فمجرد نفي الرؤية ليس بكمال لأن العدم
لا يرى فليس في كون الشيء لا يرى كمال البتة وإنما الكمال في كونه لا يحاط به رؤية ولا إدراكاً لعظمته في
نفسه وتعالیه عن إدراك المخلوق له» وقال في التبيان في أقسام القرآن: (١٦١/١) قال: «لا تدركه
الأبصار على عمومها وإطلاقه في الدنيا والآخرة، ولا يلزم من ذلك ألا يرى بل يرى في الآخرة بالأبصار
من غير إدراك».

(٤) ينظر: روح المعاني: (٢٤٧/٧).

(٥) ينظر: فتح القدير: (١٤٨/٢).

(٦) ينظر: أضواء البيان: (٣٦٥/١).

(٧) ينظر: تيسير الكريم المنان: (٢٦٨).

(٨) ينظر: زاد المسير: (٩٨/٣).

(٩) ينظر: العذب النمير: (٤٧/٢).

(١٠) ما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى
ﷻ



وأما السنة: فما ثبت في الصحيحين عن جرير بن عبد الله^(١) قال: (كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها: قال: ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠])^(١).

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى بعد دخول الجنة، ولذا عوقب الكفار بالحجاب عن ربهم فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فإنه لما حجب الفجار عن رؤيته خزيًا لهم، دل على إثباتها للأبرار^(١).

ثانياً: جواز الرؤية عقلاً، إذ لو لم تكن جائزة لكان سؤال موسى ﷺ مستحيلاً قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل ثم كان

﴿﴾ =

(١/١٦٣) برقم (١٨١) من حديث صهيب: عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله -تبارك وتعالى-: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب. فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿صدقة الله﴾

(١) هو: جرير بن عبد الله البجلي اليماني ويكنى أبا عمرو، بسط له النبي ﷺ رداءه وأكرمه، وكان سيداً مطاعاً بديع الجمال أسلم في رمضان سنة عشر-، (ت: ٥١ هـ). ينظر طبقات ابن سعد: (٢٢/٦)، والثقات: (٣/٥٤)، والكاشف (١/٢٩١)، وتقريب التهذيب: (١٣٩).

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر- (١/٢٠٣) برقم: (٥٢٩) وأخرجه بنحوه في كتاب التفسير، باب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾، (٤/١٨٣٦)، برقم: (٤٥٧٠) وأخرجه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾، (٦/٢٧٠٣)، برقم: (٦٩٩٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/٤٣٩) برقم (٥٢٩) واللفظ له.

(٣) ينظر: التعليق الوقاد على متن لمعة الاعتقاد: (٦٥)، البرهان في علوم القرآن: (٢/٢١٦).



الجواب ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] واستدل السلف - رحمهم الله - بهذه الآية على إمكان الرؤية لأن الله ﷻ لم يقل (إني لا أرى) ولم ينكر عليه هذا السؤال، كما أنكر على نوح - عليه السلام - قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي مِّنْ أَهْلِ﴾ [هود: ٤٥] فقال له: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] لكن الله أراد أن يبين لموسى - عليه السلام - مقدار ضعفه أمام عظمة الله تعالى، وأن الجبل الأشم لا يثبت لتجلية - ﷻ - فكيف ببشر ضعيف.

فإن قيل: فكيف إذا يروونه في الآخرة؟ فالجواب، أن الله ﷻ يخلق في أوليائه آنذاك قوة مستعدة للنظر إلى وجهة ﷻ ويروونه إكراماً لهم، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف^(١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو قول المعتزلة: لا تراه الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، وبه قال الجصاص^(١)، والزمخشري^(٢).
حجتهم^(٣):

أولاً: أن قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ معناه: لا تراه الأبصار، وأن في هذا تمدح بنفي رؤية الأبصار، كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وما تمدح الله

(١) ينظر: التعليق الوقاد على متن لمعة الاعتقاد: (٦٧).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١/١٦٩).

وهو: أحمد بن علي الرازي الحنفي المعروف بالجصاص وله من المصنفات شرح مختصر شيخه أبي الحسن الكرخي، ومختصر الطحاوي، وشرح الأسماء الحسنی وله كتاب مفيد في أصول الفقه وغير ذلك (م: ٣٠٥هـ، ٣٧٠هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٠/٢٣٢)، والوافي بالوفيات: (٦/٩٩)، وشذرات الذهب: (٣/٧١) ومعجم المؤلفين: (٢/٧).

(٣) ينظر: الكشاف: (٢/٤١).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١/١٦٩) والكشاف: (٢/٤١).



بنفيه عن نفسه فإن إثبات ضده ذم ونقص فغير جائز إثبات نقيضه بحال، كما لو بطل استحقاق الصفة بلا تأخذه سنة ولا نوم لم يبطل إلا إلى صفة نقص، فلما تمدح بنفي رؤية البصر عنه لم يجز إثبات ضده ونقيضه بحال إذ كان فيه إثبات صفة نقص.

ثانياً: قالوا: أن في لغة العرب الإدراك مرادف للرؤية؛ فالإدراك: أصله اللحوق نحو قولك: أدرك زمان المنصور، وأدرك أبا حنيفة، أي: لحق به، فإدراك البصر للشيء لحوقه له برؤيته إياه. ولا خلاف بين أهل اللغة أن قول القائل: أدركت ببصري شخصاً معناه رأيته ببصري.

ثالثاً: أن البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر، وبه تدرك المبصرات، فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيئات. وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣] بأن النظر محتمل لمعان: منها انتظار الثواب^(١).

ويتلخص الرد فيما يلي:

أولاً: قولهم: إن هذا تمدح بنفي رؤية الأبصار، غير مسلم به فإذا نفينا الرؤية فقد يشاركه فيه المعدوم، وبهذا تنتفي صفة المدح بخلاف كونه لا يحاط به، ولا يدرك، فإن هذا يقتضي كمالاً عظيماً تعجز معه الأبصار عن الإحاطة، فهو سبحانه كما يعلم ولا يحاط به علماً، فكذلك يرى ولا يحاط به رؤية^(١).

ثانياً: ما زعموه من أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئاً يقال في لغتهم: إنه أدركه هذا لا سبيل إليه. كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص؟ قال ابن تيمية: «الإدراك في اللغة ليس هو مرادفاً للرؤية بل هو

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١/١٦٩).

(٢) ينظر: الصفدية: (١/٩١)، ومنهاج السنة: (١/٢١٦)، والتدمرية: (٤٠)، وجامع المسائل: (٣/٢٠٧).



أخص منها»^(١) فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية.^(٢) وقولهم: إن إدراك البصر للشيء يعني لحوقه له برؤيته إياه... غير مسلم به، بل هو مردود بكتاب الله ﷻ فقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾^(٣) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ^(٤) [الشعراء: ٦١-٦٢] فأثبت الرؤية في الآية الأولى، ونفى الإدراك في الثانية، وفي هذا دليل واضح على أن مطلق الرؤية لا يعني الإدراك^(٥).

وقولهم: لا خلاف بين أهل اللغة أن قول القائل: أدركت ببصري شخصاً، معناه لا إشكال فيه، لأن الإدراك أعم من الرؤية، وإنما الإشكال في مثل قول القائل: رأيت البحر، فهل يعني هذا أنه أدركه من كل جوانبه. وبمثل هذا احتج الخبر ابن عباس رضي الله عنه لما سأل سائل عن ذلك، فقال: (ألست ترى السماء؟ قال: بلى. قال: أكلها ترى؟ قال: لا)^(٦).

وقولهم: لا يجوز أن يكون الإدراك بمعنى الإحاطة... يجب عنه بأن الخبر ابن عباس رضي الله عنه فسر الإدراك بالإحاطة كما في الرواية المتقدمة الذكر، وهو أعلم بتفسير القرآن ومعاني اللغة وعليه دلت آيات القرآن - كما سبق -.

ثالثاً: يجب عن مسألة الجهة، بأحاديث الرؤية (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر..). وليس في ذلك تشبيه، لأنه إنما شبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فإنه تعالى لا شبيه له ولا نظير فالكاف في قوله (كما ترون) مصدرية، وتقدير الكلام: (كرويتكم القمر ليلة البدر)^(٧).

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية: (٣٢١ / ٢).

(٢) ينظر: دقائق التفسير: (١٢٦ / ١).

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية: (٥٥٣ / ١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٠١ / ٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٦٣ / ٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن مردويه كما في الدر المنثور: (٣٣٥ / ٣) وقد رواه بعضهم عن عكرمة، والصواب: أنه قول ابن عباس من طريق عكرمة، وأثبت ذلك ابن تيمية في منهاج السنة: (٢١٦ / ١) .

(٥) ينظر: مشكل الحديث وبيانه: لابن فورك: (٨٨)، والتعليق الوقاد على متن لمعة الاعتقاد: (٦٥).



وأما ما قالوه من أن النظر في هذه الآية محتمل لمعان منها: انتظار الثواب لا نوافقهم على ما ذكروه وهو في غاية الضعف، والآية لا تحتمله، وذلك من وجوه منها^(١):

أحدها: اقترانه بذكر الوجه، وذلك يقتضي النظر بالعين كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]

الثاني: أنه عدي بـ (إلى)، فمعناه المعاينة بالأبصار كما في هذه الآية. أما إذا عدي بنفسه فمعناه الانتظار ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِم مِّنْ ثَوْرِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] وقال: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرَةٌ بِم يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] ولا يعرف عند العرب النظر معدي بـ (إلى) بمعنى الانتظار

الثالث: ولو كان المعنى منتظرة - كما قالوا - ما جاز أن تكون ناضرة لأن المنتظر على وجهه الحزن والترقب لأنه متوقع شيئاً لم يحصل له، والناضرة مسفرة مشرقة ضاحكة مستبشرة، وليس في شيء من أمر الجنة انتظار؛ لأن الانتظار لا يخلو من تنغيص، وذلك منزه عن أهل الجنة.

الرابع: قولهم هذا خلاف الظاهر ويحتاج إلى دليل، ولا دليل بل الأدلة كلها تدل على إثبات هذا النظر.

وفي المسألة أقوال مردودة، لمذاهب مختلفة منها على سبيل المثال: المعنى لا تدركه أبصار العقول والأذهان^(٢)، ولم أجد - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين قال به. وهذا القول ضعيف من وجوه^(٣):

١ - أنه خلاف ظاهر الآية، والأصل إجراء الآية على ظاهرها. قال ابن كثير: «

(١) ينظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: (٧٤ / ٣)، والتعليق الوقاد على متن لمعة الاعتقاد: (٦٥).

(٢) وهو قول يحيى بن الحصين قارئ أهل مكة كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٦٣ / ٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٦٦ / ٢)، وجامع البيان: (٣٢٤ / ٧)، غريب القرآن للسجستاني: (٥).



وهذا غريب جداً، وخلاف ظاهر الآية، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية والله أعلم»^(١)

٢- أن معهود القرآن عند إطلاق لفظ الأبصار، إرادة الأبصار المعروفة، وهي العيون المبصرة، وقد يرد لفظ الأبصار، ويراد به كلا المعنيين مثل قوله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣] ولكن ذلك إنما يرد في سياق المدح للمؤمنين، ولذا يذم الله تعالى الكفار بأنهم: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] ولا يصح قصر- المعنى في هذه الآيات على أحد المعنيين ، لأن الرؤية البصرية هنا مقصودة، ولذا قال في آية آل عمران ﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣] فختتم الآية بقوله: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ، أما حين تمتنع الرؤية البصرية، فإن الله يعبر عن ذلك بلفظ الألباب كما قال تعالى معقباً على قصة يوسف عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] أي: العقول والأفهام.

يتبين مما سبق أن ما رجحه القرطبي هو الأرجح، لأنه القول الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة فهو مقدم على غيره^(٢)، وهو قول أكثر المفسرين وأئمة أهل السنة والجماعة - كما تقدم - ، وهو القول الموافق للغة العرب وبهذا جاءت قاعدة: "يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف في لغة العرب"^(٣).
والله أعلم.



(١) تفسير القرآن العظيم: (١٦٦/٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٣٦٩/٢).

٦٤ - المسألة الثانية: في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا ؟

قال القرطبي ~ : « واختلف السلف في رؤية نبينا ﷺ ربه، ففي صحيح مسلم عن مسروق^(١) قال: (كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظماً خلقه ما بين السماء إلى الأرض. فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأعام: ١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِئِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [الشورى: ٥١] قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ يَلْغَمَ مَا نَزَّلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] (١).

وإلى ما ذهبت إليه عائشة ﷺ من عدم الرؤية، وأنه إنما رأى جبريل، ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة ﷺ وأنه إنما رأى جبريل، واختلف عنهما. وقال بإنكار

(١) هو مسروق بن عبد الرحمن الهمداني من أهل الكوفة كنيته أبو عائشة، وهو الذي يقال له مسروق بن الأجدع، أحد الأعلام، عن الشعبي قال: « ما علمت أطلب منه للعلم، كان أعلم بالفتيا من شريح » وقالت زوجة مسروق: كان يصلي حتى تورم قدماه (ت: ٦٣). ينظر: الثقات: (٤٥٦/٥)، والكاشف: (٢٥٦/٢)، وتقريب التهذيب: (٥٢٨).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء: (١٥٩/١) برقم (١٧٧).

هذا وامتناع رؤيته جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس: أنه رآه بعينه؛ هذا هو المشهور عنه، وحجته قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].... وقال عبدالله بن الحارث^(١): اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً رأى ربه مرتين. ثم قال ابن عباس (أتعجبون أن الخلعة تكون لإبراهيم، والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين)^(٢). قال: فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: (إن الله ﷻ قسم رؤيته وكلامه بين محمد ﷺ وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين)^(٣) وقال جماعة منهم أبو العالية^(٤)، والقرظي^(٥)، والربيع بن أنس^(٦): إنه إنما رأى

-
- (١) هو: عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي، كنيته أبو محمد، من فقهاء أهل المدينة، (ت: ٧٩ هـ) قتله السموم ودفن بالأبواء، وقد قيل إنه مات بعمان. ينظر: طبقات ابن سعد: (٥/٢٤)، والثقات: (٥/٩)، والإصابة: (٥/٩)، وتقريب التهذيب: (٢٩٩).
- (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النجم (٥٠٩/٢) برقم: (٣٧٤٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» وأخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] برقم: (١١٥٣٩) وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٧/٦٤٧).
- (٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر النبي الكليم موسى بن عمران وأخيه هارون بن عمران: (٢/٦٢٩) برقم: (٤٠٩٩)، وأخرجه الترمذي في سننه باب ومن سورة النجم: (٥/٣٩٤) برقم: (٣٢٧٨)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٧/٦٤٧).
- (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٧/٤٨)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن المنذر، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٧/٦٤٨).
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٠/٣٣١٩) وعزاه السيوطي إليه وإلى عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٧/٦٤٨).
- (٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٧/٤٩).



ربه بقلبه وفؤاده. وحكي عن ابن عباس أيضاً^(١)، وعكرمة.

وقال أبو عمر^(٢): قال أحمد بن حنبل^(٣): رآه بقلبه، وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالإبصار. وعن مالك ابن أنس قال: لم ير في الدنيا؛ لأنه باق، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية، رأوا الباقي بالباقي^(٤).»

قال القاضي عياض^(٥): وهذا كلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده، وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه^(٦).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٨/٢٧)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى: (٤٧٢/٦) برقم: (١١٥٣٥) وعزاه السيوطي إليهما وإلى مسلم، وأحمد، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات كما في الدر المنثور (٦٤٦/٧).

(٢) هو: أبو عمر الطلمنكي، وهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى لب بن يحيى المعافري الأندلسي المقرئ الحافظ نزيل قرطبة، وكان رأساً في علم القرآن: قراءته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ومعانيه، رأساً في معرفة الحديث وطرقه حافظاً للسنن، ذا عناية بالآثار والسنة. ينظر: معرفة القراء الكبار: (٣٨٥/١)، وطبقات المفسرين: (٢٩/١).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد أبو عبدالله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة، وتوفي يوم الجمعة ارتفاع النهار ودفن بعد العصر وحضره خلق كثير من أهل بغداد (ت: ٢٤١هـ)، وله سبع وسبعون سنة. ينظر: طبقات ابن سعد: (٣٥٤/٧)، والثقات: (١٨/٨)، والكاشف: (٢٠٢/١)، وتقريب التهذيب: (٨٤).

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري: (٣٠٢/٨)، وفي تاريخ مدينة دمشق: (٩٠/٥٦).

(٥) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الإمام العلامة يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل، كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه عالماً بالتفسير وجميع علومه فقيهاً أصولياً عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم ولي قضاء سبتة ثم غرناطة مات ليلة الجمعة (٥٤٤هـ) بمراكش. ينظر: طبقات الحفاظ: (٤٧٠/١)، والديباج المذهب: (١٦٨/١).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤٨٣/٨).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول من قال: إنه لم يرا ربه ببصره ورآه بقلبه، وهو قول أكثر السلف كأبي بن كعب، وابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم ^(١).

واستدلوا بما يلي:

أولاً: بالأحاديث النبوية ومنها ما تقدم ذكره من حديث مسروق.

وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: (نور أنى أراه) ^(١)، وحديث: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) ^(٢)

ثانياً: قول أكثر السلف فقد روي عن ابن عباس في قوله: ﴿مَّا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ آية ١١ ﴿أَفْتَمَرْتُمُوهُ، عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ آية ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ آية ١٣ [النجم: ١١-١٣] قال: رأى محمد ربه بقلبه مرتين).

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٥١ / ٣)، والطبري في جامع البيان: (٤٨ / ٢٧)، وعزاه السيوطي إليها كما في الدر المنثور: (٦٤٦ / ٧).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب في قوله صلى الله عليه وسلم نور أنى أراه: (١٦١ / ١) برقم (١٧٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٣١٩ / ١٠) وعزاه السيوطي إليها وإلى عبد بن حميد وابن المنذر، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٦٤٩ / ٧).

قال الزركشي في الإجابة لما استدركت عائشة: (٩٧ / ١) « وهو مصرح بنفي الرؤية؛ إذ لو أراد الإثبات لقال: نعم ورأيته ونحو ذلك » وأما تأويل بعض العلماء على أن أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات؟ قال ابن كثير: وهذا ضعيف جداً فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء، ولم يثبت لها الرؤية والله أعلم. ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢٥٣ / ٤).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عبادة بن الصامت: (٣٢٤ / ٥) برقم: (٢٢٨١٦)، وأخرجه البزار في مسنده من حديث عبادة بن الصامت أيضاً: (١٢٩ / ٧)، برقم: (٢٦٨١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنه رآه بعينه، هذا من رواية أخرى لابن عباس، والحسن، والربيع، وهو ما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه، وأحمد بن حنبل^(١).

وحجتهم:

أولاً: بظاهر الآية في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

ثانياً: المروي عن ابن عباس قال ﷺ: (رأيت ربي ﷻ) ورواية أخرى عنه أنه قال: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ، صلوات الله عليهم أجمعين).

ومما قيل اعتراضاً على أدلتهم:

أولاً: ما احتجوا به من الآية الكريمة فقد بينها بعض السلف كأبي بن كعب قال: قالوا يا رسول الله، رأيت ربك؟ قال: (رأيت بفضوادي مرتين ثم قرأ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] وفي رواية أخرى عن ابن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: لم أره بعيني ورأيت بفضوادي مرتين، ثم تلا ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَىٰ﴾ [النجم: ٨]^(١) وقد فسرها جل المفسرين على ما بينته عائشة رضي الله عنها في الحديث من أنه رؤية جبريل عليه السلام^(٢).

(١) حكى عبدالرزاق أن الحسن: كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٤/٢٥١) .٠

(٣) ينظر: الكشف والبيان: (٩/١٤٢)، وتفسير السمعاني: (٥/٢٨٩)، والمحزر الوجيز: (٥/١٩٧)، ومعالم التنزيل: (٤/٢٤٧) والتسهيل لعلوم التنزيل: (٤/٧٦)، وتفسير القرآن العظيم: (٤/٢٥٢) وتيسير الكريم الرحمن: (١/٨١٩) .٠



ثانياً: أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح، لكنه مختصر من حديث المنام^(١)، وما جاء من روايات أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه فقد قال الحافظ ابن حجر: «جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها؛ فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس قوله: (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد رضي الله عنه).. ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾^(١١) ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾^(١٢) ﴿لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ﴾^(١٣) قال: (رأى ربه بفؤاده مرتين) وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضاً عن ابن عباس قال: (لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه إنما رآه بقلبه)... وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب^(١)»

وعند النظر والتأمل فيما سبق يتبين أن الأرجح ما ذهب إليه القرطبي فهو الذي صحت به الأحاديث والأخبار وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، "فتفسيرهم حجة وهو مقدم على غيره"^(١). قال ابن تيمية: «قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون

(١) كما رواه الإمام أحمد أيضاً (١٣٦٨) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتاني ربي الليلة في أحسن صورة، أحسبه يعني في النوم، فقال يا محمد؟ أتدري فيم يختصم الملائة الأعلى قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، ثم قال يا محمد: هل تدري فيم يختصم الملائة الأعلى؟ قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات، قال: وما الكفارات؟ قال: قلت المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي- على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، من فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. وقال: قل يا محمد، إذا صليت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون، قال: والدرجات بذل الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام).

(٢) فتح الباري: (٦٠٨/٨).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٨٨/١).



في هذه المسألة وما تلقوه فيها قريبا من مئة مصنف فلم أجد أحدا يروي بإسناد ثابت، ولا صحيح، ولا عن صاحب، ولا عن إمام أنه رآه بعين رأسه، قال: فالواجب إتباع ما كان عليه السلف والأئمة وهو إثبات مطلق الرؤية أو رؤية مقيدة بالفؤاد وقال لم يثبت عن الإمام أحمد التصريح بأنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه^(١)، قال الكرمي^(٢): « وابن تيمية أعلم بنقول أحمد وغيره من النقاش، وأحمد أجل من أن يكون عنده من عدم السكينة ما يتكلم بمثل هذا حتى ينقطع نفسه، إنما هي حكايات المجازفين في النقول عن الأئمة فتأمل، وصاحب البيت أدري، وكم للناس من مجازفات في المنقول والمعقول، والمرجع في ذلك إنما هو لأقوال المحققين والعلماء الراسخين والأئمة الربانيين^(٣) »

والقاعدة الترجيحية تؤيد هذا: " فإذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره " ^(٤). والله أعلم.



-
- (١) نقله عنه الكرمي. ينظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات: (١/١٩٦) ولم أقف على هذا النص في كتب الشيخ، ولعله من مخطوطاته المفقودة.
- (٢) هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي نسبة لطولكرم قرية بقرب نابلس ثم المقدسي، أحد أكابر علماء المذهب الحنبلي بمصر. (ت: ١٠٣٣هـ) له من التصانيف الكثير منها دليل الطالب، وضوء النيرين لفهم تفسير الجلالين، وشرحا على الكافي في العروض والقوافي. ينظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: (١/٤٤٢).
- (٣) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات: (١/١٩٧).
- (٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٩١).



قال تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأعام: ١٠٤]

٦٥- مسألة: المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ وهل هي

منسوخة؟

قال القرطبي ~ : « ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: لم أؤمر بحفظكم عن أن تهلكوا أنفسكم.

وقيل: أي: لا أحفظكم من عذاب الله.

وقيل: " بحفيظ " بـ رقيب؛ أحصى- عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي، وهو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أفعالكم. قال الزجاج: «نزل هذا قبل فرض القتال، ثم أمر أن يمنعهم بالسيف من عبادة الأوثان»^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن مراد قوله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي لست مأموراً أن أحفظكم من هلاك أنفسكم، ولست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا كان ابتداء قبل ظهور الإسلام، وقبل الأمر بالقتال وهي تتضمن ترك قتال الكفار^(١)، وعليه قالوا أن الآية منسوخة بآية السيف^(٢).

وقد وافق القرطبي في اختياره لهذا المعنى قول الزجاج^(١)، والسمرقندي^(١)

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٨٦).

(٣) ينظر: نواسخ القرآن: (٣٢٧).

(٤) وهي قوله ﴿فَأَقْضُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ سَاءَ﴾.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٩).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٣).



والنحاس^(١)، والمقريء^(٢)، وابن حزم^(٣)، والسمعاني^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، وابن عطية^(٦)، ووافقهم الكرمي^(٧).

وقيل اعتراضا عليه:

أن الأصل عدم النسخ. قال الفخر الرازي: « ومنهم من يقول آية القتال ناسخة لهذه الآية، وهو بعيد فكأن هؤلاء المفسرين مشغوفون بتكثير النسخ من غير حاجة إليه، والحق ما يقرره أصحاب أصول الفقه: إن الأصل عدم النسخ، فوجب السعي في تقليده بقدر الإمكان^(٨) ».

(١) ينظر: إعراب القرآن: (٨٨/٢).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري: (٨٦/١).

وهو: هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم، الضرير المقرئ المفسر النحوي البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد، صنف كتاب الناسخ والمنسوخ والمسائل المثورة في النحو والتفسير، (ت: ٤١٠ هـ) في رجب. ينظر: تاريخ بغداد: (٧٠/١٤)، ومعجم الأدباء: (٥٨٨/٥).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن حزم: (٣٧/١).

وهو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن حرب الأموي الإمام الحافظ العلامة أبو محمد الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي، (م: ٣٨٤ هـ وت: ٤٥٦ هـ) ينظر: الوافي بالوفيات: (٩٣/٢٠).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١٣٣/٢).

(٥) ينظر: زاد المسير: (٩٩/٣) وذكر ابن الجوزي القولين، ولم يختَر منهما في المصنف من علم الناسخ والمنسوخ: (٣٢/١)، ونواسخ القرآن: (٣٢٨).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (١٢٤/٦).

(٧) ينظر: الناسخ والمنسوخ للكرمي: (١٠٦/١).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣٤/١٣).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد وما أنا برفيق أحصي أعمالكم، وإنما أنا منذر لكم، وعلى هذا القول فالآية محكمة، لا نسخ فيها، وقال بهذا الطبري^(١)، والثعلبي^(٢)، والواحدي^(٣)، والبغوي^(٤)، والفخر الرازي^(٥)، ووافقهم البيضاوي^(٦)، والنسفي^(٧)، ونظام الدين النيسابوري^(٨)، وابن كثير^(٩)، وابن عادل^(١٠)، وأبو السعود^(١١)، والشوكاني^(١٢)، والآلوسي^(١٣)، والقاسمي^(١٤)، ومحمد رشيد رضا^(١٥)، والسعدي^(١٦).

- (١) ينظر: جامع البيان: (٣٠٥ / ٧).
- (٢) ينظر: الكشف والبيان: (١٧٧ / ٤).
- (٣) ينظر: الوجيز: (٣٦٩ / ١).
- (٤) ينظر: معالم التنزيل: (٥١ / ٢).
- (٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣٤ / ١٣).
- (٦) ينظر: أنوار التنزيل: (٣١٥ / ١).
- (٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٢٧ / ٢).
- (٨) ينظر: غرائب القرآن: (١٤٠ / ٣).
- (٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٦٨ / ٢).
- (١٠) ينظر: اللباب: (٣٥٤ / ٨).
- (١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٨٩ / ٢).
- (١٢) ينظر: فتح القدير: (١٤٩ / ٢).
- (١٣) ينظر: روح المعاني: (٢٤٩ / ٧).
- (١٤) ينظر: محاسن التأويل: (٦٧١ / ٦).
- (١٥) ينظر: تفسير المنار: (٦٥٨ / ٧).
- (١٦) ينظر: تيسير الكريم المنان: (٢٦٨).



وهذا هو القول الأرجح وهو الأولى بالصواب، فالآية محكمة ولا يصح دعوى
النسخ في آية من كتاب الله تعالى إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها
من كل وجه^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٧١).



قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

[الأناج: ١٠٥]

٦٦- نوع اللام، ومقصودها في قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ الواو للعطف على مضمرة؛ أي نصرّف الآيات لتقوم الحجة وليقولوا درست.

وقيل: أي: وليقولوا درست صرفناها، فهي لام الصيرورة. وقال الزجاج: هذا كما تقول كتب فلان هذا الكتاب لحتفه؛ أي آل أمره إلى ذلك. وكذا لما صُرفت الآيات؛ آل أمرهم إلى أن قالوا: درست وتعلمت من جبر ويسار، وكانا غلامين نصرانيين بمكة، فقال أهل مكة: إنما يتعلم منها^(١) »^(٢).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن اللام هنا لام كي " أي لام التعليل " وعلى هذا يكون المعنى: وكذلك نصرّف الآيات كي تلزمهم الحجة، وليقولوا درست علينا، فحذف المعطوف عليه لوضوح معناه^(١)، وقد وافق بهذا رأي النحاس^(٢).

حجتهم:

أن هذا المعنى حقيقي. قال النحاس: « وفي المعنى قول آخر حسن، وهو أن يكون معنى ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نأتي بها آية بعد آية ليقولوا درست علينا فيذكرون الأول

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٧٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٨٧).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٣٥).

(٤) ينظر إعراب القرآن: (٢/٨٨)، ومعاني القرآن: (١/٣٤٦).

بالآخر^(١)، فهذا حقيقة، والذي قاله أبو إسحاق مجاز^(٢).

كما أن هذا يؤيده نظير في القرآن. قال أبو حيان: «وقد حملة بعضهم على أن اللام لام كي حقيقة، فقال المعنى: تصريف هذه الدلائل، حالاً بعد حال، ليَقُول بعضهم دارست، فيزدادوا كفراً على كفر، وتنبيه لبعضهم فيزدادوا إيماناً على إيمان، ونظيره: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقوله ﷺ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٣).

ومما يعترض على هذا:

أنه لا يناسب مقام الآية الكريمة. قال ابن عاشور: «إن قول المشركين للرسول ﷺ درست لا يناسب أن يكون علة لتصريف الآيات»^(٤). وقال محمد رشيد رضا: «فليس معنى يضل به كثيراً أن الإضلال من المقاصد التي أنزل لأجلها، أو التي من شأن القرآن في نفسه أن يكون علة وسبباً لها، وإنما معناه أنه يترتب على وجوده إعراض فاسدي الفطرة عنه، وضلالهم بسبب الكفر به، فهو بمعنى العاقبة التي تترتب على إنزاله كما يترتب على جميع المنافع التي خلقها الله تعالى للناس في الأنفس والآفاق مضار كثيرة من سوء الاستعمال»^(٥).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن اللام هنا للصيرورة والعاقبة، وعليه يكون المعنى: أي ليكون عاقبة أمرهم أن يقول الراسخون في الشرك مثل هذا القول مكابرة وعناداً، وجحوداً

(١) أي يجعلون كلا اللامين في الأولى قوله ﴿وَلِيَقُولُوا﴾، والثانية ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ كلاهما لا ما تعليل.

(٢) ينظر إعراب القرآن: (٨٨/٢).

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط: (٢٠١/٤).

(٤) التحرير والتنوير: (٢٥٧/٦).

(٥) تفسير المنار: (٦٥٩/٧).



والحاداً^(١)، وقال بهذا الزجاج^(٢)، والواحدي^(٣)، والسمعاني^(٤)، وابن الأنباري^(٥)،
وابن عطيه^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، والبيضاوي^(٨) والنسفي^(٩)، والثعالبي^(١٠)، وأبو
السعود^(١١)، والآلوسي^(١٢)، ومحمد رشيد رضا^(١٣)، والطاهر بن عاشور^(١٤).

حجتهم:

النظير القرآني: فهذا كقوله ﷻ ﴿فَالنَّقْطَةُءِءَالْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾
[القصص: ٨] وهم لم يلتقطوه للعداوة، وإنما التقطوه ليصير لهم قررة عين، ولكن صارت
عاقبة أمرهم إلى العداوة، وكذلك الآيات صرفت للتبيين، ولم تصرف ليقولوا درست،
ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين، فُشِبَ به^(١٥).

- (١) ينظر: تفسير المنار: (٦٥٩/٧).
- (٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٧٩/٢).
- (٣) ينظر: الوجيز: (٣٦٩/١).
- (٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١٣٣/٢).
- (٥) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (٣٣٤/١).
- (٦) ينظر: المحرر الوجيز: (١٢٤/٦).
- (٧) ينظر: زاد المسير: (١٠٠/٣).
- (٨) ينظر: أنوار التنزيل: (٣١٥/١).
- (٩) ينظر: مدارك التنزيل: (٢٧/٢).
- (١٠) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٤٩/١).
- (١١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٨٩/٢).
- (١٢) ينظر: روح المعاني: (١٥٤/٧).
- (١٣) ينظر: تفسير المنار: (٦٥٩/٧).
- (١٤) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٥٧/٦).
- (١٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٢٧/٢)، محاسن التأويل: (٦٧٤/٦)، وتيسير الكريم الرحمن: (٢٦٨).



القول الثالث: قيل اللام لام الأمر. وانفرد أبو حيان^(١) - بحسب اطلاعي - بهذا الرأي.

واحتجوا: بالقراءة الشاذة بسكون اللام، كأنه قيل: " وكذلك نصرّف الآيات وليقولوا هم كما يقولون؛ فإنهم لا احتفال بهم، ولا اعتداد بقولهم، وهو أمر معناه الوعيد والتهديد، وعدم الاكتراث. قال أبو حيان: « ولا يتعين ما ذكره المُعَرَّبون والمفسرون من أن اللام في ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ لام كي أو لام الصيرورة، بل الظاهر أنها لام الأمر، والفعل مجزوم بها لا منصوب بإضمار أن، ويؤيده قراءة من سَكَن اللام، والمعنى عليه متمكن كأنه قيل ومثل ذلك نصرّف الآيات، وليقولوا هم ما يقولون من كونك درستها وتعلمتها أو دَرَسْتَ هي، أي: بليت وقدمت فإنه لا يحفل بهم ولا يلتفت إلى قولهم، وهو أمر معناه الوعيد بالتهديد، وعدم الاكتراث بهم وبما يقولون في الآيات، أي: نصرّفها ليدعوا فيها ما شاءوا فلا اكتراث بدعواهم^(٢).

ويعترض عليه بما يلي:

أولاً: أن السياق بعده ياباه. قال السمين الحلبي: « وفيه نظر من حيث إن المعنى على ما قاله الناس وفهموه، وأيضاً فإنَّ بعده ﴿وَلِيُنَبِّئَهُ﴾ هو نصٌّ في لام كي^(٣).
ثانياً: أن القراءة بتسكين اللام قراءة شاذة^(٤). قال السمين الحلبي: « وأما تسكين اللام في القراءة الشاذة، فلا يدلُّ لاحتمال أن تكون لام كي سُكِّنت إجراءً للكلمة مُجْرَى كَتِفٍ وَكَبِدٍ^(٥).

(١) ينظر: تفسير البحر المحيط: (٤/٢٠١).

(٢) تفسير البحر المحيط: (٤/٢٠١).

(٣) ينظر: الدر المصون: (٣/١٥٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨/٤٨٧).

(٥) ينظر: الدر المصون: (٣/١٥٠).



ومن المفسرين من ذكر ما سبق بلا ترجيح أو اختيار. (١)

وعند النظر والتأمل يتبين أن الأرجح مما سبق أن اللام هنا للصيرورة،
فأنزل الله القرآن وصرف الآيات، وصار عاقبة الأمر أن قالوا درستها. ومما يدل
على أن اللام للصيرورة ما قاله أبو علي الفارسي: "واللام في ليقولوا في قراءة ابن
عامر ومن وافقه بمعنى: لئلا يقولوا أي: صُرِفَت الآيات وأُحْكِمَت لئلا يقولوا هذه
أساطير الأولين قديمة قد بليت وتكررت على الأسباع، واللام على سائر القراءات
لام الصيرورة» (٢). أما كونها لام التعليل فلا يتناسب وهذا المقام والقاعدة
الترجيحية تنص على: " أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية
وسياقها فهو رد" (٣).

قال ابن عاشور: « إن قول المشركين للرّسول ﷺ درست لا يناسب أن يكون علّة
لتصريف الآيات، فتعيّن أن تكون اللام مستعارة لمعنى العاقبة والصيرورة كالتّي في
قوله تعالى: ﴿فَالْفَطَةُ: ءَأَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الفص: ٨]. المعنى. فكان لهم
عدوًّا. وكذلك هنا، أي نصرّف الآيات مثل هذا التصريف الساطع فيحسبونك
اقتبسته بالدراسة والتّعليم فيقولوا: درّست. والمعنى: أنا نصرّف الآيات ونبينها تبييناً
من شأنه أن يصدر من العالم الذي درّس العلم، فيقول المشركون درّست هذا وتلقّيته
من العلماء والكتّاب، لإعراضهم عن النّظر الصّحيح الموصل إلى أن صدور مثل هذا
التّبيين من رجل يعلمونه أمياً لا يكون إلا من قبل وحي من الله إليه، وهذا كقوله:

(١) كالمخشي في الكشاف: (٣٨/٢)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٩٩/١٣)، والقاسمي في محاسن
التأويل: (٦٧٤/٦) والنيسابوري في غرائب القرآن وרגائب الفرقان: (١٤٠/٣)، وابن عادل في
اللباب: (٣٥٥/٨) وقد جوّز العكبري فيها الوجهين: أعني كونها لام العاقبة، أو العلة حقيقة في إملاء
ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: (٢٥٦/١) وكذلك الشوكاني في فتح القدير:
(١٤٩/٢)، والشنقيطي في أضواء البيان: (٣٦٦/١).

(٢) ذكر هذا السمين الحلبي في الدر المصون: (١٥٠/٣)، ولم أجده في الحجة ينظر: (٣٧٤/٣).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣٤٩/٢).



﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وهم قد قالوا ذلك من قَبْل
ويقولونه ويزيدون بمقدار زيادة تصريف الآيات ^(١). والذي يؤكد هذا القول
النظير القرآني، والقاعدة الترجيحية تبين هذا وهي: " القول الذي تؤيده آيات
قرآنية مقدم على غيره ^(٢) " والله أعلم.



(١) التحرير والتنوير: (٢٥٧/٦٥).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).



قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

٦٧- مسألة: المراد بقوله: ﴿شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾

قال القرطبي ~ : « قال النحاس: وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً بإسناد ضعيف أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قال: مع كل جني شيطان، ومع كل إنسي شيطان، فيلقى أحدهما الآخر فيقول: إني قد أضللت صاحبي بكذا، فأضل صاحبك بمثله. ويقول الآخر مثل ذلك؛ فهذا وحي بعضهم إلى بعض ^(١). وقاله عكرمة والضحاك والسدي والكلبي ^(٢).

قال النحاس: والقول الأول ^(٣) يدل عليه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] فهذا بين معنى ذلك. قلت: ويدل عليه من صحيح السنة قوله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير) ^(٤)....

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٧١)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣ / ٣٤٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨ / ٥)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٧١).

(٣) يقصد بالقول الأول ما ذكره النحاس قبل خبر ابن عباس: وهو أن من الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، أخذاً من أن معنى شيطان: متمرد في معاصي الله تعالى لا حق ضرره بغيره؛ فإذا كان هكذا فهو شيطان، سواء كان من الإنس، أو من الجن، وهذا الذي لم يذكره المصنف - وهو اختياره وعقب عليه بالحديث المذكور -، وإنما ذكر القول الثاني: وهو ما روي عن ابن عباس وغيره. ينظر: إعراب القرآن: (٢ / ٩١).

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبَعَثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا من حديث عبدالله بن مسعود (٤ / ٢١٦٦) برقم: (٢٨١٤).



وروى عوف بن مالك^(١) عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟) قال: قلت: يا رسول الله! وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم، هم شر من شياطين الجن^(٢) «...»^(٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بقوله: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ هم: مردة الإنس والجن، أي أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين، وإن الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن ذهب إلى متمرّد من الإنس، وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه.

وقد وافق القرطبي في اختياره المروي عن مجاهد وقتادة^(٤) وبه قال الطبري^(٥)، والنحاس^(٦)، والواحدي^(٧)، والسمعاني^(٨)، والبغوي^(٩)

(١) عوف بن مالك الأشجعي، أبو حماد ويقال غير ذلك، صحابي مشهور من مسلمة الفتح، وكان من نبلاء الصحابة وله جماعة أحاديث، وسكن دمشق (ت: ٧٣ هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (٤٨٧/٢)، وتقريب التهذيب: (٤٣٣).

(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: (١٧٨/٥) برقم: (٢١٥٨٦)، والنسائي في السنن الكبرى: (٤٦١/٤) باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس، برقم: (٧٩٤٤). وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف سنن النسائي (١٨٣)، وقال: "ضعيف الإسناد". وللحديث طرق متعددة لا تحلو من ضعف إلا أن بعضها قد يتقوى ببعض، والله أعلم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٥٠١/٨).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢٠٩/١)، والطبري في جامع البيان: (٥/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٧١)، وعزا السيوطي رواية قتادة إلى عبدالرزاق، وابن المنذر، ورواية مجاهد إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو نصر السجزي في الإبانة، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣٤٢/٣).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٥/٨).

(٦) ينظر: إعراب القرآن: (٩١/٢).

(٧) ينظر: الوجيز: (٣٧١/١).

(٨) ينظر: تفسير السمعي: (١٣٥/٢).

(٩) ينظر: معالم التنزيل: (٥٦/٢).



والزخشي (١)، وابن عطيه (٢)، ووافقههم البيضاوي (٣)، وابن جزري الكلبي (٤)، وأبو حيان (٥)، وابن كثير (٦)، والثعالبي (٧)، وأبو السعود (٨)، والشوكاني (٩)، والآلوسي (١٠)، ومحمد رشيد رضا (١١)، والشنقيطي (١٢)، وهو قول جمهور المفسرين (١٣).

واستدل القائلون بهذا:

أولاً: أن الله تعالى أخبر في كتابه عن هؤلاء المتمردين فقال ﷺ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ﴾، وقال في حق المتمردين من الإنس: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾

ثانياً: الحديث المتقدم عن أبي ذر رضي الله عنه. قال الشنقيطي: « وحديث أبي ذر هذا جاء من طرق متعددة، لا يخلو بعضها من مقال، إلا أن مجموعها يقوي بعضها بعضاً، ويدل على أن الحديث له قوة وأصل. وعلى هذا القول فأعداء الرسل شياطين على نوعين من العتاة الكفرة من الإنس، وشياطين عتاة كفرة من الجن، كلهم أعداء

(١) ينظر: الكشاف: (٢/٤٥).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٢).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: (١/١٣٧).

(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٩).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٠٩).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٣).

(٧) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٠٧).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٩٥).

(٩) ينظر: فتح القدير: (٢/١٥٣).

(١٠) ينظر: روح المعاني: (٨/٥).

(١١) ينظر: تفسير المنار: (٨/٥).

(١٢) ينظر: العذب النمير: (٢/١٤٦).

(١٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٢).

الرسول، وهذا القول الصحيح»^(١).

ثالثاً: المعروف من كلام العرب أن الشيطان، مشتق من الشطن، وهو البعد، يقال: شطن دارك أي: بعد، فلا جرم سمي كل عات متمرّد من جن وإنس ودابة شيطاناً لبعدته من الرشاد والسداد، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فجعل من الإنس شياطين^(٢).

رابعاً: أن مقصود الآية الكريمة: الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الأعداء وهم الشياطين، فكما كان هذا في الأمم السابقة مع أنبيائهم - عليهم السلام - فكذلك معك يا محمد، وفي هذا تسلية له ﷺ عما كان يلقاه من أذى أعدائه الكفرة^(٣).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد الشياطين التي مع الإنس، والشياطين التي مع الجن، وأن الجميع من "ولد إبليس". فالشياطين التي تضل الإنس وشياطين الجن الذين يضلون الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما إني أضللت صاحبي بكذا وكذا وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضاً^(٤). وهذا المروي عن السدي وعكرمة^(٥)، واختاره مقاتل^(٦)، والفراء^(٧)، والسمرقندي^(٨).

(١) العذب النمير: (١٤٦/٢).

(٢) ينظر: مادة شطن في مقاييس اللغة: (١٨٤/٣)، ولسان العرب: (٢٣٨/١)، ومفردات ألفاظ القرآن: (٤٥٤)، مفاتيح الغيب: (٦١/١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٦١/١٣)، وتفسير المنار: (٥/٨).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٥/٨).

(٥) ينظر: زاد المسير: (٩١/٣).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٦٦/١).

(٧) ينظر: معاني القرآن: (٣٥١/١).

(٨) ينظر: بحر العلوم: (٤٧٦/١).



واحتجوا:

أولاً: بالأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما المتقدم ذكره.

ثانياً: أن لفظ الآية يقتضي إضافة الشياطين إلى الإنس والجن، والإضافة تقتضي-
المغايرة، وعلى هذا التقدير فالشياطين نوع مغاير للجن، وهم أولاد إبليس
وقيل اعتراضاً عليه:

بأن الأثر الذي استدلوا به ضعيف كما بين ذلك النحاس.

كما أنهم في حصرهم للعدو أنه من ولد إبليس فقط لا يستند إلى خبر ولا نظر كما
قال ابن عطية ^(١).

وقال الطبري: « إن هذا التأويل ليس له وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس
وولده أعداء ابن آدم فكل ولده لكل ولده عدو ^(٢)»
ومن المفسرين من ذكر ما سبق بلا ترجيح ^(٣).

يتبين مما سبق أن ما اختاره القرطبي هو الأرجح لقوة أدلتهم، وعليه
تنطبق جملة من القواعد الترجيحية:

قاعدة: " القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره ^(٤)، "

وقاعدة: " إذا ثبت الحديث وكان في معنى تفسير الآية فلا يصار إلى
غيره ^(٥) . "

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٢).

(٢) جامع البيان: (٤/٨).

(٣) كالعز بن عبدالسلام في تفسيره: (١/٤٥٧)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٥٨) والرازي في
مفاتيح الغيب: (١٣/١٥٤)، وابن عادل في اللباب: (٨/٣٨٧).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٨٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/١٩١).



وقاعدة: " كلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على المعروف من كلام العرب
ومعهود استعمالهم ولا يخرج عنه ^(١) ". والله أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (١/٣٦٩).



قال تعالى ﴿وَلِنَصِّغَنَّ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأعام: ١١٣]

٦٨- مسألة في نوع اللام عند قوله تعالى: ﴿وَلِنَصِّغَنَّ﴾

قال القرطبي ~ : « واللام في ﴿وَلِنَصِّغَنَّ﴾ لام كي، والعامل فيها: "يُوحِي" تقديره: يُوحِي بعضهم إلى بعض ليغزوهم ولتصغى، وزعم بعضهم أنها لام الأمر، وهو غلط؛ لأنه كان يجب: "ولتصغ إليه" بحذف الألف، وإنما هي لام كي وكذلك ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ [الأعام: ١١٣] إلا أن الحسن قرأ: "وليرضوه، وليقترفوا: بإسكان اللام، جعلها لام أمر فيه معنى التهديد، كما يقال: افعل ما شئت «^(١).

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن اللام لام كي، والفعل بعدها منصوبٌ بإضمار أن. ويتعلق يُوحِي على أنها نسقٌ على "غروراً"، وغروراً مفعول له، والتقدير: يُوحِي بعضهم إلى بعضٍ للغرور وللصَّغُو، وقد وافق القرطبي في ترجيحه النحاس^(١)، وابن عطية^(٢)، وابن الأنباري^(٣)، ووافقهم أبو حيان^(٤)، وابن القيم^(٥)، وابن عادل^(٦)، وأبو السعود^(٧)

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٨/٥٠٤).

(٢) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٩٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٤).

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (١/٣٣٦).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢١٠).

(٦) ينظر: شفاء الغليل: (١٩٣).

(٧) ينظر: اللباب: (٨/٣٨٧).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٩٦).

والثعالبي^(١)، والشوكاني^(٢)، والطاهر بن عاشور^(٣).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أنها لام الصيرورة والتي يعبرون عنها بلام العاقبة، وجوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً، على أن اللام لام الصيرورة^(٤)، وبهذا قال السمعاني^(٥)، والزنجشيري^(٦)، وابن جزري الكلبى^(٧).

وقيل اعتراضاً على هذا القول:

أن حملها على لام العاقبة مجاز. قال الفخر الرازي: «يقال هذه اللام لام العاقبة فهذا ضعيف، لأنهم أجمعوا على أن هذا مجاز وحمله على "كي" حقيقة فكان قولنا أولى»^(٨).

القول الثالث: أنها لام القسم إلا أنها كسرت لأنه لم يؤكد الفعل بالنون، قاله أبو البقاء^(٩).

وعقب السمين الحلبي بقوله: «وما قاله أبو البقاء غير معروف، بل المعروف في هذا القول: أن هذه لام كي»^(١٠).

(١) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٠٧).

(٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١٥٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: (٧/٩).

(٤) ينظر: الكشاف: (٢/٤٥)، والدر المصون: (٥/١١٧).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٣٧).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/٤٥).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/١٩).

(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٥٧).

(٩) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (١/٢٥٨).

(١٠) الدر المصون: (٣/١٦٢).

القول الرابع: أنها لام الأمر، ولم أر - حسب علمي - أحداً قال به.

وهو ضعيف من وجهين:

- ١ - لجزمت الفعل أي يصبح لفظه، ولتصغ، وهذا غير مشهور عند النحاة.
- ٢ - لو كانت لام أمر يجب حذف الألف، وهذا يخالف رسم المصحف، والقاعدة الترجيحية تنص على " أن الوجه الإعرابي والتفسيري الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له " ^(١).

وعند النظر والتأمل يتبين رجحان القول الأول وهو أن اللام لام كي وهو ما رجحه القرطبي، قال أبو السعود: « واللام علة لفعل محذوف يدل عليه المقام أي: ولكون ذلك جعلنا ما جعلنا، والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة، أو لام القسم، أو لام الأمر وضعفه في غاية الظهور » ^(٢)، وعلى أن اللام لام كي جمهور المفسرين، والقاعدة الترجيحية تقرر هذا وهي " أن تفسير الجمهور مقدم على كل تفسير ^(٣) والله أعلم.

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١١٠).

(٢) إرشاد العقل السليم: (٢/١٩٦).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٨٨).



قال تعالى ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٦٩- مسألة: في المراد بالذين أوتوا الكتاب في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾.

قال القرطبي ~ : « وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يريد اليهود والنصارى.
وقيل: من أسلم منهم كسلمان، وصهيب^(١)، وعبدالله بن سلام.
وقال عطاء: الذين آتيناهم الكتاب هم رؤساء أصحاب محمد ﷺ: أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي ﷺ^(٢)»^(٣)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، وهذا المروي عن قتادة^(٤)، وبه قال الواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، ووافقهم البيضاوي^(٧).

(١) هو: صهيب بن سنان أبو يحيى الرومي، أصله من النمر، يقال كان اسمه عبدالملك، وصهيب لقب، صحابي شهير (ت: ٨٨ هـ). ينظر: الاستيعاب: (٧٢٦/٢)، وسير أعلام النبلاء: (١٧/٢)، وتقريب التهذيب: (٢٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (١٨٣/٤)، والبغوي في معالم التنزيل: (٥٧/٢) وابن الجوزي في زاد المسير: (١١٠/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٥/٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٧٤/٤).

(٥) ينظر: الوجيز: (٣٧٢/١).

(٦) ينظر: تفسير السمعي: (١٣٨/٢).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: (٣١٧/١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد علماء اليهود والنصارى، ممن أسلم وآمن منهم كسلمان الفارسي، وعبدالله بن سلام وبهذا قال السمرقندي^(١)، والثعلبي^(٢)، البغوي^(٣)، وابن عطية^(٤)، والنسفي^(٥) وأبو حيان^(٦)، وابن عادل^(٧)، وأبو السعود^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩).

ولا تعارض بين القولين السابقين، وما بينهما هو عموم وخصوص؛ فإنه سبحانه ذكر الذين آتيناهم الكتاب، ثم خصصه بعلمائهم وأخبارهم، قال ابن عطية: «ووصفه أهل الكتاب بالعلم، عموم بمعنى الخصوص، وإنما يريد علماءهم وأخبارهم»^(١٠).

والدليل على هذا ما جاء في ظاهر القرآن: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: هم علماءهم ممن آمن وأسلم^(١١) وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الفصل: ٥٢] أنه منزل من الله تعالى، وذلك أن في كتبهم بشارات بالنبى ﷺ لم تكن تخفى على علمائهم في زمنه ﷺ^(١٢).

(١) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٧٧).

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٨٣).

(٣) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٥٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٥).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٠).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢١٢).

(٧) ينظر: اللباب: (٨/٣٩٤).

(٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/١٩٧).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (٨/١١).

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٥).

(١١) ينظر: جامع البيان: (١/٥١٨)، وأنوار التنزيل: (١/٣٩٣).

(١٢) ينظر: تفسير المنار: (٨/١١).

القول الثالث:

أنهم رؤساء أصحاب النبي ﷺ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ أجمعين، ولم أر -بحسب علمي - أحداً قال به.

ومما قيل اعتراضاً عليه:

أولاً: أن المعروف في القرآن من أن الذين أوتوا الكتاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقد جاء هذا في أكثر من آية في كتاب الله قال ﷺ: ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [النكبوت: ٤٧]، وقال ﷺ في هذه السورة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠].

ثانياً يابى هذا القول السياق القرآني للآية فإنه جاء بعدها ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] وهم علماءهم لما لهم من سوابق العلم بالكتب الإلهية، وأنه منزل من ربك بالحق، كما أن أصحاب رسول الله ﷺ مؤمنون بالكتاب، وموقنون بنزوله، وخطابهم بالذين يعلمون لا يتلاءم وحالهم^(١).

وإذا ثبت ضعف هذا القول لأنه غير لائق بالسياق من دلالة ألفاظ الآية كما بيناه، فإن القاعدة الترجيحية المعتبرة تنص على: "أن كل تفسير ليس مأخوذاً من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد"^(٢)، والأرجح هو ما قدمناه من الجمع بين القولين، فهو الذي تؤيده آيات قرآنية، والقاعدة تنص على أن "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٣) "والله أعلم.

(١) ينظر: نظم الدرر: (٢٣٦/٧).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣٤٩/٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (٣١٢/١).



قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

[الأعام: ١١٥]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٧٠ - مسألة: المقصود بـ "كلمة ربك" في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

صِدْقًا﴾.

قال القرطبي ~ : « قال ابن عباس رضي الله عنه: مواعيد ربك، فلا مغير لها ^(١). والكلمات ترجع إلى العبارات أو إلى المتعلقات من الوعد والوعيد وغيرهما.

قال قتادة: الكلمات هي القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون ^(١)». ^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالكلمات: العبارات المتعلقة بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وقضائه وقدره، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه، والسمرقندي ^(١)، والسمعاني ^(١)، والبغوي ^(١)، والزخشي ^(١)، وابن عطية ^(١). ووافقهم البيضاوي ^(١).

(١) ذكره الواحدي في الوسيط: (٢/ ٣١٤)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/ ١١١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/ ١٣٧٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٤٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٦).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (١/ ٤٧٧).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (٢/ ١٣٨).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٢/ ٥٧).

(٧) ينظر: الكشاف: (٢/ ٤٦).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ١٣٦).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (١/ ٣١٨).



والنسفي^(١)، وأبو حيان^(٢)، والثعالبي^(٣)، والشوكاني^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥)،
والسعدي^(٦).

واحتجوا:

بالنظائر القرآنية والتي يدل عليها سياق الآية. قال محمد رشيد رضا: « فالظاهر المتبادر بقريظة السياق أن الكلمة هنا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود: ١١٩] وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] فمعنى الجملة: وتمت كلمة ربك أيها الرسول فيما وعدك به سبحانه من نصرتك، وما أوعده به المستهزئين بالقرآن المقترحين للآيات المستكبرين عن الإيمان بك من خذلانهم وهلاكهم كما تمت من قبل في الرسل وأعدائهم من قبلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِن جُنَدْنَاهُمْ لَغَالِبُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣] »^(٧).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بالكلمات القرآن، وهذا قول قتادة، وقد جزم به الطبري^(٨)،
والماوردي^(٩)، والآلوسي^(١٠).

(١) ينظر: مدارك التنزيل: (٣٠ / ٢).

(٢) ينظر: البحر المحيط: (٢١٢ / ٤).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٠٧ / ١).

(٤) ينظر: فتح القدير: (١٥٥ / ٢).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (١٢ / ٨).

(٦) ينظر: تيسير الكريم المنان: (٢٧٠).

(٧) تفسير المنار: (١٣ / ٨).

(٨) ينظر: جامع البيان: (٩ / ٨).

(٩) ينظر: النكت والعيون: (١٦٠ / ٢).

(١٠) ينظر: روح المعاني: (١٠ / ٨).

واحتجوا:

بما جاء في لغة العرب: من أن الكلمة تطلق على الجملة، والطائفة من القول كما تقول العرب للقصيد من الشعر يقولها الشاعر: كلمة فلان، وما يقال في الشعر يقال في الخطبة والمقالة من أنها كلمة. فكذلك مجموع القرآن كلمة واحدة في كونه حقاً وصدقاً ومعجزاً^(١). قال الألوسي: «واختير هذا التعبير لما فيه من اللطافة التي لا تخفى على من دقق النظر»^(٢)

وعند النظر والتأمل نجد أنه لا تعارض بين القولين، فالقرآن هو الحق من الكلمات والعبارات المتضمنة الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأحكام والآيات. قال الشنقيطي: «والمعنى أن كلمات الله - ومنها هذا القرآن العظيم - أنها بالغة في الكمال والتمام»^(٣).

إلا أن الأولى بمقصد الآية هو ما اختاره القرطبي من أنها تمت كلمة ربك، أيها الرسول، فيما وعدك به، وما أوعد به، ولهذا اعترض ابن عطية على رأي الطبري فقال: «وهذا عندي بعيد معترض، وإنما القصد العبارة عن نفوذ قوله تعالى ﴿صِدْقًا﴾ فيما تضمنه من خبر، ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما تضمنه من حكم»^(٤) وعلى هذا قاعدة ترجيحية هي: " أن القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٥). والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: جامع البيان: (٩/٨)، ومفاتيح الغيب: (١٣/١٦٠)، وتفسير المنار: (٨/١٢).

(٢) ينظر: روح المعاني: (٨/١٠).

(٣) العذب النمير: (٢/١٧٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٣٦).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/٣١٢).



قال تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٧١- مسألة في ما هو المحرم الذي فصله ﷻ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وقد

فصّل لكم ما حرّم عليكم إلّا ما اضطررتم إليه﴾

قال القرطبي ~ : «وقيل: "فصل"، أي: بين، وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله: ﴿حرّمّت عليكم الميّتة والدمّ ولحم الخنزير﴾ الآية [٣]

قلت: هذا فيه نظر؛ فإن الأنعام مكية، والمائدة مدنية، فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد؟ إلا أن يكون فصل بمعنى يفصل. والله أعلم»^(١).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالمفصل من المحرمات ما فصله ﷻ في هذه السورة، وهي قوله سبحانه: «قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه..»^(٢) وقد وافق القرطبي في اختياره الطبري^(١) والفخر الرازي^(٢)، ووافقهم أبو حيان^(٣)، وابن عادل^(٤)، وأبو السعود^(٥)، والآلوسي^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠/٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (١٢/٨).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٦٦/١٣).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (٢١٣/٤).

(٥) ينظر: اللباب: (٤٠١/٨).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٠٠/٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (١٤/٨).

والقاسمي^(١)، ومحمد رشيد رضا^(٢)، والشنقيطي^(٣).

قال الشنقيطي: « والتحقق أنه فصله لهم بقوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ ومعنى الآية: أي شيء يمنعكم أن تأكلوا ما ذكيتم، وذكرتم عليه اسم الله؟ والحال أن الله فصل لكم المحرم أكله عليكم في قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ الآية، وليس هذا منه^(٤)»

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الفصل ما جاء في المائدة من قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ واختار هذا القول الثعلبي^(٥)، والبغوي^(٦)، وذكره ابن الجوزي منسوبا إلى سعيد بن جبير^(٧).

وقيل اعتراضاً على هذا القول:

أن سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة مدنية فلا يحيل إلى ما لم ينزل بعد. قال الفخر الرازي: «إن سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة مدنية، وهي آخر ما أنزل الله بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يقتضي أن يكون ذلك الفصل مقدماً على هذا المجمل والمدني متأخر عن المكي، والمتأخر يمتنع كونه متقدماً، بل الأولى أن يقال المراد قوله

(١) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٦٩٥).

(٢) ينظر: تفسير المنار: (٨/١٩٢).

(٣) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٦٦)، والعذب النمير: (٢/٢١٧).

(٤) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٦٦).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٨٤).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٥٨).

(٧) ينظر: زاد المسير: (٣/١١٣).



بعد هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأعام: ١٤٥] وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخير لا يمنع أن يكون هو المراد والله أعلم^(١). قال الألوسي: «وأما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول فلا يضر تأخر ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا﴾ عن هذه الآية في هذه السورة»^(٢)

كما ضعف هذا القول بعض المفسرين^(٣). قال الشنقيطي: «واعلم أن هذه الآية غلط فيها كثير من المفسرين فقالوا: ﴿فَصَلِّ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فصله بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ﴾ وهذا غلط لا شك فيه»^(٤).

إذا تقرر هذا فإن أصح القولين هو ما رجحه القرطبي، وذلك لقوة دليلهم، فنزول السورة كان بمكة كما هو ثابت بالروايات الصحيحة، وإذا ثبت تاريخ نزول السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير^(٥). والله أعلم.



(١) مفاتيح الغيب: (١٦٦/١٣).

(٢) ينظر: روح المعاني: (١٤/٨).

(٣) كالطبري في جامع البيان: (١٢/٨)، وابن عادل في اللباب: (٤٠١/٨).

(٤) العذب النمير: (٢١٧/٢).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٥٨/١).



قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ [الأعام: ١٢١]

في الآية الكريمة مسألتان:

٧٢- المسألة الأولى: ما المراد بما لم يذكر اسم الله عليه في قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.

قال القرطبي ~ « روى النسائي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال: خاصهم المشركون، فقالوا ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه^(١)! فقال الله سبحانه لهم: لا تأكلوا؛ فإنكم لم تذكروا اسم الله عليها. وتنشأ هنا مسألة أصولية، وهي: أن اللفظ الوارد على سبب؛ هل يقصر عليه أم لا؟ فقال علماءنا: لا إشكال في صحة دعوى العموم فيما يذكره الشارع ابتداء من صيغ ألفاظ العموم.... فقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ ظاهر في تناول الميتة، ويدخل فيه ما ذكر عليه غير اسم الله بعموم أنه لم يذكر عليه اسم الله، وبزيادة ذكر غير اسم الله سبحانه عليه الذي يقتضي تحريمه نصا بقوله: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] «^(٢).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأعام: ١٢١] يشمل الميتة، وما لم يُذكر اسم الله عليه، فهو لفظ عام، وقد وافق القرطبي في ترجيحه

(١) أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب الضحايا، باب تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٧١/٣) برقم: (٤٥٢٦) وفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٣٤٢/٦)، برقم: (١١١٧١). وفي سنن النسائي (المجتبى) في كتاب الضحايا، باب تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (٢٣٧/٧) برقم: (٤٤٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٩).



الطبري^(١)، والجصاص^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والزنجشيري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن العربي^(٧)، والفخر الرازي^(٨)، ووافقهم ابن جزي الكلبي^(٩)، وأبو حيان^(١٠)، والثعالبي^(١١)، وابن عادل^(١٢)، والآلوسي^(١٣).

واحتجوا: بعموم اللفظ، وهو أولى من خصوص السبب. قال ابن العربي: « وقصر اللفظ الوارد على السبب المورود عليه إذا كان اللفظ مستقلاً دون عطفه عليه لا يجوز لغة ولا حكماً.... فلا نخرج السبب عنه بل نقره فيه، ونعطف به عليه، ولا نمتنع أن يضاف غيره إليه إذا احتمله اللفظ، أو قام عليه الدليل؛ فقله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ظاهر في تناول الميتة بعموم لفظه وكونها سبباً لوروده، ويدخل فيه ما ذكر اسم الله عليه اسم غير الله من الآلهة المبجلة بعموم أنه لم يذكر اسم الله عليه، وبزيادة ذكر غير الله عليه الذي يقتضي تحريم هذا اللفظ عموماً»^(١٤).

- (١) ينظر: جامع البيان: (٢٠ / ٨).
- (٢) ينظر: أحكام القرآن: (١٧١ / ٤).
- (٣) ينظر: بحر العلوم: (٤٧٩ / ١).
- (٤) ينظر: الكشف والبيان: (١٨٦ / ٤).
- (٥) ينظر: الكشف: (٤٧ / ٢).
- (٦) ينظر: المحرر الوجيز: (١٤٠ / ٦).
- (٧) ينظر: أحكام القرآن: (٢٠١ / ٢).
- (٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٦٨ / ١٣).
- (٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٠ / ٢).
- (١٠) ينظر: البحر المحيط: (٢١٥ / ٤).
- (١١) ينظر: الجواهر الحسان: (٥٠٨ / ١).
- (١٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: (٤٠٤ / ٨).
- (١٣) ينظر: روح المعاني: (١٩ / ٨).
- (١٤) أحكام القرآن: (٢٠١ / ٢).



وقال الجصاص: « نزول الآية على سبب لا يوجب الاقتصار بحكمها عليه، بل الحكم للعموم إذا كان أعم من السبب »^(١)

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: من حصر- النهي بالميتة وهو المروي عن ابن عباس^(٢)، وبه قال مقاتل^(٣)، ووافقه السمعاني^(٤).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: بسبب النزول الوارد في هذه الآية^(٥)، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ﴾ [الأعنام: ١٢١] هذه مناظرة إنما كانت في مسألة الميتة فهي مخصوصة بها.

ثانياً: قوله تعالى بعد ذلك ﴿وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ﴾ فالفسق هو: أكل الميتة.

ويعترض على أدلتهم:

بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكلمة فسق أتت هنا مطلقة فتحمل على الجميع وهو الأولى.

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٧١).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٧٨)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه، وابن المنذر، والنحاس، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه كما في الدر المنثور: (٣/٣٤٨).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٦٨).

(٤) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٤٠).

(٥) ذلك أن هذه الآية لها سبب نزول وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم فيقولون ما ذبح لله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه) فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ينظر: المستدرک على الصحيحين في كتاب الأضمة (٤/١٢٦) برقم: (٧١٠٥).



القول الثالث: أن المراد من النهي هنا الخصوص بما ذبح لغير الله تعالى، وهي ذبائح كانت تذبحها العرب لألهتها على النصب. وهو مروى عن عطاء^(١)، وبه قال الكيا الهراسي^(٢).

واحتجوا^(٣): بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فقالوا: هذا مخصوص بما ذبح على اسم النصب يعني لو رضيتم بهذه الذبيحة التي ذبحت على اسم إلهية الأوثان فقد رضيتم بإلهيتها وذلك يوجب الشرك.

وبأنه سبحانه أطلق الفسق هنا وقيده في آخر السورة بأنه ما أهل به لغير الله فقال
﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ
لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] فيحمل المطلق على المقيد.

ويعترض على أدلتهم^(٤):

أولاً: أن الله تعالى قد نص على تحريم ذبائح المشركين في غير هذه الآية وهو قوله
تعالى: ﴿وَمَا أَكَلِ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]

ثانياً: لو أراد ذبائح المشركين أو الميتة لكانت الدلالة قائمة على فساد التذكية

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٩ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٧٩)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣ / ٣٤٩).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٣ / ٣٢٩) قال: «كل ما ذبح لغير الله تعالى هو الأظهر في تأويلها لقوله تعالى بعدها ﴿أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ مراعاة للنظائر في القرآن وهو أولى ما يلتبس به المراد».

وهو: علي بن محمد بن علي، عماد الدين أبو الحسن الطبري المعروف بالكيا الهراسي تفقه ببلده ثم رحل إلى نيسابور قاصداً إمام الحرمين، (م: ٤٥٠هـ، ت: ٥٠٤هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٢ / ٨٣)، و طبقات الشافعية: (١ / ٢٨٨) ومعجم المؤلفين: (٧ / ٢٢٠).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣ / ١٦٧).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤ / ١٧٢).



بترك التسمية إذ جعل ترك التسمية علماً لكونه ميتة فدل ذلك على أن كل ما تركت التسمية عليه فهو ميتة.

القول الرابع: أن المراد كل ما ذُبح ولم يُذكر اسم الله عليه، وهو مروى عن محمد بن سيرين^(١)، وعبدالله بن يزيد^(٢) وبه قال البيضاوي^(٣)، والنسفي^(٤)، وأبو السعود^(٥)، والشوكاني^(٦)، ومحمد رشيد رضا^(٧).

وحجتهم في ذلك:

أن النص الظاهر في الآية هو قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. وقوله في الآية السابقة: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]

ويمكن الرد على ما قالوه بما يلي:

أولاً: أن في أكل ما لم يسم الله تعالى عليه خلافاً، وما عليه الحجة هو حل أكل ما

(١) هو: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى (ت: ١١٠ هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٧/١٩٣)، و الثقات: (٥/٣٤٨)، وتقريب التهذيب: (٤٨٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/١٩)، وعزا السيوطي كلتا الروايتين إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣٥٠).

وهو: عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين الأنصاري الحطمي، صحابي صغير، ولي الكوفة لابن الزبير الحطمي، شهد الحديبية وله سبع عشرة سنة، وولي الكوفة عنه ابنه موسى مات بعيد السبعين. ينظر: طبقات ابن سعد: (٦/١٨)، و الثقات: (٣/٢٢٥)، وتقريب التهذيب: (٣٢٩).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣١٩).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣١).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢٠٠).

(٦) ينظر: فتح القدير: (٢/١٥٧).

(٧) ينظر: تفسير المنار: (٨/٢٢).



لم يذكر اسم الله عليه إذا كان مسلماً. يقول الطبري: «وأما من قال عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله، وكفى بذلك شاهداً على فساد»^(١).

ويقول شيخ الإسلام: «إن النهي لم يكن لأجل ترك التسمية فقط؛ فإن ذلك لا يجرم، وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم الذبح لغير الله»^(٢).

ثانياً: قال تعالى بعدها: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق أكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية»^(٣).

مما سبق يتبين أن الأرجح هو عموم اللفظ، وهو ما رجحه القرطبي، قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله عنى بذلك ما ذبح للأصنام، والآلهة، وما مات، أو ذبحه من لا تحل ذبيحته»^(٤) وذلك "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"^(٥). والله تعالى أعلم.



(١) جامع البيان: (١٩/٨).

(٢) دقائق التفسير: (١٣١/٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٨٧/١٣).

(٤) جامع البيان: (١٩/٨).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٤٥/٢).



٧٣- المسألة الثانية: في حكم متروك التسمية عند قوله تعالى ﴿وَلَا

تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟

قال القرطبي ~ : « وهل يدخل فيه ^(١) ما ترك المسلم التسمية عمداً عليه من الذبح، وعند إرسال الصيد؟ اختلف العلماء في ذلك على أقوال خمسة، وهي المسألة الثالثة: القول الأول: إن تركها سهواً أكلاً جميعاً؛ وهو قول إسحاق ^(٢)، ورواية عن أحمد بن حنبل ^(٣). فإن تركها عمداً لم يؤكلاً؛ وقاله في الكتاب مالك وابن القاسم ^(٤)، وهو قول أبي حنيفة ^(٥) وأصحابه ^(٦).... واختاره النحاس، وقال: هذا أحسن؛ لأنه لا يسمى فاسقاً إذا كان ناسياً ^(٧).. ^(٨) ».

(١) أي في المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ صدق الله

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن راهويه المروزي، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، وكان إسحاق من سادات زمانه فقهياً وعلماً، ممن صنف الكتب وفرع السنن وذب عنها وقمع من خالفها (ت: ٢٣٨ هـ) ينظر: الثقات: (٨/ ١١٥)، والكاشف: (١/ ٢٣٣)، وتقريب التهذيب: (٩٩)، وطبقات الشافعية الكبرى: (٢/ ٨٣).

(٣) ينظر: المغني: (٩/ ٢٩٣).

(٤) ينظر: المدونة الكبرى: (٣/ ٥١).

وابن القاسم: هو أبو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء، الفقيه المالكي، جمع بين الزهد والعلم وتفقه على الإمام مالك، وصحب مالكاً عشرين سنة، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك، وهو صاحب المدونة في مذهبهم، (م: ١٣٣ هـ، ت: ١٩١ هـ) ليلة الجمعة لسبع ليال مضين من صفر بمصر. ينظر: الثقات: (٨/ ٣٧٤) والكاشف: (١/ ٦٤٠)، وتقريب التهذيب: (١/ ٣٤٨)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: (٣/ ١٢٩).

(٥) هو: النعمان بن ثابت بن زوطا، الإمام أبو حنيفة فقيه العراق، يقال أصله من فارس مولى بني تميم الله بن ثعلبة، وكان صاحب رأي وقدم بغداد فمات بها (ت: ١٥٠ هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٧/ ٣٢٢)، والكاشف: (٢/ ٣٢٢)، وتقريب التهذيب: (٥٦٣).

(٦) ينظر: البحر الرائق: (٨/ ١٩١)، وبدائع الصنائع: (٥/ ٤٦).

(٧) ينظر: معاني القرآن: (١/ ٣٥١).

(٨) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ١٢).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول القائلين: إن تركت التسمية عمداً لا يؤكل منها، وإن تركت سهواً يؤكل منها، وهذا قول الجمهور^(١)، وقد وافق القرطبي في اختياره ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه^(٢)، وبه قال النحاس^(٣).

واحتجوا بما يلي:

أولاً: بقوله تعالى قال: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] والقول بحرمة ذبيحة الناسي فيه من الحرج ما لا يخفى.

ثانياً: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه)^(٤) وكذلك إذا وجد الإنسان لحمًا قد ذبحه غيره جاز له أن يأكل منه ويذكر اسم الله عليه؛ لحمل أمر الناس على الصحة والسلامة، كما ثبت في الحديث الصحيح^(٥)، وأن النسيان ليس في مقدور الإنسان دفعه، ولهذا فإن الشارع رفع المؤاخظة به كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وحديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً (المسلم يكفيه اسمه فإن نسي - أن يسمي حين يذبح، فليذكر اسم الله وليأكله)^(٦)، ويعضده قول آخر له وهو: (من ذبح فنسي - أن يسمي فليذكر اسم الله

(١) ينظر: البحر الرائق: (٨/ ١٩١).

(٢) عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٤٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١/ ٣٥١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الطلاق: (٢/ ٢١٦)، برقم: (٢٨٠١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وابن ماجه في سننه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي (١/ ٦٥٩)، برقم: (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) الحديث: عن عائشة رضي الله عنها: (أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: سموا عليه أنتم وكلوا. قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصيد والذبائح، باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته، عن ابن عباس: (٩/ ٢٣٩)، برقم (١٨٦٦٩) وقال: «وهو عن ابن عباس موقوفا» وقال ابن كثير: «هذا الحديث رفعه خطأ، أخطأ فيه معقل بن عبيد الله الجزري فإنه وإن كان من رجال مسلم إلا أن سعيد بن

عليه وليأكل ولا يدعه للشيطان إذا ذبح على الفطرة) (١).

ثالثاً: أن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه عد فسقاً، والفسوق في اللغة العصيان والخروج عن الطاعة، وهذا إنما يليق بالمتعمد، لأن الفسق إنما يطلق على مخالفة الأمر عمداً، لا على مخالفته سهواً.

وفي المسألة أقوال أخرى منها:

القول الثاني: إن تركها عامداً أو ناسياً يأكلهما، وهو قول بعض السلف (٢)، والشافعية (٣).

ومن أظهر أدلتهم (٤):

١ - قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقٌ﴾ [المائدة: ٣] ووجه الدلالة من الآية: أنه تعالى ذكر المحرمات، ولم يذكر منها متروك التسمية بل أباح الذكي، ولم يذكر التسمية.

منصور وعبدالله بن الزبير الحميدي روياه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن أبي الشعثاء عن عكرمة عن ابن عباس من قوله فزادا في إسناده أبا الشعثاء ووثقاه، وهذا أصح. نص عليه البيهقي وغيره من الحفاظ. ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٧٦/٢)، عمدة القاري: (٤٨/١٣)، الدراية في تخريج أحاديث الهداية: (٢٠٦/٢).

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصيد والذبائح، باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته: (٢٤٠/٩)، برقم: (١٨٦٧٢)، وسعيد بن منصور في سننه: (٨٣/٥) وفي بعض الروايات زيادة: (فإن اسم الله في قلب كل مسلم).

(٢) قال به الحسن، وروي ذلك عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعطاء، وسعيد بن المسيب، وجابر بن زيد، وعكرمة، وأبي عياض، وأبي رافع، وطاووس، وإبراهيم النخعي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وقتادة. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢٠٣/٢)، والجامع لأحكام القرآن: (١٢/٩).

(٣) ينظر: إعانة الطالبين: (٣٤٦/٢).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٧٥/٢).



واعترض عليه: بأن الآية لم تتضمن جميع المحرمات بل المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ المذكى على الوجه المشروع، والمعنى: إلا ما ذكيتم وذكرتم اسم الله عليه لما ثبت من الأدلة الأخرى.

٢- قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة:٥] ووجه الدلالة من الآية: أنه تعالى أباح ذبائح أهل الكتاب ولم يشترط التسمية منهم على ذبائحهم حتى تؤكل، وهم لا يسمون غالباً فدل على أنها غير واجبة لأنها لو اشترطت التسمية لما حلت الذبيحة مع الشك في وجودها، لأن الشك في الشرط شك في المشروط.

وأعترض عليه: بأن المراد بذبائح أهل الكتاب المباحة بالآية المذكورة ما ذبحوها بشرطها كذبائح المسلمين، وإذا لم يُعلم أسمى الذابح أم لا؟ فذبيحته حلال سواء أكان مسلماً أم كتابياً، فإن الشرع لم يكلفنا الوقوف على كل ذبيحة لنعلم أذكر اسم الله تعالى عليها أم لا؟ لما في ذلك من الحرج فوجب أن نحمل ذبح المسلم، ومن في حكمه على أحسن الأحوال تحسیناً للظن^(١).

٣- حديث الصلت^(١) عن النبي ﷺ قال: (ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر)^(١)

وأعترض عليه: بأنه حديث مرسل لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ لأن أبا الصلت مجهول الحال^(١).

(١) ينظر: الأطعمة للفوزان: (١٣١).

(٢) هو: الصلت السدوسي مولى سويد بن منجوف تابعي، روى عن النبي ﷺ رسلاً (ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر) روى له أبو داود في المراسيل هذا الحديث الواحد لين الحديث من الرابعة. ينظر: تقريب التهذيب: (٢٧٧/١) تهذيب الكمال: (٢٣٢/١٣)، ولسان الميزان: (٢٤٨/٧).

(٣) أخرجه أبو داود في المراسيل في كتاب الأضاحي، باب ما جاء في الضحايا والذبائح (١/٢٧٨)، برقم: (٣٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصيد والذبائح، باب من ترك التسمية، وهو ممن تحل ذبيحته، (٢٤٠/٩) برقم: (١٨٦٧٤).

(٤) ينظر: نصب الراية: (١٨٣/٤).



٤ - حاول بعض المتأخرين أن يقويه فجعل الواو في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ حالية لقبح عطف الخبر على الإنشاء والمعنى: أي لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقاً. والفسق مجمل يفسره قوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فيكون النهي مخصوص بما أهل لغير الله به، فيبقى ما عداه حلالاً.

وأعترض عليه: بأنه إن حملناه على ما قالوه فهذا يقتضي ألا يتناول النهي أكل الميتة مع أنه سبب النزول، وأن التأكيد بـ (أن) و(اللام) ينفي كون الجملة حالية لأنه إنما يحسن فيها قصد الإعلام بتحقيقه البتة، ومبناه على هذا التقدير: لا تأكلوا منه إن كان فسقاً، فلا يحسن ﴿وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ بل (وهو فسق) ^(١).

القول الثالث: إن تركها عامداً أو ساهياً حرم أكلها قاله عبدالله بن عمر، ومحمد بن سيرين، وعبدالله ابن زيد الخطمي، وعبدالله بن عياش ^(٢)، والشعبي ^(٣)، وأحمد في رواية، ورجحه من المفسرين ابن العربي ^(٤)، وابن تيمية ^(٥).

ومن أدلتهم ^(٦):

أولاً: ظاهر الآية ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]

- (١) ينظر: أحكام القرآن للكميا الهراس: (٣/ ٣٢٨)، وتفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٧٥).
- (٢) هو عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، كان أبوه قديم الإسلام فهاجر إلى الحيشة فولد له هذا، وحفظ عن النبي ﷺ وعن عمر وغيره، مات حين جاء نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين.
- ينظر: طبقات ابن سعد: (٥/ ٢٨)، والثقات: (٥/ ٦٢)، والإصابة: (٤/ ٢٠٤).
- (٣) عزا السيوطي رواية محمد بن سيرين، وعبدالله الخطمي إلى عبد بن حميد، ورواية الشعبي إلى النحاس كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٥٠).
- (٤) ينظر: أحكام القرآن: (٢/ ٢٠٣).
- (٥) ينظر: دقائق التفسير: (٢/ ٩).
- (٦) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/ ٢٠٢)، تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٧٥)، والأطعمة للفوزان: (١٢٩).



وقوله تعالى بعدها ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ فبين الحالين، وأوضح الحكمين ثم قد أكد في هذه الآية بقوله ﴿وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ﴾ والضمير قيل عائد على الأكل وقيل عائد على الذبح لغير الله. وقوله تعالى: في آية الصيد: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]

ثانياً: ما جاء في السنة النبوية: قوله ﷺ: (إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك)^(١)، وقوله ﷺ: (ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكلوه)^(٢) وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه)^(٣) وحديث جندب البجلي^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: (من ذبح قبل أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه من حديث عدي بن حاتم ﷺ في كتاب الصيد والذبائح، باب صيد المعراض: (٢٠٨٦/٥)، برقم (٥١٥٩)، وفي باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة (٢٠٨٩/٥) برقم: (٥١٦٧) وفي: (٢٠٩٠/٥) باب إذا وجد مع الصيد كلباً آخر برقم: (٥١٦٨) وتكملة الحديث: (قلت: إني أرسل كلبني فأجد معه كلباً آخر لا أدري أيهما أخذه فقال لا تأكل فإنها سميت على كلبك، ولم تسم على وفي كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، وكان عطاء لا يرى به بأساً أن يتخذ منها الخيوط والحبال وسؤر الكلاب وممرها في المسجد: (٧٤/١) برقم: (١٧٣) غيره)، وأخرجه مسلم في صحيحه بنحوه من حديث عدي بن حاتم ﷺ في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة: (١٥٢٩/٣) برقم: (١٩٢٩) وفي: (١٥٣١/٣) من الباب نفسه برقم (١٩٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشركة، باب قسمة الغنم من حديث رافع بن خديج ﷺ: (٨٨١/٢) برقم: (٢٣٥٦)، وأيضاً في باب من عدل عشر من الغنم بجزور في القسم: (٨٨٦/٢) برقم: (٢٣٧٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام من حديث رافع بن خديج ﷺ: (١٥٥٨/٣) برقم: (١٩٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن: (٣٣١/١) برقم: (٤٥٠).

(٤) هو: جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، ثم العلقمي بفتحين ثم قاف أبو عبد الله، وربما نسب إلى جده، له صحبة، وهو الذي يقال له جندب الخير، ومات بعد الستين. ينظر: طبقات ابن سعد: (٣٥/٦)، والثقات: (٥٦/٣)، وتقريب التهذيب: (١٤٢).



يصلي فليذبح أخرى مكانها ومن لم يذبح فليذبح باسم الله^(١) وعن عائشة رضي الله عنها: (أن قوما قالوا يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ قال: سموا عليه أنتم وكلوا. قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر)^(٢) ووجه الدلالة: أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها، وخشوا ألا تكون وجدت من أولئك لحداثة إسلامهم، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد.

يتبين مما سبق أن الأرجح في هذه المسألة من أوجب التسمية على الإطلاق، وذلك أن الأدلة الموجبة جاءت مطلقة في الحالين قال ابن تيمية: « فلا تؤكل الذبيحة بدونها سواء تركها عمداً أو سهواً.... وهو قول غير واحد من السلف، وهذا أظهر الأقوال فإن الكتاب والسنة قد علقا الحل بذكر اسم الله في غير موضع »^(٣).

أما ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه في القول الأول فهو مجرى التوسط والاعتدال، وإجراؤها على هذا فيمن أوجبها في حال الذكر دون النسيان أولى. والله تعالى أعلى وأعلم..

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخضب (٣٣٤ / ١) برقم: (٩٤٢)، وفي كتاب الأضاحي بنحوه، باب من ذبح قبل الصلاة أعاد (٢١١٤ / ٥) برقم: (٥٢٤٢) وفي: (٦ / ٦٩٦٥)، وفي كتاب التوحيد بنحوه، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، (٦ / ٢٦٩٣)، برقم: (٦٩٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب من لم ير الوسوس ونحوها من المشبهات من حديث عائشة رضي الله عنها (٧٢٦ / ٢) برقم: (١٩٥٢) وفي كتاب العقيدة، باب ذبيحة الأعراب ونحوهم: (٥ / ٢٠٩٧)، برقم: (٥١٨٨).

(٣) ينظر: دقائق التفسير: (٩ / ٢).



قال تعالى ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

في الآية الكريمة مسألتان:

٧٤- مسألة: لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قيل: معناه: كان ميتا حين كان نطفة، فأحييناه بنفخ الروح فيه؛ حكاه ابن بحر^(١).

وقال ابن عباس: أو من كان كافراً فهديناه، نزلت في حمزة بن عبدالمطلب^(٢) وأبي جهل^(٣).

وقال زيد بن أسلم والسدي: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ عمر^(٤). ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أبو جهل لعنه الله^(٥).

والصحيح أنها عامة في كل مؤمن وكافر، وقيل: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم^(٦).

(١) ذكر هذا الماوردي في النكت والعيون: (١٦٣/٢).

(٢) هو: حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم، كنيته أبو يعلى، عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، قتله وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم يوم أحد شهر شوال سنة ثلاث، وكان أكبر من النبي ﷺ بستين. ينظر: طبقات ابن سعد: (٨/٣)، والثقات: (٦٩/٣)، والإصابة: (١٢١/٢).

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٢١٩)، وذكرها عن ابن عباس الواحدي في الوجيز: (٣٧٣/١)، والماوردي في النكت والعيون: (١٦٣/٢) والبغوي في معالم التنزيل: (٦٠/٢).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢/٨)، والواحدي في أسباب النزول: (٢٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨١/٤)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم وإلى أبي الشيخ وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣٥٢/٣).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٨/٩).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن الآية عامة في كل مؤمن وكافر، وقد وافق القرطبي في ترجيحه الزجاج^(١)، والنحاس^(٢)، وابن عطية^(٣) والفخر الرازي^(٤)، ووافقهم النسفي^(٥)، ونظام الدين النيسابوري^(٦)، وابن جزى الكلبي^(٧)، وابن كثير^(٨)، وابن عادل^(٩)، والآلوسي^(١٠)، ومحمد رشيد رضا^(١١).

وحجتهم:

أولاً: عموم الآية لكل من هداه الله ﷻ، لأن المعنى إذا كان حاصلًا في الكل، كان التخصيص محض تحكم. قال ابن كثير: «والصحيح أن الآية عامة يدخل فيها كل مؤمن»^(١٢).

ثانياً: أن هذه السورة نزلت جملة واحدة، ومن استثنى بعض الآيات لم يذكروا منها هذه الآية^(١٣). قال الفخر الرازي: «فالقول بأن سبب نزول هذه الآية المعينة كذا

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٨٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٤٢).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٣).

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣١).

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/١٥٧).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٠).

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٨).

(٩) ينظر: اللباب: (٨/٤٠٩) بعد أن ذكر هذا القول قال: «وهذا هو الحق».

(١٠) ينظر: روح المعاني: (٨/١٩).

(١١) ينظر: تفسير المنار: (٨/٣٠).

(١٢) تفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٨).

(١٣) ينظر: تفسير المنار: (٨/٣٠).



وكذا مُشكَل، إلا إذا قيل: إن النبي ﷺ قال: إن مراد الله تعالى من هذه الآية العامة فلان بعينه»^(١).

وفي المسألة قول آخر:

أن الخطاب خاص ونزلت الآية في مخصوصين، وعلى هذا اختلفوا على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو مروى عن ابن عباس، والضحاك، وزيد بن أسلم^(٢).

الثاني: أنها نزلت في حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه، وجزم به البيضاوي^(٣).

الثالث: أنها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه^(٤)، وهو مروى عن عكرمة^(٥). واختلاف أهل التفسير في الذين نزلت فيهم يؤكد بجلاء أن هذه الآية صدقت عليهم، وهو من إرادة صدق المثل عليهم^(٦).

(١) مفاتيح الغيب: (١٧٣/١٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨١/٤)، وعزا السيوطي رواية الضحاك إليهما، ورواية ابن عباس إلى أبي الشيخ، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٣٥٢/٣).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: (٣١٩/١).

(٤) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، أبو اليقظان مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدري، تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عمارا تقتله الفئة الباغية، وقتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين. ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٤٦/٣)، والثقات: (٣٠١/٣)، والكاشف: (٥٢/٢)، وتقريب التهذيب: (٤٠٨).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨١/٤)، وعزاه السيوطي إليهما وإلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣٥٢/٣).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٣٠/٨).



ومن المفسرين من عدد ما سبق من الأقوال دون ترجيح أو اختيار^(١)، ومنهم من زاد عليها^(٢):

وأما قوله تعالى: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ فلا خلاف في الآثار الواردة في أنها نزلت في أبي جهل بن هشام^(٣).

إلا أن الأولى العموم، وإن نزلت في مخصوصين لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قال النسفي: « والأصح أن الآية عامة لكل من هداه الله ﷻ، وكل من أضله »^(٤).

لذلك؛ فالأرجح في هذه المسألة ما رجحه القرطبي، لأن عليه جمهور المفسرين. قال محمد رشيد رضا: « هذا المثل عام يشمل كل من ينطبق عليه في زمن التنزيل وغيره، وعليه عامة أهل التفسير... فإن السورة نزلت جملة واحدة، ومن استثنى منها بعض آيات لم يذكرها هذه الآية منها »^(٥) كما "ينبغي حمل نصوص الوحي على العموم"^(٦). والله أعلم.

(١) كالمورد في النكت والعيون: (١٦٣/٢)، والسمعاني في تفسيره: (١٤١/٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٦٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٢٦/٣)، وأبي حيان في البحر المحيط: (٢١٦/٤)، والشوكاني في فتح القدير: (١٦٠/٢).

(٢) قيل: كان ميتا حين كان نطفة، فأحييناه بنفخ الروح فيه. وقيل: كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعلم، وغيرها. ينظر: تفسير السمعاني: (١٤١/٢)، والجامع لأحكام القرآن: (١٨/٩)، وروح المعاني: (١٩/٨)، وفتح القدير: (١٦٠/٢).

(٣) قال هذا ابن عطية في المحرر الوجيز: (١٤٢/٦)، وينظر: جامع البيان: (٢٢/٨)، وتفسير ابن أبي حاتم: (١٣٨١/٤)، ومعالم التنزيل: (٦٠/٢).

(٤) مدارك التنزيل: (٣١/٢).

(٥) تفسير المنار: (٣٠/٨).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

٧٥- المسألة الثانية: المراد بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾

قال القرطبي ~ : « والنور: عبارة عن الهدى والإيمان.

وقال الحسن: القرآن. وقيل: الحكمة.

وقيل: هو النور المذكور في قوله ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: ١٢] وقوله: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] «^(١)

الدراسة والترجيح:

اختر القرطبي أن النور في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ عبارة عن الهدى والإيمان.

وقد وافق القرطبي في اختياره المروي عن مجاهد^(١)، وقال به الفراء^(٢)، وابن قتبية^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن الجوزي^(٥)، ووافقهم ابن جزي الكلبي^(٦)، والثعالبي^(٧)، والشوكاني^(٨).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٨/٩).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢/٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨٢/٤)، وعزا السيوطي رواية مجاهد إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، كما في الدر المنثور: (٣٥٢/٣)، وينظر: تفسير مجاهد: (٢٢٣).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (٣٥٣/١).

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٥٩).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: (١٤٢/٦).

(٦) ينظر: تذكرة الأريب: (١٦٧/١).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٠/٢).

(٨) ينظر: الجواهر الحسان (١/٥٠٩).

(٩) ينظر: فتح القدير: (١٥٩/٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أنه القرآن وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه، وقتاده ^(١) حيث قال: (هذا المؤمن معه من الله نور وبينه، وبها يعمل وبها يأخذ، وإليها ينتهي كتاب الله) وبهذا جزم ابن كثير ^(٢)، وابن عادل ^(٣)، ومحمد رشيد رضا ^(٤)

القول الثالث: أنه النور المذكور في يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: ٨]

القول الرابع: أنه الإسلام الذي هداه الله تعالى إليه. وهو مروى عن ابن زيد، والسدي ^(٥)، وبه قال السمعاني ^(٦).

وعند النظر والتأمل فيما سبق من الأقوال نجدها متقاربة، ولا تعارض بينها، وجميعها تحتملها الآية.

قال الفخر الرازي: « والأقوال بأسرها متقاربة » ^(٧) وبنحوه ذكر النيسابوري ^(٨) كما أن لفظ النور يشملها كلها قال الراغب الأصفهاني: « النور له ضربان: ضرب

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٢/٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٢) وعزا السيوطي رواية ابن عباس إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، ورواية قتادة إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٣/٣٥٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٨).

(٣) ينظر: اللباب: (٨/٤٠٨).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٨/٣٠).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٢٣)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٢) وعزا السيوطي رواية زيد بن أسلم إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٥٢).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٤١).

(٧) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٣).

(٨) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/١٥٧).



معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر- من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن. وضرب محسوس بعين البصر وهو ما انتشر- من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات. فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وقوله تعالى هنا: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١).

وعلى هذا القول القاعدة الترجيحية التي تنص على " أنه يجب حمل النصوص على العموم ما لم يرد نص بالتحصيل"^(٢) والله أعلم.



(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: (٥٠٨/١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).



قال تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

في الآية الكريمة مسألتان:

٧٦- المسألة الأولى: المقصود بقوله تعالى: ﴿ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾.

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ ﴾ بين شيئا آخر من جهلهم، وهو أنهم قالوا: لن نؤمن حتى نكون أنبياء، فنؤتى مثل ما أوتي موسى وعيسى من الآيات؛ ونظيره: قوله ﷺ: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً ﴾ [المدثر: ٥٢].... ثم ذكر سبب النزول..

وقيل: لم يطلبوا النبوة، ولكن قالوا: لا نصدقك حتى يأتينا جبريل والملائكة يخبروننا بصدقك.

والأول أصح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ أي: بمن هو مأمون عليها وموضع لها^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن مرادها: لن نؤمن حتى نكون أنبياء، ويعطينا الله من المعجزات ما أعطى الأنبياء، وبهذا قال الطبري^(١)، والزجاج^(٢)، والواحدي^(٣)، ووافقهم ابن جزى الكلبي^(٤)، ونظام الدين النيسابوري^(٥)

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢٠ / ٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٢٥ / ٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٨٩ / ٢).

(٤) ينظر: الوجيز: (٣٧٤ / ١).

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٠ / ٢).

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٥٨ / ٣).



وأبو حيان^(١)، وابن كثير^(٢)، والثعالبي^(٣)، وابن عادل^(٤)، والقاسمي^(٥) ومحمد رشيد رضا^(٦)، والشنقيطي^(٧).

ومن المفسرين من اكتفى بذكر سبب النزول دون ترجيح أو اختيار^(٨)

وحجة القائلين بهذا القول:

أولاً: النظائر القرآنية لهذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] فكل واحد منهم أراد أن يخص بالوحي والرسالة، وظاهر هذه الآية يدل على ذلك أيضاً لأنه تعالى قال: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وهذا يدل على أن جماعة منهم كانوا يقولون هذا الكلام^(٩).

ثانياً: الأثر الوارد في سبب نزولها: أن الوليد بن المغيرة قال: (لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك؛ لأنني أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً) وقال أبو جهل: (والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً؛ إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. فنزلت الآية)^(١٠).

(١) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢١٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٩).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥١٠).

(٤) ينظر: اللباب: (٨/٤١٣).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧١٠).

(٦) ينظر: المنار: (٨/٣٨).

(٧) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٦٧).

(٨) كالسمرقندي في بحر العلوم: (١/٤٨٠)، والثعالبي في الكشف والبيان: (٤/١٨٧)، والزمخشري في الكشف: (٢/٤٨)، والبعوي في معالم التنزيل: (٢/٦١)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٥)، والثعالبي في الجواهر الحسان: (١/٥١٠).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٥)، وتفسير القرآن العظيم: (٢/١٧٩).

(١٠) ذكره الثعالبي في الكشف والبيان: (٤/١٨٧)، والبعوي في معالم التنزيل: (٢/٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١١٨).



ثالثاً: السياق القرآني: فسباقها قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] وظاهره يدل على أن المكر المذكور في الآية الأولى هو هذا الكلام الخبيث^(١) وهو قول أكابرهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾. يقول الفخر الرازي: «والقول الأول^(٢) أقوى وأولى لأن قوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ لا يليق إلا بالقول الأول»^(٣).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنهم لم يطلبوا النبوة، ولكن قالوا لا نصدقك حتى يأتينا جبريل والملائكة يخبروننا بصدقك^(٤) ولم أر - بحسب علمي - أحداً قال به.

إذا تقرر هذا فإن أولى القولين وأرجحهما ما رجحه القرطبي، وهو الذي تؤيده قاعدتان صريحتان هما:

"القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٥).

وقاعدة: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى به من الخروج عنهما"^(٦). والله أعلم.



(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٥).

(٢) القول الأول: وهو المشهور أراد القوم أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت لمحمد عليه الصلاة والسلام، وأن يكونوا متبوعين لا تابعين، ومخدومين لا خادمين.

(٣) مفاتيح الغيب: (١٣/١٧٥).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٢٠).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (١/١٢٥).



٧٧- المسألة الثانية: المراد بقوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ

عِنْدَ اللَّهِ﴾.

قال القرطبي ~ : «عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: من عند الله، فحذف.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي سيصيب الذين أجموا عند الله صغار. الفراء: سيصيب الذين أجموا صغار من الله^(١).

وقيل: المعنى: سيصيب الذين أجموا صغار ثابت عند الله. قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال؛ لأن "عند" في موضعها أي من عند الله^(٢) «^(١)»^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختر القرطبي أن مرادها من عند الله، وعلى هذا يكون في الجملة حذف، وبهذا قال الفراء^(١)، والطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والبغوي^(٥)، والخازن^(٦).

واستدل الفراء بأنه قول جماعة من المفسرين، ويكون التقدير: "سيصيب الذين أجموا صغار من عند الله" نصب بنزع الصفة. وهو في العربية كما تقول: سيأتي رزق عندك، كقولك: سيأتي الذي عند الله^(٧).

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٥٣/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (٣٥٢/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٢٢/٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٥٣/١).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٣٨٤/١).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٨٠/١).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (١٨٧/٤).

(٨) ينظر: معالم التنزيل: (٦٢/٢).

(٩) ينظر: لباب التأويل: (١٥٤/٢).

(١) ينظر: معاني القرآن: (٣٥٣/١).

و اعترض عليه بعض المفسرين اللغويين:

حيث ردّ عليه الزجاج بقوله: « لا تصلح أن تكون (من) محذوفة من (عند) إنما المحذوف (في) من (عند) في المعنى إذا قلت: زيد عند عمرو، والمعنى زيد في حضرة عمرو »^(١).

وقال النحاس: «وهذا خطأ عند البصريين؛ لأن "من" لا تحذف في مثل هذا»^(١).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن فيها تقدماً وتأخيراً فيكون قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿سَيُصِيبُ﴾ والمعنى: سيصيبهم عند الله صغار. وهو اختيار الكرمانى^(١)، وابن عطية^(١)، والثعالبي^(١).

وقيل اعتراضاً عليه: بأنه خلاف المعروف عند المفسرين، والقاعدة الترجيحية تنص على " أن القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير"^(١).

القول الثالث: أن "عند" في موضعها والمعنى سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله. قال النحاس: « وهذا أحسن الأقوال لأن عند في موضعها »^(١)

(١) معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٨٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (١/٣٥٢).

(٣) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/٣٨٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٤٤).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥١٠).

(٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٤٥١).

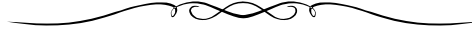
(١) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٢).



ووافق الزجاج^(١)، والواحدي^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وابن عاشور^(٤).

وحجتهم: التمسك بظاهر الآية، وعدم تأويلها أو تقديمها.

ومن يتأمل الأقوال الثلاثة يجد أنها أقوال متقاربة، ولكل منها وجه صحيح إلا أن أحسن هذه الأقوال أن يقال أن " عند " في موضعها بلا حذف، ولا تقديم أو تأخير، وذلك أن ما وافق ظاهر الآية يُقدم على ما احتاج إلى تأويل أو تفسير، أو تقديم أو تأخير. والله أعلم.



(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٨٩).

(٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٤).

(٣) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦٧).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: (٧/٤٣).



قال تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٧٨- المسألة الأولى: المقصود بقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾

قال القرطبي ~ : « كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ ﴾ عليهم؛ كجعله ضيق الصدر في أجسادهم. وأصل الرجس في اللغة: التن.

قال ابن زيد: هو العذاب ^(١).

وقال ابن عباس الرجس: هو الشيطان أي يسلطه عليهم ^(٢).

وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه ^(٣). وكذلك الرجس عند أهل اللغة هو التن.

فمعنى الآية، والله أعلم، ويجعل اللعنة في الدنيا، والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون ^(٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨) وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢ / ٦٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣١ / ٨) وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤ / ١٣٨٦)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر: (٣ / ٣٥٦) وأورده النحاس في معاني القرآن: (١ / ٣٥٣)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ١٨٨)، والماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢ / ٦٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩ / ٢٦).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن معنى الرجس التنن والقذر، فمعنى الآية: يجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، وقد وافق في اختياره هذا الزجاج^(١)، والنحاس^(٢)، وابن أبي الحسن النيسابوري^(٣)، ووافقهم النسفي^(٤)، ورجحه الشوكاني^(٥).

وحجتهم:

أولاً: النظائر القرآنية التي تدل على هذا^(٦). قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِيمًا رَجَسًا﴾ [التوبة: ٩٥] وقال ﷻ: ﴿فَأَجْتَكِنُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] وقال: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال ﷻ: ﴿أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ والرجس في هذه المواضع هو التنن والقذر^(٧).

ثانياً: المعروف في أصل اللغة أن الرجس: اسم لكل ما استقذر من عمل، فبالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء وسمها رجسا، ويقال رجس الرجل رجسا، ورجس يرجس إذا عمل عملاً قبيحاً^(٨).

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٩٠).

(٢) ينظر: معاني القرآن: (١/ ٣٥٣).

(٣) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: (١/ ٣١١).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/ ٣٢).

(٥) ينظر: فتح القدير: (٢/ ١٦١).

(٦) ينظر: المفردات في ألفاظ القرآن: (٣٤٢).

(٧) ينظر: تفسير السمعي: (٢/ ٣٣٩).

(٨) ينظر: المفردات في ألفاظ القرآن: (٣٤٢)، ولسان العرب: (٦/ ٩٥).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بالرجس العذاب وهو مروى عن ابن زيد، وبه قال أبو عبيدة^(١)، وجزم به السمرقندي^(٢)، والواحدي^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، وأبو السعود^(٦)، والآلوسي^(٧).

وحجتهم:

أولاً: ما يؤيد هذا المعنى من النظائر القرآنية. قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] قال ابن عطية: «الرجس "يكون بمعنى العذاب كالرجز، ويكون بمعنى القدر والنجاسة، وهو في هذه الآية بمعنى العذاب"^(٨) وقوله: ﴿قَدَّوَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١] الرجس بمعنى الرجز، والرجز هو العذاب^(٩).

ثانياً: المعروف في لغة العرب أن الرجس مقلوب الرجز. قال الطبري: «وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لنا عنه، يقول أن الرجز والرجس بمعنى واحد، وأنها مقلوبة قلبت السين زايا»^(١٠).

(١) ينظر: مجاز القرآن: (٢٠٦/١).

(٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٨١/١).

(٣) ينظر: الوجيز: (٣٧٤/١).

(٤) ينظر: تذكرة الأريب: (١٦٨/١).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٠/١).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٠٤/٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (٢٣/٨).

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (١٤٥/٣).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (٢١٦/٣)، و تفسير السمعاني: (٤٠٧/٢).

(١٠) ينظر: جامع البيان: (٢٢٢/٨).



وقال ابن منظور: «والرجس العذاب كالرجز، وأما الرجز فالعذاب والعمل الذي يؤدي إلى العذاب، والرجس في القرآن العذاب كالرجز، وجاء في دعاء الوتر، وأنزل عليهم رجسك وعذابك»^(١).

القول الثالث: أن المراد بالرجس الشيطان، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورجحه الطبري^(٢).

ودليلهم: حديث النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم)^(٣).

وأورد الأقوال السابقة من غير ترجيح أو اختيار جمع من المفسرين^(٤).

والمأمل لما سبق من الأقوال يجدها متقاربة في معناها، قوية في استدلالاتها وحججها، إلا أن الأرجح مما سبق هو ما اختاره القرطبي؛ لأنه يشمل الأقوال الأخرى، وكلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على المعروف من كلام العرب ومعهود استعمالهم ولا يخرج عنه^(٥).

(١) لسان العرب: (٦/٩٥) مادة رجس.

(٢) ينظر: جامع البيان: (٨/٣٢).

(٣) أخرجه: ابن ماجه في سننه في كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء: (١/١٠٩) برقم (٢٩٩)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الطهارات، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء: (١/١١) برقم (٣) وفي كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل يقوله إذا دخل الكنيف: (٦/١١٤) برقم: (٢٩٩٠٣).

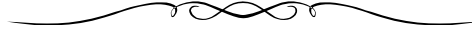
(٤) كالثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٨٨)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٦٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/١٤٧)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (١٣/١٨٤)، وأبي حيان في البحر المحيط: (٤/٢٢٠)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: (٢/١٨٢)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (٨/٤٢٥).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/٣٦٩).



قال الشوكاني: « والمعنى الأول هو المشهور في لغة العرب، وهو مستعار لما يحمل بهم من العقوبة، وهو يصدق على جميع المعاني المذكورة »^(١).

ويؤيد هذا نظائر من القرآن، والقاعدة الترجيحية تنص على أن: " القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره " ^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: فتح القدير: (١٦١/٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).



قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]

في الآية الكريمة مسألتان:

٧٩- المسألة الأولى: المراد بالاستمتاع في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ

بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

قال القرطبي ~ : « ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ وهذا يرد قول من قال: إن الجن هم الذين استمتعوا من الإنس، لأن الإنس قبلوا منهم. والصحيح أن كل واحد مستمتع بصاحبه. والتقدير في العربية: استمتع بعضنا ببعضنا، فاستمتع الجن من الإنس أنهم تلذذوا بطاعة الإنس إياهم، وتلذذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زنوا وشربوا الخمر بإغواء الجن إياهم.

وقيل: كان الرجل إذا مر بوادي سفره، وخاف على نفسه، قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر، وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] فهذا استمتاع الإنس بالجن. وأما استمتاع الجن بالإنس فما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر

وقيل: استمتع الجن بالإنس أنهم يعترفون أن الجن يقدر أن يدفعوا عنهم ما يحذرون» (١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢٧/٩).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن كل واحد مستمتع بالآخر، على أي صورة كان هذا الاستمتاع، ووافق في ترجيحه ابن عطية^(١)، والفخر الرازي^(٢) ووافقهما ابن تيمية^(٣)، وأبو حيان^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥).

وحجتهم: العموم في جميع صور الاستمتاع من الطرفين. قال ابن تيمية: « فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض؛ فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة، كل منهم فعل للآخر ما هو غرضه ليعينه على غرضه »^(٦).

والذي ذكر من هذه الأقوال إنما هي أمثلة لذلك الاستمتاع، فلم يرد نص يدل على تخصيص بعض الصور دون بعض. قال أبو حيان: « ووجوه الاستمتاع كثيرة تدخل هذه الأقوال كلها تحتها فينبغي أن يعتقد في هذه الأقوال أنها تمثيل في الاستمتاع لا حصر في واحد منها »^(٧).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن استمتاع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي، واستمتاع الإنس بالجن أن الجن زينت لهم الأمور التي يهونها،

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٥٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٩٢).

(٣) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (١٣/٨١)، دقائق التفسير: (٢/١٣٥)، والنبوات (١/٢٢١).

(٤) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٢٣).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (٨/٦٦) قال: « والآية عامة لجميع من استمتع من الفريقين بالآخر ».

(٦) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (١٣/٨١)، والنبوات (١/٢٢١).

(٧) تفسير البحر المحيط: (٤/٢٢٣).



وشهوتها إليهم حتى سهل عليهم فعلها. وهذا المروي عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة^(١)، وبه قال الزجاج^(٢) ورجحه النحاس^(٣)، وجزم به الواحدي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والزخشي^(٦)، وابن أبي الحسن النيسابوري^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، والبيضاوي^(٩)، والنسفي^(١٠).

ودليلهم: ما جاء في السياق القرآني في قوله ﷻ: ﴿قَدْ أَسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ وهو يدل على أنّ الإغواء كان كثيراً من الجن؛ وذلك باتباع أوامرهم، أو ما زينوا لهم من المعاصي والشهوات^(١١).

القول الثالث: أن استمتاع الإنس بالجن إذا سافروا فنزلوا وادياً، وأرادوا مبيتاً. قال أحدهم: أعود بعظيم هذا الوادي من شر أهله، واستمتع الجن بالإنس أنهم كانوا يفخرون على قومهم ويقولون: قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا. وهذا مروي

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢١٠)، والطبري في جامع البيان: (٨/٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٧)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إليهما، ورواية الحسن إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر: (٣/٣٥٧)، وتفسير مجاهد: (٢٢٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٩١).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٤)، وإعراب القرآن: (٢/٩٥).

(٤) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٥).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٤٤).

(٦) ينظر: الكشف: (٢/٢٨٩).

(٧) ينظر: إيجاز البيان: (١/٣١٢).

(٨) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦٨).

(٩) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢١).

(١٠) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٣).

(١١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٩١)، والعذب النمير: (٢/٢٥٦).



عن ابن جريج^(١)، وبه قال مقاتل^(٢)، والفراء^(٣)، والطبري^(٤)، والسمرقندي^(٥)،
والثعلبي^(٦)، والكرماني^(٧)، وابن جزي الكلبي^(٨)، والثعالبي^(٩).

واحتجوا بقوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١٠)

[الجن: ٦]

وقيل اعتراضاً على هذا القول:

إن استعاذة الإنس بالجن قليل، وهو قول مرجوح، ولا تفسر الآية به لأنه ﷺ
ذكر في سباقها أنهم استكثروا فقال ﷺ: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ فدل
على أنه كثير قال الشنقيطي: «ولكن هذا لا تفسر الآية به؛ لأن هذا يقع قليلاً؛ والله
يقول: ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ فدل على أنه كثير»^(١١).

وقد أورد هذه الأقوال عدد من المفسرين بدون اختيار^(١٢).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٣ / ٨)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور:
(٣ / ٣٥٨).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١ / ٣٧٠).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١ / ٣٥٤).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٨ / ٣٣).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (١ / ٤٨٢).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (٤ / ١٩٠).

(٧) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١ / ٣٨٥).

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢ / ٢١).

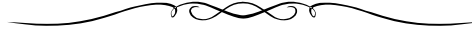
(٩) ينظر: الجواهر الحسان: (١ / ٥١١).

(١٠) ينظر: العذب النمير: (٢ / ٢٤٤).

(١١) كالماوردي في النكت والعيون: (٢ / ١٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣ / ١٢٣)، وابن عادل الحنبلي
في اللباب: (٨ / ٤٩٢).



وعند التدبر في هذه الأقوال يتبين أن ما رجحه القرطبي، وهو القول بالعموم في جميع صور الاستمتاع من الطرفين، هو الأرجح، ويؤيد هذا القول القاعدة المعتبرة عند العلماء " يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص " ^(١) ولأنه لم يرد في الآية ما يدل على تخصيص بعض الصور دون بعض، وما ذكره بعض المفسرين من الأقوال إنما هي أمثلة لصور هذا الاستمتاع. قال ابن عطية بعد أن ذكر ما أورده الطبري: « وهذا مثال في الاستمتاع ولو تتبع لتبينت له وجوه آخر » ^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).

(٢) المحرر الوجيز: (١٥٠/٦).



٨٠- المسألة الثانية: ما المستثنى منه في قوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ

خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾

قال القرطبي ~ : «﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء ليس من الأول. قال الزجاج: يرجع إلى يوم القيامة أي خالدين في النار إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب فالاستثناء منقطع.

وقيل: يرجع الاستثناء إلى النار، أي: إلا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار في بعض الأوقات.

وقال ابن عباس: الاستثناء لأهل الإيمان. ف " ما " على هذا بمعنى من ^(١) « ^(٢)

الدراسة والترجيح:

الاستثناء في هذه الآية على قولين :

القول الأول : الاستثناء منقطع ومن غير جنس المستثنى منه ، وعلى هذا القول اختلف المفسرون على رأيين :

الأول : يرجع إلى يوم القيامة. فيكون المعنى : " إلا ما شاء الله من مقدار الحشر- والحساب " وهو الذي اختاره القرطبي، وقد وافق في ذلك الطبري ^(١)، والزجاج ^(٢)، والنحاس ^(٣)، والثعلبي ^(٤)، ومكي بن أبي طالب ^(٥)،

(١) لم أجد هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه في الكتب الأربعة، وذكره ابن أبي زمنين في تفسير القرآن العزيز: (٢/٩٧)، والواحي في الوسيط: (٢/٣٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٢٨).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٨/٣٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٩٢).

(٥) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٤).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (٤/١٩٠).

(٧) ينظر: مشكل إعراب القرآن: (٨/٤٣١).



وابن الجوزي^(١)، والفخر الرازي^(٢)، وأبا البقاء العكبري^(٣)، ووافقهم الشوكاني^(٤). قال الطبري: «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» يعني إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار^(٥).

الثاني: أن الاستثناء هنا من كلام الله للمخاطبين، والمعنى: خالدين فيها إلا ما شاء الله وهم من سبق في علم الله أنهم يسلمون ويؤمنون في الدنيا. وبهذا قال السمرقندي^(٦)، والواحدي^(٧)، وابن عطية^(٨)، وأبو حيان^(٩).

وقد ضعّف هذا الثعالبي بقوله: «وقيل: هو استثناء من الأشخاص، وهم من آمن في الدنيا، ورُدّ بأنه يختلف زمان المستثنى، والمستثنى منه فيكون منقطعاً لا متصلاً لأن من شرط المتصل اتحاذ زماني المخرج والمخرج منه»^(١٠).

(١) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٦٨).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/١٩٢).

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (١/٢٦١)، و التبيان في إعراب القرآن: (١/٥٣٨).

(٤) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦١).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٨/٣٤).

(٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٥).

(٧) ينظر: بحر العلوم: (١/٥٠١).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٥١).

(٩) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٤٤) قال: «والظاهر أن هذا الاستثناء هو من تمام كلام الله للمخاطبين وعليه جاءت تفاسير الاستثناء».

(١٠) الجواهر الحسان: (١/٥٥٩).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الاستثناء متصل ومن جنس المستثنى منه ، ويرجع إلى الجملة التي قبلها وهي الخلود في النار، وعلى هذا القول اختلف المفسرون على رأيين^(١):

الأول: استثناء في صفة ونوع العذاب؛ فقد يزيد العذاب في بعض الأوقات دون بعض، وقد يتنوع العذاب من الجحيم إلى الزمهرير. وبه قال العز بن عبد السلام^(٢).

الثاني: استثناء من الزمان في مدة العذاب والبقاء في النار^(٣). فكأنه قال: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا﴾ في كل زمان ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا زمن مشيئة الله تعالى، فقد تخلوا بعض الأوقات من العذاب كالأوقات التي ينتقلون فيها من النار إلى الزمهرير وبهذا قال الزمخشري^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والنسفي^(٦)، والشوكاني^(٧).

وقد ذكر هذه الأقوال عدد من المفسرين بلا اختيار أو ترجيح^(٨).

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (١/٢٦١)، وأنوار التنزيل: (١/٣٢١)، ومدارك التنزيل: (٢/٣٣)، وفتح القدير: (٢/١٦١).

(٢) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام: (١/٤٦١).

(٣) ورد في صحيح البخاري: (١/٢٤) أن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير).

(٤) ينظر: الكشاف: (٢/٦٥).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢١).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٣).

(٧) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦١).

(٨) كالتعليبي في الكشف والبيان: (٤/١٩٠)، والسمعاني في تفسيره: (٢/١٤٥)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٦٩)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٦٥)، وابن جزى الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢١).



وعند التأمل في الأقوال السابقة نجد أن الظاهر والمتبادر إلى الفهم هو أن الاستثناء في مدة العذاب ، والبقاء في النار لأنه المعنى الذي تقتضيه لغة العرب .

قال الشوكاني: « ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ المعنى الذي تقتضيه لغة العرب في هذا التركيب أنهم يخلدون في النار في كل الأوقات إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها»^(١)

وهذا هو القول الأرجح من بين ما سبق ، وعليه قاعدة ترجيحية هي:

" ينبغي حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب ومعهود استعمالهم^(٢) ". والله أعلم .



(١) ينظر: فتح القدير: (١٦١ / ٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٣٦٩ / ١).

قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأناجم: ١٢٩].

٨١- مسألة في المراد بقوله تعالى: ﴿نُؤَيِّ بِعَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ المعنى: وكما فعلنا بهؤلاء مما وصفته لكم من استمتاع بعضهم ببعض؛ أ جعل بعض الظالمين أولياء بعض، ثم يتبرأ بعضهم من بعض غداً. ومعنى "نولي" على هذا: نجعل ولياً. قال ابن زيد: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس.

وعنه أيضاً: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله ^(١)» ^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد: نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر وقد وافق في ذلك المروي عن قتادة ^(١)، وهو ما رجحه الطبري ^(٢)، والنحاس ^(٣)، وابن أبي زمنين ^(٤) وابن عطية ^(٥)، ووافقهم البيضاوي ^(٦)، وابن جزي الكلبي ^(٧)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٥ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨٩ / ٤)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر: (٣٥٨ / ٣). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (١٩١ / ٤)، والماوردي في النكت والعيون: (١٧٠ / ٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٢٩ / ٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٥ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨٨ / ٤)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (١٩١ / ٤)، والبغوي في معالم التنزيل: (٦٥ / ٢).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٣٥ / ٨).

(٥) ينظر: القطع والإتشاف: (٢٣٨ / ١).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٩٧ / ٢).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (١٥١ / ٦).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢١ / ١).

(٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢١ / ٢).

وأبو حيان^(١)، والشوكاني^(٢).

واستدلوا لهذا القول: بالسياق القرآني^(٣) قال النحاس: « وهذا أشبه بنسق الآية وبما قبلها وما بعدها »^(٤) وقال الطبري: « وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء، لأن الله ﷻ ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال: ﷻ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمِعْ بَعْضَنَا بَعْضًا ﷻ وأخبر ﷻ أن بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض، يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الأمور »^(٥).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: تتبع بعضهم بعضاً في النار، وهو مروى عن قتادة في رواية أخرى له^(٦)، وجزم بهذا السمعاني^(٧).

وحجتهم: المعروف في لغة العرب من أن الموالاتة هي المتابعة بين الشيء والشيء،

(١) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٢٥).

(٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦٣).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٨/٣٥)، والمحرم الوجيز: (٦/١٥١).

(٤) القطع والإتشاف: (١/٢٣٨).

(٥) جامع البيان: (٨/٣٥).

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢١٠)، والطبري في جامع البيان: (٨/٣٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٨). وعزا السيوطي رواية قتادة إليهم وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر: (٣/٣٥٨). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٩١)، وذكره الماوردي في النكت والعيون: (٢/١٧٠) والبعوي في معالم التنزيل: (٢/٦٥).

(٧) ينظر: تفسير السمعاني: (٢/١٤٥).

من قول القائل: واليت بين كذا وكذا إذا تابعت بينهما^(١).

القول الثالث: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله، وهذا مروى عن ابن زيد، ومالك بن دينار^(٢)، وبهذا القول فسر- الآية مقاتل بن سليمان^(٣)، والسمرقندي^(٤)، والواحدي^(٥)، وابن كثير^(٦)، والآلوسي^(٧)، والقاسمي^(٨)، والسعدي^(٩).

وقد اعترض بعض المفسرين على هذا القول: قال ابن عطية بعد أن ذكر هذا المعنى: « وهذا التأويل لا تؤيده ألفاظ الآية المتقدمة »^(١٠) ووصفه أبو حيان بأنه تأويل بعيد^(١١).

(١) ينظر: جامع البيان: (٣٥ / ٨)، وتهذيب اللغة: (٣٢٥ / ١٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٥ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨٩ / ٤)، وعزا السيوطي رواية مالك بن دينار إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ كما في الدر: (٣٥٨ / ٣). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (١٩١ / ٤)، والماوردي في في النكت والعيون: (١٧٠ / ٢).

ومالك بن دينار: هو مالك بن دينار مولى لبنى ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب القرشي كنيته أبو يحيى من أهل البصرة وكان من زهاد التابعين والأخيار والصالحين، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، ويتقوت بأجرته (ت: ١٢٣ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٤٣ / ٧)، الثقات: (٣٨٣ / ٥)، وتقريب التهذيب: (٥١٧).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٧٠ / ١).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٨٢ / ١).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٦٥ / ٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٨٣ / ٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (٢٨ / ٨).

(٨) ينظر: محاسن التأويل: (٧٢٠ / ٦).

(٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٧٣).

(١٠) المحرر الوجيز: (١٥١ / ٦).

(١١) ينظر: البحر المحيط: (٢٢٥ / ٤).



إذ اثبت أن القول الأخير مرجوح، فإن الأقوال الأخرى متقاربة في معناها، ولا تعارض بينها بل كلها حق فنجعل بعضهم أولياء بعض، ونسلط بعض الظالمين على بعض؛ فننتقم من بعض الظالمين ببعضهم، ثم نتابعهم طائفة بعد أخرى في النار يوم القيامة. قال الشنقيطي في هذه الآية: « في هذه الآية الكريمة أوجه متقاربة من التفسير معروفة عند العلماء، لا يكذب بعضها بعضاً، بل كلها حق^(١). ويؤيد هذا القاعدة الترجيحية: " أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتحصيل^(٢) " ، والله أعلم.



(١) العذب النمير: (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعام: ١٣٠]

٨٢- مسألة في عود الضمير بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾

قال القرطبي ~ : « ومعنى ﴿مِّنكُمْ﴾ : في الخلق والتكليف والمخاطبة. ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال: ﴿مِّنكُمْ﴾ ؛ وإن كانت الرسل من الإنس، وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث.

وقال ابن عباس: رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي كما قال: ﴿وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(١).

وقال مقاتل^(١) والضحاك: أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس^(١).

وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنذر من الجن ثم قرأ: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(١)، وهو معنى قول ابن عباس، وهو الصحيح...^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٩١)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٧٠)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٢٥).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٣٦)، وعزا السيوطي رواية الضحاك إلي الطبري كما في الدر: (٣/٣٥٩)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٩١)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٧٠) والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٢٥).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٨٩)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، كما في الدر المنثور: (٣/٣٥٩). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/١٩١)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٦٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٣١).

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن الرسل من الإنس، والنذر من الجن، ووافق في ذلك المروي عن ابن عباس ومجاهد، وبه قال الواحدي^(١)، ووافقهم السمين الحلبي^(٢)، وابن عادل^(٣).

واستدلوا بما روي في هذا القول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (إن رسل الجن، رسل رسل الله من بني آدم، وهم الذين إذا سمعوا القرآن ولوا إلى قومهم منذرين)^(٤).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: إن الضمير في منكم عائد على الإنس وهذا المروي عن ابن جريج^(٥) وهو قول الفراء^(٦)، وابن قتيبة^(٧)، والزجاج^(٨)، والنحاس^(٩)، وابن أبي زمنين^(١٠).

(١) ينظر: الوجيز: (٣٧٥ / ١).

(٢) ينظر: الدر المصون: (١٥٤ / ٥).

(٣) ينظر: اللباب: (٤٣٥ / ٨).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٦ / ٨)، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (١٩١ / ٤)، والماوردي في النكت والعيون: (١٧٠ / ٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٦٦ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٢٥ / ٣).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٣٦ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٨٩ / ٤)، وعزا السيوطي رواية ابن جريج إلى ابن المنذر، كما في الدر المنثور: (٣٥٩ / ٣). وأورده الثعلبي في الكشف والبيان: (١٩١ / ٤)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٢٥ / ٣).

(٦) ينظر: معاني القرآن: (٢٥٤ / ١).

(٧) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (١٧٥).

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٩٢ / ٢).

(٩) ينظر: إعراب القرآن: (٩٦ / ٢).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٩٨ / ٢).



وابن عطية^(١)، والبيضاوي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، وابن كثير^(٤)، والشعالبي^(٥)، وأبي
السعود^(٦)، والآلوسي^(٧).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

أولاً: الشواهد القرآنية:

١- الدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَى نُوحٍ وَالْتَبَيَّنَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]

٢- الدليل على حصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ﷺ ولم يقل أحد من
الناس أن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم بيعته. قال تعالى:
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾

٣- الدليل على أن الجن إنما يتلقون الإنذار والأعدار من رسل الأنس قال ﷻ:
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى
قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ﴾ (٢٩) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٠) يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (١٥٢/٦).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢١/١).

(٣) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: (٧٩/١٣)، ودقائق التفسير: (١٣٥/٢) قال: «وقد
بعث الله الرسل من الإنس إليهم وإلى الإنس وأمر الجميع بطاعة الرسل».

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٨٣/٢).

(٥) ينظر: الجواهر الحسان: (٥١٢/١).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٠٦/٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (٢٨/٨).



عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ [الأحاف: ٢٩-٣٢]

ثانيا: الأحاديث النبوية الدالة على أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمن وفيها قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ [الرحمن: ٣١-٣٢].

ثالثا: السياق القرآني^(١): قال تعالى في سياق هذه الآية الكريمة: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ أي أقررنا - أي الجن والإنس - أن الرسل قد بلغونا رسالاتك وأنذرونا لقاءك وأن هذا اليوم كائن لا محالة. وقال تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم للمعجزات لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي يوم القيامة أنهم كانوا كافرين أي في الدنيا بما جاءتهم به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

ولا منافاة بين هذا القول والقول الأول: وهو أنه لا رسل من الجن وإنما كان من الجن رسل الرسل والدليل على أنه تعالى سمى رسل عيسى عليه السلام رسل نفسه فقال: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ [يس: ١٣-١٤]^(٢)

القول الثالث: أن الضمير يعود إلى الثقلين فكما بعث الله ﷻ رسلاً من الإنس، فكذلك بعث إلى الجن رسلاً منهم. وهذا مروى عن الضحاك، وبهذا القول فسر الآية مقاتل بن سليمان^(٣).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٠٥)، وتفسير القرآن العظيم: (١٨٣/٢).

(٢) ينظر: الكشاف: (٢/٥٤)، ومفاتيح الغيب: (١٣/٢٠٥)، وإرشاد العقل السليم: (٢/٢٠٦).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٧٠).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي^(١):

أولاً: ظاهر الآية الكريمة: يدل على أن كلا الفريقين أرسل الله تعالى إليهم رسلاً.

ثانياً: النظائر القرآنية: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [٢٤: ٢٤].

ثالثاً: أنه سبحانه لم يجعل الرسول من الملائكة إنما جعله من الناس ليحصل كمال الاستئناس، ولتزول النفرة، وإذا كان هذا حاصل في الإنس، فيتوجب أن يكون حاصل في الجن وأن منهم رسلاً.

وأعرض عليه بما يلي:

أولاً: أن ظاهر الآية التي استدلوها بها، أجاب عنها الكثيرون بأن قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ أي من أحدكم وهم الإنس فحذف المضاف، وهو من باب التغليب كما قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] فقال في أيام وإنما الذبح يكون في يوم واحد من العشر وهو يوم النحر. وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي سَوَاءٍ وَاحِدَةٍ﴾ [نوح: ١٦] وإنما هو في سماء واحدة. فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس^(١).

ثانياً: ضعف بعض المفسرين هذا القول: قال ابن عطية: «وهذا ضعيف»^(١) وقال ابن كثير: «وفيه نظر؛ لأنها محتملة وليست بصريحة»^(١).

(١) ينظر: جامع البيان: (٣٦ / ٨)، والبحر المحيط: (٢٢٥ / ٤)، واللباب: (٤٣٥ / ٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٢٥٤ / ١)، ومعاني القرآن وإعرابه: (٢٩٢ / ٢)، أنوار التنزيل: (٣٢١ / ١).

(٣) المحرر الوجيز: (١٥٢ / ٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (١٧٧ / ٢).



وبعد عرض هذه الأقوال وأدلة كل قول يتبين صحة قول الجمهور وذلك
لقوة أدلتهم، ولأنه لم يسمع أن الله تعالى بعث في الجن رسولا منهم.

ولكن الأولى عدم الخوض في هذا المسألة فلم يرد نص قطعي يعول عليه.
قال محمد رشيد رضا: «وجملة القول في الخلاف أنه ليس في المسألة نص قطعي»^(١)
ولهذا والله أعلم توقف جمع من المفسرين في المسألة فلم يرجحوا قولاً دون قول
كالطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والبغوي^(٦)، وابن جزري
الكلبي^(٧)، وأبو حيان^(٨)، ومحمد رشيد رضا^(٩)، والله أعلم.



(١) تفسير المنار: (١٠٧/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٣٦/٨).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (٤٨٣/١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (١٩٢/٤).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (١٤٥/٢).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (١٩٠/٣).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢١/٢).

(٨) ينظر: البحر المحيط: (٢٢٥/٤).

(٩) ينظر: تفسير المنار: (١٠٧/٨).



قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

٨٣- مسألة في قراءات قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾

قال القرطبي ~ « في الآية أربع قراءات، أصحها قراءة الجمهور: ﴿زَيْنٌ
لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ ، وهذه قراءة أهل
الحرمين وأهل الكوفة وأهل البصرة. "شركاؤهم" رفع بـ "زَيْنٌ" لأنهم زينوا ولم
يقتلوا. "قَتَلَ" نصب بـ "زَيْنٌ" و"أولادهم" مضاف إلى المفعول، والأصل في المصدر
أن يضاف إلى الفاعل؛ لأنه أحدثه، ولأنه لا يُستغنى عنه، ويُستغنى عن المفعول، فهو
هنا مضاف إلى المفعول لفظاً مضاف إلى الفاعل معنى، لأن التقدير: زين لكثير من
المشركين قتلهم أولادهم شركاؤهم ثم حذف المضاف، وهو الفاعل كما حذف من
قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُؤُاْ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] أي: من دعائه الخير فالهاء فاعلة
الدعاء، أي: لا يسأم الإنسان من أن يدعو بالخير. وكذا قوله: زين لكثير من المشركين
في أن يقتلوا أولادهم شركاؤهم. قال مكي: وهذه القراءة هي الاختيار؛ لصحة
الإعراب فيها، ولأن عليها الجماعة ^(١) «...» ^(٢).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي قراءة الجمهور وهي بفتح الزاي في "زَيْنٌ" ونصب "قتل"
وخفض "أولادهم" ورفع "شركاؤهم" ^(١).

(١) ينظر: الكشف في وجوه القراءات السبع: (١/٤٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٣١).

(٣) ينظر: النشر- في القراءات العشر-: (٢/٢٦٣)، والتيسير في القراءات السبع: (١/١٠٧)، والحجة في
الطه =

ووافق في ذلك الطبري^(١)، والنحاس^(٢)، وابن عطية^(٣)، والفخر الرازي^(٤).

وحجتهم في ذلك:

١- إجماع الحجة من القراء عليها. قال الطبري: «وهي القراءة التي لا أستجيز غيرها.... وإنما قلت: لا أستجيز غيرها لإجماع الحجة من القراء عليه»

٢- صحة الإعراب فيها لذلك تنصب "قتلا" بـ"زين"، وخفض "أولادهم" بالإضافة، و"شركاؤهم" ترفع بـ"زين" لا "بالقتل" لأن "شركاؤهم" في الدين ورؤساؤهم زينوا للمشركين القتل ولم يقتلوا^(٥). قال الفخر الرازي: «والسبب في تقديم المفعول هو أنهم يقدمون الأهم، والذي هم بشأنه أعنى، وموضع التعجب ههنا إقدامهم على قتل أولادهم فلهذا السبب حصل هذا التقدير»^(٦)

٣- لهذه القراءة وهي تقديم المفعول على الفاعل نظير في القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]

القراءات السبع: (١/١٥٠)، والسبعة في القراءات: (١/٢٧٠).

- (١) ينظر: جامع البيان: (٨/٣٦).
- (٢) ينظر: معاني القرآن: (٢/٩٨).
- (٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٥٧).
- (٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٠٦).
- (٥) ينظر: إعراب القرآن: (٢/٩٨)، وإعراب القراءات السبع وعللها: (١/١٧١).
- (٦) مفاتيح الغيب: (١٣/١٦٩).

وفي المسألة قراءات أخرى:

القراءة الثانية: قراءة ابن عامر وأهل الشام وهي: "زُين" بضم الزاي لكثير من المشركين "قتل" برفع قتل ونصب أولادهم، شركائهم بالخفض^(١).
ومعناها: أن الشركاء هم القاتلون للأولاد.

أما الإعراب: فكونها فصلت بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهو قليل وقبيح في الاستعمال كما أعاب ذلك الزمخشري^(٢)، وتبعه في ذلك الفخر الرازي^(٣)، وابن الأنباري^(٤) والعكبري^(٥)، والآلوسي^(٦)، والشوكاني^(٧).

وقد أجاب بعض المفسرين واللغويين عن هذه القراءة:

١ - أنها قراءة متواترة صحيحة^(٨)، وهي قراءة قوية في الرواية، وعالية في الإسناد كما بين ذلك الكرمانى^(٩)

٢ - أن قارئها من أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة^(١٠).

(١) ينظر: النشر- في القراءات العشر-: (٢/٢٦٣)، والتيسير في القراءات السبع: (١/١٠٧)، والحجة في القراءات السبع: (١/١٥٠)، والسبعة في القراءات: (١/٢٧٠).

(٢) ينظر: الكشف: (٢/٥٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٠٦).

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن: (١/٣٤٣).

(٥) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: (١/٢٦٢).

(٦) ينظر: روح المعاني: (٨/٣٣).

(٧) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦٦).

(٨) ينظر: النشر- في القراءات العشر-: (٢/٢٦٣)، والتيسير في القراءات السبع: (١/١٠٧)، والحجة في القراءات السبع: (١/١٥٠)، والسبعة في القراءات: (١/٢٧٠).

(٩) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل: (١/٣٨٧)، وإبراز المعاني من حرز الأمانى: (٢/٤٦٦).

(١٠) أما علو سنده: فإنه قرأ على أبي الدرداء، ووائله بن الأسقع، وفضالة بن عبيد، ومعاوية بن أبي سفيان،
=



٣- أنه يجوز مثل هذا الفصل، وهو الفصل بين المصدر وفاعلة المضاف إليه بالمفعول في الفصح الشائع، ولا يختص ذلك بضرورة الشعر، ويكفي في ذلك هذه القراءة الصحيحة المشهورة. وقد قال إمام اللغة والنحو محمد بن مالك^(١) في منظومته الكافية الشافية في الفصل بين المتضامين:

وعمدتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر^(٢)

٤- أنه قد تم الفصل بالظرف في كثير من المواضع نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] وغيره في الشعر كثير^(٣).

القراءة الثالثة: قراءة بعض أهل الشام "زين" بضم الزاي لكثير من المشركين "قتل" بالرفع "أولادهم" بالخفض "شركائهم" بالخفض أيضاً.

القراءة الرابعة: قراءة الحسن وأبي عبدالرحمن السلمي وهي: "زين" بضم الزاي لكثير من المشركين "قتل" بالرفع و"أولادهم" بالخفض و"شركاؤهم" بالرفع^(٤).
وحجتهم: أن "قتل" اسم ما لم يسم فاعله. "شركاؤهم" رفع بإضمار فعل لأن

﴿﴾ =

والمغيرة المخزومي، ونقل يحيى الذماري أنه قرأ على عثمان نفسه.

وأما قدم هجرته: فإنه ولد في حياة رسول الله ﷺ، وناهيك به أن هشام بن عمار أحد شيوخ البخاري أخذ عن أصحاب أصحابه، وترجمته متسعة ذكرتها.

(١) هو محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني، جمال الدين أبو عبدالله، من تصانيفه: التسهيل، والألفية، ومختصر الشاطبية في القراءات، (ت: ٦٧٢ هـ) ينظر: تاريخ الإسلام: (٦٥/٦٦)، والوفيات: (٣٣٢/١)، ومعجم المؤلفين: (١٠/٢٣٤).

(٢) من منظومته الكافية الشافية، ينظر: شرح الكافية الشافية: (٢/٩٧٩).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٣١)، والبحر المحيط: (٤/٢٣١).

(٤) ينظر: المحتسب لابن جني: (١/٣٣٨)، ونسبها ابن خالويه لعلي بن أبي طالب. ينظر: مختصر في شواذ القرآن: (٤٦)، والبحر المحيط: (٤/٢٣١).



زُيِّن يدل على ذلك أي زينه شركاؤهم، ويجوز على هذا: ضُرب زيدُ عمرو، بمعنى ضربه عمرو، وأنشد سيبويه: لبيك يزيد ضارع لخصومة^(١)

والذي يُعترض به على القراءتين السابقتين: أنهما من القراءات الشاذة التي لا يصح الأخذ بها^(٢)، ويستأنس بها في أوجه التفسير.

مما سبق يتبين صحة القراءتين الأولى والثانية، وأنهما متواترتان، وإن كانت الأقوى منهن ما رجحه القرطبي لقوة الوجه الإعرابي فيها، فإن هذا لا يعني ضعف قراءة ابن عامر، بل هي قراءة متواترة صحيحة المعنى، والقاعدة الترجيحية تنص على هذا وهي: "إذا ثبتت القراءة فلا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة"^(٣). والله أعلم.



(١) ينظر: إعراب القرآن: (٩٨/٢)، والبحر المحيط: (٢٣١/٤)، واللباب: (٤٤٧/٨).

(٢) ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات: (٣٣٨/١)، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: (٤٦).

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١١٠/١).



قال تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٨٤ - المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يريد ما يسيبونه^(١) لأهنتهم على ما تقدم من النصيب.

وقال مجاهد^(٢): المراد البحيرة^(٣) والوصيلة^(٤) والحام^(٥) »^(٦).

(١) السائبة: المخلاة من الأنعام تذهب حيث شاءت، وكانوا يسيبونها لأهنتهم فلا يركبون لها ظهراً، ولا يجلبون لها لبناً. ينظر: مفردات في غريب القرآن: (٤٣١)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: (١٥١)، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن: (١٢٤).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٧/٨).

(٣) البحيرة: هي الناقة تلد خمسة أبطن، فإذا كان الخامس أنثى شقوا وبحروا أذنبا، ولا يجوز وبرها، وحرمت على النساء، وإن كان ذكراً ذبحوه للآلهة فأكله الرجال والنساء، وقيل هي التي يمنع درها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس. ينظر: مفردات في غريب القرآن: (١٠٨)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: (١٥١)، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن: (١٢٤).

(٤) الوصلة: هي الشاة تلد سبعة أبطن، فإذا كان السابع أنثى، أو ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلا تذبح، ويعتقونها كالسائبة، وإن كان ذكراً ذبحوها وقدموها لأهنتهم. ينظر: مفردات في غريب القرآن: (٨٧٣)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: (١٥١)، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن: (١٢٤).

(٥) الحام: هو البعير إذا ولد ولد ولده قالوا قد قضى ما عليه وحمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم، ولا ينتفعون منه بشيء، ولا يمنع من مرعى. ينظر: مفردات في غريب القرآن: (٢٩٥)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: (١٥١)، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن: (١٢٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: (٤٥/٩).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بها السائبة فقط، ولم أر - فيما اطلعت عليه - أحداً من المفسرين اقتصر على هذا النوع دون غيره.

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بها البحيرة والوصيلة والحام، وهذا عن مجاهد.

القول الثالث: أن المراد بها البحيرة والسائبة والحام، وهذا عن السدي^(١). واختار هذا القول من المفسرين الواحدي^(٢)، والزمخشري^(٣)، والفخر الرازي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والنسفي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، وابن عادل^(٨)، وأبو السعود^(٩)، والشوكاني^(١٠)، والقاسمي^(١١).

القول الرابع: المراد بها الحام، وهذا عن ابن عباس^(١٢)، ومقاتل^(١٣)

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٧/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٤/١٣٩٤)، وعزاه السيوطي إليه وإلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٦٤).

(٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٧).

(٣) ينظر: الكشاف: (٢/٥٥).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٠٧).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢٣).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٥).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٣٣).

(٨) ينظر: اللباب: (٨/٤٠٦).

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢١١).

(١٠) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦٨).

(١١) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧٣٧).

(١٢) نسبه ابن الجوزي إلى ابن عباس في زاد المسير: (٣/١٣٢).

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: (١/٣٧٣).



واختاره من المفسرين ابن قتيبة^(١)، والسمرقندي^(٢)، والثعلبي^(٣)، والسمعاني^(٤)،
والبغوي^(٥)، وابن الجوزي^(٦)، والخازن^(٧).

القول الخامس: المراد بها السائبة والوصيلة، وهذا عن قتادة^(٨). وقال به
النحاس^(٩).

القول السادس: المراد بها السائبة والوصيلة والحام، وهذا عن الحسن ومجاهد^(١٠)،
وبه قال الجصاص^(١١)، والكي الهراسي^(١٢).

**وعند التأمل في هذه الأقوال نجد أن القول بالعموم هو الأولى والأظهر
فيكون معنى الأنعام التي حرمت ظهورها: هي التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿مَا
جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] وهذا من مقتضيات العموم في
الآية، ولا وجه لتخصيص قول دون آخر، ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية معتبرة عند**

-
- (١) ينظر: غريب القرآن: (١٦١).
 - (٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٨٦/١).
 - (٣) ينظر: الكشف والبيان: (١٩٥/٤).
 - (٤) ينظر: تفسير السمعاني: (١٤٨/٢).
 - (٥) ينظر: معالم التنزيل: (٦٨/٢).
 - (٦) ينظر: تذكرة الأريب: (١٦٩/١).
 - (٧) ينظر: تفسير الخازن: (١٦٢/٢).
 - (٨) ذكره النحاس في معاني القرآن: (٤٩٦/٢).
 - (٩) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (٤٩٦/٢).
 - (١٠) ينظر: أحكام القرآن: (١٧٤/٤)، ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين ذكر هذه الرواية عن
الحسن ومجاهد إلا الجصاص.
 - (١١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١٧٤/٤).
 - (١٢) ينظر: أحكام القرآن: (٣٣٧/٣).



المفسرين وهي أنه: " يجب حمل نصوص الوحي على العموم ^(١) " ولأن الوصف المذكور في سورة المائدة وصف كلي تدخل فيه كل هذه الأصناف وبهذا قال ابن عطية ^(٢)، وابن جزي الكلبي ^(٣)، قال ابن عطية: « كانت للعرب سنن إذا فعلت الناقة كذا من جودة النسل والمواصلة بين الإناث ونحوه حُرْم ظهرها فلم تُركب، وإذا فعل الفحل كذا وكذا حرم، فعدد الله ذلك على جهة الرد عليهم إذ شرعوا ذلك برأيهم وكذبهم ^(٤) « والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٥٢٧).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٦٠).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٢).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٦٠).



قال تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٣٩]

في الآية الكريمة مسألة واحدة:

٨٥- المسألة الثانية: المراد بأزواجنا عند قوله تعالى: ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَزْوَاجِنَا ﴾

قال القرطبي ~ : « ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَزْوَاجِنَا ﴾: أي بناتنا؛ عن ابن زيد^(١). وغيره^(٢): نساؤهم^(٣) ».

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي قول ابن زيد، وهو أن المراد بأزواجنا: هن البنات. ولم أر - بحسب اطلاعي - أحداً من المفسرين اختار هذا القول.

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بأزواجنا: هن النساء وهذا مروى عن مجاهد، وقتادة^(٤)، وجزم به الثعلبي^(٥)، والبغوي^(٦)، وأبو حيان^(٧)، والثعالبي^(٨).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٩/٨).

(٢) عن مجاهد، وقتادة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٤٧/٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٩/٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٩٥/٥)، وعزا السيوطي رواية مجاهد إلى ابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ. ورواية قتادة إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ كما في الدر: (٣٦٥/٣). وينظر: تفسير مجاهد: (٢٢٤/١).

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (١٩٦/٤).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٦٩/٢).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٢٣٤/٤).

(٨) ينظر: الجواهر الحسان: (٥١٤/١).



يتبين أن المقصود: التحريم على جنس الإناث، وهن البنات والزوجات وبهذا يتضح أن كلا المعنيين مقصود، وهذا ما رجحه الطبري^(١) حيث قال: « والأزواج إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شك بنات من هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه »^(٢)، ووافقه النحاس^(٣)، والبيضاوي^(٤)، والنسفي^(٥)، وأبو السعود^(٦)، والشوكاني حيث قال: « فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن »^(٧). ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية وهي: " ينبغي حمل نصوص الوحي على القول بالعموم ما لم يرد نص بالتخصيص " ^(٨) " والله أعلم .



-
- (١) ينظر: جامع البيان: (٤٩ / ٨).
 - (٢) ينظر: المصدر السابق: (٤٩ / ٨).
 - (٣) ينظر: معاني القرآن: (٣٥٧ / ١).
 - (٤) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٣ / ١).
 - (٥) ينظر: مدارك التنزيل: (٣٦ / ٢).
 - (٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢١٢ / ٢).
 - (٧) فتح القدير: (١٦٧ / ٢).
 - (٨) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧ / ٢).



قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١]

في الآية الكريمة خمس مسائل:

٨٦- المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى ﴿ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾

قال القرطبي ~ : « جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ أي: بساتين ممسوكات مرفوعات ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ غير مرفوعات.

قال ابن عباس: ﴿ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ ما انبسط على الأرض مما يفرش مثل الكروم والزروع والبطيخ. ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ ما قام على ساق مثل النخل وسائر الأشجار^(١).

وقيل: المعروشات: ما ارتفعت أشجارها. وأصل التعريش: الرفع.

وعن ابن عباس أيضاً: " المعروشات " ما أثبتته ورفعته الناس، " وغير المعروشات " ما خرج في البراري^(١) والجبال من الثمار. يدل عليه قراءة علي رضي الله عنه " مغروشات وغير مغروشات " بالغين المعجمة والسين المهملة^(٢) «^(٣).

(١) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر كما في الدر المنثور: (٣/٣٦٧). وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة: (١/٣٩٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٥٢)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر: (٣/٣٦٧). وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة: (١/٣٩٥).

(٣) قراءة شاذة ولم أجد أحداً ذكرها غير القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٩/٥٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٥٠).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالمعروشات: الممسوكات المرفوعات، وغير معروشات: غير مرفوعات. وقد وافق في اختياره هذا المروي عن ابن عباس في رواية له^(١)، وجزم به أبو عبيدة^(٢)، والطبري^(٣)، والثعلبي^(٤)، والبغوي^(٥)، والزنجشري^(٦)، وابن العربي^(٧)، ووافقهم البيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، وابن جزى الكلبي^(١٠)، والثعالبي^(١١)، وأبو السعود^(١٢)، والشوكاني^(١٣)، والآلوسي^(١٤)، والقاسمي^(١٥).

وحتهم: الاشتقاق اللغوي: فمادة (عرش) تدل على ارتفاع في شيء مبني، والعرش في الأصل: شيء مُسَقَّف، وجمعه عروش والمعروشات: اسم مفعول من عَرَشَ يعرِش، ويعرُش عَرِشاً. ومنه يقال: عَرِشْتُ العنب، أعرِشه عرِشاً، وعرِشته

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٥٢ / ٨).

(٢) ينظر: مجاز القرآن: (٢٠٧ / ١).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٥٢ / ٨).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (١٩٧ / ٤).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٧٠ / ٢).

(٦) ينظر: الكشف: (٥٦ / ٢).

(٧) ينظر: أحكام القرآن: (٢٠٩ / ٢).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٤ / ١).

(٩) ينظر: مدارك التنزيل: (٣٦ / ٢).

(١٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٣ / ٢).

(١١) ينظر: الجواهر الحسان: (٥١٥ / ١).

(١٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢١٢ / ٢).

(١٣) ينظر: فتح القدير: (١٦٨ / ٢).

(١٤) ينظر: روح المعاني: (٣٧ / ٨).

(١٥) ينظر: محاسن التأويل: (٧٤٠ / ٦).



تعريشاً؛ إذا جعلت له كهيئة سقف. والعريش بناء من قضبان يرفع، ويوثق حتى يُظَلَّل^(١).

وعليه فإن معنى المعروشات: المرفوعات على العروش؛ ليكون النماء في ارتفاع، لا على وجه الأرض، لأن ذلك أجود للثمر؛ إذ لم يكن ملقى على وجه الأرض. وغير المعروشات: المتروكات على وجه الأرض لم تُعرش، ومن محاسنها أنها تزين وجه الأرض^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد بالمعروشات: ما انبسط على الأرض مما يفرش مثل الكروم والزروع والبطيخ، وغير معروشات: ما قام على ساق مثل النخل وسائر الأشجار، وهذا المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، ورجحه الفراء^(٣)، والزجاج^(٤)، وجزم به السمرقندي^(٥)، والواحدي^(٦)، وابن الجوزي^(٧)، وأبو حيان^(٨). وهذا القول عكس الأول، ولم تدل عليه لغة العرب.

القول الثالث: أن المعروشات: ما أُنبتة ورفعته الناس، وغير المعروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار. وهو مروي عن ابن عباس أيضاً.

(١) ينظر: تهذيب اللغة: (١/٢٦٥)، ومقاييس اللغة: (٤/٢٦٦)، والمفردات في غريب القرآن: (٥٥٨)، ولسان العرب: (٦/٣١٥) والمعجم الوسيط: (٢/٥٩٣).

(٢) ينظر: الكشف: (٢/٥٦)، وأنوار التنزيل: (١/٣٢٤)، والتحرير والتنوير: (٧/٨٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٩٦).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٨٨).

(٦) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٨).

(٧) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٠).

(٨) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٣٨).



وعليه خصّ الأول: بما يحتاج إلى أن يتخذ له عريش يُحمل عليه. وخصّ الثاني: بالقائم من الشجر المستغني باستوائه عن التعريش^(١).

وحجتهم: قراءة علي عليه السلام مغروسات وغير مغروسات، وهي قراءة تفسيرية شاذة^(٢).

وعدد الأقوال بعض المفسرين بلا اختيار^(٣).

والأرجح في هذا ما اختاره القرطبي من أن المعروشات المرفوعات، وذلك لأنه أظهر في الاشتقاق، قال ابن العربي: «والعرش: كل ما ارتفع فوق غيره.... وساق أقوالاً ثم قال: والأول أقوى في الاشتقاق»^(٤) ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية هي: "أن القول الذي يؤيده اشتقاق الكلمة أولى بتفسير الآية^(٥) والله أعلم.



(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٠٩).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٥٠).

(٣) كالمورد في النكت والعيون: (٢/١٧٨)، وابن عطية في المحرر الوجيز: (٦/١٦٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٣/٢١٢)، ونظام الدين النيسابوري في غرائب القرآن: (٣/١٧٧)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: (٢/١٨٨)، وابن عادل الحنبلي واللباب: (٨/٤٦٧).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٠٩).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥١١).



٨٧- المسألة الثانية: عند قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ هل في

الزيتون زكاة؟

قال القرطبي ~ : « بعد أن ذكر قول الشافعي وهو: لا زكاة في الزيتون؛ لقوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ فقرنه مع الرمان، ولا زكاة فيه. وأيضا فإن التين أنفع منه في القوت ولا زكاة فيه.

وللشافعي قول بزكاة الزيتون قاله بالعراق، والأول قاله بمصر؛ فاضطرب قول الشافعي في الزيتون، ولم يختلف قول مالك..... قلت: بهذا استدل من أوجب العشر- في الخضر- اوات؛ فإنه تعالى قال: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ والمذكور قبله الزيتون والرمان، والمذكور عقب جملة ينصرف إلى الأخير بلا خلاف قاله الكيا الطبري^(١)»^(٢)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي وجوب الزكاة في الزيتون، وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه^(١)، والإمام مالك^(٢)، وقول للشافعي قاله بالعراق^(٣)، والکيا الهراسي^(٤)، وابن العربي^(٥).

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٣/٣٤٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٦٠).

(٣) ينظر: الحجة: (١/٥١٢)، والمبسوط للشيباني: (٢/١٦٣)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: (١/٣١٩).

(٤) ينظر: المدونة الكبرى: (٢/٣٤٣)، والتاج والإكليل: (٢/٢٧٩)، والكافي لابن عبد البر: (١/١٠١).

(٥) ينظر: التنبيه: (٥٧)، والمهذب: (١/١٥٣)، والوسيط: (٢/٤٥٨).

(٦) ينظر: أحكام القرآن للکيا الهراسي: (٣/٣٤٣).

(٧) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٢١٤).



وحجتهم:

من المنقول ظاهر الآية ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ﴾ وأعقبها بقوله: ﴿وَأَثْوَأ حَقَّهُ﴾. **يَوْمَ حَصَادِهِ** فهو حكم مشترك بين تلك المذكورات؛ فلا بد من عوده عليها جميعها.

ومن المعقول:

- ١ - قياس على النخل والعنب المجمع على الزكاة فيها.
- ٢ - أنه حب يقتات زيتته غالباً، فوجبت فيه الزكاة كالسمسم.
- ٣ - أن الزكاة لما وجبت في الحمص واللوبيا، وكان الزيتون أعم نفعاً منها في باب الأثوات، كان أولى بأن تجب فيه الزكاة^(١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أنه لا زكاة فيه، وهو قول للشافعي قاله بمصر^(١)، وبه قال الجصاص من الحنفية^(٢).

وحجتهم: من المنقول:

- ١ - أنه سبحانه قرن الزيتون مع الرمان، والرمان لا يدخر؛ ولا زكاة فيه فكذلك الزيتون.
- ٢ - الحديث المروي عن معاذ وأبي موسى: (لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة: الشعير، والحنطة، والزبيب، والتمر)^(٣) ولم يذكر الزيتون منها.

(١) ينظر: المنتقى: (٢٨٥/٣).

(٢) ينظر: الأم: (٣٤/٢)، المهذب: (١٥٣/١)، الوسيط: (٤٥٨/٢).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١٧٨/٤).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الزكاة، (١/٥٥٨) برقم: (١٤٥٩) وأخرجه الدار قطني في سننه في كتاب الزكاة، باب ليس في الخضروات صدقة: (٢/٩٨). برقم: (١٥).

ومن المعقول^(١):

١ - أن الزيتون ثمرة لا تقتات في حال الاختيار، فأشبهت التين فلا زكاة فيها.

٢ - أنه لا يدخر يابساً فلم تجب فيه الزكاة كالخضروات.

ويجاب عن هذا:

١ - أن اقتران الزيتون مع الرمان لا يعني هذا اشتراكهما في الزكاة، بل قد ينصرف إلى أمور أخرى كالمنشأ، والمنبت، وشكل الورق، وفصل نضجه وقطفه... الخ، ولا يعني بالضرورة إشراكهما في الزكاة.

٢ - أما الحديث فلا يقتصر على هذه الأربعة بل يتعداه إلى غيره، وإنما هي أمثال والحصر في هذا الخبر لا يستقيم، كما أن هذا الأثر لا يخلو من كلام^(٢)

٣ - ومن ادعى أن الزيتون لا يقتات فدعواه باطلة فهو حب يدخر ذاته ويدخر زيته.

لذلك فإن ما اختاره القرطبي هو الأرجح، وأن في الزيتون زكاة، وذلك لقوة أدلتهم وحججهم؛ فهو الموافق لظاهر التنزيل، حيث عطف الزيتون والرمان على قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ فوجبت فيه الزكاة. ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية هي: " لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^(٣) " وهو الذي عليه جمهور العلماء كما تقدم. والله أعلم.

(١) ينظر: المهذب: (٢٠٨/١)، والمغني: (١٦١/٤).

(٢) ينظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية: (٢٦٣/١)، ونصب الرابة: (٣٨٨/٢)، وتفصيل القول في هذا الحديث في المسألة التي تليها.

(٣) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٣٧/١).



٨٨- المسألة الثالثة: عند قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ زكاة

الخارج من الأرض؟

قال القرطبي ~ : « واختلف الناس في وجوب الزكاة في جميع ما تضمنته أو بعضه، وقد كان بالطائف^(١) الرمان والفرسك^(٢) والأترج^(٣) فما اعترضه رسول الله ﷺ ولا ذكره، ولا أحد من خلفائه. قلت: وهذا وإن لم يذكره في الأحكام^(٤) هو الصحيح في المسألة وأن الخضراوات ليس فيها شيء^(٥) »

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن الزكاة تجب فيما يقتات ويدخر، أما الخضراوات فليست كذلك ولا زكاة فيها. وقد وافق في ذلك الإمام مالك وأصحابه، والشافعي^(٦)، والكنيا الهراس^(٧).

(١) الطائف: هو وادي وج وهو بلاد ثقيف بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، وهي ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تبالة وجل أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قریش. ينظر: معجم البلدان: (٩/٤).

(٢) الفرسك: ضرب من الخوخ ليس يتفلق عن نواه، وقيل: هو مثل الخوخ من شجر العضاة وهو أجرد أملس أحمر وأصفر وطعمه كطعم الخوخ، ويقال له الفرستق أيضا.

ينظر: لسان العرب: (١٠/٤٧٥)، وتاج العروس: (٢٧/٢٩٧)، النهاية في غريب الأثر: (٣/٤٢٩).

(٣) الأترج: شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة حامض الماء، وفي الأترج منافع كثيرة، وهو مركب من أربعة أشياء قشر ولحم وبزر ولكل واحد منها مزاج يخصه. ينظر: المعجم الوسيط: (١/٤) وزاد المعاد: (٤/٢٨٤).

(٤) يقصد به أحكام القرآن لابن العربي.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٩/٥٦).

(٦) ينظر: روضة الطالبين: (٢/٢٣١).

(٧) ينظر: أحكام القرآن للكنيا الهراسي: (٣/٣٤٣).

واحتجوا:

أولاً: بأن النص والإجماع دلا على وجوب الزكاة في الحنطة والشعير، والتمر والزبيب، وكل واحد منها مقتات مدخر، فألحقوا بها كل ما كان في معناها لكونه مقتاتاً ومدخراً، والزكاة إنما يقصد بها سد الخلة، وذلك لا يكون غالباً إلا فيما هو قوت، فأسقطوا الزكاة فيما عدا المقتات.

ثانياً: حديث علي عليه السلام مرفوعاً (ليس في الخضر-وات صدقة) ^(١) وحديث معاذ رضي الله عنه قال: (فأما القثاء، والبطيخ، والرمان، والقضب، والخضر، فعفو عفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم) ^(٢)

ثالثاً: أنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد أصحابه رضي الله عنه أخذ الزكاة من خضر.

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في زكاة الخضر-وات (٣/٣٠)، برقم: (٦٣٨) من طريق الحسن بن عماره عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضر-وات، وهي البقول؟ فقال: ليس فيها شيء. والعمل على هذا عند أهل العلم أن ليس في الخضر-وات صدقة، قال أبو عيسى: والحسن هو ابن عماره، وهو ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه شعبة وغيره، وتركه ابن المبارك... ينظر: تقريب التهذيب: (١٦٢)، والضعفاء الكبير: (١/٢٣٧)، والدراية في تخريج أحاديث الهداية: (١/٢٦٣)، وتنقيح تحقيق أحاديث التعليق: (٢/١٩٧).

وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٦/١٠٠)، برقم: (٥٩٢١)، والبزار في مسنده مما روي عن موسى بن طلحة (٣/١٥٦) برقم: (٩٤٠).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الزكاة، باب الصدقة فيما يزرعه الأدميون ويبيس ويدخر ويقتات دون ما تنبته الأرض من الخضر- (٤/١٢٨)، برقم: (٧٢٦٨)، وأخرجه الدارقطني في سننه في كتاب الزكاة، باب ليس في الخضر-وات شيء: (٢/٩٧)، برقم: (٩) كلهم من حديث إسحاق بن يحيى بن عن عمه موسى بن طلحة عن معاذ وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الزكاة: (١/٥٥٨)، برقم (١٤٥٨) وللحديث علتان: الأولى: إسحاق بن يحيى متروك الحديث، والثانية: الانقطاع ما بين موسى ومعاذ. ينظر: الكامل في الضعفاء: (١/٣٣٢)، والضعفاء الكبير: (١/١٠٣)، وتنقيح تحقيق أحاديث التعليق: (٢/١٩٩).



المدينة وخيبر، وقد كانت كثيرة، ولا أخذ الفاكهة من الطائف^(١) فالزكاة تؤخذ من يابسها، ولم تؤخذ من أخضرها.

ويمكن الجواب عما سبق:

أولاً: أنه سبحانه قال: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بعد ذكر المقتات وغيره فلم يحرص إيتاء الحق في المقتات فقط، بل تعداه إلى غيره، وأجاب ابن العربي بقوله: «إنما تؤخذ الزكاة من كل نوع عند انتهائه فاليابس انتهاء اليابس، والطيب انتهاء الأخضر. ولذلك إذا كان الرطب لا يثمر، والعنب لا يتزبب تؤخذ الزكاة منهما على حالها، ولو لم تكن الفاكهة الخضرية أصلاً في اللذة، وركنا في النعمة ما وقع الامتنان بها في الجنة. ألا تراه وصف جمالها ولذتها فقال: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] فذكر النخل أصلاً في المقتات، والرمان أصلاً في الخضروات»^(٢).

ثانياً: أما الأحاديث فلم يصح شيء في هذا الباب. قال أبو عيسى: (إسناد هذا الحديث ليس بصحيح، وليس يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء، وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة^(٣) عن النبي ﷺ مرسلًا)^(٤).

ثالثاً: قولهم: "لم ينقل عنه ﷺ أنه أخذ الزكاة من الخضر" لا يكون دليلاً فقاعدة الاستدلال تنص على أن [عدم العلم بالدليل، ليس علماً بالعدم] فعدم وجود الدليل ليس نفيًا للوجود.

(١) ينظر: العذب النمير: (٢/٣٢٨).

(٢) أحكام القرآن: (٢/٢١٣).

(٣) هو موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي أبو عيسى أو أبو محمد المدني، نزيل الكوفة ثقة جليل من الثانية، وأمّه خولة بنت القعقاع بن معبد ويقال إنه ولد في عهد النبي ﷺ (ت: ١٠٣ هـ). ينظر: طبقات ابن سعد: (٦/٢١١)، والثقات: (٥/٤٠١)، وتقريب التهذيب: (٥٥١).

(٤) ينظر: سنن الترمذي: (٣/٣٠).

وفى المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن الزكاة تجب في الأربعة المذكورة في الحديث النبوي المروي عن أبي موسى ومعاذ، وإليه ذهب جماعة من التابعين، ومن بعدهم^(١)، وهو رواية عن الإمام أحمد^(٢)

واحتجوا بأحاديث منها^(٣):

ما رواه موسى بن طلحة أنه قال: (عندنا كتاب معاذ عن النبي ﷺ أنه إنما أخذ الصدقة من الحنطة والشعير، والزبيب، والتمر)^(٤)

ويأتي الجواب عن هذا:

بأن ما استدلوا به من أخبار فيها نظر^(٥) قال ابن عثيمين^(٦): «ولو صح هذا

(١) قال به موسى بن طلحة، والحسن البصري، وابن سيرين، والشعبي، والحسن بن صالح، وابن أبي ليلى، وابن المبارك، وأبي عبيد. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٥٦/٩).

(٢) ينظر: المغني: (٢٩٥/٢).

(٣) حديث عمر رضي الله عنه قال: (إنما سن رسول الله ﷺ الزكاة في هذه الأربعة: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب)، وحديث أبي موسى الأشعري ومعاذ رضي الله عنهما حين بعثهما رسول الله ﷺ إلى اليمن يعلمان الناس أمر دينهم: لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة الحنطة والشعير، والتمر، والزبيب)، وما رواه موسى بن طلحة: (أن معاذاً لما قدم اليمن لم يأخذ الزكاة إلا من الحنطة والشعير، والتمر، والزبيب).

(٤) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الزكاة: (٥٥٨/١)، برقم: (١٤٥٧) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الزكاة باب الصدقة فيما يزرعه الأدميون ويابس ويدخر ويقتات دون ما تنبت الأرض من الخضر،: (١٢٨/٤) برقم: (٧٢٦٥) وأخرجه الدارقطني في سننه في كتاب الزكاة، باب ليس في الخضروات شي: (٩٧/٢)، برقم: (٨) كلهم من طريق سفيان عن عمرو بن عثمان عن موسى بن طلحة به.

قال الحاكم: «هذا حديث قد احتج بجميع رواه ولم يخرجاه وموسى بن طلحة تابعي كبير لم ينكر له أنه يدرك أيام معاذ رضي الله عنه» وتعقبه ابن عبد البر في الاستذكار: (١١٧/٣) بقوله: «لم يلق معاذاً ولا أدركه».

(٥) ممن ذهب إلى تضعيفها ابن عبد البر في الاستذكار: (١١٧/٣)، والزيلعي في نصب الراية: (٣٨٩/٢) وقال: «كلها مدخوله وفي متنها اضطراب».

(٦) هو: محمد بن صالح بن سليمان التيمي أبو عبد الله إمام عالم من مجتهدي المذهب الحنبلي في هذا العصر،
=



الحديث لكان فاصلاً في النزاع لكنه ضعيف»^(١) كما أن الحصر- فيها يحمل على أنه إضافي لا حقيقي.

القول الثالث: أن الزكاة فيما يكال وييسب ويبقى (أي يدخر)، ولو كان لا يقتات به وهي الرواية الأخرى المعتمدة عند الإمام أحمد^(٢)، وبه قال ابن تيمية^(٣)، وابن عثيمين^(٤).

واحتجوا:

لاشتراط اليبس والادخار ما تقدم من أدله القول الأول.

أما اشتراط الكيل فمن مفهوم قوله ﷺ: (ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة)^(٥) فبين النبي ﷺ أن محل الواجب هو الوسق أي المكيل فدل ذلك على انتفاء الزكاة مما لا توسيق فيه^(٦).

ويجاب عن هذا:

أن الذي يقتضي ظاهر الحديث أن يكون النصاب معتبراً في الحب والتمر. قال ابن

ع =

ذو سماء وهمة عالية في تحصيل العلم وكان زاهداً عابداً متواضعاً (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ) ينظر: الجامع لحياة العلامة محمد ابن عثيمين العلمية والعملية.

(١) الشرح الممتع: (٦٩/٦).

(٢) ينظر: الإنصاف للمرداوي: (٨٦/٣)، والمبدع: (٣٣٩/٢)، والمغني: (٢٩٣/٢).

(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية في الفقه: (٢٥/٢٠).

(٤) ينظر: الشرح الممتع: (٧٠/٦).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمس ذود صدقة عن أبي سعيد الخدري (٥٢٩/٢) برقم: (١٣٩٠) وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة عن جابر بن عبد الله ﷺ: (٦٧٥/٢)، برقم: (٩٨٠).

(٦) ينظر: المغني: (١٥٨/٤)، والكافي: (١٣٢/٢).



العربي: « الاستدلال بهذا الحديث ضعيف لأن الذي يقتضي ظاهر الحديث أن يكون النصاب معتبراً في التمر و الحب. فأما سقوط الحق عما عداها فليس في قوة الكلام »^(١)

القول الرابع: أن الزكاة تجب في كل الخارج من الأرض، مما يقصد بزراعته نماء الأرض، وتُستغل به عادة وهو مذهب الإمام أبي حنيفة^(٢)، وبه قال الجصاص^(٣)، وابن العربي^(٤) والفخر الرازي^(٥)، وأبو حيان^(٦).

وأدلتهم^(٧):

أولاً: ظاهر هذه الآية ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وذلك بعد أن ذكر أنواع المأكولات من الجنات، والزرع، والزيتون، والرمان فأوجب الحق في جميعها.

ثانياً: عموم قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فلم يفرّق سبحانه بين مخرج ومخرج لأن (ما) من قوله " مما " من ألفاظ العموم.

ثالثاً: عموم " ما " في قوله ﷺ: (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر)^(٨) فأوجب الزكاة في كل ما سُقي من غير فصل بين

(١) أحكام القرآن: (٢/٢١٢).

(٢) ينظر: بدائع الصنائع: (٢/٥٤)، والفتاوى الهندية: (١/١٨٦).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/١٧٩).

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٢١٢).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢١٤).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٣٩).

(٧) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/١٧٩)، وأضواء البيان: (١/٣٧٤).

(٨) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب: العشر- فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري (٢/٥٤٠)، برقم: (١٤١٢). وأخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في الصدقة فيما يسقى بالأنهار وغيره (٣/٣٢)، برقم (٦٤٠) قال أبو عيسى: « هذا حديث حسن صحيح ».



ما يبقى، وما لا يبقى، وما يؤكل، وما لا يؤكل، وما يقتات، وما لا يقتات^(١).

يتبين مما سبق أن كل مذهب له أدلة وحجج تؤيد مذهبهم، إلا أن الذي ذهب إليه أبو حنيفة من القول بالعموم في زكاة الخارج من الأرض، هو الظاهر، وهو الأرجح، إلا إذا ثبت دليل صحيح يقتضي الخصوص، فيخصص عموم الآية بذلك الخاص، وإن لم يثبت خاص وهو ما ظهر لنا فيبقي العموم الذي احتج به أبو حنيفة ~ ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية وهي:

" يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^(٢)،
والله أعلم.



﴿﴾ =

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى بنحوه في كتاب الزكاة باب: ما يوجب العشر - وما يوجب نصف العشر (٢١ / ٢) برقم: (٢٢٦٧)، وأخرجه أبو داود في سننه بنحوه في كتاب الزكاة، باب صدقة الزرع: (١٠٨ / ٢) برقم: (١٥٩٦)، وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه في كتاب الزكاة باب صدقة الزرع والثمار، (٥٨١ / ١) برقم: (١٨١٧). وكلهم عن ابن عمر من طريق الزهري عن سالم عن أبيه. قال أبو عيسى: « وقد صح حديث ابن عمر عن النبي ﷺ في هذا الباب وعليه العمل عند عامة الفقهاء » ينظر: سنن الترمذي: (٣١ / ٣).

(١) ينظر: بدائع الصنائع: (٥٠٦ / ٢)، وفتح القدير: (١٨٤ / ٢).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧ / ٢).



٨٩- المسألة الرابعة: وقت وجوب الزكاة عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

حَصَادِهِ﴾

قال القرطبي ~ : « واختلف العلماء في وقت الوجوب على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه وقت الجذاذ؛ قاله محمد بن مسلمة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾.

الثاني: يوم الطيب؛ لأن ما قبل الطيب يكون علفاً، لا قوتاً، ولا طعاماً، فإذا طاب وحن الأكل الذي أنعم الله به؛ وجب الحق الذي أمر الله به، إذ بتمام النعمة يجب شكر النعمة، ويكون الإيتاء وقت الحصاد لما قد وجب يوم الطيب.

الثالث: أنه يكون بعد تمام الخرص^(١)؛ لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة؛ فيكون شرطاً لوجوبها. أصله مجيء الساعي في الغنم، وبه قال المغيرة^(٢). والصحيح الأول لنص التنزيل، والمشهور من المذهب الثاني، وبه قال الشافعي^(٣) «أهـ^(٤)

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي أن وقت وجوب الزكاة وقت الجذاذ وقد وافق في ذلك الطبري^(٥)، والجصاص^(٦).

(١) الخرص هو: تقدير وحرز ما على النخل من الرطب ثمراً، وما على الكرم من العنب زيباً ليعرف مقدار عشره ثم يخلى بينه وبين مالكة ويؤخذ ذلك المقدار وقت قطع الثمار. ينظر: لسان العرب: (٢١ / ٧)، وعون المعبود: (٤ / ٣٤٥).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢ / ٢١٥).

وهو: المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو هاشم أو هشام المدني أخو أبي بكر، ثقة جواد، من الخامسة مات سنة بضع ومائة. ينظر: طبقات ابن سعد: (٥ / ٢١٠)، والكاشف: (٢ / ٢٨٦)، وتقريب التهذيب: (٥٤٣).

(٣) ينظر: الأم: (٢ / ٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩ / ٦١).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٨ / ٥٢).

(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤ / ١٧٩)، وأضواء البيان: (١ / ٣٧٤).



واحتجوا:

أولاً: بظاهر الآية ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ فلم يقدم تعلق الوجوب على زمان الإيتاء.

ثانياً: قوله ﷺ (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة)^(١) فالوجوب متعلق بالنصاب، ولا يعرف قدر النصاب إلا بعد الحصاد.

ثالثاً: واستدل بالان آخرا من طريق النظر:

١- أن الحق غير واجب إخراجه بنفس خروجه وبلوغه حتى يحصد في يد صاحبه؛ فحينئذ يلزمه إخراجه.

٢- أن ما أخرجته الأرض قبل الحصاد معرض للجوائح بالآفات السماوية والأرضية.

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن الزكاة تجب يوم الطيب - وهو بدو الصلاح في الثمرة، والاشتداد في الحب - ورجحه ابن العربي^(٢).

واحتجوا:

من الأثر: أن النبي ﷺ كان يأمر بالحرص عند بدو الصلاح، وكان هذا الخرص لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار، وتصرم، وحتى يضمن أربابها قدر الزكاة إذا جاء وقت الحصاد. فقد روي عن أبي حميد الساعدي^(٣) قال: (غزونا مع النبي ﷺ

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب زكاة الورق: (٢/ ٥٢٤)، برقم: (١٣٧٨) وفي باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة (٢/ ٥٤٠)، برقم: (١٤١٣). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة: (٢/ ٦٧٣) برقم: (٩٧٩).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٢/ ٢١٥).

(٣) أبو حميد الساعدي صحابي مشهور، اسمه المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل اسمه عبدالرحمن، وقيل عمرو،



غزوة تبوك فلما جاء وادي القرى^(١) إذا امرأة في حديقة لها، فقال النبي ﷺ لأصحابه:
"اخرصوا" وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق...^(٢)

ومن النظر: قال ابن العربي: « فإذا طابت، وكان الأكل الذي أنعم الله به؛ وجب
الحق الذي أمر الله به، إذ بتهام النعمة يجب شكر النعمة، ويكون الإيتاء وقت الحصاد
لما قد وجب يوم الطيب »^(٣)

القول الثالث: أنها تجب وقت الخرص فيه يُعلم القدر الواجب في الثمرة فيكون
الخرص شرطاً لوجوب الزكاة.

وعند النظر والتأمل نجد أن الأرجح مما سبق هو ما رجحه القرطبي
لظاهر الآية، وهو قوله: (يوم حصاده) ولم يقل سبحانه " وءاتوا حقه يوم
الطيب، وغيره " ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية وهي: " لا يجوز العدول عن ظاهر
الآية " ^(٤). والله أعلم.



﴿﴾

شهد أحدا وما بعدها، كان من صالحى الأنصار وقرائهم، وعاش إلى أول خلافة يزيد سنة ستين وتوفي
بالمدينة. ينظر: الاستيعاب: (٤/١٦٣٣)، والثقات: (٣/٣٨٤)، وتقريب التهذيب: (٦٣٥).

(١) هو واد بين المدينة والشام، كثير القرى،، واليه نسب عمر الوادي، وفتحها ﷺ سنة سبع عنوة ثم صلحوا
على الجزية. وفي سنة سبع لما فرغ النبي ﷺ من خيبر توجه إليها فدعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا وقتلوه
ففتحها عنوة، وغنم أموالها، فخمس رسول الله - ﷺ - ذلك وترك النخل والأرض في أيدي اليهود،
وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر. وهو يَصْبُ في وادي الجُرْل، وَقَدْ قَامَتْ فِيهِ مَدِينَةُ الْعُلَا الْآن.
ينظر: معجم البلدان: (٤/٢٧٥)، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: (١/٤٤٣).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب خرص التمر، (٢/٥٣٩) برقم: (١٤١١).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢١٥).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/١٣٧).



٩٠- المسألة الخامسة: هل يكون الإسراف في الخير؟ عند قوله تعالى:

﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

قال القرطبي ~ : بعد أن سرد بعض الأقوال « قلت: فعلى هذا تكون الصدقة بجميع المال، ومنع إخراج حق المساكين داخلين في حكم السرف، والعدل خلاف هذا؛ فيتصدق ويبقى كما قال ﷺ (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى)^(١) إلا أن يكون قوي النفس غنيا بالله متوكلا عليه منفردا لا عيال له، فله أن يتصدق بجميع ماله، وكذلك يخرج الحق الواجب عليه من زكاة وما يعن في بعض الأحوال من الحقوق المتعينة في المال. « أهـ^(٢)

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن الإسراف داخل في الخير، ووافق بذلك ما روي عن السدي، وأبي العالية^(٣)، وجزم به الفراء^(٤)، والواحدي^(٥)، والزخشي^(٦)، ووافقهم

(١) الحديث: أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الزكاة (١/٥٧٣)، برقم: (١٥٠٧)، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الزكاة، باب من قال لا شيء في المعدن حتى يبلغ نصاباً (٤/١٥٤) برقم: (٧٤٣٢) كلهم من حديث جابر.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٧٢/٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٦٠) ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٣٩٩)، وعزا السيوطي رواية أبي العالية إليها وإلى ابن أبي شيبه وأبي الشيخ، وعزا رواية السدي إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ كما في الدر: (٣/٣٦٩).

(٤) ينظر: معاني القرآن: (٢/٣٥٩).

(٥) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٨).

(٦) ينظر: الكشاف: (٢/٥٦).

البيضاوي^(١)، والنسفي^(٢)، والشوكاني^(٣)، والآلوسي^(٤)

وحجتهم: ما روي عن رسول الله ﷺ: (المعتدي في الصدقة كما نعتها)^(٥)

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن الإسراف يكون في معصية الله تعالى، ولا يكون في طاعة الله. قال مجاهد: (لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل، فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً، ولو أنفق درهماً أو مداً في معصية الله كان مسرفاً)^(٦) وقال بهذا السمعاني^(٧)، وابن الجوزي^(٨).

ويمكن الرد على هذا القول:

بأنه يرده ما روي عن ابن جريج^(٩) أنه قال: (نزلت في ثابت بن قيس بن

(١) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢٤).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٧).

(٣) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦٩).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٨/٣٨).

(٥) الحديث: أخرجه الترمذي في السنن في باب ما جاء في المعتدي في الصدقة (٣/٣٨) برقم: (٦٤٦)، وأبوداود في سننه في كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة، (٢/١٠٥) برقم: (١٥٨٥) وابن ماجه في سننه في كتاب الزكاة، باب ما جاء في عمال الصدقة: (١/٥٧٨)، برقم: (١٨٠٨). كلهم عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك قال أبو عيسى: «حديث أنس حديث غريب من هذا الوجه»، وقد تكلم أحمد بن حنبل في سعد بن سنان. قال: «وسمعت محمداً يقول والصحيح سنان بن سعد» وقال عنه النسائي في الضعفاء: (١/٥٢): «ليس بثقة» وينظر: الكامل في الضعفاء: (٣/٣٥٥).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٣٩٩)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣/٣٦٩).

(٧) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٥٠).

(٨) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٠).

(٩) ينظر: جامع البيان: (٨/٦١).



شماس^(١)، وجد نخلا فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢).

القول الثالث: أن الإسراف الذي نهى عنه هو منع الصدقة، وهو مروى عن سعيد بن المسيب^(٣).

واحتجوا: بالسياق القرآني: فإنه سبحانه قبل هذا قال: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٤) فينصرف الذهن إلى من امتنع عن أدائها؛ لأن ذلك إسراف من الفعل^(٥).

القول الرابع: أن الإسراف خاص بالأكل واختار هذا ابن كثير^(٦)، والقاسمي^(٧). ولهذا نظير في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٨) فقرن الإسراف بالأكل، فدل على أنه خاص به.

ونظير آخر في السنة: قوله ﷺ: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة)^(٩).

(١) هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار، ومن شهد له الرسول الله ﷺ بالجنة، قتل باليامة. ينظر: الكاشف: (٢٨٢/١)، والإصابة: (٣٩٥/١)، تقريب التهذيب: (١٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦١/٨) و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٩٩/٥)، وعزاه السيوطي إليها كما في الدر المنثور: (٣٦٩/٣).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦٢/٨) و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٣٩٩/٥)، وعزاه السيوطي إليه وإلى عبدالرزاق كما في الدر المنثور: (٣٦٩/٣).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (١٦٤/٦).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٨٩/٢).

(٦) ينظر: محاسن التأويل: (٧٤٤/٦).

(٧) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس وقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾^(٨) (٢١٨١/٥).



القول الخامس: أنه خطاب للوالة الذين يأخذون من رب المال، فوق الذي ألزمه الله عليهم، أو الشطط على الناس والإذابة لهم؛ فذلك إسراف في الفعل وهو مروى عن ابن زيد^(١).

القول السادس: أن الإسراف يدخل في كل شيء، وهذا مروى عن عطاء^(٢)، وهو ما رجحه الطبري^(٣).

وقد ذكر هذه الأقوال أو بعضها جمع من المفسرين بلا ترجيح أو اختيار^(٤).

والناظر المتأمل لما سبق من الأقوال يتبين له أن لا خصوص لقول على قول، وجميعها تحتملها الآية. قال الشنقيطي: « في هذه الآية أوجه معروفة ومتقاربة من التفسير »^(٥).

وقال الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ عن جميع معاني الإسراف ولم يخص منها معنى دون معنى، وإذ كان ذلك كذلك، وكان الإسراف في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطفية، إما بتجاوز حده في الزيادة، وإما بتقصير عن حده الواجب، كان معلوماً أن المفرق ماله مباراة، والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوز حده حد الله إلى ما كيفته له، وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦١ / ٨) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٠ / ٥).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦١ / ٨).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٦٢ / ٨).

(٤) كالتحاس في معاني القرآن: (٣٥٩ / ١)، والسمرقندي في بحر العلوم: (٤٨٩ / ١)، والثعلبي في الكشف والبيان: (١٩٨ / ٤)، والماوردي في النكت والعيون: (١٧٨ / ٢٠)، والكيما الهراسي في أحكام القرآن: (٣٤٤ / ٣)، والبغوي في معالم التنزيل: (٧١ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٣٦ / ٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٢١٤ / ١٣)، والنيسابوري في غرائب القرآن: (١٧٨ / ٣)، وابن عادل الحنبلي في اللباب: (٤٧٣ / ٨).

(٥) العذب النمير: (٣٣١ / ٢).



إيتاءه منه أهل سهران الصدقة، إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه.

كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ في عطيتكم من أموالكم ما يحفف بكم؟ إذ كان ما قبله من الكلام أمراً من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله بسبب خاص من الأمور والحكم بها على العام، بل عامة أي القرآن كذلك، فكذا قوله ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، ويؤيد هذا قاعدة ترجيحية هي: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^(٢). والله أعلم.



(١) جامع البيان: (٦٣/٨).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).



قال تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [١٤٢] [الأنعام: ١٤٢].

في الآية الكريمة مسألتان:

٩١- المسألة الأولى: المراد بالأنعام؟ عند قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ

حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ﴾

قال القرطبي ~ « وللعلماء في الإنعام ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الأنعام الإبل خاصة؛ وسيأتي في "النحل" بيانه^(١).

الثاني: الأنعام الإبل وحدها، وإذا كان معها بقر وغنم فهي أنعام أيضا^(٢).

الثالث: وهو أصحابها؛ قال أحمد بن يحيى^(٣): الأنعام كل ما أحله الله عز وجل من

الحيوان، ويدل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١] وقد تقدم «أهـ»^(٤)

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بالأنعام: كل ما أحله الله عز وجل من الحيوان ووافق

بذلك المروي عن الحسن، وقتادة، والربيع بن أنس^(٥)، وقال به الطبري^(٦)، والنحاس^(٧)،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٨٢ / ١٢).

(٢) ما ذكره القرطبي في القول الثاني فإنه يدخل ضمن القول الثالث الذي رجحه دخولا أولياً، وبهذا تتلخص الأقوال إلى قولين.

(٣) هو أحمد بن يحيى بن يسار أبو العباس المعروف بثعلب الشيباني مولاهم، النحوي اللغوي، إمام الكوفيين في النحو، واللغة، والفقه، والديانة، مشهوراً بالحفظ، والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم مقدماً عند الشيوخ منذ هو حدث، (ت: ٣٠٠ هـ). ينظر: وفيات الأعيان: (١ / ١٠٢)، ومعجم الأدباء: (٥٥ / ٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٧٣ / ٩).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦ / ٥٠)، وعزا السيوطي رواية الحسن إلى عبد بن حميد، وابن المنذر،



وابن أبي زمنين^(١)، والواحدي^(٢)، وابن العربي^(٣)، ووافقهم ابن جزى الكلبي^(٤)، وابن كثير^(٥)، وابن عادل^(٦)، والشوكاني^(٧)، والشنقيطي^(٨)، وابن عاشور^(٩).

واستدلوا:

أولاً: بالنظائر القرآنية التي تبين أن الأنعام هي كل ما أحل الله تعالى، قال تعالى:
﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١].

ثانياً: أن المعروف في لغة العرب إطلاق الأنعام على هذه الأصناف قال الراجز:
«والأنعام تقال: للإبل، والبقر، والغنم»^(١٠) وقال ابن جزى: «والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم»^(١١).

ثالثاً: هذا القول مروى عن بعض السلف، وتفسيرهم مقدم على كل تفسير.



ورواية قتادة والربيع بن أنس إلى عبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٤٤٨/٢).

(١) ينظر: جامع البيان: (٥٠/٦)، ومعاني القرآن: (٣٥٩/٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن: (١٠١/٢).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز: (٥/٢).

(٤) ينظر: الوجيز: (٣٠٦/١).

(٥) ينظر: أحكام القرآن: (١٠/٢).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (١٦٦/١).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٥/٢).

(٨) ينظر: اللباب: (١٦٤/٧).

(٩) ينظر: فتح القدير: (٧/٢).

(١٠) ينظر: أضواء البيان: (٢٥٧/١)، والعذب النمير: (٣٣٤/٢).

(١١) ينظر: التحرير والتنوير: (٩٤/٧).

(١٢) مفردات ألفاظ القرآن: (٨١٥).

(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل: (١٦٦/١).

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد الإبل خاصة، وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١).
إلا إن هذا القول ترفضه لغة العرب لأن "أل" في الأنعام للعموم فيشمل الإبل،
وغيرها كالأغنام والأبقار.

قال ابن العربي: « فقد علمت صحة ذلك دليلاً، وهو أن النعم عند بعض أهل
اللغة اسم خاص للإبل يذكر ويؤنث »^(٢).

وعند النظر والتأمل يتبين مما سبق أن ما رجحه القرطبي هو الأرجح، وأن
الأنعام تشمل الإبل وغيرها وذلك لظاهر هذه الآية. قال الشنقيطي: « التحقيق أن
الأنعام: هي الإبل، والبقر، والغنم بأصنافها الثلاثة »^(٣)، ويؤيد هذا القول قاعدتان
هما:

" أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم " ^(٤).

وقاعدة: " يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص
بالتخصيص " ^(٥) والله أعلم.

(١) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٩٤) وينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/١٠).

(٢) أحكام القرآن: (٢/١٠).

(٣) ينظر: أضواء البيان: (١/٢٥٧)، والعذب النمير: (٢/٣٣٤).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٧١).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢/٥٢٧).



٩٢- المسألة الثانية: المقصود بالحمولة والفرش عند قوله تعالى:

﴿حَمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾.

قال القرطبي ~ : « والحمولة: ما أطاق الحمل والعمل؛ عن ابن مسعود وغيره^(١).

ثم قيل: يختص اللفظ بالإبل، وقيل: كل ما احتمل عليه الحي من حمار أو بغل أو بعير....

قال الضحاك: الحمولة: من الإبل والبقر، والفرش: الغنم^(١). النحاس^(١) واستشهد لصاحب هذا القول بقوله ﴿ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ قال: ف "ثمانية" بدل من قوله: ﴿حمولة وفرشًا﴾.

وقال الحسن: الحمولة الإبل والفرش الغنم^(١).

وقال ابن عباس: الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، والفرش: الغنم^(١).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦٣/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٠/٥)، وعزاه السيوطي إلى الفريابي وعبد بن حميد وأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود كما في الدر المنثور: (٣٧٠/٣).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦٤/٨)، وأورده النحاس عنه في معاني القرآن: (٣٥٩/١).

(٣) ينظر: إعراب القرآن: (١٠١/٢)، ومعاني القرآن: (٣٥٩/١).

(٤) أخرجه عبدالرزاق: (٢١٢/١)، والطبري في جامع البيان: (٦٤/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٠/٥).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦٣/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٠/٥)، وعزا السيوطي ورواية ابن عباس إليها وإلى عبد بن حميد، وأبو الشيخ، وابن المنذر كما في الدر: (٣٧٠/٣)، وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة: (٣٩٥/١).



وقال ابن زيد^(١): الحمولة ما يركب، والفرش ما يؤكل لحمه ويحلب؛ مثل الغنم والفصلان^(٢) والعجاجيل^(٣)؛ سميت فرشا للطافة أجسامها وقربها من الفرش، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها الناس....

قال النحاس: ومن أحسن ما قيل فيهما: إن الحمولة المسخرة المذلة للحمل. والفرش ما خلقه الله عز وجل من الجلود والصوف مما يجلس عليه ويتمهد^(٤) «أ.هـ»^(٥)

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن المراد بالحمولة: هي الأنعام المسخرة المذلة للحمل والركوب من إبل، وبقر، وحمار والفرش: هي ما يؤكل لحمه ويحلب ويتخذ من وبره وصفه وشعره فراشاً.

ووافق بذلك المروي عن ابن زيد، ورجحه النحاس^(٦)، والزمخشري^(٧)، ووافقهم البيضاوي^(٨)، والنسفي^(٩)، ونظام الدين النيسابوري^(١٠)، وابن كثير^(١١)،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٦٤ / ٨).

(٢) الفصلان جمع الفصيل: وهو ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه، وفصله عن أمه. ينظر: المعجم الوسيط: (٦٩١ / ٢)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: (٢٩٨ / ١).

(٣) العجاجيل جمع عَجَّول بكسر العين وتشديد الجيم المفتوحه، بمعنى عجل ولد البقر حين تضعه أمه إلى شهر. ينظر: المعجم الوسيط: (٥٨٦ / ٢)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: (٢٩٨ / ١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٧٥ / ٩).

(٥) ينظر: إعراب القرآن: (١٠١ / ٢).

(٦) ينظر: الكشاف: (٥٦ / ٢).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٤ / ١).

(٨) ينظر: مدارك التنزيل: (٣٧ / ٢).

(٩) ينظر: غرائب القرآن: (١٧٨ / ٣).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٨٩ / ٢).

وأبو السعود^(١)، والشوكاني^(٢)، والآلوسي^(٣)، والقاسمي^(٤).
واستدلوا بالنظائر القرآنية التي تشهد لهذا المعنى^(٥):

كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَمْلُوكُونَ ﴿٧١﴾
وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمَنْ يَارْكَوِبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [يس: ٧٢-٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً
تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَمِنْ
أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمَتَعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل من: ٦٦-٨٠]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْتَكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [غافر: ٧٩]

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن الحمولة كبار الإبل ومسنتها التي يحمل عليها، والفرش:
صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها. وهذا مروى عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس
رضي الله عنهما في رواية له، ومجاهد، والحسن، واختاره الفراء^(١)، وأبو عبيدة^(٢)، وابن قتيبة^(٣)،
والزجاج^(٤)، والبغوي^(٥)، ومحمود النيسابوري^(٦)، وابن الجوزي^(٧).

- (١) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢١٣).
- (٢) ينظر: فتح القدير: (٢/١٦٩).
- (٣) ينظر: روح المعاني: (٨/٣٩).
- (٤) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧٤٥).
- (٥) ينظر: الكشاف: (٢/٥٦)، وتفسير القرآن العظيم: (٢/١٨٩).
- (٦) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٥٩).
- (٧) ينظر: مجاز القرآن: (١/٢٠٧).
- (٨) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٢٠٣).
- (٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/٢٩٨).
- (١٠) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٧٢).
- (١١) ينظر: وضح البرهان: (١/٣٤٩).
- (١٢) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٠).

وابن جُزي الكلبي^(١)، وابن عادل^(٢).

واحتجوا:

بأن المعروف عند أهل اللغة أن الحمولة والفرش وصفان يختصان بالإبل دون سائر الأنعام^(٣).

القول الثالث: أن الحمولة كل ما أطاق الحمل والعمل، والفرش: الغنم. وهذا مروى عن ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة، وقتادة، والسدي، وأبي العالية^(٤)، وقال به الطبري^(٥)، والثعلبي^(٦)، والسعدي^(٧).

واحتجوا:

بدلالة اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ﴾ قال الطبري: «إن الحمولة هي ما حمل من الأنعام، لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها كالإبل والخيل والبغال؛ فإذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كل ما حمل على ظهره من الأنعام حمولة»^(٨).

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٣/٢).

(٢) ينظر: الباب: (٤٧٤/٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢٩٨/٢)، وتهذيب اللغة: (٢٣٨/١١)، ولسان العرب: (١٨٢/١١).

(٤) أخرج الطبري في جامع البيان: (٦٣/٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٠/٥)، وعزا السيوطي رواية ابن عباس إلى ابن المنذر كما في الدر: (٣٧٠/٣)، ورواية أبي العالية إلى عبد بن حميد كما في الدر: (٣٧١/٣)، وينظر: تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة: (٣٩٥/١).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٦٤/٨).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (١٩٩/٤).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٧٧).

(٨) جامع البيان: (٦٤/٨).



ومن المفسرين من جمع بين القولين السابقين كالسمرقندي^(١)، والواحدي^(٢)،
والسمعاني^(٣)، وابن عطية^(٤)، والثعالبي^(٥).

ومن المفسرين من عدد بعض ما سبق بلا ترجيح^(٦).

وعند التدبر والتأمل في الأقوال نجد أن القول بالعموم هو أجمع الأقوال
وأحسنها، وأن الآية تشمل كل ذلك. فالمعنى: وأنشأ من الأنعام ما تحملون عليه
وتركبونه، وهي الإبل الكبيرة، والإبل الصغيرة، وما تأكلونه وهو البقر والغنم،
وما هو فرش لكم، وما هو يجرُّ منها وجلودها، وهذا كله من مقتضيات العموم
في الآية الكريمة؛ إذ لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض، ولا مانع من حمل
اللفظ على جميعها، وإلى هذا ذهب ابن عاشور^(٧)، والشنقيطي حيث قال: «
والتحقيق أن الآية تشمل كل ذلك، وأن الأنعام منها ركوبة كالإبل، ومنها فرش، وهو
ما يؤكل، ويشرب من لبنه مع أنه ليس صالحاً للركوب»^(٨) ويؤيد هذا قاعدة
ترجيحية معتبرة عند المفسرين وهي: " يجب حمل نصوص الوحي على
العموم"^(٩) والله أعلم.



- (١) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٨٩).
- (٢) ينظر: الوجيز: (١/٣٧٩).
- (٣) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٥٠).
- (٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٥٦).
- (٥) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥١٦).
- (٦) كماورد في النكت والعيون: (٢/١٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٣٦) وأبو حيان في البحر المحيط: (٤/٢٤١).
- (٧) ينظر: التحرير والتنوير: (٧/٩٤).
- (٨) العذب النمير: (٢/٣٣٥).
- (٩) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]

في الآية الكريمة ثلاث مسائل:

٩٣- المسألة الأولى: هل تنحصر المحرمات في الأربع؟ وحكم الآية من حيث

النسخ وعدمه في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾

قال القرطبي ~ : « المعنى: قل يا محمد: لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً إلا هذه الأشياء، لا ما تحرمونه بشهوتكم.

والآية مكية. ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة. وزيد في المحرمات؛ كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة والخمر، وغير ذلك وحرّم رسول الله ﷺ بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير.

وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال:

الأول: ما أشرنا إليه من أن هذه الآية مكية، وكل محرم حرمه رسول الله ﷺ - أو جاء في الكتاب - مضموم إليها وهو زيادة حكم من الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ. على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر والفقهاء والأثر. ونظيره نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها مع قوله ﴿ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ﴾ وكحكمه باليمين مع الشاهد مع قوله ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]..... إلى أن قال: والصحيح في هذا الباب ما بدأنا بذكره، وأن ما ورد من المحرمات بعد الآية مضموم إليها معطوف عليها. هـ (١)

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨٠ / ٩).

الدراسة والترجيح:

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: وهو أن الآية محكمة، وبهذا قال كثير من العلماء؛ إلا أنهم اختلفوا في إحكامها على آراء ثلاثة:

الرأي الأول: أنها محكمة، وما حرم بعدها مضموم إليها، والحصـر- فيها حقيقي بحسب وقت نزول الآية، وعلى هذا يكون المعنى: لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً في هذه الحال؛ حال الوحي ووقت نزوله غير هذه الأربع. وما حُرم بعدها مما جاء في كتاب ربنا ﷺ وسنة رسولنا ﷺ مضموم إليها.

وهذا الذي رجحه القرطبي^(١)، وقد وافق النحاس^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والماوردي^(٤)، والسمعاني^(٥)، والبغوي^(٦)، وابن عطية^(٧)، وابن العربي^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، ووافقهم البيضاوي^(١٠)، وابن تيمية^(١١)، وابن عادل^(١٢)،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٨٤ / ٩).

(٢) ينظر: إعراب القرآن: (١٠٤ / ٢).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (٤٩١ / ١).

(٤) ينظر: النكت والعيون: (١٨٣ / ٢).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (١٥٢ / ٢).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٧٤ / ٢).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (١٦٨ / ٦).

(٨) ينظر: القبس: (٣٥٠ / ٢).

(٩) ينظر: نواسخ القرآن: (٣٣٧).

(١٠) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٥ / ١).

(١١) ينظر: مجموع الفتاوى: (٨ / ٢١).

(١٢) ينظر: اللباب: (٤٨٤ / ٨).

والشوكاني^(١)، والشنقيطي^(٢).

واستدل القائلون بما يلي:

أولاً: ما جاء من أدلة حرمت غير هذه الأربعة وهي صريحة في الكتاب، وصحيحة في السنة^(٣)، وقد أجمع المسلمون على تحريم الخمر مثلاً^(٤) وهو لم يرد في هذه الآية.

ثانياً: لا يمنع أن تقع الزيادة بعد هذه الآية؛ لأن هذه الآية مكية، ومن أوائل ما نزل، فلا يمتنع حدوث وحي بعد ذلك بتحريم أشياء أخرى. والأحاديث في ذلك صريحة بأن هذه السورة مكية^(٥).

ثالثاً: أن قوله: ﴿فِيمَا أَوْحِيَ﴾ جاء بصيغة الماضي فلم تكن الفرائض قد تكاملت، ولا المحرمات قد تتامت، فمن قال لا إله إلا الله ثم مات دخل الجنة، فلما جاءت الفرائض والحدود وقعت المطالبة بها، فكذلك الآية إنما أخبرت بما كان في الشرع من التحريم يومئذ^(٦).

(١) ينظر: فتح القدير: (١٧٢/٢).

(٢) ينظر: أضواء البيان: (٣٨٧/١).

(٣) حديث النهي عن كل ذي مخلب من الطير، وعن لحوم السباع، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإنها نزلت بعدها وهي محرمة بالإجماع، ومن زعم أن الخمر حلال لهذه الآية. فهو كافر بلا نزاع بين العلماء.

(٥) ذكر ابن عبد البر الإجماع في أن سورة الأنعام مكية إلا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ الثلاث الآيات، وقد نزل بعدها قرآن كثير وسنن جملة فنزل تحريم الخمر بالمدينة في المائة وأجمعوا على أن نبيه ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع إنما كان منه بالمدينة، قال إسماعيل بن إسحاق: «وهذا كله يدل على أنه أمر كان بالمدينة بعد نزول قوله ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ لأن ذلك مكى. ينظر: التمهيد: (١٤٦/١).

(٦) ينظر: نواسخ القرآن: (٣٣٧) والناسخ والمنسوخ للنحاس: (٣٣٨/٢).



الرأي الثاني: أنها محكمة على سبيل الخصوص، فالآية تُقصد بها الرد على المشركين الذين سنوا قوانين لأنفسهم في التحريم والتحليل، فكانوا يستحلون أشياء ويحرمون أخرى فأنزل الله ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ﴾. وهذا لا دلالة فيها على الحصر، والاستثناء منقطع فليس في الآية نفي ما سيرد تحريمه بعد ذلك من قرآن وسنة

ويكون المعنى: لا أجد شيئاً محرماً مما كان يجرمه أهل الجاهلية غير هذه الأربعة فإنها محرمة، أو أنها جواب لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصاً.

وإلى هذا ذهب الإمام الشافعي^(١)، والطبري^(٢)، والخصاص^(٣)، والكياء الهراسي^(٤)، وأبو حيان^(٥)، والحافظ ابن كثير^(٦)، وابن حجر العسقلاني^(٧)، والآلوسي^(٨).

وحجتهم:

أولاً: ما روي في سبب نزولها: (أن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ﴾).^(٩)

ثانياً: السياق القرآني: فالله تعالى ذم المشركين على تحريم ما أحله الله، وأوضح جهلهم في تحريم ما حرموه بغير حجة، ولا برهان، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذَا هَدْيُهُمْ أَنَعَمُ

(١) ينظر: الأم: (٢٤١/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٦٩/٨).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للخصاص: (١٨٥/٤).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للكياء الهراسي: (٤٤٦/٣).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٢٤٣/٤).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٩١/٢).

(٧) ينظر: فتح الباري: (٥٧٤/٩).

(٨) ينظر: روح المعاني: (٤٥/٨).

(٩) أخرج الرواية عن طاووس: عبد الرزاق في تفسيره: (٢١٢/١)، والطبري في جامع البيان: (٦٩/٨)،

وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٠٥/٥)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد كما الدر المنثور: (٣٧٢/٣).



وَحَرَّتْ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا ﴿[الأنعام: ١٣٨]﴾ ثم أتبع ذلك في تلقين الحجة لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ ﴿أي مما تحرمونه إلا ما ذُكر﴾^(١).

ومتى كان كذلك فغير جائز الاستدلال بها على إباحة ما خرج عما ذكر فيها؛ إذ لم يقصد بالآية الحصر.

ويمكن الجواب عن هذا:

بأنه تأويل متكلف، ومخالفته للقاعدة الأصولية المشهورة حيث جعلوا العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ والأولى عكس هذه القاعدة.

الرأي الثالث: أنها محكمة ولا حرام إلا ما فيها. والحصر حقيقي في هذه الأربعة فقط .

وبهذا قال مالك، وهو ما رجحه ابن العربي^(٢)، والفخر الرازي^(٣)، ونظام الدين النيسابوري^(٤)، ومحمد رشيد رضا^(٥).

وحجتهم:

أولاً: أن الله تعالى حصر المحرمات فيها في الأربعة المذكورة، وحصرها أيضاً في النحل فيها في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ١٨٥)، ومعاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٢٩٩).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: (٢/ ٢٢١)، والقبس في شرح موطأ بن أنس: (٢/ ٣٥٠) وقد اضطرب القول عنده والذي أوقعه في ذلك أنه قال في الأحكام الآية مدنية، وأما في القبس فإنه لم يجزم بذلك بل حكاها بصيغة التمرريض (روي)، وكونها مدنية النزول لم يثبت به الأثر، والصواب ما ذهب إليه في القبس. وضعفه جمع من المفسرين منهم القرطبي فقال: «زعم ابن العربي أن هذه الآية مدنية وهي مكية في قول الأكثرين» الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ٨٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/ ٢١٩).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/ ١٨٠).

(٥) ينظر: تفسير المنار: (٨/ ١٤٩).



[البقرة: ١٧٣] وإنما أداة حصر، ثم حصر التحريم أيضا في الأربعة المذكورة في سورة البقرة في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ فقالوا: هذا الحصر السماوي الذي ينزل به الملك مرة بعد مرة في مكة في الأنعام، والنحل، وفي المدينة عند تشريع الأحكام في البقرة، لا يمكننا معارضته ولا إخراج شيء منه إلا بدليل قطعي المتن متواتر كتواتر القرآن العظيم، فالحمر مثلا دل القرآن على أنها محرمة فحرمناها لأن دليلها قطعي، أما غيرها كالسباع والحمر والبغال فأدلة تحريمها أخبار آحاد يقدم عليها القاطع وهو الآيات المذكورة آنفا^(١).

ثانياً: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من إباحته لحوم الحمر الأهلية^(٢)، وروي عن عائشة إباحتها لحوم السباع^(٣).

وأجابوا عن الأحاديث الواردة أن النهي فيها للكره لا للتحريم، أو أنها حرمت لعلّة في وقت معين. ومن ذلك مثلاً: الحمر الأهلية فإنه مختلف في تأويله على أقوال: منها خوف الفناء عليها^(٤). فإذا كثرت ولم يضر. فقدّها بالحمولة جاز أكلها؛ فإن الحكم يزول بزوال العلة. ومن تلك العلة أنها طبخت قبل القسمة^(٥)، وكذلك

(١) ينظر: أضواء البيان: (١/٣٨٦).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (١/٢١٢)، ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤٠٥)، وعزاه السيوطي إليها وإلى عبد بن حميد كما الدر المنثور: (٣/٣٧٢).

(٣) عندما سئلت رضي الله عنهما عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير تلت ﴿قل لا أجد فيما أوحى...﴾ وعزاه السيوطي رواية عائشة إلى ابن المنذر، وأبي لشيخ، وابن مردويه كما الدر المنثور: (٣/٣٧٢).

(٤) فقد أخرج البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: (٤/١٥٣٩) برقم: (٣٩٦٣) ومسلم في صحيحه: كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية (٣/١٥٤٠) برقم (١٩٤٠) فعن أنس بن مالك رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (جاءه جاء فقال أكلت الحمر فسكت ثم أتاه الثانية فقال أكلت الحمر فسكت ثم أتاه الثالثة فقال أفنيت الحمر فأمر مناديا فنادى في الناس إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فأكفنت القدور وإنما لتفور باللحم).

(٥) فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: (٤/١٥٤٤) برقم: (٣٩٨٣) ومسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية: (٣/١٥٣٩) برقم (١٩٣٧) عن عبدالله بن أبي أوفى قال: (فتحدثنا أنه إنما نهي عنها لأنها لم تُحمّس).



من علل التحريم أنها كانت جلالّة^(١)، ومقتضى هذا أن النهي كان لعلة؛ فإذا زالت العلة زال الحكم.

وكذلك ما ورد في المسند الصحيح في كل ذي ناب من السباع وكل مخلب من الطير بقوله (نهى) ويحتمل ذلك التحريم ويحتمل الكراهة.

ويمكن الإجابة عن هذه الأدلة بما يلي:

١ - أن المنصوص على تحريمه مقدم على عموم التحليل المفهوم من دلالة الحصر. و" ما " جاءت في الآية مبهمة فيجب أن يكون عاما للحيوان وغيره^(٢)

٢ - أن أكثر العلماء من الصحابة ومن بعدهم قالوا بتحريم الحمر الأهلية، لم نجد عن أحد من الصحابة في ذلك خلافاً إلا عن ابن عباس، وعند المالكية ثلاث روايات. قاله النووي^(٣).

٣ - لا حجة فيما أورده فإن التحريم المطلق أظهر الأقوال لقوله في الصحيح: من حديث أنس رضي الله عنه (فنادى منادي النبي ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر، فإنها رجس)^(٤) فهذا من كلام النبي ﷺ وأما التعليل بأنه حمولة أو أنها لم تقسم

(١) أخرج أبو داود في سننه في كتاب الأطعمة، باب في لحوم الحمر الأهلية: (٣/٣٥٦) برقم: (٣٨٠٩) عن عبد الرحمن بن بشر عن غالب بن أبجر قال: (يا رسول الله إنه لم يبق من مالي شيء أستطيع أن أطعمه أهلي إلا حمري، قال لي: فأطعم أهلك من سمين مالك، فإنما كرهت لكم جوال القرية).

الجلالة والجمالة: هي الدابة التي تأكل الجلة - بالفتح - أي القذرة والجمع جلالات على لفظ الواحدة.. ينظر: العين: (٦/١٨)، ولسان العرب: (١١/١١٩)، والمصباح المنير: (٤١).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس: (١/٣٦١).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: (١٣/٩١).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: (٤/١٥٣٧) برقم: (٣٩٦٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسانية (٣/١٥٤٠) برقم: (١٩٤٠).



أو أنها جلالة فهو من كلام الرواة فلا يقوى على معارضة المرفوع، والتعليل بإنها رجس يدل على أنها محرمة لنجاستها وهي صفة لازمة لها كالخنزير^(١). أما ما جاء عن كل ذي ناب من السباع وكل مخلب من الطير فقد صرحت الرواية عن رسول الله ﷺ بالتحريم وهي قوله ﷺ (أكل كل ذي ناب من السباع حرام)^(٢)

٤- أن هذا الرأي يستلزم إهمال شيء من القرآن والسنة. قال الشوكاني: «ماروي عن مالك هو قول ساقط، ومذهب في غاية الضعف لاستلزامه إهمال غيرها مما نزل بعدها من القرآن، وإهمال ما صح عن النبي ﷺ أنه قاله، بلا سبب يقتضي ذلك، ولا موجب يوجبها»^(٣)

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن الآية منسوخة بقوله ﷺ: (أكل كل ذي ناب من السباع حرام). ولم أجد - فيما اطلعت عليه - أحداً قال بهذا القول، وهو مؤثر على ضعفه، والله أعلم.

والحجة في هذا القول:

أن الآية أوجبت أن لا حرام إلا ما فيها، وذلك من الحصر، فيفهم من الآية الإباحة الشرعية، ورفعها نسخ.

(١) ينظر: تفسير المنار: (٨/١٥٣).

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الأَطعمه، باب ذكر الزجر عن أكل ذي الأنياب من السباع (١٢/٨٣)، برقم: (٥٢٧٨). وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ (نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع) في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل كل ذي ناب من السباع (٥/٢١٠٣) برقم: (٥٢١٠) وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، (٣/١٥٣٣) برقم: (١٩٣٢).

(٣) فتح القدير: (٢/١٧٢).

ويمكن الجواب عن هذا:

١ - أن الأصل عدم النسخ، والصحيح الذي ذهب إليه الجمهور من أن الزيادة على المنصوص ليست نسخاً، وإنما هي تخصيص، وبيان، وتقييد، إضافة إلى أن حقيقة النسخ لا توجد في الزيادة، لأن حقيقته تبديل ورفع للحكم المشروع، أما الزيادة فهي تقرير للحكم المشروع وضم حكم آخر إليه. ^(١) قال ابن تيمية: « أن ما حرمه رسول الله ﷺ إنما هو زيادة تحريم ليس نسخاً للقرآن، لأن القرآن إنما دل على أن الله لم يحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وعدم التحريم ليس تحليلاً وإنما هو بقاء للأمر على ما كان، وهذا قد ذكره الله في سورة الأنعام التي هي مكية بإتفاق العلماء، ليس كما ظنه أصحاب مالك والشافعي أنها من آخر القرآن نزولاً، وإنما سورة المائدة هي المتأخرة وقد قال الله فيها: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ فعلم أن عدم التحريم المذكور في سورة الأنعام ليس تحليلاً وإنما هو عفو فتحريم رسول الله ﷺ، رافع للعفو، ليس نسخاً للقرآن » ^(٢).

٢ - إن فرضنا النسخ فالآية من قبيل الخبر، والأخبار لا يدخلها النسخ، وما حرمه رسول الله ﷺ إنما هو زيادة تحريم وليس نسخاً للقرآن. لأن القرآن إنما دل على أن الله لم يحرم إلا ما ذكر، وعدم التحريم ليس تحليلاً، وإنما هو بقاء الأمر على ما كان، ورفع من قبيل رفع مباح الأصل. ^(٣)

ومن المفسرين من ذكر الأقوال السابقة بلا ترجيح أو اختيار ^(٤) ..

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: (٨/٢١)، وأضواء البيان (١/٣٨٧)، وكشف الأسرار: (٣/٣٦٢).

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: (٨/٢١).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/١٨٥)، والناسخ والمنسوخ للنحاس: (٢/٣٣٨)، ونواسخ القرآن: (٣٣٧)، وأضواء البيان: (١/٣٨٦).

(٤) كابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٤٠)، وابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٤).



يتبين مما سبق أن الأرجح ما رجحه القرطبي. قال الشنقيطي: « الذي يظهر رجحانه بالدليل، وهو ما ذهب إليه الجمهور من أن كل ما ثبت تحريمه بطريق صحيحة من كتاب أو سنة فهو حرام، فيزداد على الأربعة المذكورة في الآية، ولا يكون في ذلك أي مناقضة للقرآن لأن المحرمات المزيدة عليها حرمت بعدها »^(١) ويضعف القول بالنسخ ؛ لأن القاعدة الأصولية المطردة تنص على أنه " لا تصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه " ^(٢). والله أعلم



(١) أضواء البيان: (١/٣٨٧).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٧١).

٩٤- المسألة الثانية: حكم لحم الخيل؟

قال القرطبي ~ « واختلفوا في أكل الخيل فأباحها الشافعي، وهو الصحيح، وكرهها مالك. »^(١) وقال في موضع سورة النحل: « قلت: الصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل... »^(٢)

الدراسة والترجيح:

رجّح القرطبي حل أكل لحم الخيل^(٣)، وهو رأي أصحاب أبي حنيفة^(٤)، والإمام الشافعي^(٥)، وأحمد^(٦)، وقد وافق القرطبي في هذا من المفسرين الطبري^(٧)، وابن الجوزي^(٨)، ووافقهم في ذلك الآلوسي^(٩)، والشنقيطي^(١٠).

وحجتهم:

١- حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه^(١١) روي عنه أنه قال: (نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٩٣/٩).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٨٢/١٢).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩٣/٩).

(٤) أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ينظر: المبسوط للسرخسي: (٢٣٣/١١)، والفتاوى الهندية: (٢٩٠/٥).

(٥) ينظر: الأم: (٢٥١/٢).

(٦) ينظر: مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله: (٢٦٨/١)، وكشاف القناع: (٤٩٤/٥).

(٧) ينظر: جامع البيان: (٨٣/١٤).

(٨) ينظر: زاد المسير: (٤٣١/٤).

(٩) ينظر: روح المعاني: (١٠٢/١٤).

(١٠) ينظر: أضواء البيان: (٣٩١/١).

(١١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمى، صحابي بن صحابي شهد العقبة مع أبيه

كنيته أبو عبد الله غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين. ينظر: الثقات:

(٣/٥١)، والاستيعاب: (٢١٩/١)، وتقريب التهذيب: (١٣٦).



عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل^(١) وفي لفظ مسلم وأذن في لحوم الخيل^(٢).
٢- حديث أسماء بنت أبي بكر^(٣) روي عنها أنها قالت: (نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه)^(٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو كراهة أكلها، وهذا مروى عن ابن عباس^(٥)، ومجاهد^(٦)،
والحكم بن عتبة^(٧). وهو مذهب الإمام مالك^(٨)، أما الإمام أبو حنيفة فإنه كره أكلها

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الخيل (٥/٢١٠١)، برقم: (٥٢٠١) وفي باب لحوم الحمر الإنسية: (٥/٢١٠٢) برقم: (٥٢٠٤).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب في أكل لحوم الخيل (٣/١٥٤١) برقم: (١٩٤١).

(٣) هي أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عثمان، وأمها قتيلة بنت عبد العزى، زوج الزبير بن العوام من كبار الصحابة، وأخت أم المؤمنين عائشة وآخر المهاجرات وفاة، وتعرف بذات النطاقين وهي وأبوها وجدها وابنها ابن الزبير أربعتهم صحابيون، (ت: ٧٣هـ) ينظر: طبقات ابن سعد: (٨/٢٤٩)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٢٨٨)، وتقريب التهذيب: (٧٤٣).

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الخيل: (٥/٢١٠١) برقم: (٥٢٠٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب في أكل لحوم الخيل: (٣/١٥٤١)، برقم: (١٩٤٢).

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤/٨٢)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال: سأل رجل ابن عباس عن أكل لحوم الخيل فكرهها وقرأ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْأَنْعَامَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ كما في الدر المنثور: (٥/١١٢)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٦/٨).

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبه كما في الدر المنثور: (٥/١١٢).

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان: (١٤/٨٢)، وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن المنذر كما في الدر المنثور: (٥/١١٢).

والحكم بن عتبة هو أبو محمد الكندي الكوفي، ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس من الخامسة (مات سنة ثلاث عشرة أو بعدها، وله نيف وستون). ينظر: طبقات الحفاظ: (١/٥١)، وتقريب التهذيب (١٧٥).

(٨) ينظر: المدونة الكبرى: (٢/٤٤٣)، والكافي لابن عبد البر: (١/١٨٦).



تنزهاً^(١)، وقال بتحريم أكله من المفسرين الجصاص حيث قال: «إذا ورد خبران أحدهما حاذر والآخر مبيح فالحظر أولى فجائز أن يكون الشارع أباحه في وقت ثم حظه، وذلك لأن الأصل كان الإباحة والحظر طارئ عليها لا محالة، ولا نعلم إباحة بعد الحظر فحكم الحظر ثابت لا محالة إذ لم تثبت إباحة بعد الحظر»^(٢).

وحجتهم ما يلي:

١- ظاهر آية النحل أنه سبحانه جعلها للركوب والزينة، ولم يجعلها للأكل ونحوه فقال ﷺ: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] فهذه للأكل. وقال: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] فهذه للركوب لا للأكل، وهذا تفصيل من خلقها وامتن بها. وأكد ذلك بأمر: • أن اللام للتعليل، أي خلقها لكم لعله للركوب والزينة، لأن العلة المنصوصة تفيد الحصر فإباحة أكلها تقتضي خلاف ظاهر الآية.

• عطف البغال والحمير عليها، فدل على اشتراكها معها في حكم التحريم • أن الآية الكريمة سقت للامتنان، وسورة النحل تسمى سورة الامتنان، والحكيم لا يمتن بأدنى النعم ويترك أعلاها لا سيما وقد وقع الامتنان بالأكل في المذكورات قبلها

• لو أبيع أكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة^(٣).

٢- الحديث المروي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل

(١) ينظر: المبسوط للسرخسي: (٢٣٣/١١).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٣/٥).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٢٨٢/١٢)، وأضواء البيان: (٣٩٠/١).

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي أبو سليمان، سيف الله، أسلم قبل غزوة مؤتة بشهرين، وكان النصر على يده يومئذ (ت: ٢١). ينظر: طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧)، والثقات: (١٠١/٣)، والكاشف: (٣٦٩/١)، وتقريب التهذيب: (١٩١).

لحوم الخيل والبغال والحمير^(١).

ويعترض عليهم بما يلي^(٢):

أولاً: استدلالهم بآية النحل مردود من وجوه:

• أنها نزلت بمكة اتفاقاً، والإذن في أكل الخيل يوم خيبر كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين فلو فهم النبي ﷺ المنع من الآية لما أذن في الأكل.

• أنها ليست صريحة في منع أكل الخيل بل فهم من التعليل، وحديث جابر، وحديث أسماء بنت أبي بكر، المتفق عليهما فيها التصريح بجواز أكل الخيل، والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول.

• وأيضاً فالآية على تسليم صحة دلالتها المذكورة، فهي إنما تدل على ترك الأكل، والترك أعم من أن يكون للتحريم أو للتنزيه أو خلاف الأولى وإذا لم يتعين واحد منها بقي التمسك بالأدلة المصرحة بالجواز.

• وأيضاً فلو سلمنا أن اللام للتعليل لم نسلم إفادة الحصر- في الركوب والزينة فإنه ينتفع بالخيال في غيرهما وفي غير الأكل اتفاقاً، وإنما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل، ونظيره حديث البقرة المذكور في الصحيحين حين خاطبت

(١) الحديث أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم البغال (٣/١٥٩)، برقم: (٤٨٤٤) وفي (المجتبى) في كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحوم الخيل (٧/٢٠٢)، برقم: (٤٣٣٢) وفي سنن أبي داود في كتاب الأطعمة، باب أكل لحوم الخيل، (٣/٣٥٢) برقم: (٣٧٩٠) وفي سنن ابن ماجه في كتاب الذبائح، باب لحوم البغال (٢/١٠٦٦)، برقم (٣١٩٨). وقال البيهقي: «وأما حديث صالح بن يحيى بن المقدم عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد مرفوعاً في النهي عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير فإنه غير ثابت، وإسناده مضطرب، قال موسى بن هارون لا يعرف إلا بجده وهذا ضعيف» وقال النووي: «واتفق العلماء من أئمة الحديث وغيرهم على أنه حديث ضعيف وقال بعضهم هو منسوخ» ينظر: السنن الصغرى: (٨/٣١٢)، وشرح النووي على صحيح مسلم: (١٣/٩٦).

(٢) ينظر: فتح الباري: (٩/٦٥٢)، والجامع لأحكام القرآن: (١٢/٢٨٢)، وأضواء البيان: (١/٣٩٠).



راكبها فقالت: (إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث)^(١)، فإنه مع كونه أصرح في الحصر- لم يقصد به إلا الأغلب وإلا فهي تؤكل ويتنفع بها في أشياء غير الحرث اتفاقاً وأيضاً فلو سلم الاستدلال المذكور للزم منع حمل الأثقال على الخيل والبغال والحمير للحصر المزعوم في الركوب والزينة، ولا قائل بذلك.

● وأما الاستدلال بعطف الحمير والبغال عليها فهو استدلال بدلالة الاقتران وقد ضعفها أكثر العلماء من أهل الأصول.

● والاستدلال بأن الآية الكريمة سيقت للامتنان فيجاء عنه بأنه قصد به ما كان الانتفاع به أغلب عند العرب فخطبوا بما عرفوا وألفوا ولم يكونوا يألفوا أكل الخيل لعزتها في بلادهم وشدة الحاجة إليها في القتال بخلاف الأنعام فأكثر انتفاعهم بها كان لحمل الأثقال وللأكل فاقتصر- في كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به فيه فلو لزم من ذلك الحصر في هذا الشق للزم مثله في الشق الآخر كما قدمنا

● وأما الاستدلال بأن الإذن في أكلها سبب لفنائها وانقراضها، فيجاء عنه بأنه أذن في أكل الأنعام ولم تنقرض ولو كان الخوف من ذلك علة لمنع في الأنعام لئلا تنقرض فيتعطل الانتفاع بها في غير الأكل^(١)

ثانياً: الاستدلال بحديث خالد بن الوليد رضي الله عنه مردود من وجهين:

● أنه ضعفه علماء الحديث. فقد قال ابن حجر: «وقد ضعف حديث خالد أحمد والبخاري وموسى بن هارون^(١) والدارقطني^(٢)، والخطابي، وابن عبد البر،...

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّ﴾ (٣/١٢٨٠) برقم: (٣٢٨٤).

(٢) ينظر: فتح الباري: (٩/٦٥١)، وأضواء البيان: (١/٣٩٠).

(١) هو موسى بن هارون بن عبدالله الجمال، ثقة حافظ كبير بغدادي، كان إمام عصره في الحفظ والإتقان، وقال الصبغي: ما رأينا في حفاظ الحديث أهيب ولا أروع من موسى بن هارون (ت: ٢٩٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد: (١٣/٥٠)، وتقريب التهذيب: (٥٥٤)، وتذكرة الحفاظ: (٢/٦٦٩).

(٢) هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود أبو الحسن البغدادي الدارقطني، نسبة إلى دار قطن رضي الله عنه



وآخرون»^(١). وقال في التقريب: فيه لين، وفيه أيضاً والده يحيى المذكور الذي هو شيخه في هذا الحديث قال فيه: مستور^(٢).

• معارض لما هو أقوى منه كحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وحديث أسماء بنت أبي بكر متفق عليهما، ولا شك في أنها أقوى من حديث خالد. قال الشنقيطي: «وبهذا كله تعلم أن الذي يقتضي الدليل الصريح رجحانه إباحة أكل لحم الخيل والعلم عند الله تعالى، ولا يخفى أن الخروج من الخلاف أحوط كما قال بعض أهل العلم»^(٣) وقال القرطبي: «وكل تأويل من غير ترجيح في مقابلة النص فإنها هي دعوى، لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه»^(٤).

يتبين مما سبق صحة ما رجحه القرطبي وهو حل لحم الخيل للحديث الوارد والقاعدة الترجيحية تنص على أنه "إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على غيره"^(٥).

وهذا الرأي أجمع عليه العلماء قال الطبري: «وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره: ﴿ومنها تأكلون﴾ جائز حلال غير حرام دليل واضح على أن أكل ما قال: ﴿لتركبوها﴾ جائز حلال غير حرام؛ إلا بما نص على تحريمه، أو

محلة كبيرة من بغداد الحافظ المشهور صاحب المصنفات، توفي ببغداد (٣٨٥هـ) ينظر: تاريخ الإسلام: (٢٧/١٠١)، وطبقات الفقهاء: (١/٢١٤).

(١) فتح الباري: (٩/٦٥٢).

(٢) ينظر: تقريب التهذيب: (٢٧٤)، أما عن والده يحيى في: (٥٩٧).

(٣) أضواء البيان: (١/٣٩١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (١٢/٢٨٤).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٠٦).



وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله ﷺ؛ فأما بهذا الآية فلا يحرم
أكل شيء»^(١). والله أعلم.





٩٥- المسألة الثالثة: حكم الدم الذي مع اللحم عند قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا

مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قال القرطبي ~ : « وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها، وإنما هو مع اللحم؛ ففي تحريمه قولان:

أحدهما: أنه حرام؛ لأنه من جملة المسفوح أو بعضه، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه.

والثاني: أنه لا يحرم؛ لتخصيص التحريم بالمسفوح. قلت: وهو الصحيح»^(١).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي حل الدم المخالط للحم^(١)، وحملوا المطلق في المواضع الثلاثة^(٢) على المقيد هنا بالسفح فلا يحرم إلا المسفوح. وقد وافق في هذا الجصاص^(٣)، والبغوي^(٤)، والزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن العربي^(٧) والفخر الرازي^(٨)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٩٥ / ٩).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩٥ / ٩).

(٣) وهو قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [النحل: ١١٥] وهي مكية ونزولها بعد الأنعام لقوله تعالى فيها: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا فَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النحل: ١١٨] وأحال بهذا إلى قوله في الأنعام: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وثانيها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ﴾ [البقرة: ١٧٣] وهي مدنية. وثالثها: قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [المائدة: ٣].

(٤) ينظر: أحكام القرآن: (١٩٢ / ٤).

(٥) ينظر: معالم التنزيل: (٧٣ / ٢).

(٦) ينظر: الكشاف: (٥٧ / ٢).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز: (١٧٠ / ٦).

(٨) ينظر: أحكام القرآن: (٢١٨ / ٢).

(٩) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٢٢ / ١٣).



ووافقهم البيضاوي^(١)، والنسفي^(٢)، وابن تيمية^(٣)، ونظام الدين النيسابوري^(٤)، وأبو حيان^(٥)، والحافظ ابن كثير^(٦)، وأبو السعود^(٧)، والشوكاني^(٨) والآلوسي^(٩)، والقاسمي^(١٠)، والشنقيطي^(١١)، والسعدي^(١٢).

واستدل القائلون بما يلي:

أولاً: ما جاء في الآية من التقييد وتخصيص التحريم بالمسفوح، ففي اشتراطه عَلَيْكَ صفة السفح فيما حرم من الدم دليل واضح على أن ما لم يكن منه كذلك فحلال^(١٣) وهذا من مفهوم الصفة، وهو من المفاهيم المعتبرة عند القائلين بحجية مفهوم المخالفة. ثانياً: المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتاده^(١٤)، وعندما سُئل

(١) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢٥).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٣٨).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى: (٨/٢١).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/١٨٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/٢٤٢).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٩١).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢١٦).

(٨) ينظر: فتح القدير: (٢/١٧٢).

(٩) ينظر: روح المعاني: (٨/٤٤).

(١٠) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧٤٩).

(١١) ينظر: العذب النمير: (٢/٣٦٥).

(١٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٧٧).

(١٣) ينظر: جامع البيان: (٨/٧٠)، وأحكام القرآن للجصاص: (٤/١٩٢)، وروح المعاني: (٨/٤٤).

(١٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: (١/٢١٢)، والطبري في جامع البيان: (٨/٧٠)، وابن أبي حاتم في

تفسيره: (٥/١٤٠٧)، وعزا السيوطي رواية عائشة رضي الله عنها إلى أبي الشيخ وابن مردويه، ورواية عكرمة إلى

سعيد بن منصور، وابن المنذر، كما في الدر: (٣/٣٧٣). وذكر النحاس رواية قتادة في معاني القرآن:



أبو مجلز^(١) عما يتلطح من اللحم بالدم، وعن القدر تعلوها الحمرة من الدم؟ فقال: لا بأس به، إنما حرم الله المسفوح^(٢).

ثالثاً: أنه أمر لا يتأتى الانفكاك عنه، ولا يمكن الاحتراز منه، وما كان كذلك فهو مما تعم به البلوى؛ فيعفى عنه. قال ابن العربي: «والصحيح أن الدم إذا كان مفرداً حرم منه كل شيء، وإن خالط اللحم جاز؛ لأنه لا يمكن الاحتراز منه، وإنما حرم الدم بالقصد إليه»^(٣).

وفي المسألة قول آخر:

من لم يحمل المطلق على المقيد، فقالوا: بأن الدم حرام، سواء كان قليلاً أو كثيراً، وقال بهذا ابن حزم^(٤)، ولم يشترطوا السفح.

وحجتهم:

ما ورد في آية البقرة، والمائدة، والنحل حيث أطلق لفظ الدم فيها فاقضى ذلك تحريم الدم المسفوح وغيره^(٥)، و"أل" في قوله ﴿وَالدَّمُ﴾ للإطلاق والعموم،

﴿﴾ =

(١/٣٦٠)، وذكر الثعلبي رواية عكرمة في الكشف والبيان: (٤/٢٠١)، وكذلك البغوي في معالم التنزيل: (٢/٧٣).

(١) هو: لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز، مشهور بكنيته، وكان ثقة من كبار الثالثة وله أحاديث توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز، (ت: ١٠٦هـ، وقيل: ١٠٩، وقيل: قبل ذلك). ينظر: طبقات ابن سعد: (٧/٢١٦)، والثقات: (٥/٥١٨)، وتقريب التهذيب: (٥٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٧٠)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٧٣).

(٣) أحكام القرآن: (٢/٢١٨).

(٤) ينظر: المحلى: (٧/٣٨٩)، والإحكام لابن حزم: (٧/٣٦٧)، وبداية المجتهد: (٣/٢٢).

(٥) ينظر: الإحكام لابن حزم: (٧/٣٦٧).



ويستثنى من هذا العموم قوله ﷺ (أحلت لنا ميتتان ودمان) ^(١) وهما الكبد والطحال فهو حلال. قال ابن حزم: «حرم في أول الإسلام بمكة الدم المسفوح، ثم حرم بالمدينة الدم كله جملة عموماً، فمن لم يحرم إلا المسفوح وحده فقد أحل ما حرم الله تعالى في الآية الأخرى، ومن حرم الدم جملة فقد أخذ بالآيتين جميعاً، وقد حرم بعد تلك الآية أشياء ليست فيها كالخمر وغير ذلك فوجب تحريم كل ما جاء نص بتحريمه بعد تلك الآية، والدم جملة مما نزل تحريمه بعد تلك الآية» ^(٢).

ويعترض على احتجاجهم بما يلي:

أولاً: أن الحديث في حل الكبد والطحال ليس مخصصاً للعموم، وإنما عاضد لآية الأنعام، فكما تكون السنة مخصصة في بيانها للقرآن، كذلك تكون عاضدة له.

ثانياً: أن "أل" للعهد، وليست للإطلاق والعموم، فأية الأنعام التي ورد فيها الدم مقيداً بصفة السفح سابقة في النزول على المواضع الأخرى، ودالة على الدم المعهود الذي عرفوه وخوطبوا به أول مرة - وهو المخصوص بصفة السفح - فلا ينصرف الذهن إلى غيره، وقد فطن لهذا أبو حيان فقال: «وجاء هنا هذه المحرمات منكرة، والدم موصوفاً بقوله: "مسفوحاً" ... وفي تينك السورتين - البقرة والمائدة - معرفاً؛ لأن هذه السورة مكية فعُلِّقَ بالتنكير، وتانك السورتان مدينتان فجاءت تلك الأسماء - يعني الميتة والدم - معارف بالعهد حوالة على ما سبق تنزيله في هذه السورة» ^(٣).

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه: (١٠٧٣/٢) باب صيد الحيتان والجراد، برقم: (٣٢١٨)، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب: (٩٧/٢) برقم: (٥٧٢٣) وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٢٥٤/١) باب سورة الأنعام برقم: (١١٢٨) عن عبدالله بن عمر وقال: «هذا إسناد صحيح وهو في معنى المسند وقد رفعه أولاد زيد عن أبيهم».

(٢) المحلى: (٣٨٩/٧).

(٣) البحر المحيط: (٢٤٢/٤).



وقد بيّن الشنقيطي دعوى ابن حزم فقال: «إن ابن حزم توسع توسعاً شنيعاً اجتنى به على الشرع، مع علمه وقوة ذهنه، وزعم أن كل ما لم ينص الله على أنه حرام، أنه لا يمكن أن يكون حراماً.... وكل هذا غلط»^(١).

إذا تبين هذا فإن أولى القولين هو ما رجحه القرطبي، وهو اختصاص التحريم بالمسفوح من الدم وذلك: لأنه مذهب الصحابة رضي الله عنهم؛ فقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عنهم؛ مما يدل على أن الخلاف في غير المسفوح خلاف حادث، ولا يعتد بالخلاف بعد انعقاد الإجماع^(٢)، قال الشنقيطي: «جماهير العلماء من الصحابة وفقهاء الأمصار على أن تلك الآيات المطلقة في النحل، والمائدة، والبقرة، تُقيّد بقيد الأنعام هذه، فلا يحرم الدم غير المسفوح»^(٣)، والقاعدة الترجيحية تنص على أن "كل تفسير يخالف إجماع الأمة فهو مردود"^(٤). ومن المرجحات أيضاً قوة أدلتهم كما هو مبين أعلاه، وهو الذي عليه أكثر المفسرين، و"تفسير الجمهور مقدم على كل تفسير"^(٥) والله أعلم.



(١) العذب النمير: (٣٦٦/٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى: (٥٢٢/٢١).

(٣) العذب النمير: (٣٦٤/٢).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢١٤/١).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (٢٨٨/١).



قال تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
وَالْفَنَنِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ [الأنعام: ١٤٦].

في الآية الكريمة مسألتان:

٩٦- المسألة الأولى: علام العطف في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾

قال القرطبي ~ : « " ما " في موضع نصب عطف على " ما حملت " أيضاً. هذا
أصح ما قيل فيه، وهو قول الكسائي^(١) والفراء^(٢) وأحمد بن يحيى^(٣). والنظر يوجب
أن يعطف الشيء على ما يليه، إلا أن لا يصح معناه، أو يدل دليل على غير ذلك.

وقيل: إن الاستثناء في التحليل إنما هو ما حملت الظهر خاصة، وقوله: ﴿أَوْ
الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ معطوف على المحرم. والمعنى: حرمت عليهم شحومهما
أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهر؛ فإنه غير محرم^(٤)»

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي أن " ما " في موضع نصب عطف على الاستثناء في قوله ﴿إِلَّا مَا
حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾، فهي من جملة الحلال فأبيح لهم ما حملت ظهورهما والحوايا وما
اختلط بعظم^(٥). ووافقه الكسائي، والفراء، والطبري^(٦)، والجصاص^(٧)،

(١) ينظر: إعراب القرآن: (١٠٤/٢)، وفتح القدير: (١٤٧/٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: (٣٦٣/١).

(٣) ينظر: إعراب القرآن: (١٠٤/٢)، وفتح القدير: (١٤٧/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩٨/٩).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩٨/٩).

(٦) ينظر: جامع البيان: (٧٤/٨).

(٧) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١٩٤/٤).



والسمعاني^(١)، والبغوي^(٢)، والزنجشري^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن الجوزي^(٥)
والعكبري^(٦)، ووافقهم البيضاوي^(٧)، ونظام الدين النيسابوري^(٨)، وأبو حيان^(٩)،
وابن عادل^(١٠)، والشوكاني^(١١)، والقاسمي^(١٢)، ومحمد رشيد رضا^(١٣)، والسعدي^(١٤)،
والشنقيطي^(١٥).

واستدل القائلون بما يلي:

أولاً: ظاهر الآية والمتبادر إلى الذهن من السياق القرآني يدل على ذلك. قال
السمعاني: «والصحيح أن الكل يدخل في الاستثناء وهو ظاهر الآية»^(١٦)

- (١) ينظر: تفسير السمعياني: (١٥٣/٢).
- (٢) ينظر: معالم التنزيل: (٧٥/٢).
- (٣) ينظر: الكشف: (٥٨/٢).
- (٤) ينظر: المحرر الوجيز: (١٧٣/٦).
- (٥) ينظر: زاد المسير: (١٤٤/٣).
- (٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (٥٤٦/١).
- (٧) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٥/١).
- (٨) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٨٣/٣).
- (٩) ينظر: البحر المحيط: (٢٤٦/٤).
- (١٠) ينظر: اللباب: (٤٩١/٨).
- (١١) ينظر: فتح القدير: (١٧٤/٢).
- (١٢) ينظر: محاسن التأويل: (٧٥٥/٦).
- (١٣) ينظر: تفسير المنار: (١٧٣/٨).
- (١٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٧٧).
- (١٥) ينظر: العذب النمير: (٣٨٩/٢).
- (١٦) تفسير السمعياني: (١٥٣/٢).



ثانياً: الصناعة النحوية تشهد لهذا القول: قال النحاس: « النظر يوجب أن يعطف الشيء على ما يليه، إلا أن لا يصح معناه، أو يدل دليل على غير ذلك »^(١).

وفي المسألة قول آخر:

من جعل الاستثناء معطوفاً على المحرم أي على الشحوم، فالحوايا، وما اختلط بعظم من جملة الحرام، وانفرد بهذا رأي الزجاج^(١).

وقد ضعفه ابن عطية بقوله: « وهذا قول لا يعضده اللفظ ولا المعنى بل يدفعانه »^(١) وقال الشوكاني: « لا وجه لهذا التكلف ولا موجب له لأنه يكون المعنى إن الله حرّم عليهم إحدى هذه المذكورات »^(١).

ومن المفسرين من ذكر كلا القولين بلا ترجيح^(١).

مما سبق يتبين أن الأرجح هو ما رجحه القرطبي ومن وافقه، وذلك لأنه منطبق على جملة من القواعد وهي: " أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك " ^(١).

وقاعدة: " يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق " ^(١).

-
- (١) إعراب القرآن: (١٠٤ / ٢).
 - (٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣٠١ / ٢).
 - (٣) المحرر الوجيز ٦ / ١٧٣.
 - (٤) فتح القدير: (١٧٤ / ٢).
 - (٥) كالفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٢٢٤ / ١٣)، والعكبري في إملاء ما من به الرحمن: (٢٦٤) وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٤ / ٢).
 - (٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٢٥ / ١).
 - (١) ينظر: المصدر السابق: (٦٣٥ / ٢).



وقاعدة: " الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل
بخلافه"^(١). والله أعلم.



(١) ينظر: المصدر السابق: (٢/٦٢١).



٩٧- المسألة الثانية: حكم شحوم ذبائح اليهود؟ في قوله تعالى:

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾.

قال القرطبي ~ : « ولو ذبحوا أنعامهم فأكلوا ما أحل الله لهم في التوراة، وتركوا ما حرم عليهم، فهل يجزئ لنا؟ قال مالك في كتاب محمد: هي محرمة^(١). وقال في سماع المبسوط: هي محللة^(٢). وبه قال ابن نافع^(٣) وقال ابن القاسم: أكرهه^(٤).

وجه الأول أنهم يدينون بتحريمها ولا يقصدونها عند الذكاة، فكانت محرمة كالدم. ووجه الثاني - وهو الصحيح - أن الله عز وجل رفع ذلك التحريم بالإسلام، واعتقادهم فيه لا يؤثر، لأنه اعتقاد فاسد. قاله ابن العربي^(٥).

قلت: ويدل على صحته ما روي في الصحيحين عن عبدالله بن مغفل^(٦) قال: كنا محاصرين قصر خيبر، فرمى إنسان بجراب^(٧) فيه شحم، فنزوت لآخذه، فالتفت؛ فإذا

(١) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٢٥)، والمدونة الكبرى: (٣/٦٧)، والفواكه الدواني: (١/٣٩٠).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٢٥) المبسوط للسرخسي: (١١/٢٣٧).

(٣) هو عبدالله بن نافع الصائغ مولى بني مخزوم، من كبار فقهاء المدينة، وكان أصمّ أماً لا يكتب، وقال: صحبت مالكا أربعين سنة ما كتبت منه شيئا، وإنما كان حفظاً أحفظه، وكان مفتي المدينة، (ت: ٢٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (١٠/٣٧١)، والتقريب: (٣٢٦)، وطبقات الفقهاء: (١/١٥٢).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٢٥)، والمدونة الكبرى: (٣/٦٧).

(٥) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٢٥).

(٦) هو عبدالله بن مغفل بن عبد نهم، أبو عبدالرحمن المزني، صحابي بايع تحت الشجرة، ونزل البصرة مات سنة سبع وخمسين، وقيل بعد ذلك وخمسين، وأمر ألا يصلي عليه ابن زياد، وأن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي وصلى عليه. ينظر: سير أعلام النبلاء: (٢/٤٨٣)، والثقات: (٣/٢٣٦)، والتقريب: (٣٢٥).

(٧) الجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد، وهو وعاء من إهاب الشاء لا يوعى فيه إلا يابس، ينظر: لسان العرب: (١/٢٦١)، والمعجم الوسيط: (١/١١٤).

النبي ﷺ فاستحييت منه (١) «....» (٢).

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي حل ما تركوه من الذبيحة التي حرم الله عليهم لا علينا ورجحه الجصاص (١)، وابن العربي (٢)، ووافقهم ابن عادل الحنبلي (٣)، ومحمد رشيد رضا (٤).

واحتجوا:

أولاً: بعموم الآية، وذلك أنه تعالى أباح ذبائحهم تحليلاً عاماً، فاقتضى ذلك أن ذكاتهم عاملة في كل الذبيحة فتحل الشحوم (٥).

ثانياً: السنة النبوية الصريحة فعن عبدالله بن مَعْقِلٍ قَالَ أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمِ يَوْمِ خَيْبَرَ قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا. قَالَ: فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُتَبَسِّمًا (٦) ووجه الدلالة منه: أنه ﷺ لم يأمره بطرحه، ولا نهاه عنه، وإنما

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يصيب من الطعام في أرض الحرب (٣/١١٤٩)، برقم: (٢٩٨٤) وفي كتاب المغازي، باب غزوه خيبر: (٤/١٥٤٣) برقم: (٣٩٧٧) وفي كتاب الذبائح والصيد، باب ذبائح أهل الكتاب وشحومها من أهل الحرب وغيرهم: (٥/٢٠٩٧). برقم: (٥١٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٠٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/١٩٣).

(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٢٥).

(٥) ينظر: اللباب: (٨/٤٩٤).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٨/١٧١).

(٧) ينظر: شرح النووي على مسلم: (١٢/١٠٢).

(٨) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب جَوَازِ الْأَكْلِ مِنْ طَعَامِ الْغَنِيمَةِ فِي دَارِ الْحَرْبِ (٣/١٣٩٣) برقم: (١٧٧٢).



تبسم لما رأى من شدة حرصه على أخذ الجراب، ولو كان يحرم لنهاه^(١).

قال الحافظ ابن حجر ~ : « وفيه حجة على من منع ما حرم عليهم كالشحوم لأن النبي ﷺ أقر ابن مغفل على الانتفاع بالجراب المذكور... »^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

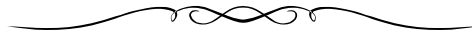
القول الثاني: حرمة ما تركوه من الذبيحة.

وحجتهم: أن اليهود لم تقصد حين التذكية استباحة كل الذبيحة، وإنما تقصد إلى محلل ومحرم في اعتقادها؛ فوجب أن تبيح ذكاتهم ما يعتقدون حله دون ما يعتقدون تحريمه.

القول الثالث: أنه مكروه، وقال به الإمام مالك^(٣). وهو بهذا راعى الخلاف، فلم يجرموه نظراً لحكم الإسلام فيه - وهو الإباحة - ولم يحله نظراً لاعتقاد اليهود تحريمه، وإن كان الأولى عدم مراعاة الاختلاف عند طلب الحجة؛ إذ الاختلاف ليس منه شيء لازماً دون دليل، والله أعلم.

يتبين مما سبق أن ما رجحه القرطبي - وهو الحل - أرجح القولين، وذلك للحديث المتقدم وهو نص في المسألة وعليه القاعدة الترجيحية:

"إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه"^(٤)، والله أعلم.



(١) ينظر: شرح النووي على مسلم: (١٠٢/١٢).

(٢) فتح الباري: (٦٣٧/٩).

(٣) ينظر: المدونة الكبرى: (٦٨/٣)، والفواكه الدواني: (٣٩٠/١).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٠٦/١).



قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ

الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧]

٩٨- مسألة في المراد بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

قال القرطبي ~ : «أي: من سعة رحمته حلم عنكم، فلم يعاقبكم في الدنيا. ثم أخبر بما أعده لهم في الآخرة من العذاب، فقال: ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. وقيل المعنى: ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حلوله في الدنيا»^(١) هـ.

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد لا يرد بأسه عن القوم المجرمين في الآخرة، وقد وافق بذلك قول السمعاني^(١) حيث قال: «إن قيل ما معنى هذا؟ وإنما يليق بتكذيبهم وعيد العذاب لا وعد الرحمة؟ قال ثعلب: هو الرحمة بتأخير العذاب عنهم، لا بترك أصل العذاب، وهذا حسن بدليل قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني في القيامة إذا جاء وقته، فستل ثعلب: أليس أن الله - تعالى - قد عذب الكفار في الدنيا؟ فقال:.. هذا في الكفار، أما قوم نبينا محمد ﷺ لم يعذبهم الله ببركته فيهم، كما قال ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]»^(٢)

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠١/٩).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: (١٥٣/٢).

(٣) تفسير السمعاني: (١٥٣/٢).

وفي المسألة قول آخر:

لا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حلوله في الدنيا، ومعالجتهم بالعقاب ورجح هذا الشوكاني^(١) لأنه موافق لمقام التهديد في هذه الآية.

بينما الذي عليه عامة المفسرين: أن الله تعالى لا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد إنزاله بهم في الدنيا أو في الآخرة ومن ذلك ابن عطية^(٢)، الفخر الرازي^(٣)، وابن جزي الكلبي^(٤)، ونظام الدين النيسابوري^(٥)، وابن عادل^(٦)، والشعالبي^(٧).

ولهذا شواهد كثيرة من القرآن فعالباً ما يقرب بين العذابين منها: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٦٥] وقوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]

والمأمل فيما عليه عامة المفسرين يجد أنه هو الأرجح فهو يجمع القولين الأولين، قال ابن جزي الكلبي: « فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما في الدنيا أو في الآخرة »^(٨) والقول بالعموم أولى من تخصيص حال دون حال وهذا موافق للقاعدة الترجيحية:

(١) في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتَةُ وَالِدِمْ وَلِحْمُ الْخَنزِيرِ﴾، وينظر: فتح القدير: (١٧٤/٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (١٧٤/٦).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٢٤/١٣).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٤/٢).

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (١٨٢/٣).

(٦) ينظر: اللباب: (٤٩٦/٨).

(٧) ينظر: الجواهر الحسان: (٥١٨/١).

(٨) التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٤/٢).



« يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتحديد »^(١)

كما أن لهذا القول نظائر من القرآن. "والقول الذي تؤيده آيات قرآنية
مقدم على غيره"^(٢). والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/٥٢٧).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (١/٣١٢).



قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]

في الآية الكريمة مسألتان:

٩٩- المسألة الأولى: موقع الإعراب في المصدر المؤول من (أن والفعل) في

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾؟

قال القرطبي ~ : «﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ في موضع نصب بتقدير فعل من لفظ الأول، أي: أتل عليكم ألا تشركوا؛ أي: أتل عليكم تحريم الإشراك، ويحتمل أن يكون منصوباً بما في "عليكم" من الإغراء، وتكون "عليكم" منقطعة مما قبلها؛ أي عليكم ترك الإشراك، وعليكم إحساناً بالوالدين، وألا تقتلوا أولادكم، وألا تقربوا الفواحش. كما تقول: عليك شأنك؛ أي: الزم شأنك. وكما قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]....» (١)

الدراسة والترجيح:

في قوله تعالى ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ في "أن" وجهان (١):

الوجه الأول: أنها مصدرية ولها موضعان من الإعراب:

الأول: موضع النصب ولها عدة أوجه منها (١):

١- أنها وما في حيزها في محل النصب بإضمار فعل من لفظ الأول "أتل"، أو

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١٠٥/٩).

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (٥٤٨/١)، والبحر المحيط: (٢٥٠/٤).

(٣) ينظر: الدر المصون: (٢١٦/٥) أوصل العربون الأقوال إلى عشرة أقوال.



من لفظ الأخير "وصاكم"، والتقدير: أوصيكم أن لا تشركو وهذا مذهب الزجاج^(١)، وهو ما جزم به القرطبي^(٢)، واكتفى بذكره ابن كثير فقال: «وكان في الكلام محذوفاً دل عليه السياق وتقديره: وأوصاكم ألا تشركو به شيئاً؛ ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»^(٣)، ورجحه الشنقيطي^(٤).

٢- أن تكون "أن" وما في حيزها منصوبة على الإغراء بـ "عليكم"، ويكون الكلام قد تمّ عند قوله "ربكم" ثم ابتداءً فقال: عليكم ألا تشركو، أي: الزموا ترك الشرك. ولم أر -ب حسب اطلاعي- أحداً قال به. بل ضعفه السمين الحلبي بقوله: «وإن كان ذكره جماعة كما نقله ابن الأنباري، فهو ضعيف؛ لتفكك التركيب عن ظاهره، ولأنه لا يتبادر إلى الذهن»^(٥)، وقال الشوكاني: «وهو ضعيف»^(٦).

٣- أنها ناصبة وما في حيزها بدل من العائد المحذوف، والتقدير: أتله ما حرمه، و"لا" على هذا الوجه زائدة كما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] وهذا رجحه ابن جزى الكلبي^(٧) إلا أن أبا حيان ضعفه بقوله: «وهذا ضعيف لانحصار عموم المحرم في الإشراك إذ ما بعده من الأمر ليس داخلاً من المحرم، ولا بعد الأمر مما فيه.»^(٨)

الثاني: موضع الرفع. فهي في محل رفع على الابتداء والخبر قبله، والتقدير: عليكم عدم الإشراك، ويكون الوقف على قوله ﴿رَبِّكُمْ﴾ ولم أر -ب حسب اطلاعي- أحداً قال به.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣٠٣/٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٠٥/٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم: (١٩٥/٢).

(٤) ينظر: أضواء البيان: (٤٠٢/١)، والعذب النمير: (٤٦٣/٢).

(٥) الدر المصون: (٢١٦/٥).

(٦) فتح القدير: (١٧٧/٢).

(٧) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٥/٢).

(٨) تفسير البحر المحيط: (٢٥١/٤).



الوجه الثاني: أنها تفسيرية لأنه تقدمها ما هو بمعنى القول لا حروفه - وهو الفعل أتل - ف "لا" هي الناهية، "وتشركوا" مجزوم بها. وهذا مذهب الفراء^(١)، وبه قال الزمخشري^(٢)، ورجحه ابن عطية^(٣)، والنسفي^(٤) ونظام الدين النيسابوري^(٥)، والسمين الحلبي^(٦) وأبو حيان^(٧)، وابن عادل^(٨)، وأبو السعود^(٩)، والشوكاني^(١٠)، ومحمد رشيد رضا^(١١).

واحتجوا^(١٢):

بأن (أتل) فعل بمعنى القول، وما بعد (أن) جملة فاجتمع في (أن) شرطاً التفسيرية. وهي: أن يتقدمها معنى القول، وأن يكون بعدها جملة. وذلك بخلاف "أي" فإنها حرف تفسير.

ومن المفسرين من ذكر الأقوال بلا ترجيح^(١٣).

(١) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٦٤).

(٢) ينظر: الكشاف: (٢/٦١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٧٨).

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٤٠) حيث لم يذكر غيره.

(٥) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/١٨٧).

(٦) ينظر: الدر المصون: (٥/٢١٦).

(٧) تفسير البحر المحيط: (٤/٢٥١).

(٨) ينظر: اللباب: (٨/٥٠٥).

(٩) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢١٩).

(١٠) ينظر: فتح القدير: (٢/١٧٧).

(١١) ينظر: المنار: (٨/١٨٤).

(١٢) ينظر: تفسير البحر المحيط: (٤/٢٥٠).

(١٣) كالنحاس في إعراب القرآن: (٢/١٠٦)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٣)، والبغوي في معالم

التنزيل: (٢/٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٤٧) والفخر الرازي في مفاتيح الغيب:

(١٣/٢٣١) والعكبري في التبيان في إعراب القرآن: (١/٥٤٨)، وإملاء ما من به الرحمن: (١/٢٦٥).



يتبين أن الأرجح مما سبق ما جزم به القرطبي ومن وافقه في ذلك لأنه الأظهر. قال الشنقيطي: «وأظهر الأوجه وأحسنها: هو ما دل عليه القرآن؛ لأن خير ما يفسر- به القرآن: القرآن، وأن معنى قوله: ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما حرمه عليكم فعلاً وتركاً، وأن التحريم فعلاً وتركاً هنا مضمّن معنى: ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ﴾... والدليل على هذا: أن الله لما علم أن في الآية شبه إجمال أوضحه في آخرها فقال: ﴿ذَلِكَ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فعرّفنا أن ذلك التحريم هو معنى الوصية»^(١).
الوصية»^(١).

وأعلم أن هذه المسألة من المسائل التي تكلم بها الكثيرون وخالصة القول فيها : أن هذه الآية لها طريقان :

أحدهما: أن يذكر المحرم نفسه مقترناً بأداة النهي والتحريم ، وذلك حيث يكون الضرر مترتباً على فعله وهو في هذه الآية : الشرك بالله، وقتل النفس، وقتل الأولاد خشية الفقر، وقریان الفواحش ، وأكل مال اليتيم .

وثانيها : أن يذكر المحرم بذكر مقابله ، وهو الذي يترتب الخير على فعله، وهو في هذه الآية الإحسان إلى الوالدين، وإيفاء الكيل، والميزان، والعدل في الأقوال، والوفاء بالعهود.

فمناطق الخير في الأول ترك المحرمات ؛ فذكرت منهيّاً عنها، ومناطق الخير في الثاني فعل ما يقابل المحرم؛ فذكرت مأموراً بها، وبهذا نريح ونستريح من عناء التخريج اللفظي والصناعي الذي شغل الناس عن هداية القرآن. والله أعلم.

(١) العذب النمير: (٢/٤٦٣).



١٠٠- المسألة الثالثة: في حكم العزل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا﴾

أَوْلَدَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ ﴿١﴾.

قال القرطبي ~ : « قد يستدل بهذا من يمنع العزل؛ لأن الوأد رفع الموجود والنسل، والعزل منع أصل النسل، فتشابهها، إلا أن قتل النفس أعظم وزراً وأقبح فعلاً؛ ولذلك قال بعض علمائنا: إنه يفهم من قوله ﷺ في العزل: (ذلك الوأد الخفي)^(١) الكراهة لا التحريم. وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم.

وقال بإباحته أيضاً جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء؛ لقوله ﷺ (لا عليكم ألا تفعلوا، فإنما هو القدر)^(٢)، أي ليس عليكم جناح في ألا تفعلوا. وقد فهم منه الحسن ومحمد بن المثني^(٣) النهي والزجر عن العزل. والتأويل الأول أولى لقوله ﷺ: (وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء)^(٤) «...»^(٥).

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي إباحة العزل وهو موافق لرأي الحنفية^(٦).

أدلتهم الأحاديث النبوية وهي:

١ - عن جابر قال: (كنا نعزل على عهد النبي ﷺ والقرآن ينزل)^(٧) وعن جابر

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جذامة في كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء الموضع وكراهة العزل (١٠٦٧/٢) رقم (١٤٤٢).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب حكم العزل (١٠٦٢/٢) برقم (١٤٣٨).

(٣) هو محمد بن المثني أبو موسى العنزي الحافظ، ثقة ورع (ت: ٢٥٢ هـ) ينظر: الثقات: (١١١/٩)، والكاشف: (٢١٤/٢)، وتقريب التهذيب: (٥٠٥).

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب حكم العزل (١٠٦٤/٢) برقم: (١٤٣٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (١٠٨/٩).

(٦) ينظر: حاشية ابن عابدين: (١٧٥/٣).

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب العزل (١٩٩٨/٥) برقم: (٤٩١١)



أيضاً: قال: (كانت لنا جوارى وكنا نعزل عنهن فقال اليهود: إن تلك الموءودة الصغرى، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فقال: كذبت يهود لو أراد الله خلقه لم تستطع رده)^(١).

٢- عن ابن محيريز^(٢) أنه قال دخلت أنا وأبو صرمة^(٣) على أبي سعيد الخدري فسأله أبو صرمة فقال: يا أبا سعيد: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر العزل؟ فقال: نعم غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بالمصطلق فسينا كرائم العرب فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء فأردنا أن نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله؛ فسألنا رسول الله ﷺ فقال: لا عليكم ألا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون^(٤).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب حكم العزل (٢/١٠٦٥) برقم: (١٤٤٠) وزاد عليه (فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا) قال أبو عيسى: حديث جابر حديث حسن صحيح، ينظر: سنن الترمذي: (٤٤٣/٣).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب عشرة النساء، باب العزل وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك (٥/٣٣٠) برقم: (٩٠٩١)، وأخرجه الترمذي في سننه في باب ما جاء في العزل، (٣/٤٤٢) برقم: (١١٣٦) وقال: « وفي الباب عن عمر والبراء وأبي هريرة وأبي سعيد ».

(٢) هو عبدالله بن محيريز الجمحي المكي، ببيت المقدس رباه أبو محذورة قال رجاء بن حيوة: إن فخر علينا أهل المدينة بآب من عمر فإننا نفخر بعابدنا ابن محيريز إن كنت لأعد بقاءه أماناً لأهل الأرض (ت: قبل المائة) ينظر: الكاشف: (١/٥٩٦)، والإصابة: (٥/٢٠٨) وتقريب التهذيب: (٣٢٢).

(٣) هو قيس بن مالك بن أبي قيس بن مالك بن عدى بن عامر بن النجار أبو صرمة المازني الأنصاري، له صحبة ينظر: الثقات: (٣/٣٤٠)، والكاشف: (٢/٤٣٦)، وتقريب التهذيب: (٦٥٠).

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب النكاح، باب حكم العزل، (٢/١٠٦١) برقم: (١٤٣٨).

وفي المسألة قول آخر:

وهو القول بتحريم العزل وهو مذهب ابن حزم^(١)، ووافقه الشنقيطي^(٢)

دليلهم:

حديث جذامة^(٣) قالت: (حضرت رسول الله ﷺ في أناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر- أولادهم ذلك شيئاً ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله ﷺ ذلك: الوأد الخفي)

قال ابن حزم: «فصح أن خبر جذامة بالتحريم هو الناسخ لجميع الإباحات المتقدمة التي لا شك في أنها قبل البعث وبعد البعث وهذا أمر متيقن لأنه إذ أخبر ﷺ أنه الوأد الخفي والوَأَد محرم فقد نسخ الإباحة المتقدمة بيقين»^(٤) وقالوا: إن أحاديث غيرها توافق أصل الإباحة، وحديثها يدل على المنع، قال: فمن ادعى أنه أُبِيح بعد أن منع فعليه البيان.

البيان من وجوه منها:

١- الحديث ليس صريحاً في المنع؛ إذ لا يلزم من تسميته وأداً خفياً على طريق التشبيه أن يكون حراماً، وخصه بعضهم بالعزل عن الحامل لزوال المعنى الذي كان يحذره الذي يعزل من حصول الحمل.

(١) ينظر: المحلى (٧١/١٠).

(٢) ينظر: أضواء البيان: (٤٠٢/١).

(٣) هي جذامة بنت جندل الأسدية من بنى غنم، أسلمت قديماً بمكة وبايعت، وهاجرت إلى المدينة مع أهلها، وقد روت جذامة عن رسول الله ﷺ حديثاً، وكانت تحت أنيس بن قتادة الأنصاري الأوسي وهو بدري استشهد بأحد، وقيل التي كانت تحت أنيس بن قتادة خنساء بنت خدام، ولا مانع أن يكونا جميعاً زوجتيه. ينظر: طبقات ابن سعد: (٢٤٣/٨)، والثقات: (٦٧/٣)، والإصابة: (٥٥١/٧).

(٤) المحلى: (٧١/١٠).



٢- لا يكون العزل وأداً، فعن ابن عباس أنه أنكر أن يكون العزل وأداً^(١) وقال: (المني يكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم يكسى لحماً قال: والعزل قبل ذلك كله)^(٢).

٣- قوله الواد الخفي ورد على طريق التشبيه لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه؛ فأشبهه قتل الولد بعد مجيئه وقال ابن القيم: «الذي كذبت فيه اليهود، زعمهم أن العزل لا يتصور معه الحمل أصلاً وجعلوه بمنزلة قطع النسل بالواد فأكذبهم وأخبر أنه لا يمنع الحمل إذا شاء الله خلقه، وإذا لم يرد خلقه لم يكن وأداً حقيقة؛ وإنما سماه وأداً خفياً في حديث جذامة لأن الرجل إنما يعزل هرباً من الحمل فأجرى قصده لذلك مجرى الواد لكن الفرق بينهما أن الواد ظاهر بالمباشرة اجتمع فيه القصد والفعل والعزل يتعلق بالقصد صرفاً فلذلك وصفه بكونه خفياً»^(٣).

والناظر المتأمل في أدلة الفريقين، يجدها قوية وظاهر الحديثين يوهم بالتعارض لذلك لجأ العلماء إلى الجمع بينهما، وهو الأولى من القول بالتعارض فقالوا:

أولاً: أن حديث جذامة يحمل على التنزيه.

ثانياً: أن بين تكذيب اليهود في قولهم الموءودة الصغرى وبين إثبات كونه وأداً خفياً في حديث جذامة يقتضي أنه وأد ظاهر لكنه صغير بالنسبة إلى دفن المولود بعد وضعه حياً فلا يعارض قوله: إن العزل وأد خفي فإنه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً؛ فلا يترتب عليه حكم، وإنما جعله وأداً من جهة اشتراكها في قطع الولادة..

(١) ينظر: فتح الباري: (٣٠٨/٩).

(٢) لم أجد هذا الأثر في الكتب الأربعة - حسب اطلاعي - وذكره ابن حجر في فتح الباري: (٣٠٨/٩).

(٣) ينظر: زاد المعاد: (١٤٥/٥) بتصرف، وفتح الباري: (٣٠٨/٩).



ثالثاً: من ادعى أنه منسوخ، يرد بعدم معرفة التاريخ، فإن حديث جذامة متقدم على حديث جابر رضي الله عنه. قال الطحاوي: يحتمل أن يكون حديث جذامة على وفق ما كان عليه الأمر أولاً من موافقة أهل الكتاب وكان صلى الله عليه وسلم يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، ثم أعلمه الله بالحكم فكذب اليهود فيما كانوا يقولونه^(١)، والله أعلم.



(١) ينظر: فتح الباري: (٣٠٨/٩) و نيل الأوطار: (٣٤٩/٦).



قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ [الأنعام: ١٥٢]

في الآية الكريمة ثلاث مسائل:

١٠١- المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ؟

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ،
أي: بما فيه صلاحه وثماره، وذلك بحفظ أصوله وثمار فروعه. وهذا أحسن الأقوال
في هذا، فإنه جامع. قال مجاهد: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالتجارة
فيه، ولا تشتري منه ولا تستقرض «أهـ»^(١)

الدراسة والترجيح:

رجح القرطبي المعنى الجامع للأقوال وهو أن المراد بالتي هي أحسن: كل ما فيه
صلاح وثمار لمال اليتيم، وبذلك وافق المروي عن السدي^(١)، وقول الطبري^(٢)،
والزجاج^(٣)، والجصاص^(٤)، والسمرقندي^(٥)، والثعلبي^(٦)، والواحدي^(٧)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١١١ / ٩).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨٤ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤١٩ / ٥)، وذكره النحاس في
معاني القرآن: (٣٦٤ / ١)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٢٠٤ / ٤).

(٣) ينظر: جامع البيان: (٨٤ / ٨).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣٠٥ / ٢).

(٥) ينظر: أحكام القرآن: (١٩٦ / ٤).

(٦) ينظر: بحر العلوم: (٤٩٤ / ١).

(٧) ينظر: الكشف والبيان: (٢٠٤ / ٤).

(٨) ينظر: الوجيز: (٣٨٢ / ١).



والكيا الهراسي^(١)، والبغوي^(٢) والزخشي^(٣)، وابن عطيه^(٤)، والفخر الرازي^(٥)،
ووافقهم البيضاوي^(٦)، والنسفي^(٧)، وابن جزى الكلبي^(٨)، والبقاعي^(٩)، وأبو
السعود^(١٠)، والشوكاني^(١١)، والآلوسي^(١٢)، والقاسمي^(١٣)، ومحمد رشيد رضا^(١٤)،
والسعدي^(١٥)، والشنقيطي^(١٦).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يتبغي له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً. وهو
المروي عن الضحاك^(١).

- (١) ينظر: أحكام القرآن: (٣/٣٤٧).
- (٢) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٧٩).
- (٣) ينظر: الكشاف: (٢/٦١).
- (٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٠).
- (٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/٢٣٤).
- (٦) ينظر: أنوار التنزيل: (١/٣٢٧).
- (٧) ينظر: مدارك التنزيل: (٢/٤٠).
- (٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٦).
- (٩) ينظر: نظم الدرر: (٧/٣١٩).
- (١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢٢١).
- (١١) ينظر: فتح القدير: (٢/١٧٧).
- (١٢) ينظر: روح المعاني: (٨/٥٥).
- (١٣) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧٨٣).
- (١٤) ينظر: تفسير المنار: (٨/١٨٩).
- (١٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٨٠).
- (١٦) ينظر: العذب النمير: (٢/٥٠٧).
- (١٧) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٨٤)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤١٩)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣/٣٨٤) وذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٤).



القول الثالث: ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالتجارة فيه، ولا تشتري منه ولا تستقرض، وهذا المروي عن مجاهد^(١).

القول الرابع: ﴿بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى فلا يأكل. وهو المروي عن ابن زيد^(٢).

ومن المفسرين من ذكر الأقوال بلا ترجيح^(٣).

والمتأمل في هذه الأقوال يتضح له أنها أقوال صحيحة، وأن ما ذهب إليه القرطبي ومن تبعه هو الأولى لأنه الجامع الذي يشمل كل الأقوال، وهي تدخل فيه دخولاً أولياً، قال الشنقيطي: « لا تقربوا ماله إلا بالتي هي أحسن الخصال وأنفعها لليتيم، وذلك بالمحافظة عليه، وتنميته، وثماره بالتجارة في مواقع النظر والسداد.. »^(٤) ومتى أمكن حمل الآية على معنى عام شامل يجمع التفسيرات التي جاءت من قبيل التمثيل أو الحصر، ولا تعارض بينها فهو أولى، حملاً للآية على العموم، والقاعدة المعتبرة عند العلماء: " يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص " ^(٥). والله أعلم.



(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨٤ / ٨).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨٤ / ٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤١٩ / ٥)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣٨٤ / ٣) وذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٢٠٤ / ٤).

(٣) كالماوردي في النكت والعيون: (١٨٧ / ٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٤٧ / ٣).

(٤) ينظر: العذب النمير: (٥٠٧ / ٢).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧ / ٢).

١٠٢- المسألة الثانية: ما هو الأشد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾؟

قال القرطبي ~ : « قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يعني قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة. وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة النساء [الآية: ٦] مقيدة، فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ فجمع بين قوة البدن، وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة، وهو إيناس الرشد.....

واختلف العلماء في أشد اليتيم؛ فقال ابن زيد: بلوغه^(١). وقال أهل المدينة: بلوغه وإيناس رشده. وعند أبي حنيفة: خمس وعشرون سنة^(٢)....^(٣).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن الأشد يكون بحصول الوجهين في البدن، والمعرفة؛ وقد وافق رأي الطبري^(٤)، والزجاج^(٥)، وابن عطية^(٦)، وابن العربي^(٧)، والفخر الرازي^(٨)، ووافقهم نظام الدين النيسابوري^(٩)، وابن جزي الكلبي^(١٠).

- (١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/ ١٤١٩)، وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٨٤).
- (٢) ينظر: مختصر الطحاوي: (٧٩)، وأحكام القرآن للجصاص: (٤/ ١٩٦).
- (٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ١١١).
- (٤) ينظر: جامع البيان: (٨/ ٨٥).
- (٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٢/ ٣٠٥).
- (٦) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ١٨١).
- (٧) ينظر: أحكام القرآن: (١/ ٣٧٣).
- (٨) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٣/ ٢٣٥).
- (٩) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: (٣/ ١٨٨).
- (١٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/ ٢٦).



والثعالبي^(١)، وابن عادل الحنبلي^(٢) والبقاعي^(٣)، والشوكاني^(٤)، والقاسمي^(٥)،
ومحمد رشيد رضا^(٦)، والسعدي^(٧) والشنقيطي^(٨).

حجتهم:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن، ففسر الأشد الوارد هنا مطلقاً، بالمقيد في قوله تعالى:
﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] قال
الشنقيطي: «الأشد هنا: التحقيق الذي لاشك فيه أنه بلوغ الحلم مع إيناس الرشد؛
لأن خير ما يفسر به القرآن القرآن؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا
النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] فدلّت آية النساء على أن
الأشد في الغاية هنا: أنه أن يبلغ الحلم، ويؤنس منه الرشد؛ لأن ببلوغ الحلم يتقوى بدنه
ويكون في قوة الرجال، وإيناس الرشد يتقوى عقله ونظره، فاجتمع أشده بدنًا وفكرًا
ونظرًا، فعند ذلك يعطى ماله. وخير ما يفسر به القرآن القرآن»^(٩)

ثانياً: المعروف في لغة العرب أن الأشد: مأخوذ من الشدة؛ وهو استحكام القوة،
والشدة القوة والجلاذة في البدن والعقل، والأشد: مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة،
واستحكام قوة الشباب والسن^(١٠). قال ابن منظور: «وبلوغه أشده: أن يؤنس منه

(١) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥١٩).

(٢) ينظر: اللباب: (٨/٥١٢).

(٣) ينظر: نظم الدرر: (٧/٣١٩).

(٤) ينظر: فتح القدير: (٢/١٧٧).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٧٨٤).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٨/١٨٩).

(٧) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٨٠).

(٨) ينظر: أضواء البيان: (١/٤٠٢)، والعذب النمير: (٢/٥٠٨).

(٩) العذب النمير: (٢/٥٠٨).

(١٠) ينظر: العين: (٦/٢١٤)، وتهذيب اللغة: (١١/١٨٢)، ومقاييس اللغة: (٣/١٧٩)،

الرُّشْدُ مع أن يكون بالغاً»^(١).

ثالثاً: دلالة الظاهر من السياق قال ابن جرير: «وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف لأن المعنى حتى يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فأنستم منه رشدا فادفعوا إليه ماله»^(٢).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: الأشد: بلوغ الحلم، وهو المروي عن ابن زيد، ومجاهد، والشعبي^(٣)، وبه قال الواحدي^(٤)، والبيضاوي^(٥)، والنسفي^(٦)، وأبو حيان^(٧).

وهذا القول:

وإن كان صحيحاً إلا أنه اقتصر على جانب العمر الزمني، واكتمال البدن ببلوغ الحلم، دون جانب المعرفة والفهم التي يكتمل بها رشده. فلا بد من حصول كلا الجانبين، لأن المقصود بلوغه أهلية التصرف في ماله.

القول الثالث: بلوغه خمساً وعشرين سنة، وهو المروي عن عكرمة^(٨).

﴿

وتاج العروس: (٢٤٢ / ٨) وينظر: جامع البيان: (٨٥ / ٨)، وزاد المسير: (١٤٩ / ٣).

(١) لسان العرب: (٢٣٦ / ٣).

(٢) جامع البيان: (٨٥ / ٨).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨٥ / ٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤١٩ / ٥)، وعزا السيوطي رواية ابن زيد إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣٨٤ / ٣).

(٤) ينظر: الوجيز: (٣٨٢ / ١).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٧ / ١).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٤٠ / ٢).

(٧) ينظر: البحر المحيط: (٢٥٠ / ٤).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٢٠ / ٥).



وبه قال أبو حنيفة^(١). قال ابن العربي: «وعجبا من أبي حنيفة فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياساً ولا نظراً وإنما تثبت نقلاً وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة»^(٢).

ويضعف هذا لأنه لا دليل عليه. قال الكيا الهراسي: «وهذا تحكم منه لا وجه له ولا دليل عليه لا لغة ولا شرعا»^(٣).

القول الرابع: أن الأشد بلوغ ثلاثين سنة، وهو مروى عن السدي^(٤)، وقيل ثلاث وثلاثون وهو مروى عن ابن عباس^(٥)، ومجاهد، وقتادة^(٦).

القول الخامس: أن الأشد بلوغ أربعين سنة، وهو المروى عن الحسن^(٧)، وقيل بلوغ ثماني عشرة سنة، وهذا مروى عن سعيد بن جبير^(٨)، وقيل: ما بين ١٥-٣٠، وقيل: غير ذلك حيث وصلت إلى ثمانية فأكثر.

ومن المفسرين من ذكر ما سبق من الأقوال بلا ترجيح أو اختيار^(٩).

ويعترض على الأقوال الأربعة الأخيرة بما يلي:

أولاً: أنه تفسير غير ملائم في هذا الموضع. قال ابن الجوزي بعد أن عدد بعض الأقوال السابقة: «ولا أظن بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسروا هذه الآية بما

-
- (١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٤/١٩٦)، وتبين الحقائق: (٥/١٩٨)، ومختصر الطحاوي: (٧٩).
 - (٢) ينظر: أحكام القرآن: (١/٣٧٣).
 - (٣) أحكام القرآن للكيا الهراسي: (٣/٤٣٧).
 - (٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤١٩) وذكره الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٤).
 - (٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٢٦/١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤١٩).
 - (٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤١٩).
 - (٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤٢٠) وذكره البغوي في معالم التنزيل: (٢/٧٩).
 - (٨) كالمورد في النكت والعيون: (٢/١٨٧)، والسمعاني في تفسيره: (٢/١٥٦)، والبغوي في معالم التنزيل: (٢/٧٩).



ذكر عنهم، وإنما أظن أن الذين جمعوا التفاسير نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢] إلى هذا المكان ^(١) قال ابن كثير: «وهذا كله بعيد ها هنا والله أعلم» ^(١)

ثانياً: والذي يؤيد هذا أن الأشد جاء في القرآن على ثلاثة معانٍ: الأول: بمعنى البلوغ والإدراك كما في هذا الموضع. والثاني: استواء الأشد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى﴾ [الفصل: ١٤] فقرن بلوغ الأشد بالاستواء. والثالث: أقصى نهاية بلوغ الأشد كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحاف: ١٥] وعند تمامها بعث نبياً محمداً ﷺ، وقد اجتمعت حنكته وتام عقله فبلوغ الأشد محصور الأول، محصور النهاية، غير محصور ما بين ذلك ^(١).

إذا ثبت ضعف هذه الأقوال في هذا الموضع، فإن ما قال به القرطبي ومن وافقه هو الأظهر والأولى بتفسير الأشد هنا، وهو الموافق لجملة من القواعد الترجيحية وهي: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره" ^(١)

وقاعدة: "والقول الذي تؤيده قرائن في السياق هو المرجح على غيره" ^(١).

وهو الذي تؤيده لغة العرب " وكلام الله تعالى ينبغي أن يحمل على المعروف من كلام العرب" ^(١) " والله أعلم.



(١) زاد المسير: (٣/١٥٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم: (٢/١٩٧).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: (١١/١٨٣)، ولسان العرب: (٣/٢٣٦).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٣١٢).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/٢٩٩).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (٢/٣٦٩).

١٠٣- المسألة الثالثة: المراد بقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]

قال القرطبي ~ : « ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ عام في جميع ما عهده الله إلى عباده، ويحتمل أن يراد به جميع ما انعقد بين إنسانين. وأضيف ذلك العهد إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به « ا. هـ. ^(١)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد بالعهد هنا: عموم كل عهد بين العبد وربّه، ووافق بذلك رأي الطبري ^(١)، والجصاص ^(١)، وابن الجوزي ^(١) ووافقهم البيضاوي ^(١)، والشوكاني ^(١).

وحجتهم:

أن له نظيراً في القرآن ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ﴾ [يس: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ [طه: ١١٥] وقوله ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولا﴾ [الإسراء: ٣٤]. قال الجصاص: « ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] عهد يشتمل على أوامره وزواجره كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ﴾ وقد يتناول المنذور وما يوجهه العبد على نفسه من القرب ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [التعل: ٩١] ^(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (١١٥ / ٩).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٨٦ / ٨).

(٣) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (١٩٦ / ٤).

(٤) ينظر: زاد المسير: (١٥١ / ٣).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٧ / ١).

(٦) ينظر: فتح القدير: (١٧٨ / ٢).

(٧) أحكام القرآن للجصاص: (١٩٧ / ٤).

وفي المسألة قول آخر:

وهو خاص بالعهد بين إنسانين، وإضافته إلى الله تعالى من حيث أنه أمر بحفظه والوفاء به.

وحجتهم: أن الله تعالى أثنى على الموفين بعهدهم فقال سبحانه في صفاتهم:
﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: ١٧٧] ^(١)

ولم أر - حسب اطلاعي القاصر - أحداً من المفسرين حصر - وخص هذا النوع من العهد دون الأول.

ومن المفسرين من جمع بين القولين فيكون المعنى: أتموا العهود التي بينكم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينكم وبين الناس: ومن أولئك السمرقندي ^(٢)، وأبو حيان ^(٣)، والبقاعي ^(٤)، والآلوسي ^(٥)، والقاسمي ^(٦)، ومحمد رشيد رضا ^(٧)، والسعدي ^(٨)، والشنقيطي ^(٩).

حجتهم:

أولاً: ورود اللفظ مطلقاً وبذلك يدخل في معنى الآية كل عهد. قال الآلوسي:

- (١) ينظر: تفسير المنار: (١٨٩ / ٨).
- (٢) ينظر: بحر العلوم: (٤٩٤ / ١).
- (٣) ينظر: البحر المحيط: (٢٥٣ / ٤).
- (٤) ينظر: نظم الدرر: (٣٢٠ / ٧).
- (٥) ينظر: روح المعاني: (٥٦ / ٨).
- (٦) ينظر: محاسن التأويل: (٧٨٦ / ٦).
- (٧) ينظر: تفسير المنار: (١٩٢ / ٨).
- (٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٨٠).
- (٩) ينظر: أضواء البيان: (٤٠٤ / ١)، والعذب النمير: (٥٢٠ / ٢).



«أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولاً أولياً»^(١) ولا فرق بينهما. قال السعدي: «وهذا يشمل العهد الذي عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاهد به بين الخلق؛ فالجميع يجب الوفاء به، ويجرم نقضه والإخلال به»^(٢).

ثانياً: من جهة اللغة فهو إما أن يكون مضافاً إلى الفاعل: أي بما عهدكم الله عليه أو فوا، أو أن يكون مضافاً إلى المفعول: أي بما عهدتم الله عليه^(٣).

يتبين مما سبق أن الأرجح هو الجمع بين القولين، وهذه الآية من الآيات العظام الشاملة للمسائل الاجتماعية والإلهية فهي شاملة لأحكام دين الإسلام^(٤) قال الشنقيطي: «العهد المضاف إلى الله هنا هو على التحقيق يشمل أمرين: أحدهما: عهد بين المخلوق والخالق، كالنذور التي ينذرها طاعة لله، والله يقول: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].. والآخر عهد الله فيما بين عباده؛ لأن العهد فيما بينك وبين أخيك هو عهد الله؛ لأنه أخذ على كل منكما العهد أن يفي لأخيه بما عاهده عليه، وألا يفعل معه إلا خيراً»^(٥).

وينطبق هذا على القاعدة الترجيحية المعتبرة عند العلماء: " يجب أن تحمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^(٦). والله أعلم.



- (١) ينظر: روح المعاني: (٥٦/٨).
- (٢) تيسير الكريم الرحمن: (٢٨٠).
- (٣) ينظر: البحر المحيط: (٢٥٣/٤).
- (٤) ينظر: العذب النمير: (٥٢٠/٢).
- (٥) العذب النمير: (٥٢٠/٢).
- (٦) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٥٢٧/٢).



قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) [الأنعام: ١٥٣]

١٠٤- مسألة: المراد بالسبل عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾

قال القرطبي ~ : « وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع، وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام. هذه كلها عرضة للزلل، ومظنة لسوء المعتقد. قاله ابن عطية^(١). قلت: وهو الصحيح؛ ... »^(٢)

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي العموم في السبل فيشمل سائر أهل الملل وأهل البدع، ووافق بذلك المروي عن ابن زيد^(١)، وقتادة، وقول الطبري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والواحدي^(٥)، والسمعاني^(٦)، والبغوي^(٧)، والزنجشيري^(٨)، وابن عطية^(٩)،

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١١٧).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٨٨)، و ابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤٢٢)، وعزا السيوطي رواية قتادة إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/٣٨٥).

(٤) ينظر: جامع البيان: (٨/٨٨).

(٥) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٩٥).

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (٤/٢٠٥).

(٧) ينظر: الوجيز: (١/٣٨٢).

(٨) ينظر: تفسير السمعي: (٢/١٥٧).

(٩) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٨٠).

(١٠) ينظر: الكشاف: (٢/٦٢).

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٣).



ووافقهم البيضاوي^(١)، والنسفي^(٢)، وابن جزري الكلبي^(٣)، وابن القيم^(٤)، وأبو
السعود^(٥)، والشوكاني^(٦)، والقاسمي^(٧)، ومحمد رشيد رضا^(٨).

أدلتهم:

أولاً: النظائر القرآنية التي تبين أن للباطل والظلمات سبل كثيرة ومتعددة: فقد
جاء لفظ الظلمات بصيغة الجمع، والنور بالإنفراد، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وجمع ﴿عَبَّكَ﴾ سبل الباطل وأفرد سبيل
الحق قال ﴿عَبَّكَ﴾: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن
سَبِيلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾
[النحل: ١٢٥]^(٩) قال ابن القيم: «فوحده سبيله لأنه في نفسه واحد لا تعدد فيه، وجمع السبل
المخالفة لأنها كثيرة متعددة كما ثبت ذلك في الحديث»^(١٠)

ثانياً: جاء في السنة النبوية ما يفسر - هذا: فعن عبدالله بن مسعود قال: (خط
رسول الله ﷺ خطأً وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطأً، ثم قال: هذا صراط
ربك مستقيماً، وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾^(١١)).

(١) ينظر: أنوار التنزيل: (٣٢٧/١).

(٢) ينظر: مدارك التنزيل: (٤٠/٢).

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٦/٢).

(٤) ينظر: طريق المهجرتين: (٢٧٧).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٢٢/٢).

(٦) ينظر: فتح القدير: (١٧٨/٢).

(٧) ينظر: محاسن التأويل: (٧٨٦/٦).

(٨) ينظر: تفسير المنار: (١٩٥/٨).

(٩) ينظر: بدائع الفوائد: (١٢٦/١).

(١٠) ينظر: طريق المهجرتين: (٢٧٧).

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب التفسير (٢/٢٦١) برقم: (٢٩٣٨)
طه =

وفي المسألة قول آخر:

وهو أن المراد بالسبل البدع، والشبهات وهو المروي عن مجاهد^(١)، وزاد ابن عباس: الضلالات^(٢) وجزم بهذا من المفسرين ابن الجوزي^(٣).

والمتأمل في هذا يجد أنه قول صحيح، ويدخل في القول الأول فكل ما خرج عن سبيل المؤمنين الموحدين هو من السبل المتفرقة؛ إلا أن ما ذهب إليه القرطبي ومن وافقه هو الأظهر لأنه القول العام، وهو القول الذي تنطبق عليه جملة من القواعد:

قاعدة: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"^(٤).

وقاعدة: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره".

والقاعدة الأخرى: "إذا ثبت الحديث وكان نصاً في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره"^(٥)، والله أعلم.

✍=

وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ».

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/ ١٤٢٢) وعزاه السيوطي إليه وإلى ابن أبي شيبه، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٨٦) وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١/ ٣٦٤). وينظر: تفسير مجاهد: (١/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/ ٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/ ١٤٢٢) وعزاه السيوطي إليهما كما في الدر المنثور: (٣/ ٣٨٦).

(٣) ينظر: تذكرة الأريب: (١/ ١٧٢).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢/ ٥٢٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق: (١/ ١٩١-٣١٢).



قال تعالى ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]

١٠٥- مسألة: في المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾؟

قال القرطبي ~ : « قال مجاهد: تماماً على المحسن المؤمن ^(١). وقال الحسن في معنى قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾: كان فيهم محسن وغير محسن؛ فأنزل الله الكتاب تماماً على المحسنين ^(٢). والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ: " تماماً على الذين أحسنوا " ^(٣).

وقيل: المعنى: أعطينا موسى التوراة زيادة على ما كان يحسنه موسى مما كان علمه الله قبل نزول التوراة عليه:.....» ^(٤).

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن المراد تماماً على المحسنين، فقد كان منهم محسن ومسيء فيكون اسم الموصول "الذي" بمعنى "من"، والتقدير: تماماً على من أحسن لفظه واحد ومعناه جمع، ويؤيد هذا قراءة ابن مسعود رضي الله عنه.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨ / ٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥ / ١٤٢٣)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ، وأبو المنذر كما في الدر المنثور: (٣ / ٣٨٦)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١ / ٣٦٤)، والثعلبي: (٤ / ٢٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨ / ٩٠)، وذكرها النحاس في معاني القرآن: (١ / ٣٦٤)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤ / ٢٠٦).

(٣) هذه قراءة شاذة، وهي منسوبة إلى ابن مسعود في معاني القرآن للفرآء: (١ / ٣٦٥)، وجامع البيان: (٨ / ٩٠)، والكشاف: (٢ / ٦٢). والقراءات الشاذة لابن خالويه: (٤١)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري: (١ / ٥٢٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (٩ / ١٢٤).



وقد وافق القرطبي في اختيار هذا المروي عن مجاهد، والحسن، والفراء^(١)، وابن قتيبة^(٢)، والنحاس^(٣)، والسمرقندي^(٤)، والزخشي^(٥)، ووافقههم النسفي^(٦)، والشوكاني^(٧)، والآلوسي^(٨)، والقاسمي^(٩)، والسعدي^(١٠).

واستدلوا: بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه المتقدمة.

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: أن المراد تماماً على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه، وإتباع أمره. فيكون الاسم الموصول "الذي" بمعنى "ما". وهذا مروي عن قتادة والربيع^(١)، وهو الذي رجحه الطبري^(٢)، واختاره الواحدي^(٣)، وبيان الحق النيسابوري^(٤).

-
- (١) ينظر: معاني القرآن: (٣٦٥ / ١).
 - (٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: (٢٢٧) قال: « والأول أعجب إلي لأنه في مصحف عبدالله ابن مسعود ».
 - (٣) ينظر: معاني القرآن: (٣٦٤ / ١).
 - (٤) ينظر: بحر العلوم: (٤٩٥ / ١).
 - (٥) ينظر: الكشاف: (٦٢ / ٢).
 - (٦) ينظر: مدارك التنزيل: (٤١ / ٢).
 - (٧) ينظر: فتح القدير: (١٨٠ / ٢).
 - (٨) ينظر: روح المعاني: (٥٩ / ٨).
 - (٩) ينظر: محاسن التأويل: (٧٨٨ / ٦).
 - (١٠) بنظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٨١).
 - (١١) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٩١ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٢٣ / ٥)، وعزا السيوطي رواية قتادة إلى عبد بن حميد، وأبو الشيخ، وأبو المنذر كما في الدر المنثور: (٣٨٦ / ٣).
 - (١٢) ينظر: جامع البيان: (٩١ / ٨).
 - (١٣) ينظر: الوجيز: (٣٨٣ / ١).
 - (١٤) ينظر: وضح البرهان: (٣٥٢ / ١).



وابن الجوزي^(١)، وابن كثير^(٢)، وابن عادل الحنبلي^(٣)، ومحمد رشيد رضا^(٤).

وحجتهم: أنه أظهر المعاني في الكلام. ذلك أن إيتاء موسى ﷺ كتابه نعمة من الله عليه، ومنة عظيمة، فأخبر جل ثناؤه، أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل، وحسن طاعة^(٥).

القول الثالث: أن المراد تماماً على إحسان الله تعالى إلى أنبيائه وتأييده لهم، وهو المروي عن ابن زيد^(٦).

وقد ردّ على ذلك الطبري بقوله: «ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسنّا، أو ثم أتى الله موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن، وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب، ثم صرفه الخبر بقوله: أحسن، إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين، الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد^(٧)»

القول الرابع: أن المعنى تماماً على الذي أحسن بالرفع، فتكون "أحسن" صفة تفضيل ورفعتها على خبر ابتداء مضمرة تقديره على الذي هو أحسن^(٨) وهي قراءة ابن يعمر وابن أبي اسحاق^(٩).

(١) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٢).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/١٩٩).

(٣) ينظر: اللباب: (٨/٥٢٠).

(٤) ينظر: تفسير المنار: (٨/٢٠٣).

(٥) ينظر: جامع البيان: (٨/٩١).

(٦) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٨/٩١)، وعزاه السيوطي إلى ابن حاتم كما في الدر المنثور: (٣/٣٨٦). وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٦).

(٧) جامع البيان: (٨/٩١).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٤).

(٩) وهي قراءة شاذة. ينظر: المحتسب لابن جني: (١/٣٤٤)، والكشف والبيان: (٤/٢٠٦)، والكشاف: (٢/٦٢).

ويعترض على هذا القول:

بأنها قراءة شاذة. قال ابن جرير: «وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، وإن كان لها في العربية وجه صحيح لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قراءة الأمصار»^(١).
وضعفها أبو الفتح الحمصي^(٢) فقال: «لقبح حذف المبتدأ العائد»^(٣)، وقد صرح أيضاً بتضعيفها العكبري^(٤).

ومن المفسرين من عدد الأقوال بلا ترجيح أو اختيار^(٥).

والمأمل يجد أن الأرجح مما سبق القول الثاني وهو ما رجحه الطبري من أن المعنى ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا، لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام. قال الطبري: «وإذا تنوع في تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل أو

(١) جامع البيان: (٩١/٨).

(٢) هو فارس بن أحمد بن موسى بن عمران، أبو الفتح الحمصي المقرئ الضريع، مؤلف كتاب المنشأ في القراءات الثمان وأحد الحذاق بهذا الشأن، (ت: ١٤١ هـ) بمصر، وله ثمان وستون سنة، وهو المذكور في باب التكبير في حرز الأمان.

ينظر: شذرات الذهب: (٣/١٦٤)، وتاريخ مدينة دمشق: (٤٨/٢١٦)، ومعرفة القراء الكبار: (٣٧٩/١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٤).

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٥٥٠).

(٥) كالزجاج في معاني القرآن وإعرابه: (٢/٣٠٦)، والثعلبي في الكشف والبيان: (٤/٢٠٥)، والماوردي في النكت والعيون: (٢/١٨٩)، والبيهقي في معالم التنزيل: (٢/٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير: (٣/١٥٣)، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب: (٤/١٤)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: (١/٣٢٨)، والنيسابوري في غرآب القرآن: (٣/١٩٠)، وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٦)، وأبي حيان في البحر المحيط: (٤/٢٥٥)، والثعلبي في الجواهر الحسان: (١/٥٢٠)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم: (٢/٢٢٢).



الخبر دليل واضح على أنه معني به غير ذلك»^(١) والقاعدة المعتبرة عند العلماء: "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل"^(٢)، والقاعدة الأخرى: "معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة، كما أنها هي المعتبرة وليست الشاذة"^(٣)، والله أعلم.



(١) جامع البيان: (٨ / ٩١).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١ / ١٣٧).

(٣) ينظر: المصدر السابق: (١ / ١٠٤).



قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [١٥٩: الأنعام]

١٠٦- مسألة: من المعنيين بقوله تعالى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾

قال القرطبي ~ « والمراد اليهود والنصارى؛ في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك^(١) وقد وصفوا بالتفرق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤] وقال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء:١٥٠]

وقيل: عنى المشركين، عبد بعضهم الصنم، وبعضهم الملائكة^(٢).

وقيل: الآية عامة في جميع الكفار، وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عز وجل به فقد فرق دينه^(٣). وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة...^(٤).

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي أن المراد هم اليهود والنصارى، وقد وافق في اختياره المروي عن ابن عباس^(٥)، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والضحاك، وجزم به مقاتل^(٦)،

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢١٣/١)، والطبري في جامع البيان: (١٠٥/٨) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٣٠/٥) وعزا السيوطي رواية قتادة ومجاهد إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، ورواية السدي إلى أبي الشيخ كما في الدر المنثور: (٤٠١/٣).

(٢) ذكره الرازي في مفاتيح الغيب (٧/١٤)، ونسبه إلى ابن عباس^(٦).

(٣) ينظر: إعراب القرآن: (١١٠/٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن: (١٣٤/٩).

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: (٤٤٢/١)، وعزاه السيوطي إلى النحاس في ناسخه كما في الدر المنثور: (٤٠١/٣).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: (٣٨٠/١).



والفراء^(١)، والهواري^(٢)، والسمرقندي^(٣)، والثعلبي^(٤)، والواحدي^(٥)، والبغوي^(٦)،
والزخشري^(٧)، وابن عطية^(٨)، وابن الجوزي^(٩)، ووافقهم ابن جزي الكلبي^(١٠)،
والثعالبي^(١١)، وأبو السعود^(١٢)، والآلوسي^(١٣).

حجتهم:

أولاً: الشواهد القرآنية المقدمة التي وصفتهم بالتفرق.

ثانياً: الحديث المروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (افتقرت اليهود على
إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة)^(١٤).

(١) ينظر: معاني القرآن: (١/٣٦٦).

(٢) ينظر: تفسير كتاب الله العزيز: (١/٥٧٧).

(٣) ينظر: بحر العلوم: (١/٤٩٨).

(٤) ينظر: الكشف والبيان: (٤/٢١٠).

(٥) ينظر: الوجيز: (١/٣٨٣).

(٦) ينظر: معالم التنزيل: (٢/٨٣).

(٧) ينظر: الكشاف: (٢/٦٤).

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٨٩).

(٩) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٣).

(١٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢/٢٧).

(١١) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٢٢).

(١٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢/٢٢٨).

(١٣) ينظر: روح المعاني: (٨/٦٨).

(١٤) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب الإيمان: (١/٤٧) برقم: (١٠) وفي كتاب

العلم فصل في توقيف العلم: (١/٢١٧) برقم: (١٤٤) وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه وله شواهد ». وأخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ، باب: ذكر افتراق اليهود

والنصارى فرقا مختلفة (١٤٠/١٤) برقم: (٦٢٤٧).

وفي المسألة أقوال أخرى:

القول الثاني: وهو أن المعنيين بهذا التفرق هم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة.

ودليلهم:

ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة^(١) وأيضاً ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: يا عائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾ هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، وليس لهم توبة، أنا منهم بريء، وهم مني براء^(٢).

ومن المفسرين من ذكر القولين بلا ترجيح أو اختيار^(٣).

القول الثالث: أن الآية عامة في جميع الكفار، والطوائف، والمبتدعين من أهل الإسلام، قال ابن كثير: «والظاهر: أن الآية عامة في كل من فارق دين الله، وكان مخالفاً له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد

(١) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط في باب من اسمه إبراهيم (٢٠٧/١) برقم: (٦٦٤) وقال: لم يرو هذا الحديث عن سفيان الثوري إلا موسى تفرد به مععل. قال عنه ابن كثير: «هذا إسناد لا يصح فإن عباد بن كثير متروك الحديث، ولم يخلق هذا الحديث، ولكنه وهم في رفعه فإنه رواه سفيان الثوري عن ليث وهو ابن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة رضي الله عنه في الآية أنه قال: نزلت في هذه الأمة».

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني) في باب من اسمه علي (٣٣٨/١)، والمروي عن عائشة رضي الله عنها غريب، قال ابن كثير: «وهو غريب أيضاً، ولا يصح رفعه».

(٣) كالجصاص في أحكام القرآن: (١٩٨/٤)، والماوردي في النكت والعيون: (١٨٩/٢)، والسمعاني في تفسيره: (١٦٠/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٥٨/٣)، والعز بن عبد السلام في تفسيره: (٤٧١/١)، والنيسابوري في غرائب القرآن: (١٩١/٣)، وابن عادل في اللباب: (٥٣٠/٨)، وأبي حيان في البحر المحيط: (٢٦٠/٤).



لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه»^(١) وهذا الذي رجحه الطبري^(٢)، وابن كثير^(٣)، والشوكاني^(٤)، والقاسمي^(٥)، ومحمد رشيد رضا^(٦)، والشنقيطي^(٧).

وحجتهم:

أولاً: أن اللفظ يفيد العموم. قال الشوكاني: «لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام»^(٨).

ثانياً: السياق القرآني في هذه السورة يقوي القول بالجمع. قال محمد رشيد رضا: «والصواب هو الجمع بينهما فإن الله تعالى بعد أن أقام حجج الإسلام في هذه السورة، وأبطل شبهات الشرك وأهل الكتاب وشرعهم، أمر المستجيبين لدعوة الإسلام بالوحدة وعدم التفرق كما تفرق من قبلهم وقد فصل هذا بقوله بعد الأمر بالاعتصام والنهي عن التفرق بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٩) [آل عمران: ١٠٥]»^(١٠).

(١) تفسير القرآن العظيم: (٢/٢٠٤).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٨/١٠٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/٢٠٤).

(٤) ينظر: فتح القدير: (٢/١٨٣).

(٥) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٨٠١).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٨/٢١٤).

(٧) ينظر: العذب النمير: (٢/٦٠٢).

(٨) فتح القدير: (٢/١٨٣).

(٩) تفسير المنار: (٨/٢١٤).



يتبين مما سبق أن القول بالعموم هو الأرجح ، وذلك لتأييده قاعدتان
ترجيحيتان هما :

قاعدة : "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص
بالتخصيص" ^(١).

وقاعدة: " أن القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على غيره " ^(٢).
والله أعلم.



(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١/٢٢٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق: (٢/٥٢٧).



قال تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا
مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

**١٠٧- مسألة: في المراد من قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ من جهة العموم والخصوص؟**

قال القرطبي ~ : « وقد مضى- في "البقرة" بيان هذه الآية ^(١)، وأنها مخالفة
للإنفاق في سبيل الله؛ ولهذا قال بعض العلماء: العشر- لسائر الحسنات؛ والسبعمئة
لنفقة في سبيل الله، والخاص والعام فيه سواء.

وقال بعضهم: يكون للعوام عشرة، وللخواص سبعمئة وأكثر إلى ما لا يحصى..
وهذا يحتاج إلى توقيف، والأول أصح لحديث خريم بن فاتك عن النبي ﷺ وفيه:
(وأما حسنة بعشر؛ فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، وأما حسنة بسبعمئة فالنفقة في
سبيل الله) ^(٢) «أ.هـ» ^(٣)

الدراسة والترجيح:

رجَّح القرطبي أن الثواب بعشر لسائر الحسنات، والثواب بسبعمئة للإنفاق في
سبيل الله. وقد وافق القرطبي ابن عطية ^(٤)، ووافقهما في هذا أبو حيان ^(٥)، والشعالبي ^(٦)،

(١) قال: « ورد في القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أن نفقة الجهاد
حسنتها بسبعمئة ضعف. « الجامع لأحكام القرآن: (٤/ ٣٢١).

(٢) سبق تخريجه في القسم الأول.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٩/ ١٣٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/ ١٩٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط: (٤/ ٢٦١).

(٦) ينظر: الجواهر الحسان: (١/ ٥٢٢).

والشوكاني^(١)، والآلوسي^(٢)، ومحمد رشيد رضا^(٣).

وأدلتهم:

أولاً: الأحاديث الواردة التي تبين مضاعفة الحسنات إلى عشرة ومنها: حديث خريم بن فاتك المتقدم. وآخر عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: (كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله ﷻ: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به...)^(٤)

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: (من جاء بالحسنة فله عشر- أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر...)^(٥)

ثانياً: القرينة في سياق الآية وهي لفظ " من جاء " نكرة تدل على عموم من جاء بالحسنة فكل من جاء ربه يوم القيامة متلبساً بالصفة الحسنة فله عنده من الجزاء عشر- حسنات^(٦).

(١) ينظر: فتح القدير: (٢/٢/١٨٣).

(٢) ينظر: روح المعاني: (٨/٦٩).

(٣) ينظر: تفسير المنار: (٨/٢٣٣).

(٤) الحديث أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين: (٣/٢٢) برقم (٢١٩٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان وفضل الصيام على سبيل الاختصار (٤/٣٠٤)، برقم: (٨٢٩٢).

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤/٢٠٦٨) برقم: (٢٦٨٧).

(٦) ينظر: تفسير المنار: (٨/٢٣٣).

وفي المسألة قول آخر:

وهو تخصيص الثواب بال عشر للعوام، والسبعمئة للخواص. وأن قوله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: يعني من جاء بالحسنة من أعراب المؤمنين فله عشر- أمثالها، ومن جاء بالحسنة من مهاجريهم يضاعف له ويؤتته الله من لذه أجرًا. وحجتهم في ذلك:

١- ما ورد عن عبد الله بن عمر قال: (نزلت هذه الآية في الأعراب ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ قال: فقال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) وإذا قال الله لشيء عظيم فهو عظيم (١)

٢- عن المحرر بن أبي هريرة (١) عن أبيه أبي هريرة قال: (ما تقولون في ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ لمن هي؟ قلنا للمسلمين. قال: لا والله وما هي إلا للأعراب خاصة فأما المهاجرون فسبعمئة (٢)).

وقيل اعتراضاً على هذا:

أنها آثار تحتاج إلى توقيف، قال ابن عطية: «وهذا تأويل يحتاج إلى سند يقطع

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان: (٥/٩١)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (٥/١٤٣٢) وعزاه السيوطي إليهما وإلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه كما في الدر المنثور: (٣/٤٠٥)، ولم أجده - حسب اطلاعي القاصر - في كتب الحديث.

(٢) المحرر هو: محرر بن أبي هريرة بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب بن أبي صععب الدوسي المدني مقبول من الرابعة مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز. ينظر: طبقات ابن سعد: (٥/٢٥٤)، وتقريب التهذيب: (٥٢١)، والكاشف: (٢/٢٤٤).

(٣) هذا الأثر أخرجه ابن حاتم في تفسيره تفسير ابن أبي حاتم: (٥/١٤٣٢)، وعزاه السيوطي إليه كما في الدر المنثور: (٣/٤٠٤) ولم أجده - بحسب اطلاعي القاصر - في كتب الحديث والله تعالى أعلى وأعلم.

العدر»^(١).

لذلك فإن الأسلم والأرجح هو ما رجحه القرطبي، وذلك لأنه القول بالعموم، فكل من جاء بالحسنة له عشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، ولا خصوص لفئة دون فئة. والله تعالى أعلم.

أما عن الأدلة التي ورد فيها تباين مقدار الثواب فيجاب عنها بما يلي:

من القرآن قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وفي آيات أخر بين أنها تضاعف بلا مقدار كقوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وقوله ﷺ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [الفص: ٨٤].

أما الأحاديث:

فعن أبي عثمان النهدي^(١) قال: لقيت أبا هريرة فقلت له: (بلغني عن أبي هريرة أنه قال ان الله ﷻ يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة. قال: ففضي- أي انطلقت حاجا أو معتمرا فلقيته فقلت: بلغني عنك حديث انك تقول سمعت رسول الله ﷻ يقول ان الله ﷻ يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة، قال أبو هريرة: لا بل سمعت رسول الله ﷻ يقول إن الله ﷻ يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا ﴿يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾....^(٢)).

(١) المحرر الوجيز: (٦/ ١٩٠).

(٢) أبو عثمان النهدي: هو عبدالرحمن بن مل، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنيته، من قضاة مخضرم من كبار الثانية ثقة ثبت عابد مات (٩٥ هـ) وقيل: بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة وقيل: أكثر. ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٩٧)، والثقات: (٥/ ٧٥)، وتقريب التهذيب: (٣٥١).

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده من مسند أبي هريرة عن أبي عثمان (٢/ ٥٢١)، برقم: (١٠٧٧٠).



فلا تعارض بين الأدلة المتقدمة، ولها عدة احتمالات: فقد يكون أحدهما مجملاً، والآخر مفسراً: قال الطبري: « غير جائز أن يكون في أخبار الله أو أخبار رسول الله ﷺ شيء يدفع بعضه بعضاً، فإذا كان صحيحاً وعد الله من جاء من عباده المؤمنين بالحسنة من الجزاء عشر أمثالها، ومن جاء بالحسنة منهم أن يضاعفها له، وكان الخبران اللذان ذكرناهما عنه ﷺ صحيحين كان غير جائز إلا أن يكون أحدهما مجملاً، والآخر مفسراً؛ إذ كانت أخباره ﷺ يصدق بعضها بعضاً»^(١).

وقد بيّن ﷺ في موضع أقل ما تضاعف به الحسنة، وفي موضع آخر يبين أنها تزيد، قال الشنقيطي: « بين سبحانه في هذا الموضع أن أقل ما تضاعف به عشر أمثالها في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وبين في موضع آخر أن المضاعفة ربما بلغت سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله وهو قوله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقوله ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥]»^(١).

كما أن المضاعفة إلى عشر هي الأصل ومجزوم بها، والمضاعفة إلى أضعاف كثيرة إما أن تكون بحسب مشيئته ﷺ. قال النووي: « إن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد أن يكون بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى»^(١). وإما أن تكون حسب العمل. قال ابن حجر: « أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به، وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدى النفع كالصدقة الجارية

(١) جامع البيان: (٩١/٥).

(٢) أضواء البيان: (٢٤١/١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٢/١٧).



والعلم النافع، والسنة الحسنة، وشرف العمل ونحو ذلك»^(١). وإما أن تكون بحسب حسن الإسلام. قال البغدادي^(٢): «والظاهر: أن كثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الإسلام؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقي الله عليك)^(٣)»^(٤).



(١) فتح الباري: (٣٢٦/١١).

(٢) عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب أبو الفرج البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب الإمام العالم، العلامة الحافظ (ت ٧٩٥هـ) ينظر: شذرات الذهب: (٣٣٩/٦)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (١٥١/١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب حسن إسلام المرء، (٢٤/١) برقم: (٤٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، (١١٧/١) برقم: (١٢٩).

(٤) جامع العلوم والحكم: (١١٦/١).

قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]

في الآية الكريمة مسألتان:

١٠٨- المسألة الأولى: المراد بقوله تعالى ﴿وَنُسُكِي﴾؟

قال القرطبي ~: « والنسك جمع نسيكة، وهي الذبيحة، وكذلك قال مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم^(١) والمعنى: ذبحي في الحج والعمرة.

وقال الحسن: نسكي: ديني. وقال الزجاج: عبادتي، ومنه الناسك الذي يتقرب إلى الله بالعبادة^(٢). وقال قوم: النسك في هذه الآية جميع أعمال الطاعات؛ من قولك: نسك فلان فهو ناسك: إذا تعبد. « ا.هـ^(٣)

الدراسة والترجيح:

اختار القرطبي المروي عن مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير، وقيادة^(٤) في أن المراد بالنسك: الذبح لله تعالى في الحج والعمرة، وقد وافق في اختياره قول ابن قتيبة^(٥)، والهـواري^(٦)، والطبري^(٧)، والنحاس^(٨)،

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢١٤ / ١ / ١)، والطبري في جامع البيان: (١١٢ / ٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٣٤ / ٥) وعزا السيوطي رواية مجاهد إلى أبو الشيخ، وابن المنذر، وابن أبي شيبه، ورواية سعيد بن جبير إلى أبي الشيخ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٤١٠ / ٣).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣١١ / ٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (١٣٨ / ٩).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره: (٢١٤ / ١ / ١) وابن أبي حاتم في تفسيره: (١٤٣٤ / ٥) وعزا السيوطي رواية قتادة إلى أبي الشيخ، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور: (٤١٠ / ٣).

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن: (١٦٤).

(٦) ينظر: تفسير كتاب الله العزيز: (٥٧٨ / ١).

(٧) ينظر: جامع البيان: (١١٢ / ٨).

(٨) ينظر: معاني القرآن: (٣٦٧ / ١).



والجصاص^(١)، والثعلبي^(٢)، وابن عطية^(٣)، وابن الجوزي^(٤)، والفخر الرازي^(٥)،
ووافقهم أبو حيان^(٦)، وابن كثير^(٧)، والثعالبي^(٨)، وابن عادل^(٩)، والشوكاني^(١٠)،
والقاسمي^(١١) والسعدي^(١٢).

وحجتهم في ذلك:

أولاً: النظائر القرآنية: فقد ورد شاهد في القرآن بلفظ نسك ويراد به الذبح. وهو
قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] والنسك هنا الذبح، وقوله
تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ
الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤] والمنسك اسم للمكان الذي يكون فيه النحر^(١٣)

(١) ينظر: أحكام القرآن: (٤/١٩٩).

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (٤/٢١٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: (٦/١٩٣).

(٤) ينظر: تذكرة الأريب: (١/١٧٣).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: (١٤/١١).

(٦) ينظر: البحر المحيط: (٤/٤٦٢).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/٢٠٦).

(٨) ينظر: الجواهر الحسان: (١/٥٢٣).

(٩) ينظر: اللباب: (٨/٥٣٦).

(١٠) ينظر: فتح القدير: (٢/١٨٥).

(١١) ينظر: محاسن التأويل: (٦/٨٠٨).

(١٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٨٢).

(١٣) ينظر: العين: (٥/٣١٤) قال: والمنسك الموضع الذي فيه النسائك، وجامع البيان: (١٧/١٦١) قال

مجاهد: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قال: إهراق الدماء ليذكروا اسم الله عليها، وتفسير المنار:

(٨/٢٤١).



ثانياً: السياق القرآني المؤيد لذلك، قال ابن عطية: « ويجسن تخصيص الذبيحة بالذكر في هذه الآية أنها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها في السورة »^(١)

ثالثاً: الأصل اللغوي فأصل النُّسك في اللغة: الذَّبِيحَةُ أو النَّسْكُ بالفتح: الدَّمُ هَكَذَا يَقْتَضِي إِطْلَاقَهُ، أو النَّسْكُ بضمَّيْنِ الدَّمِ ومنه قَوْلُهُمْ مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَعَلِيهِ نَسْكٌ أَي دَمٌ يَهْرِيْقُهُ بِمَكَّةَ^(٢).

وفي المسألة قول آخر:

أن النسك هو العبادة وكل ما تقرب به إلى الله ﷻ من أنواع القربات، وهذا رأي الزجاج^(٣)، وبه قال السمرقندي^(٤)، والسمعاني^(٥)، وابن جزي الكلبي^(٦) والآلوسي^(٧)، ومحمد رشيد رضا^(٨)، والشنقيطي^(٩).

وحجتهم:

أولاً: أنه عطف العام - وهو العبادة - على الخاص - وهي الصلاة - لأنها منه.
ثانياً: جاء في لغة العرب: النسك العبادة والطاعة، وكل ما تقرب به إلى الله

(١) ينظر: المحرر الوجيز: (١٩٣/٦).

(٢) ينظر: العين: (٣١٤/٥)، وتهذيب اللغة: (٤٥/١٠)، ومقاييس اللغة: (٤٢٠/٥)، ولسان العرب: (٤٩٨/١٠)، وتاج العروس: (٣٧٢/٢٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: (٣١١/٢).

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٥٠٠/١).

(٥) ينظر: تفسير السمعي: (١٦١/٢).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٧/٢).

(٧) ينظر: روح المعاني: (٧٠/٨).

(٨) ينظر: تفسير المنار: (٢٤١/٨).

(٩) ينظر: العذب النمير: (٦٢٧/٢).

تعالى. وقيل لثعلب: هل يسمى الصوم نسكاً؟ فقال: كل حق لله عَبَّكَ يسمى نسكاً^(١).
ومن المفسرين من ذكر الأقوال بلا ترجيح أو اختيار^(٢)

وعند النظر والتأمل يتبين أن كلا القولين صواب، فإذا أفرد النسك بالذكر فإنه يراد به كل أنواع القربات والعبادات، وهي القاعدة التي يطلق عليها علماء التفسير: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا)^(٣) وإذا اجتمع كلا اللفظين تفرقا في المعنى فيكون المراد بالنسك: الذبح كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٣] وكما جاء في هذا الموضوع النسك أيضاً. وقال رسول الله ﷺ في يوم النحر: (إن أول نسكنا في يومنا هذا الصلاة، ثم الذبح) فسمى الصلاة والذبح جميعاً نسكاً وفي الوقت نفسه فرّق بين النسكين^(٤). وبذلك يتبين لنا أن ما اختاره القرطبي هنا من أن المراد الذبح هو الأرجح، ويشهد له النظم القرآني، "والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على غيره"^(٥).

واعتبار السياق: "وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنه إلا بدليل يجب التسليم له"^(٦) والله أعلم..

(١) ينظر: العين: (٣١٤/٥)، وتهذيب اللغة: (٤٥/١٠)، ومقاييس اللغة: (٤٢٠/٥)، ولسان العرب: (٤٩٨/١٠).

(٢) كالمورد في النكت والعيون: (١٨٩/٢)، والبغوي في معالم التنزيل: (٨٦/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير: (١٦١/٣)، والشنقيطي في أضواء البيان: (٤٠٥/١).

(٣) ينظر: أضواء البيان: (١٩٥/٥).

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: (٢٠٠/٤).

(٥) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٣١٢/١).

(٦) ينظر: المصدر السابق: (١٢٥/١).

١٠٩- المسألة الثانية: مشروعية دعاء استفتاح الصلاة من هذه الآية:

قال القرطبي ~ بعد أن ذكر قول الشافعية والمالكية « والحجة لمالك قوله ﷺ للأعرابي الذي علمه الصلاة: (إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ)^(١) ولم يقل له سبح كما يقول أبو حنيفة، ولا قل: وجهت وجهي، كما يقول الشافعي. وقال لأبي: (كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: قلت: الله أكبر الحمد لله رب العالمين)^(٢). فلم يذكر توجيهاً ولا تسييحاً.

فإن قيل: فإن علياً قد أخبر أن النبي ﷺ كان يقوله.

قلنا: يحتمل أن يكون قاله قبل التكبير، ثم كبر، وذلك حسن عندنا.

فإن قيل: فقد روى النسائي والدارقطني أن النبي ﷺ كان إذا افتتح الصلاة كبر، ثم يقول: " إن صلاتي ونسكي " ^(٣) الحديث.

قلنا: هذا نحمله على النافلة في صلاة الليل كما جاء في كتاب النسائي عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة بالليل قال: (سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك) ^(٤) أو في النافلة مطلقاً، فإن

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (١/٢٦٣) برقم: (٧٢٤). وأخرجه أيضاً في باب استواء الظهر في الركوع (١/٢٧٤) برقم (٧٦٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، (١/٢٩٨)، برقم: (٣٩٧).

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين بنحوه في كتاب فضائل القرآن، في أخبار فضائل القرآن جملة: (١/٧٤٤) برقم: (٢٠٤٩).

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب افتتاح الصلاة، باب نوع آخر من الدعاء بين التكبير والقراءة (١/٣١٢) برقم (٩٧٠)، وأخرجه الدارقطني في سننه في كتاب الصلاة، باب دعاء الاستفتاح بعد التكبير (١/٢٩٨) برقم (٣).

(٤) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب افتتاح الصلاة، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة: (١/٣١٣) في برقم: (٩٧٣).



النافلة أخف من الفرض؛ لأنه يجوز أن يصلّيها قائماً وقاعداً وراكباً وإلى القبلة وغيرها في السفر، فأمرها أيسر.

وقد روى النسائي عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي تطوعاً قال: (الله أكبر، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين. إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك) ثم يقرأ^(١).

وهذا نص في التطوع لا في الواجب. وإن صح أن ذلك كان في الفريضة بعد التكبير، فيحمل على الجواز والاستحباب، وأما المسنون فالقراءة بعد التكبير والله بحقائق الأمور عليم^(٢).

﴿ الدراسة والترجيح: ﴾

رجّح القرطبي أن الواجب على الناس التكبير ثم قراءة الفاتحة بدون افتتاح. وقد وافق بذلك إمامه الإمام مالكا^(٣) - وقال به من المفسرين الشوكاني^(٤). واحتجوا: بالحديثين المتقدمين وهما: حديث أبي بن كعب، وحديث المسيء في صلاته.

(١) الحديث أخرجه النسائي في سننه (المجتبى) في كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة (١٣١/٢) برقم: (٨٩٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (١٤٠/٩).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٩٩)، وبداية المجتهد: (١/٨٩) إلا أن ابن العربي قال: «واختلف قول مالك بذلك فقال ابن القاسم: «لم ير مالك هذا الذي يقوله الناس قبل القراءة (سبحانك اللهم وبحمدك). وفي مختصر ما ليس في المختصر أن مالكا يقول: وإنما كان يقول في خاصته لصحة الحديث به، وكان لا يرويه للناس مخافة أن يعتقدوا وجوبه».

(٤) ينظر: فتح القدير: (٢/١٨٥).

ويجاب عما استدلوا به:

بأن الحديثين لا حجة فيهما على ترك دعاء الاستفتاح؛ وذلك أن المسيء في صلاته قال - بعد أن أعاد الصلاة مراراً - علمني يا رسول الله، وحرى بمن لا يحسن الصلاة ألا يُعلم سوى الأركان والواجبات، ولهذا - والله أعلم - اقتصر في تعليمه على شرائط الصلاة وأركانها، ولا يدل تركه ﷺ دعاء الاستفتاح على أنه لا يشرع قوله؛ فقد ثبت في أكثر من خبر.

أما حديث أبيّ فإن أوله وآخره يبطل الاستدلال به على ترك الدعاء وذلك أن رسول الله ﷺ نادى أبيّ بن كعب ؓ وهو يصلي، فلما فرغ من صلاته لحقه، فوضع رسول الله ﷺ يده على يده - وهو يريد أن يخرج من المسجد - فقال: (إني لأرجو ألاّ تخرج من المسجد حتى تعلم سورة: قال رسول الله ﷺ ألا أعلمك سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها) قال أبي: فجعلت أبطىء في المشي - رجاء ذلك. ثم قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتني. قال: (كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة) قال: فقرأت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الفاتحة: ٢﴾ حتى أتيت على آخرها. فقال رسول الله ﷺ: (هي هذه السورة، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت) ^(١) فالحديث ظاهر في أنه ﷺ سأله عما يفتتح به الصلاة من القرآن، وليس فيه تعرض لنفي دعاء الاستفتاح، والله أعلم.

(١) الحديث سبق تخريجه، إلا أن هذا اللفظ أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب ما جاء في أم القرآن (٨٣/١) برقم: (١٨٦).

وفي المسألة قول آخر:

وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء^(١) أن دعاء الاستفتاح من سنن الصلاة، أما من المفسرين فقد قال بذلك الجصاص^(٢)، والكنيا الهراسي^(٣)، وابن العربي^(٤).

واحتجوا بالأحاديث الصحيحة الصريحة في مشروعية دعاء الاستفتاح ومنها:

أولاً: ما أخرج مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً^(٥))، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك^(٦) وسعديك^(٧) والخير كله في يديك والشر - ليس إليك، أنا بك

(١) ينظر: أحكام القرآن: للكنيا الهراسي: (٣/٣٥٠).

(٢) ينظر: أحكام القرآن: للجصاص: (٤/٢٠٠).

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: (٢/٢٩٩). قال: «ورآه الشافعي من سنن الصلوات وهو الصواب لصحة الحديث والله أعلم».

(٤) قاله الإمام الترمذي في جامعه: (٢/١٠)، وابن قدامة في المغني: (١/٢٨٢)، وإليه ذهب أبو حنيفة، والشافعي، أحمد ينظر: بدائع الصنائع: (١/٢٧٧)، والمجموع: (٣/٢٦٥) والمهذب: (١/٧١)، والإنصاف للمرداوي: (٢/٢٣٤).

(٥) حنيفاً: مائلاً عن الباطل إلى الحق، ومنقاداً لله لأنه كان على ملة الإسلام. ينظر: كتاب الكليات: (١/٤١٠ - ٨٨٥).

(٦) لبيك: أي أنا مقيم على طاعتك وعلى أمرك غير خارج عن ذلك ولا شارداً عليك هذا وما أشبهه... ينظر: مختار الصحاح: (٢٤٦).

(٧) سعديك أي سعداً مقروناً بسعد. ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: (١/٢٢٠)، ومختار الصحاح: (١٢٦).

وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك.. (١).

ثانياً: وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته - قال أحسبه قال: هنيئة - فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: (أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد) (٢).

يتبين أن الأرجح مما سبق ما اختاره جمهور العلماء وذلك لصحة أدلتهم، وثبوت أخبارها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال النووي: «الأحاديث الصحيحة المتظاهرة بإثباته مقدمة، لأنها زيادة ثقات، ولأنها إثبات، وهو مقدم على النفي» (٣). وينطبق على ذلك القاعدة: بأنه " إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح على ما خالفه " (٤)، والله أعلم.

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٣٤/١) برقم: (٧٧١).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب صفة الصلاة، باب ما يقول بعد التكبير (٢٥٩/١) برقم: (٧١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة (٤١٩/١) برقم: (٥٩٨).

(٣) المجموع: (٢٦٨/٣).

(٤) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (٢٠٦/١).



قال تعالى ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزْرُ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾ [الأعام: ١٦٤]

١١٠- مسألة: هل يستدل عند قوله تعالى ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

عَلَيْهَا﴾ على جواز بيع الفضولي^(١)؟

قال القرطبي ~ : « قد استدل بعض العلماء من المخالفين بهذه الآية على أن بيع الفضولي^(١) لا يصح. وهو قول الشافعي.

وقال علماءنا: المراد من الآية تحمل الثواب والعقاب دون أحكام الدنيا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا نُزْرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزْرُ أُخْرَىٰ﴾ على ما يأتي.

وبيع الفضولي عندنا موقوف على إجازة المالك، فإن أجازته جاز. هذا عروة البارقي^(١) قد باع للنبي ﷺ، واشترى وتصرف بغير أمره، فأجازته النبي ﷺ، وبه قال أبو حنيفة^(١)...^(١) ».

(١) الفضولي: هو من لم يكن ولياً ولا أصيلاً ولا وكيلاً في العقد. ينظر: التعريفات: (١/٢١٥).

(٢) صورة بيع الفضولي: أن يبيع الرجل مال غيره، فإن رضي به صاحب المال أمضى البيع وإن لم يرض فسخ. ينظر: بداية المجتهد: (٢/١٢٩).

(٣) عروة: هو عروة بن الجعد، ويقال بن أبي الجعد البارقي بن المديني وصوب الثاني ابن حجر، سكن الكوفة له صحبة، وله أحاديث، وهو الذي أرسله النبي ﷺ ليشترى الشاة بدينار فاشترى به شاتين، والحديث مشهور في البخاري وغيره. ينظر: الثقات: (٣/٣١٤)، والإصابة: (٤/٤٨٨)، والكاشف: (٢/١٨).

(٤) حاشية ابن عابدين: (٧/٤٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٤٤).

الدراسة والترجيح:

في هذه المسألة خلاف مبني على أصل وهو: وقف العقود؛ إذا تصرف الرجل في حق الغير بغير إذنه، فهل يقع تصرفه مردوداً، أم موقوفاً على إجازته^(١).

اختار القرطبي جواز بيع الفضولي، وهو بذلك وافق رأي الإمام أبي حنيفة^(٢)، ومالك - رحمهما الله -^(٣)، والشافعي في القديم^(٤)، وأحمد في رواية أخرى^(٥)، ومن المفسرين ابن العربي^(٦).

وحجة القائلين بالجواز:

ما أخرجه البخاري من حديث عروة: (أن النبي ﷺ أعطاه دينارا يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، وجاءه بدينار وشاة، فدعاه بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه)^(٧)

ووجه الدلالة منه: أن النبي ﷺ لم يأمره في الشاة الثانية لا بالشراء ولا بالبيع، ومع ذلك صحح ﷺ تصرفه في الأمرين.

(١) الفتاوى الكبرى: (٣/٣٣٣).

(٢) حاشية ابن عابدين: (٥/١٠٧)، والدر المختار: (٥/١١٣)، والمبسوط للسرخسي: (١٣/١٥٣).

(٣) حاشية الدسوقي: (٤/٩٨)، وشرح مختصر- خليل: (٥/١٨) ومواهب الجليل: (٤/٢٧٠)، وبداية المجتهد: (٢/١٢٩).

(٤) ينظر: المجموع: (٩/٢٤٧). وروضة الطالبين: (٤/٣٠٣)، مغني المحتاج: (٢/١٥).

(٥) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه: (٢٠/٥٧٧) قال: «فظاهر مذهب أحمد أن المتصرف إذا كان معذوراً لعدم تمكنه من الاستئذان وحاجته إلى التصرف وقف على الإجازة بلا نزاع وإن أمكنه الاستئذان أو لم يكن به حاجة إلى التصرف ففيه النزاع» أ.هـ.

(٦) ينظر: أحكام القرآن: (٢/٢٢٩).

(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، في باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (٣/١٣٢٣) برقم: (٣٤٤٣).

وفي المسألة قول آخر:

وهو القول ببطلان البيع وهو قول الشافعي في الجديد^(١)، والإمام أحمد في أصح الروايات عنه^(٢).

واستدلوا بما دلت عليه الأحاديث في السنة النبوية المطهرة على أن المرء لا يبيع ما لا يملك فقد قال ﷺ: (لا تبع ما ليس عندك)^(٣) وقوله ﷺ حين أرسل عتاباً^(٤) إلى أهل مكة (ولا يبيع ما لم يملك)^(٥) في خصال أخرى فدل الحديثان على عدم صحة بيع مال الغير بغير إذنه أو ولاية عليه، والفضولي ليس مالكاً ولا وكيلاً، وبهذا تعلّق من ردّ بيعه؛ لأنه عقد على ملك غيره بغير إذنه فلم يقف على إجازة ذلك الغير^(٦).

(١) ينظر: المجموع: (٢٤٧/٩). وروضة الطالبين: (٣٠٣/٤)، مغني المحتاج: (١٥/٢).

(٢) ينظر: منار السبيل: (٢٨٩/١)، والمغني: (١٥٩/٥).

(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب البيوع، باب بيع ما ليس عند البائع (٣٩/٤)، برقم (٦٢٠٦) وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الإجارة، باب في الرجل يبيع ما ليس عنده (٢٨٣/٣) برقم: (٣٥٠٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب التجارات، باب النهي عن بيع ما ليس عندك، وعن ربح ما لم يضمن (٧٣٧/٢) برقم: (٢١٨٧)، والترمذي في سننه باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك (٥٣٤/٣)، برقم: (١٢٣٢).

(٤) عتاب: هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبدالرحمن أو أبو محمد المكي له صحبة وكان أمير مكة في عهد النبي ﷺ ومات يوم مات أبو بكر الصديق فيما ذكر الواقدي لكن ذكر الطبري أنه كان عاملاً على مكة لعمر سنة إحدى وعشرين.

ينظر: طبقات ابن سعد: (٤٤٦/٥)، والثقات: (٣٠٤/٣)، وتقريب التهذيب: (٣٨٠/١)، الكاشف: (٦٩٥/١).

(٥) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في كتاب البيوع (٢١/٢) برقم: (٢١٨٦).

(٦) ينظر: المجموع: (٢٤٧/٩)، ومغني المحتاج: (١٥/٢).



ولعل عذر من لم يأخذ بالحديث هو الكلام على ثبوته عنده وصحته، فقد نُقل عن الشافعي أنه قال: إن صح حديث عروة البارقي فكل من باع أو أعتق ملك غيره بغير إذنه ثم رضي، فالبيع والعتق جائزان^(١)، والحديث ثبت من غير وجه فلزم المصير إليه، والله أعلم.

والذي يظهر مما سبق أن الأرجح ما اختاره القرطبي وهو الذي فيه دليل ظاهر على صحة بيع الفضولي بشرطه المتقدم، وهذا ينطبق على القاعدة الترجيحية وهي "أن الحديث إذا كان نصاً في معنى قول فهو مرجح على ما خالفه"^(٢).



(١) ينظر: المجموع: (٢٤٧/٩).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: (١٩١/١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال المكرمات، بمرتته خصنا بالدراسات، في مسائل وأحكام وقراءات، نهلنا ذلك في جملة من الآيات، التي أعطيناها أنفس الأوقات، وأكثر الساعات، ومع ذلك لم نستوفي ما فيها من البيانات والدلالات، فغفوك اللهم عن السقطات والزلات.

أحمده سبحانه وهو أهل الحمد والشكر، وأثني عليه لتيسيره إتمام هذا السفر، وأسأله سبحانه أن يجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاه.

وبعد هذه الجولة مع الإمام، والغوص في جامع الأحكام، أراني قاربت وصول التمام، في ترجيحات سورة الأنعام.

وقبل طي آخر الصفحات، رأيت أن أسجل أهم الخلاصات:

١- أن الإمام القرطبي ~ يعتبر علماً من أعلام التفسير، وإماماً من الأئمة المبدعين، حرص على التزام الكتاب والسنة في تلقي العقيدة، إلا أنه خالفها في بعض المسائل ووافق الأشعرية، وهو مالكي المذهب من غير تعصب.

٢- كثرة المصادر التي اعتمدها القرطبي في كل فن من الفنون، وكأنه في كل علم يتحدث فيه لم يسبقه إليه أحد. مما جعله يورث لنا آثاراً عظيمة.

٣- أن الجامع لأحكام القرآن؛ قد لا يُعرف إلا بأنه تفسير لآيات الأحكام الفقهية فحسب، وهذه الدراسة تثبت بالدليل أن القرطبي له منهج فريد، وقدم صدق في تفسير كلام الله تعالى، وتأصيل لقواعد الترجيح التي يستعملها العلماء في التفسير، وسيعلم المطلع تميزه في هذا الجانب، ومساهماته الجليلة في هذا الفرع المهم من فروع العلم.

٤- إتقان القرطبي ~ لأقوال المفسرين، وإبراز اختلافهم وآرائهم بطريقة مميزة، ومنهجية فريدة، ظهر ذلك في ترجيحه بين الأقوال، وإيراد أدلة الترجيح، ومناقشة أدلة المخالفين وأقوالهم بموضوعية مطردة.



٥- أنَّ أبا عبدالله القرطبي لم يكن مقلداً في اختياراته العلمية، سواء أكانت تفسيرية، أم فقهية، أم لغوية، بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر. وكان لترجيحاته أكبر الأثر، ويظهر ذلك جلياً في كتب من تأخر عنه، حيث نقلوا من علمه الغزير، وتصنيفه الكبير، الشيء الكثير.

٦- أنَّ من منهج أبي عبدالله القرطبي أنه كان يجمع بين النقل والمناقشة للأقوال التي ينقلها، وكان يحرص على الجمع بين الأقوال كلها ما أمكن. وإذا تعذر الجمع لجأ القرطبي إلى المفاضلة والترجيح؛ فلا يخرج عن أقوال السلف، ويختار من الآراء ماتوئده الأدلة والقرائن، وقد يأتي برأيٍ فيه دقة استنباط لم يصل إليه السابقون.

٧- أنَّ أبا عبدالله القرطبي قد وفق في عددٍ كبير من ترجيحاته للصواب، بينما خالفه الصواب في بعضها، وهذا كذلك يصدق على غيره من المفسرين.

٨- أن قواعد الترجيح عند القرطبي تقوم إما على قواعد العموم، وإما على قواعد اللغة، وإما على قواعد سياق الآيات، وإما على ما تشهد له الأحاديث، وإما على دلالة بعض القراءات التفسيرية الصحيحة.

٩- أنَّ دراسة الترجيحات المبنية على المقارنة والموازنة تعطي الباحث قدرة قوية على سبر أقوال المفسرين، وفهمها، ومناقشتها، وتحقيق صحتها من سقيمها، وتكسب الباحث ملكة تفسيرية قد لا تتوفر في دراسة كثير من الموضوعات.

١٠- ليس من السهولة بمكان الوصول إلى القول بالصواب عند الاختلاف في التفسير؛ ولذا لا بد من بذل الجهد، واستفراغ الوسع بالتأمل الدقيق، والنظر العميق، ومجاهدة النفس على الإتيان بالأسباب الموصلة إلى الحق، والصبر والجلد على مشقة البحث في ذلك، مع الاستعانة بالأسباب الأخرى المعينة على معرفة الصواب، كسؤال أهل العلم الراسخين فيه، والإمام بالقواعد الترجيحية المعتبرة عند العلماء في تفسير كتاب الله ﷻ.



١١ - معرفة الأقوال الراجحة والصحيحة في سورة الأنعام، ولا شك أن هذا من أهم مقاصد التفسير.

وفي الختام أرجو أن أكون أسهمت - ولو بجهد المقل - في خدمة القرآن وعلومه، وألا يكون عملي مخللاً. والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وألا يجعل فيه نصيباً لأحد من خلقه، وأن يكسوه ثوب القبول، وأن ينفع به من كتبه وقرأه، وصححه، وأن يجعله مصدر خير ونفع، وأن يكون ذخيرة لي يوم العرض عليه.

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه... كما تحب ربنا ويرضى..

• ثم الصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير محمد ﷺ.

وعلى من سار على منهجه إلى يوم المصير.

والحمد لله رب العالمين.



الفهارس

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس القراءات الشاذة.
- ٣- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٤- فهرس الآثار.
- ٥- فهرس الأعلام.
- ٦- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
- ٧- فهرس الفرق والقبائل.
- ٨- فهرس الأماكن والبلدان.
- ٩- فهرس الشواهد الشعرية.
- ١٠- فهرس المصادر والمراجع.
- ١١- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٣٨		الفاتحة: ٢	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾
٤٤٥		البقرة: ٢٦	﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾
١٤٨		البقرة: ٢٨	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾
٤١٢		البقرة: ٣٦	﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾
٢١٢		البقرة: ١٠٢	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾
٥٩٠		البقرة: ١١٤	﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾
٥٢٠		البقرة: ١٢٤	﴿وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾
٣٧٤، ٣٥٣		البقرة: ١٢٣	﴿تَعْبُدُوا إِلَهًا وَآلَهُ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾
٢٤		البقرة: ١٤٢	﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ﴾
٤٣١		البقرة: ١٤٤	﴿قَدْ زَرَىٰ تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾
٤٦٩		البقرة: ١٧٣	﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾
٥٦٤		البقرة: ١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾
٦١٠		البقرة: ١٧٧	﴿وَالْمُؤْفُوكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾
٢٧٥		البقرة: ١٨٣	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
٢٦		البقرة: ١٨٧	﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾
٦٣٣		البقرة: ١٩٦	﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾
٣٨		البقرة: ٢٠٣	﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾
١٤٧		البقرة: ٢٣٥	﴿وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٣٠		البقرة: ٢٤٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾
٤٢٨		البقرة: ٢٥٥	﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
١٣٧		البقرة: ٢٥٧	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾
٦٢٩		البقرة: ٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
٦٣٠		البقرة: ٢٦١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾
٥٤٢		البقرة: ٢٦٧	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾
١٤٨		البقرة: ٢٨٢	﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾
٥٦٠		البقرة: ٢٨٢	﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾
٤٧٦		البقرة: ٢٨٦	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا ﴿إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾
٤٣٢		آل عمران: ١٣	﴿يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾
٣٠٨		آل عمران: ٥٥	﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾
١٧٨		آل عمران: ٥٥	﴿يَلْعَيْسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ﴾
١٤٤		آل عمران: ٥٩	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾
٥٩٠		آل عمران: ٦٥	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
٣٥٩		آل عمران: ٦٧	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥		آل عمران: ١٠٢	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)
٦٢٤		آل عمران: ١٠٥	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ؕ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥)
٥		النساء: ١٠	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)
٦٠٥، ١٠١		النساء: ٦	﴿وَابْتَلُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾
٢٨٢، ٩٦		النساء: ٨	﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾
٢٨٠		النساء: ١٧	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾
٦٢٩		النساء: ٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠)
٢٠٠		النساء: ٤٢	﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾
٣٠٨		النساء: ٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾
٤١٨		النساء: ١١٧-١١٩	﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا امْتَنَيْنَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (١١٩)
٣٢٧، ٩٩ ٣٣٣		النساء: ١٤٠	﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٦٢١، ١٠٢		النساء: ١٥٠	﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
١٧٨		النساء: ١٥٨	﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾
٥١٥		النساء: ١٦٣	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾
٥١٥		النساء: ١٦٥	﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾
٥		النساء: ١٧٤	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمُ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾
٥٥٣، ٥٥٢		المائدة: ١	﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ﴾
٤٦٦		المائدة: ٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾
٤٧٧، ٤٧٢		المائدة: ٣	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْقُمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسَقٌ﴾
٢٣٨، ٤٨		المائدة: ٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
٤٨٠		المائدة: ٤	﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾
٤٧٨		المائدة: ٥	﴿وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ﴾
٤٨٨		المائدة: ١٥	﴿قَدْ جَاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾
٥٢٢		المائدة: ٢٢	﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾
٢٩١		المائدة: ٤٤	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
٢٩١		المائدة: ٥٠	﴿أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾
٤٣٣، ١٨٥		المائدة: ٦٧	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتَهُ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٩٦		المائدة: ٩٠	﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾
٥٢٦		المائدة: ١٠٣	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾
٥٩٢		المائدة: ١٠٥	﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾
٣٠٨		المائدة: ١١٧	﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾
٦١٣، ١٢٦		الأعام: ١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾
١٤٥، ١٤٠		الأعام: ٢	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾
١٥١		الأعام: ٣	﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾
١٥٧، ٧٦		الأعام: ٦	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ لَكُمُ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾
٤٩٩، ١٦٢ ٧٤		الأعام: ١٢	﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةً لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾
١٦٧، ١١٨		الأعام: ١٣	﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْإِلِّ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
١٠٧، ٦٣ ١٧٢		الأعام: ١٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَلُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾
٧٦		الأعام: ١٧	﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾
١٧٧		الأعام: ١٨	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٨٣، ١٨٥، ١٨٩		الأعام: ١٩	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾
١٨٧		الأعام: ٢٠	﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾
١٩٩		الأعام: ٢١	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾
١٩٢		الأعام: ٢٣	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتَهُمْ﴾
٢٠٠		الأعام: ٢٣	﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾
١٩١		الأعام: ٢٣-٢٤	﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾
٢٠٤، ٧١، ٢٠٦		الأعام: ٢٥	﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِلَهِيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾
٢٠٤		الأعام: ٢٦	﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾
٢١٠، ٢٠٧		الأعام: ٢٧	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُهَا وَلَا تَضُرُّنَا وَلَا نَكَدَّ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾
٦٩، ٦٩، ٢١٥، ١٩٨		الأعام: ٢٨	﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾
٦٩		الأعام: ٢٩	﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾
٢١٢		الأعام: ٣٠	﴿فَذَوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾
٢١٨		الأعام: ٣٣	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٨		الأعام: ٣٤	﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾
٢٢٤، ١١٦		الأعام: ٣٦	﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾
٧٢		الأعام: ٣٧	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾
٤٨، ٩٠، ١١٠، ٢٣٢		الأعام: ٣٨	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾
٨١		الأعام: ٤٢	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ بَضَّرِعُونَ ﴿٤٢﴾﴾
٧٢		الأعام: ٤٣	﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾
٧١		الأعام: ٤٦	﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾
٩٢، ٩٧، ٢٥١		الأعام: ٥١	﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾
٢٦٠		الأعام: ٥٢	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾
٧٤، ١١٢، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٨		الأعام: ٥٤	﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾
٩٦، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١		الأعام: ٥٧	﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾
٥٠، ٩٢، ١٠٥، ٢٩٣		الأعام: ٥٩	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٠٦، ٩١ ٣٠٩		الأعام: ٦٠	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾
٣١٣، ٣١٠		الأعام: ٦١	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾﴾
٦٤		الأعام: ٦٣	﴿تَضَرَّعًا وَحَقِيَّةً لِّئِن أُنجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾
٣٢٤		الأعام: ٦٣-٦٤	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لِّئِن أُنجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾
١١٦، ٥٧ ٣١٥		الأعام: ٦٥	﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾
٣٢٤		الأعام: ٦٦	﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴿٦٦﴾﴾
٣٢٦		الأعام: ٦٨	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾
٣٣٣، ٩٩ ٣٢٧		الأعام: ٦٩	﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَا كِنِ ذِكْرِىٰ لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتَ ﴿٦٩﴾﴾
٣٣٣، ١٢٢ ٣٣٦		الأعام: ٧٠	﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾
٧٢		الأعام: ٧١	﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٤٥، ٩٥		الأنعام: ٧٣	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾
٣٥٠		الأنعام: ٧٤	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَكَرَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾
٣٦٠		الأنعام: ٧٥	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٧٥﴾﴾
٣٥٧		الأنعام: ٧٦	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الْآفَلِينَ ﴿٧٦﴾﴾
٣٦٢		الأنعام: ٧٧	﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾
٣٦٠		الأنعام: ٨٠	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ﴿٨٠﴾﴾
٤٧		الأنعام: ٨١	﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴿٨١﴾﴾
٣٧١		الأنعام: ٨١	﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمُ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴿٨١﴾﴾
٣٦٤، ٤٧		الأنعام: ٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ءَأُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾
٣٦٥، ٦٢ ٣٦٩		الأنعام: ٨٣	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾
٣٧٣		الأنعام: ٨٤-٨٦	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَنُوحًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾
٣٨٠		الأنعام: ٨٩	﴿ءَأُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٨٥، ١٠٧		الأعام: ٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾
١٢٣، ٦٨ ٣٩٠		الأعام: ٩٣	﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾
٣٩٩		الأعام: ٩٤	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾
١٢٠، ٥٧ ٤٠٢		الأعام: ٩٥	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾
٤٠٦، ١٦٩		الأعام: ٩٦	﴿فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾
٤١١، ٥٤		الأعام: ٩٨	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾
٨٢		الأعام: ٩٩	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾
٤١٥، ٦١ ٦٦١، ٤١٨		الأعام: ١٠٠	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٢٤، ١٠٤ ٤٣٣		الأنعام: ١٠٣	﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾
٤٤٠		الأنعام: ١٠٤	﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿١٠٤﴾
٤٤٤، ٥٩		الأنعام: ١٠٥	﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسَتْ وَلِيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾
٤٥٣، ٤٥٠		الأنعام: ١١٢	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿١١٢﴾
٤٥٦		الأنعام: ١١٣	﴿وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾
٤٥٩، ٢٩١ ٤٦١		الأنعام: ١١٤	﴿أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾
٤٦٢		الأنعام: ١١٥	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾
٤٧٩		الأنعام: ١١٨	﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾
٤٧٣، ٤٦٦		الأنعام: ١١٩	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾
٤٦٩، ٥٤ ٤٧١		الأنعام: ١٢١	﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَنَّ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢١﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١١٨، ١٣٥، ١٣٧، ٢٢٥، ٤٨٢		الأنعام: ١٢٢	﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَاحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾
٤٩١		الأنعام: ١٢٣	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾
١١٣، ٤٨٩، ٤٩٠		الأنعام: ١٢٤	﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾
٦١، ١٢٠، ٤٩٥		الأنعام: ١٢٥	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾
٥٩، ٥٠٠		الأنعام: ١٢٨	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ط وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾
٥٠٩		الأنعام: ١٢٩	﴿وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾
١١٥، ٥١٣		الأنعام: ١٣٠	﴿يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾
٥١٩		الأنعام: ١٣٧	﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٦٣، ٥٢٤		الأنعام: ١٣٨	﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ جِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾
٥٢٨		الأنعام: ١٣٩	﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾
٥٣٠، ٨١		الأنعام: ١٤١	﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَآئُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾
٥٥٢		الأنعام: ١٤٢	﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾
٤٧٢، ٤٦٨ ٥٧٧، ٥٦٠		الأنعام: ١٤٥	﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾
٥٨٢		الأنعام: ١٤٦	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾
٥٨٩		الأنعام: ١٤٧	﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْفُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٩٢		الأعام: ١٥١	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾
٦٠١، ١٠١ ٦٠٩		الأعام: ١٥٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾
٦١٢، ٩٨		الأعام: ١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾
٦١٦، ١٠٨		الأعام: ١٥٤	﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾
٥٢٠		الأعام: ١٥٨	﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾
٦٢١، ١٠١		الأعام: ١٥٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾
٦٢٦، ١١٠		الأعام: ١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾
٣٥٩، ٧٤		الأعام: ١٦١	﴿ قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾
٦٣٢		الأعام: ١٦٢	﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾
٦٤١		الأعام: ١٦٤	﴿ قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ ابْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٩٣		الأعراف: ١٢	﴿أَلَا تَسْجُدُ﴾
٤٩٧		الأعراف: ٧١	﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ﴾
٤٦٣		الأعراف: ١٣٧	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾
٤٢٧		الأعراف: ١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾
٤٢٨		الأعراف: ١٤٣	﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾
٨٦		الأعراف: ١٥٥	﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾
٢٧٤		الأعراف: ١٥٦	﴿فَسَاكُتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾
٤٣٢		الأعراف: ١٧٩	﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾
٢٨٦		الأفعال: ٣٢	﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾
٥٨٩		الأفعال: ٣٣	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾
٣٩٧		الأفعال: ٥٠	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾
٣٤٣		التوبة: ٥	﴿فَأَقْضُوا الْإِثْمَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾
٤٩٦		التوبة: ٩٥	﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ إِيَّاهُمْ رِجْسًا﴾
٢٧٣		التوبة: ١١١	﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾
٤٠٨، ١٣٧		يونس: ٥	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾
٧٦		يونس: ٢٢	﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَبَئَةٍ﴾
٤٢٦		يونس: ٢٦	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
١٦٩		يونس: ٦٧	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٩٧		يونس: ١٠٠	﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾
٣٦٧		يونس: ١٠٦	﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾
٢٣٣، ٢٣٩، ٢٧٣		هود: ٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾
١٢٩		هود: ٧	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾
٢٨٧		هود: ٨	﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لِيَقُولُوا مَا يَحْسِبُهُ﴾
٢٥		هود: ٣٧	﴿وَأَصْنَعُ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾
٤٢٨		هود: ٤٥	﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِ﴾
٤٢٨		هود: ٤٦	﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾
٣٧١		هود: ٥٤-٥٦	﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٤٦٣		هود: ١١٩	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾
٦٠٨		يوسف: ٢٢	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾
٧٤		يوسف: ٣٥	﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ﴾
٢٩٠		يوسف: ٤٠	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾
٣٣٢		يوسف: ٤٢	﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾
٦١٣		يوسف: ١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾
٤٣٢		يوسف: ١١١	﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣١١، ٣١٣		الرعد: ١١	﴿لَهُمْ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾
٥٩٠		الرعد: ٣٤	﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾
٤٨		الرعد: ٣٨	﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾
١٣٧		إبراهيم: ٥	﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
٣٥٩		إبراهيم: ٣٥	﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾
١٧١		إبراهيم: ٤٥	﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾
٣٤٤		الحجر: ٣	﴿ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾
١٤٤		الحجر: ٢٦	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٦٦﴾﴾
٣٤٩		الحجر: ٢٩	﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾
٥٧٢		النحل: ٥	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾
٥٧٢		النحل: ٨	﴿وَالْحَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾
٣٠٩		النحل: ٣٢	﴿الَّذِينَ نُوْقِفُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾
٤٩، ٤٨، ١٠٩، ٢٣٨، ٢٤١		النحل: ٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾
٢٣٥		النحل: ٤٩	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾
١٧٨		النحل: ٥٠	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾
٥٥٧		النحل: ٦٦	﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْفِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾
٢٤		النحل: ٦٧	﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾
١٦٩		النحل: ٨٠	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾
٥٥٧		النحل: ٨٠	﴿وَمَنْ أَصَوِّفُهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِثْعَا إِلَى حِينٍ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٧٠		النحل: ٨١	﴿تَقِيكُمْ الْحَرَ﴾
٢٣٨، ٤٨ ٢٤١		النحل: ٨٩	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾
٦٠٩		النحل: ٩١	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾
٣٣١		النحل: ١٠٠	﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠)
٣١٣		النحل: ١٠٢	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾
٤٤٩		النحل: ١٠٣	﴿وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾
٣٥٩		النحل: ١٢٠-١٢٣	﴿إِنِ ابْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَعَاطَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
٦١٣		النحل: ١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾
٦٠٩		الإسراء: ٣٤	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾
٢٣٥، ٣٨		الإسراء: ٤٤	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾
٣١٧		الإسراء: ٦٨-٦٩	﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾
٣٠٦		الإسراء: ٨٥	﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾
٢٨٦		الإسراء: ٩٢	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾
٤٠٩، ٤٠٦		الكهف: ٤٠	﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾
٢٤٦		الكهف: ٤٧	﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤١٨		الكهف: ٥٠	﴿أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾
٣٣٢		الكهف: ٦٣	﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾
٤١٨		مريم: ٤٤	﴿يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾
٢١١		مريم: ٧١	﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾
١٥٩		مريم: ٧٤	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾
٢٤٦		مريم: ٨٥	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾
٤٠١، ٤٠٠		مريم: ٩٥	﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾
١٥٩		مريم: ٩٨	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾
١٥٥		طه: ٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
٨٦		طه: ١٣	﴿وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾
٢٥		طه: ٣٩	﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾
٢٤٦		طه: ١٠٢	﴿يَوْمَ يُفْخِخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾
٦٠٩		طه: ١١٥	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾
١٤٧		طه: ١٢٩	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾
٤٢٧		طه: ١٣٠	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾
٣٦١		الأنبياء: ٣٤	﴿أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾
٣٥٩		الأنبياء: ٥١	﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾
٣٥٩		الأنبياء: ٥١-٥٢	﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾
٣٤٩		الأنبياء: ٩١	﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾
٤٠١		الأنبياء: ١٠٤	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥٨٩		الأنبياء: ١٠٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾
٥١٧		الحج: ٢٨	﴿وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾
٦١١		الحج: ٢٩	﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾
٤٩٦		الحج: ٣٠	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿٣٠﴾﴾
٦٣٣		الحج: ٣٤	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿٣٤﴾﴾
٤٧٦		الحج: ٧٨	﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾﴾
٣٩١		المؤمنون: ١٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾
٣٩٢		المؤمنون: ١٤	﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿١٤﴾﴾
٢٥٨		المؤمنون: ٥٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾
١٩٨		المؤمنون: ١٠٧	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾
١٩٨		المؤمنون: ١١٢-١١٣	﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١١٢﴾﴾
١٣٧		النور: ٤٠	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرْنَهَا ﴿٤٠﴾﴾
٢٣٥		النور: ٤١	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَقَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴿٤١﴾﴾
١٥٤		الفرقان: ٦	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦﴾﴾
٢٨٠		الفرقان: ٦٣	﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾
٤٣٠		الشعراء: ٦١-٦٢	﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٤٠٤		الشعراء: ٦٣	﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾
٢٢٠		النمل: ١٤	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾
٤٣١		النمل: ٣٥	﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾
١٣٧		النمل: ٦٣	﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
٤٣٣		النمل: ٦٥	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾
٢٢٦		النمل: ٨٠	﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾
٦٠٨		القصص: ١٤	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾
٤٦٠		القصص: ٥٢	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾
٨٦		القصص: ٦٨	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾
٢٩٠		القصص: ٧٠	﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
٢٩٥		القصص: ٧٦	﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُودًا يُنَادُونَ بِالْأَعْصَابِ﴾
٤٤٨، ٤٤٦		القصص: ٨	﴿فَالنَّقْطَةُ دَاءٌ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾
٦٢٩		القصص: ٨٤	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾
٢٩٠		القصص: ٨٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
٤٦١		العنكبوت: ٤٧	﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾
٢٨٧		العنكبوت: ٥٤-٥٣	﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ سَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾
٢٣٣		العنكبوت: ٦٠	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾
٣٥٩		الروم: ٣٠	﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾
٢٧٣		الروم: ٤٧	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣٦٧، ٤٨		لقمان: ١٣	﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
٢٩٤		لقمان: ٣٤	﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤)
١٤٣، ١٤٢		السجدة: ٧	﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾
٣١٣، ٣٠٩		السجدة: ١١	﴿قُلْ يَتَّقُوا اللَّهَ مَلِكُ أَمَاتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١)
٥٩٠		الأحزاب: ٥٧	﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾
٥		الأحزاب: ٧١-٧٠	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١)
٤١٨		سبأ: ٤١	﴿قَالُوا سُبْحٰنَكَ أَنْتَ وَلَيْسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بِلٰكِنَّا عِبَادُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ (٤١)
٦٥		سبأ: ٥٠	﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾
١٤٢		فاطر: ١١	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾
٢٥٧		فاطر: ١٨	﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾
٢٢٥		فاطر: ٢٢	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٢٢)
٥١٧		فاطر: ٢٤	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤)
٢٥٨		يس: ١١	﴿إِنَّمَا نُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ الْغَيْبِ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥١٦		يس: ١٣-١٤	﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾
٤٠٤		يس: ٣٣	﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾
٤٠٩		يس: ٣٨	﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾
٣٤٨		يس: ٥١	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿٥١﴾﴾
٦٠٩، ٤١٨		يس: ٦٠	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾
٢٠٠		يس: ٦٥	﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾
٢٢٥		يس: ٧٠	﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾
٥٥٧		يس: ٧١-٧٢	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾
١٤٤		الصفافات: ١١	﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾﴾
٣٥٩		الصفافات: ٨٤	﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾
٣٧		الصفافات: ١٠٧	﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾
٤١٧		الصفافات: ١٥٨	﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾
٤٦٣، ٤٨		الصفافات: ١٧١-١٧٣	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾
١٥٩		ص: ٣	﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا ﴿٣﴾﴾
٢٨٧		ص: ١٦	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٨٢، ٥		ص: ٢٩	﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾
٣٨		ص: ٤٤	﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
١٣٧		الزمر: ٢٢	﴿ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾
١٢٠		الزمر: ٢٨	﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾
٣٠٩، ٣٠٨		الزمر: ٤٢	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾
٣٤٧، ٣٤٥، ٣٤٩		الزمر: ٦٨	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾
٢٩٠		غافر: ١٢	﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾
٦٢		غافر: ١٥	﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾
٤٨		غافر: ٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾
٢٦٢		غافر: ٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾
٣٤٨		غافر: ٦٤	﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾
١٤٣		غافر: ٦٧	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ﴾
٣٠٩		غافر: ٧٧	﴿ فَكَيْمًا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَتَوَقَّيْنَاكَ ﴾
٥٥٧		غافر: ٧٩	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾
١٢٩		فصلت: ١٢-١١	﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾
١٩٩		فصلت: ٢٢	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٥١٩		فصلت: ٤٩	﴿لَا يَسْعَمُ إِلَّا نَسْنُنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾
١٧٨		الشورى: ٥	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾
٢٩١		الشورى: ١٠	﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
٤٢٤		الشورى: ١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
٢٨٧		الشورى: ١٨	﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾
٤٣٣		الشورى: ٥١	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾
٤٩٠		الزخرف: ٣١	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾
٣١١		الزخرف: ٨٠	﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾
١٥٣		الزخرف: ٨٤	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾
٨٦		الدخان: ٣٢	﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾
٦٠٨		الأحقاف: ١٥	﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾
١١٥		الأحقاف: ٢٩	﴿وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾
٥١٥		الأحقاف: ٢٩-٣٢	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ۖ يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾
١٧٨		الفتح: ١٠	﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾
٣١٠		ق: ١٧	﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٣١١، ٣١٣		ق: ١٧، ١٨	﴿إِذْ يَنْفَقَى الْمَتَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾
١٢٩		ق: ٣٨	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾
٣١٧		الذاريات: ٣٣	﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾
١٧٢، ١٠٧، ٦٣		الذاريات: ٥٧	﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾
٤٩		النجم: ٤	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٤﴾﴾
٤٣٧		النجم: ٨	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾﴾
٤٣٤، ٤٣٧		النجم: ١١	﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾﴾
٤٣٦		النجم: ١١-١٣	﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ، عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾
٤٣٣		النجم: ١٣	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾﴾
٣١٧		القمر: ٣٤	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ بَجَّيْنَتْهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٤﴾﴾
٤٠٦، ٤٠٨		الرحمن: ٥	﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾
٥١٦		الرحمن: ٣١-٣٢	﴿سَنَفِرُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾
٥٣٩		الرحمن: ٦٨	﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَفُخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٦٨﴾﴾
٤٨٦		الحديد: ١٢	﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنِهِمْ ﴿١٢﴾﴾
٤٣١		الحديد: ١٣	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴿١٣﴾﴾
٤٨٦		الحديد: ١٣	﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴿١٣﴾﴾
٢٣٠		المجادلة: ٦	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿٦﴾﴾
١٩٨		المجادلة: ١٤	﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ ﴿١٤﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
١٩٨		المجادلة: ١٨	﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمُ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾
٢٧٧، ٤٨		المجادلة: ٢١	﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَ أَنَا وَرُسُلِي﴾
٢٣٨، ٤٨		الحشر: ٧	﴿وَمَا ءَأَنتُمْ بِالرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
١٨٩		الصف: ٦	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾
٢٣٠		التغابن: ٧	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾
٤٨٧		التحریم: ٨	﴿تُورَهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾
٤٦١		الأنعام: ٢٠	﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾
١٥٥		الملك: ١٦	﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾
٣١٧، ١٧٨		الملك: ١٦-١٧	﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾
٣٠٤		القلم: ١-٢	﴿تَ وَالْقَلَمِ﴾
٥١٧		نوح: ١٦	﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾
٥٠٣، ٥٠٠		الجن: ٦	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾
٣٤٩		المدثر: ٨	﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾
٣٤٤		المدثر: ١١	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾
٣٤٠		المدثر: ٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾
٤٨٩، ١١٣ ٤٩٠		المدثر: ٥٢	﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾﴾
٤٣		القيامة: ١٣	﴿يُنَبِّئُوا الْإِنسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾
٤٢٤، ١٠٤ ٤٢٩، ٤٢٦		القيامة: ٢٢-٢٣	﴿وَجِوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾



الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآية
٢٣		النارعات: ٣٧-٤١	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾
٤٠٠		عبس: ٣٧	﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾
٢٤٦، ٢٤٤		التكوير: ٥	﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾
٣٤١		التكوير: ١٤	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾
٤٣٣		التكوير: ٢٣	﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾
٤٣		الانفطار: ٥	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾
٣٤٩		الانفطار: ٨	﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾
٣١٠		الانفطار: ١٠	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾
٣١٣		الانفطار: ١٠-١١	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾
٣١١		الانفطار: ١١	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾
٤٢٧، ٤٢٦		المطففين: ١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾
٦٢١، ١٠٢		البينة: ٤	﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾
٦٣٥		الكوثر: ٣	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٣﴾﴾



فهرس القراءات الشاذة

الصفحة	القراءة	م
١٠٦	أنها إذا جاءت لا يؤمنون... (الأعمش، وأهل المدينة)	١
٣٦١	أهذاربي؟	٢
٦٤	تضرعاً وخيفة من الخوف (الأعمش)	٣
٦١٨	تماما على الذين أحسن (ابن يعمر، وابن أبي اسحاق)	٤
٦١٦، ١٠٨	تماما على الذين أحسنوا (ابن مسعود)	٥
٢٠٤	ثم لم يكن فتنهم (أبي بن كعب، وابن مسعود)	٦
٥٢٢	زُين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم (الحسن، وأبو عبد الرحمن السلمي، وقيل علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>).	٧
٥٢٢	زُين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (بعض أهل الشام)	٨
٢٣٢	فإنهم لا يكذبونك (علي <small>عليه السلام</small>)	٩
٦٥	قل إن ضللت بكسر اللام (يحيى بن وثاب، وطلحة بن مصرف)	١٠
٥٣٠	مغروسات وغير مغروسات (علي <small>عليه السلام</small>)	١١
٢٠٤	وما كان فتنهم (الأعمش من رواية المفضل)	١٢
٦٣	وهو يُطعم ولا يُطعم (الأشهب)	١٣
١٧٢	وهو يُطعم ولا يُطعم (سعيد بن جبير، ومجاهد، والأعمش)	١٤
١٨٥	وهو يُطعم ولا يُطعم (يعقوب)	١٥
٣٤٨	يوم ينفخ في الصور (الحسن البصري)	١٦

فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
١	اخرصوا، وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق	٥٤٦
٢	إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر..	٦٣١
٣	إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك	٤٨٠
٤	إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل....	٢٨٠
٥	إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ	٦٣٦
٦	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ	٤٣
٧	افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة	٦٢٢
٨	أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب..	٦٤٠
٩	أكل كل ذي ناب من السباع حرام	٥٦٧
١٠	أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ...	٤٢٧
١١	إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ...	٣٢٢
١٢	إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي ...	٣٩٦
١٣	إن في الجمعة ساعة، لا يوافقها أحد يسأل الله ﷻ فيها شيئاً....	١٢٦
١٤	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	٤٣٠
١٥	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون	٣٣٠
١٦	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني	٣٢٩
١٧	إني لأرجو ألا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة:....	٦٣٨
١٨	أين الله؟ قالت: في السماء	١٧٩
١٩	بدأ الله تعالى بخلق السماوات يوم الأحد فالأحد والاثنان....	١٤٤
٢٠	بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	١٨٥
٢١	تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	٤٧٦



م	طرف الحديث	الصفحة
٢٢	تعيش قرناً	١٦١
٢٣	ثم يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها ورفع ليتها	٣٤٥
٢٤	الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	١١٣، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٥
٢٥	الحمد لله الذي يُطعم ولا يُطعم من علينا فهدانا وأطعمنا....	١٧٤
٢٦	حين خاطبت ركبها فقالت: (إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث)	٥٧٤
٢٧	خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد،....	١٣٠
٢٨	خلق الله أول الأيام الأحد، وخلقت الأرض في يوم الأحد....	١٢٩
٢٩	خير الصدقة ما كان عن ظهر غني	٥٤٧
٣٠	خير الناس قرني - يعني أصحابي - ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	١٥٧
٣١	ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر	٤٧٨
٣٢	ذلك الواد الخفي	٥٩٦
٣٣	رأيت ربي ﷻ	٤٣٧
٣٤	رأيته بفؤادي مرتين ثم قرأ ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾	٤٣٧
٣٥	سموا عليه أتمم وكلوا. قالت: وكانوا حديثي عهد بالكفر	٤٨١
٣٦	فَأَلْتَقْتُ إِذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُتَبَسِّمًا	٥٨٧
٣٧	فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وما سقي بالنضح...	٥٤٢
٣٨	كذبت يهود لو أراد الله خلقه لم تستطع رده	٥٩٧
٣٩	كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنه عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف	٦٢٧
٤٠	كل مولود يولد على الفطرة	٣٥٩
٤١	كلوا واشربوا وألبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة	٥٤٩
٤٢	كيف أنعم؟ وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته،....	٣٤٧
٤٣	كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال: قلت: الله أكبر...	٦٣٦
٤٤	لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة: الشعير، والحنطة،...	٥٣٥



م	طرف الحديث	الصفحة
٤٥	لا تتبع ما ليس عندك	٦٤٣
٤٦	لا عليكم ألا تفعلوا، فإنما هو القدر	٥٩٦
٤٧	لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة	٥٩٧
٤٨	لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم ...	٤٠٠
٤٩	لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء	٢٥٠، ١١٠، ٢٦٠
٥٠	لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها	٣٢٩
٥١	لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه	٤٨٠
٥٢	لم أره بعيني ورأيت به بؤادي مرتين، ثم تلا ﴿ثم دنا فتدلى﴾	٤٣٧
٥٣	لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب على نفسه	٤٩
٥٤	اللهم ارفع درجته	٦٢
٥٥	اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث	٤٩٨
٥٦	ليس ذلك ! إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه	٣٦٧
٥٧	ليس في الخضروات صدقة	٥٣٨
٥٨	ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة	٥٤٥
٥٩	ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة	٥٤١
٦٠	ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه	٤٨
٦١	ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكلوه	٤٨٠
٦٢	ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله	٢٧٤
٦٣	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن	٤٥٠
٦٤	المسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمي حين يذبح، فليذكر	٤٧٦
٦٥	المعتدي في الصدقة كما نعها	٥٤٨
٦٦	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام ..	٣٠٩، ٥٠
٦٧	من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة ...	٦٢٧



م	طرف الحديث	الصفحة
٦٨	من ذبح فنسي أن يسمي فليذكر اسم الله عليه وليأكل ولا يدعه...	٤٧٦
٦٩	من ذبح قبل أن يصلي فليذبح أخرى مكانها ومن لم يذبح...	٤٨٠
٧٠	الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب	١٤٢
٧١	نور أنى أراه	٤٣٦
٧٢	هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة	٦٢٣
٧٣	هو قرن ينفخ فيه	٣٤٧
٧٤	وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء	٥٩٦
٧٥	واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا	٤٣٦
٧٦	والناس بنو آدم وآدم من تراب	١٤٢
٧٧	وأما حسنة بعشر؛ فمن عمل حسنة فله عشر أمثالها، وأما حسنة...	١٢٢، ٦٢٦
٧٨	وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض...	١٧٩
٧٩	وللحجر لم يركب على الحجر، وللعود لم يخدم العود	٢٤٨
٨٠	ونسي آدم فنسيت ذريته	٣٢٩
٨١	يا أبا ذر: هل تدري فيم تنطحان؟ قال لا. قال: لكن الله يدري....	٢٤٧
٨٢	يا أبا ذر، هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟	٤٥١
٨٣	يا غلام - أو يا بني - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن....	٧٧
٨٤	يا معاذ: هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟	٢٧٤
٨٥	يكون في آخر هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف	٣١٧
٨٦	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة....	٣٥٢
٨٧	يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها	٣٢٢



فهرس الآثار

م	طرف الأثر	الصفحة
١	أبهمت عقول البهائم عن كل شيء: إلا عن أربعة ... (أبي الدرداء)	٢٣٥
٢	أتعجبون أن الخلة تكون لإبراهيم، والكلام لموسى .. (ابن عباس)	٤٣٤، ٤٥٩، ٤٦٠
٣	أتعرف محمدا ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر.. (عمر بن الخطاب)	١٨٩
٤	الأجل الأول هو في وقت أخذ الميثاق على بني آدم حين أستخرجهم من ظهر آدم ﷺ (ابن عباس)	١٤٩
٥	الأجل العام أي أجل الدنيا ونهايتها ثم أجل مسمى عنده وهو البعث (ابن عباس)	١٤٦
٦	أجلًا في الموت، وأجلٌ مسمى عنده: أجل القيامة (الضحاك)	١٤٥
٧	أخذ رسول الله ﷺ بيدي (أبي هريرة ﷺ)	١٣٠
٨	إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء: يعني مشركي قريش (ابن عباس)	٣٨٥
٩	إذ قالوا ما أنزل الله: نزلت في مالك بن الصيف ... (سعيد بن جبير)	٣٨٧
١٠	استمتع استمتع بعضنا ببعض: الإنس بالجن إذا سافروا فنزلوا وادياً، وأرادوا مبيتاً (ابن جريج، ومقاتل)	٥٠٢
١١	استمتع بعضنا ببعض: استمتع الجن بالإنس طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة (ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة)	٥٠١
١٢	الأشد: بلوغ ثماني عشرة سنة	٦٠٧
١٣	الأشد: بلوغه الحلم (ابن زيد، ومجاهد، وقتادة)	٦٠٤
١٤	الأشد: بلوغه ثلاث وثلاثين سنة (ابن عباس، ومجاهد وقتادة)	٦٠٦
١٥	الأشد بلوغ ثلاثين سنة. (السدّي)	٦٠٧
١٦	الأشد: بلوغ أربعين سنة، (الحسن)	٦٠٧
١٧	الأشد: بلوغ الحلم. (ابن زيد، ومجاهد، والشعبي)	٦٠٦



م	طرف الأثر	الصفحة
١٨	إلا بالتي هي أحسن: كل ما فيه صلاح وتشمير لمال اليتيم (السدي)	٦٠١
١٩	إلا بالتي هي أحسن: بالتجارة فيه، ولا تشتري منه ولا تستقرض (مجاهد)	٦٠١، ٦٣٣
٢٠	إلا بالتي هي أحسن: يبتغي له فيه، ولا يأخذ من ربحه شيئاً (الضحاك)	٦٠٢
٢١	إلا من شاء الله: الاستثناء لأهل الإيمان (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥٠٥
٢٢	إلى ربهم يحشرون: حشر الدواب والطيور موتها (ابن عباس والضحاك)	١١٠
٢٣	إلياس هو إدريس (عبدالله بن مسعود)	٣٧٨
٢٤	أمم أمثالكم: أي أمثال لنا في الخلق والرزق، والموت والبعث (السدي)	٢٣٢
٢٥	أن آزر ليس اسماً لأبيه، وإنما هو اسم لصنم	٣٥٤
٢٦	إن الله <small>عز وجل</small> ابتداء الخلق، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين (عبدالله بن سلام).	١٢٦
٢٧	إن الله <small>عز وجل</small> قسم رؤيته وكلامه بين محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small> وموسى فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٤٣٤
٢٨	إلى ربهم يحشرون: حشرها موتها دفعة واحدة عند هول القيامة، وأنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن (ابن عباس)	٢٤٧
٢٩	ولا تأكلوا مما لم يذكر: هي ذبائح كانت تذبحها العرب لآلهتها على النصب	٤٧٢
٣٠	يهديهم ربهم: يهديهم الله، إلى الإيمان به وبرسوله <small>صلى الله عليه وسلم</small> ، وهذا في الدنيا	٢٣٠
٣١	أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم، كأنها متن إهالة (كعب الأحبار)	٢١٠
٣٢	أن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> أعطاه ديناراً يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، وجاءه بدينار وشاة.. (عروة البارقي)	٦٤٢
٣٣	أن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> كان إذا افتتح الصلاة كبر، ثم يقول: "إن صلاتي ونسكي"	٦٣٦
٣٤	أن أهل الجاهلية كانوا يجرمون أشياء ويستحلون أشياء (طاووس)	٥٦٣



م	طرف الأثر	الصفحة
٣٥	أن تُبسل نفس بما كسبت: أي ترتعن وتسلم للهلكة (مجاهد، وقتادة، والحسن، وعكرمة، والسدي).	٣٣٦
٣٦	أن تبسل: أن تُحبس، وتؤخذ بما كسبت (قتادة، وابن زيد)	٣٤٠
٣٧	أن تبسل: أن تُفصح (ابن عباس)	٣٤٠
٣٨	أن رسل الجن، رسل رسل الله من بني آدم، .. (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥١٤
٣٩	أن رسول الله <small>ﷺ</small> كان إذا قام يصلي تطوعاً قال: (الله أكبر، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً (محمد بن مسلمة)	٦٣٧
٤٠	أن رسول الله <small>ﷺ</small> : رأى شاتين تنتطحان (أبي ذر <small>رضي الله عنه</small>)	٢٤٧
٤١	أن قول إبراهيم <small>عليه السلام</small> كان في مقام النظر وقبل قيام الحجة	٣٦١
٤٢	إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا؟ (عائشة <small>رضي الله عنها</small>)	٤٨١
٤٣	أن لكل صنف ونوع منها أسماء وأوصاف تتميز بها عن الأخرى فهي مخلوقات بحيث يشبه بعضها بعضاً،	٢٣٥
٤٤	إن الله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقته خرجت روحه من جسده	٣٠٠
٤٥	أن هذا من قوله، سبحانه وتعالى، ليفصل القضاء بينهم	٣٦٥
٤٦	إلا بالتي هي أحسن: أن يأكل بالمعروف إن افتقر، وإن استغنى ...	٦٠٣
٤٧	الأنعام: المراد الإبل خاصة	٥٥٤
٤٨	الأنعام: كل ما أحله الله عز وجل من الحيوان	٥٥٢
٤٩	أنه خطاب للولادة الذين يأخذون من رب المال	٥٥٠
٥٠	أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً	٦٣٩
٥١	أو من كان ميتاً فأحييناه: نزلت في حمزة بن عبدالمطلب <small>رضي الله عنه</small> (ابن عباس)	٤٨٤
٥٢	أو من كان ميتاً فأحييناه: أنها نزلت في عمار بن ياسر (عكرمة)	٤٨٤



م	طرف الأثر	الصفحة
٥٣	أو من كان ميتاً فأحييناه : أنها نزلت في عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>) .	٤٨٤
٥٤	بلغني عن أبي هريرة أنه قال ان الله <small>سبحانك</small> يعطي عبده المؤمن	٦٢٩
٥٥	تماماً على المحسن المؤمن	٦١٦
٥٦	تماماً على ما أحسن موسى <small>عليه السلام</small> من طاعة ربه، وإتباع أمره	٦١٧
٥٧	يتوفاكم : التوفي يكون بقبض نفوسكم التي بها تميزون (ابن عباس وعكرمة)	٣٠٧
٥٨	جاء قوم من المسلمين إلى النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> فقالوا: إنا قد أصبنا من الذنوب فاستغفر لنا، فأعرض عنهم، فنزلت الآية	٢٦٤
٥٩	حسابنا : أي بحساب (ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي)	٤٠٦
٦٠	حسابنا: ضياء (قتادة)	٤٠٩
٦١	حضرت رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> في أناس وهو يقول لقد هممت أن أنهي عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس	٥٩٨
٦٢	الحمولة : الإبل والفرش الغنم . (الحسن)	٥٥٥
٦٣	الحمولة : كل ما أطاق الحمل والعمل، والفرش: الغنم ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small> ، وابن عباس، وقتادة ، والسدي ، وأبي العالية)	٥٥٨
٦٤	الحمولة : كل ما حمل من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، والفرش: الغنم . (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥٥٥
٦٥	الحمولة: كبار الإبل ومسنتها التي يحمل عليها، والفرش: صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها	٥٥٧
٦٦	الحمولة: ما يركب، والفرش ما يؤكل لحمه ويحلب (ابن زيد)	٥٥٦
٦٧	خاصمهم المشركون، فقالوا ما ذبح الله فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٤٦٩
٦٨	خط رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> خطأ وخط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطأ، ثم قال: هذا صراط ربك مستقيماً (عبدالله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>) .	٦١٣



م	طرف الأثر	الصفحة
٦٩	خلقكم من طين: خلق آدم ﷺ (الحسن، وقتادة، وابن أبي نجيح، والسدي، والضحاك، وابن زيد)	١٤١
٧٠	الذي قاله أحد اليهود، قال: لم ينزل الله كتاباً من السماء	٣٨٥
٧١	الذين آتيناهم: اليهود والنصارى (مجاهد وقتادة والسدي والضحاك)	١٠١، ٦٥٢
٧٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا: قول قوم إبراهيم، (ابن جريج)	٣٦٤
٧٣	الذين آمنوا ولم يلبسوا: هو من قول إبراهيم،... (ابن عباس ﷺ)	٣٦٤
٧٤	الذين آتيناهم الكتاب هم رؤساء أصحاب محمد ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ	٤٥٩
٧٥	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي: شرك	٣٦٤
٧٦	رأى ربه بفؤاده مرتين (ابن عباس)	٤٣٨
٧٧	رأى محمد ربه بقلبه مرتين (ابن عباس)	٤٣٦
٧٨	الرجز: هو العذاب	١٢١
٧٩	الرجس: هو ما لا خير فيه (مجاهد)	٥٢١، ١٢١
٨٠	الرجس: هو الشيطان أي يسلطه عليهم (ابن عباس ﷺ)	٤٩٥، ١٣٥
٨١	الرجس: هو العذاب (ابن زيد)	٤٩٥، ١٣٥
٨٢	رسل الجن هم الذين بلغوا قومهم ما سمعوه من الوحي (ابن عباس)	١١٥
٨٣	رسل منكم: أرسل الله رسلاً من الجن كما أرسل من الإنس (الضحاك، ومقاتل)	٥٣٩، ١١٦
٨٤	رسل منكم: الرسل من الإنس، والنذر من الجن. (مجاهد)	١١٦، ٥٤٠، ٥٣٩
٨٥	سئل رسول الله ﷺ: في كم خلقت السماوات والأرض؟ (ابن عباس)	١٢٩
٨٦	السبل: البدع، والشبهات	٦١٤
٨٧	السبل: الضلالات	٦١٤
٨٨	السبل: سائر أهل الملل وأهل البدع	٦١٢



م	طرف الأثر	الصفحة
٨٩	الظلمات والنور: سواد الليل وضياء النهار	١٣٥
٩٠	الظلمات والنور: الكفر والإيمان (الحسن)	١٣٥
٩١	عندنا كتاب معاذ عن النبي ﷺ أنه إنما أخذ الصدقة من الخنطة والشعير، والزبيب، والتمر (موسى بن طلحة)	٥٤٠
٩٢	غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك فلما جاء وادي القرى إذا امرأة في حديقة لها (أبي حميد الساعدي)	٥٤٥
٩٣	فأحييناه: نزلت في عمر ﷺ (كمن مثله في الظلمات) أبو جهل لعنه الله (ابن عباس ﷺ والضحاك، وزيد بن أسلم)	٤٨٢
٩٤	فالق: خالق (ابن عباس ﷺ، والضحاك)	٤٠٢
٩٥	فأما القشاء، والبطيخ، والرمان، والقضب، والخضر، فغفو عفا عنه رسول الله ﷺ (معاذ ﷺ)	٥٣٨
٩٦	فتنتهم: أي ثم لم يكن قولهم	١٩٢
٩٧	فجعل سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت	٣٠٤
٩٨	الفلق: الشق الذي في الحب والنوى (مجاهد)	٤٠٢
٩٩	الفلق: الشق الذي في الحب وفي النوى (مجاهد)	٤٢٢، ١٢٠
١٠٠	الفلق: الشق؛ أي يشق النواة الميتة، فيخرج منها ورقاً أخضر- (الحسن وقتادة)	٥٧
١٠١	قضى أجل الدنيا من خلقك إلى أن تموت، "وأجل مسمى عنده" يعني الآخرة (الحسن)	١٤٥
١٠٢	قضى أجلاً: هو النوم تقبض الأرواح ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة	١٤٨
١٠٣	قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟	٤٣٧
١٠٤	القول بنسخها بآية النساء المدنية	٣٣٤
١٠٥	قوماً ليسوا بها بكافرين: هم الملائكة (أبو رجاء)	٣٨٠



م	طرف الأثر	الصفحة
١٠٦	قوماً ليسوا بها بكافرين : يعني النبيين الذين قص الله ﷺ (قتادة)	٣٨٠
١٠٧	قوماً ليسوا بها بكافرين: أنهم الأنصار (ابن عباس ، والضحاك ، والسدي ، وابن جريج)	٣٨١
١٠٨	كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة بالليل قال: (سبحانك اللهم وبحمدك، (أبي سعيد الخدري)	٦٣٦
١٠٩	كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاته (أبي هريرة)	٦٤٠
١١٠	كانت لنا جواري وكنا نعزل عنهن فقال اليهود: أن تلك الموءودة الصغرى (جابر بن عبدالله)	٥٩٧
١١١	الكتاب : اللوح المحفوظ	٢٣٨
١١٢	كراهة أكلها	٥٧١
١١٣	كل ما ذُبح ولم يُذكر اسم الله عليه	٤٧٣
١١٤	كلمات ربك: الكلمات هي القرآن لا مبدل له، (قتادة) .	٤٦٢
١١٥	كلمات ربك: مواعيد ربك، فلا مغير لها (ابن عباس)	٤٦٢
١١٦	كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر (جرير بن عبدالله)	٤٢٧
١١٧	كنا محاصرين قصر- خيبر، فرمى إنسان بجراب فيه شحم، فنزوت لآخذه، فالتفت (عبدالله بن مغفل)	٥٨٦
١١٨	كنا نعزل على عهد النبي ﷺ والقرآن ينزل (جابر بن عبدالله)	٥٩٦
١١٩	كنت متكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن (مسروق)	٤٣٣
١٢٠	لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً (مالك بن أنس)	٦٨
١٢١	لا بأس به، إنما حرم الله المسفوح	٥٧٩



م	طرف الأثر	الصفحة
١٢٢	لا تدركه الأبصار في الدنيا. ويراه المؤمنون في الآخرة (ابن عباس والسدي)	١٠٤، ٤٤٦، ٤٤٥
١٢٣	لا تدركه الأبصار: لا تحيط به، وهو يحيط بها (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٤٢٤
١٢٤	لا يجل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب (مجاهد)	٦٨
١٢٥	لا يعلم حلالاً من حرام ومن جهالته ركب الأمر	٢٧٨
١٢٦	لا يكذبونك بقلوبهم، ولكن يكذبون ما جئت به فيما تحكيه عن الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	٢١٩
١٢٧	لم يره رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> بعينه إنما رآه بقلبه (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٤٣٨
١٢٨	لما نزلت الآية التي في المؤمنين (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) دعاه النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> فأملاها عليه	٣٩٢
١٢٩	لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> (ابن مسعود)	٣٨٦، ٤٧
١٣٠	لو كان أبو قبيس ذهباً لرجل، فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً (مجاهد)	٥٤٨
١٣١	ما تسقط من ورقة. أي: من ورقة شجر (ابن عباس)	٢٩٨
١٣٢	ما تقولون في (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لمن هي؟ قلنا للمسلمين. قال: لا والله وما هي إلا للإعراب (المحرر بن أبي هريرة)	٦٢٨
١٣٣	ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أتم فكلوه	٥٤
١٣٤	ما سكن: ما استقر وهدأ من السكون ضد الحركة (السدي)	١٦٨
١٣٥	ما من زرع على الأرض، ولا ثمار على الأشجار، ولا حبة في ظلمات الأرض، إلا عليها مكتوب (ابن عمر)	٣٠٣
١٣٦	المراد بأن تبسل: أن تجزى (الكلبي)	٣٣٩
١٣٧	المستقر الأرض، والمستودع القبر	٤١٢
١٣٨	مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها (ابن عباس)	٥٤
١٣٩	المستقر ما في الرحم والمستودع القبر حتى يبعثهم الله ليوم القيامة	٤١٣



م	طرف الأثر	الصفحة
١٤٠	المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب	٤١٢
١٤١	المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب (ابن عباس، والنخعي)	٤١١
١٤٢	المستقر من خلق، والمستودع من لم يخلق	٤١١
١٤٣	المستقر من خلق، والمستودع من لم يخلق (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٤١٣
١٤٤	مستقرها في الدنيا، ومستودعها في الآخرة (ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>)	٤١٣
١٤٥	معروشات: ما انبسط على الأرض مما يفرش مثل الكروم والزروع والبطيخ (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥٣٠
١٤٦	معروشات: ما أُنبت ورفعه الناس، وغير المعروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥٣٢
١٤٧	معروشات: ما انبسط على الأرض مما يفرش مثل الكروم والزروع والبطيخ، وغير معروشات: ما قام على ساق (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٥٣٢
١٤٨	مفاتيح الغيب: خزائن الرزق	٢٩٣
١٤٩	مفاتيح الغيب: خزائن الرزق (السدي والحسن)	٣٠٩، ٥٠
١٥٠	من زعم أن محمداً <small>صلى الله عليه وسلم</small> رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست (عائشة)	٤٣٣
١٥١	من فوقكم: الرجم بالحجارة والطوفان والصيحة والريح، كما فعل بعاد، وثمود، (عن مجاهد، وابن جبير)	١٣١، ٥٧
١٥٢	من فوقكم: الرجم بالحجارة، والطوفان، والصيحة، والريح، كما فعل بعاد وثمود، وقوم شعيب، وقوم لوط، وقوم نوح	٣١٥
١٥٣	من فوقكم: يعني الأمراء الظلمة (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	١٣١، ٣١٥
١٥٤	من ورقة: الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم (محمد بن جحادة)	٣٠٠
١٥٥	من يعمل المعصية والخطيئة بعلم وقصد (مجاهد والضحاك)	٢٧٩



م	طرف الأثر	الصفحة
١٥٦	من يعمل المعصية والخطيئة من غير علم ولا قصد فيسمى جاهل (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small> ، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وأبي العالية، وابن زيد)	٢٧٨
١٥٧	نحرنا فرساً على عهد رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> فأكلناه (أسماء بنت أبي بكر)	٥٧١
١٥٨	نزلت في عمر بن الخطاب عندما جاء يعتذر من مقالته ويستغفر منها	٢٦٦
١٥٩	نزلت هذه الآية في الأعراب	٦٢٨
١٦٠	النسك: الذبح لله تعالى في الحج والعمرة (مجاهد، والضحاك، وسعيد بن جبير)	٦٣٢
١٦١	نسكي: ديني (الحسن)	٦٣٢
١٦٢	نعم غزونا مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> غزوة بالمصطلق.. (أبي سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>)	٥٩٧
١٦٣	نهى النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل (جابر بن عبد الله <small>رضي الله عنه</small>).	٥٧٠
١٦٤	نهى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير (خالد بن الوليد)	٥٧٢
١٦٥	نولي بعض الظالمين: نتبع بعضهم بعضاً في النار (قتادة)	٥١٠
١٦٦	نولي بعض الظالمين: نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر (قتادة من رواية أخرى)	٥٠٩
١٦٧	نولي بعض الظالمين: نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس (ابن زيد، ومالك بن دينار)	٥٠٩
١٦٨	ولا تتبعوا السبل: هم أصحاب البدع والشهوات (مجاهد)	٦٢٣
١٦٩	وإذا جاءك الذين يؤمنون.. نزلت الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي <small>رضي الله عنهم</small> (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>)	٢٦٤
١٧٠	وإذا جاءك الذين يؤمنون.. نزلت في الذين نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام عن طردهم، فكان إذا رآهم بدأهم بالسلام (عكرمة)	٢٦٤، ١٢٦، ٢٨٥
١٧١	وإذا جاءك الذين يؤمنون نزلت في غير الذين نهى الله نبيه <small>صلى الله عليه وسلم</small> عن طردهم، وهم قوم (ماهان الحنفي)	٢٦٥



م	طرف الأثر	الصفحة
١٧٢	والموتى يبعثهم الله: هم الكفار (الحسن ومجاهد)	٢٣٩، ١١٦
١٧٣	والياس كل من الصالحين: اليسع هو صاحب إلياس، ... (وهب)	٣٧٧
١٧٤	وأنعام حرمت ظهورها: البحيرة والسائبة والحام (السدي)	٥٢٥
١٧٥	وأنعام حرمت ظهورها: البحيرة والوصيلة والحام (مجاهد)	٥٢٥
١٧٦	وأنعام حرمت ظهورها: المراد بها الحامي (ابن عباس ومقاتل)	٥٢٥
١٧٧	وأنعام حرمت ظهورها: المراد بها السائبة والوصيلة (قتادة)	٥٢٦
١٧٨	وأنعام حرمت ظهورها: المراد بها السائبة والوصيلة والحام الحسن ومجاهد	٥٢٦
١٧٩	وإنه لفسق: أي لمعصية (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small>) .	٥٤
١٨٠	وتلك حجتنا: جميع الحجج التي حاج بها إبراهيم <small>عليه السلام</small> قومه (الربيع بن أنس)	٣٦٩
١٨١	وجعلنا له نوراً: أنه القرآن (ابن عباس <small>رضي الله عنه</small> ، وقتادة)	٤٨٧
١٨٢	وجعلنا له نوراً: عبارة عن الهدى والإيمان (مجاهد)	٤٨٦
١٨٣	وجعلوا لله شركاء الجن: هم الذين قالوا الملائكة بنات الله (قتادة والسدب)	٤١٥
١٨٤	وجعلوا لله شركاء الجن: نزلت في الزنادقة (الكلبي)	٤١٨
١٨٥	وجعلوا لله شركاء الجن: نزلت في مشركي العرب. ومعنى إشراكهم بالجن: <small>عَنْكَ</small> (قتادة والسدي)	٤١٥
١٨٦	وذو الذين اتخذوا دينهم: أن الآية محكمة وليست منسوخة (مجاهد)	٣٤٣
١٨٧	وذو الذين اتخذوا: منسوخ نسخة <small>﴿</small> فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم <small>﴾</small> (قتادة)	٣٤٢
١٨٨	وقفوا على النار: جمعوا على أبوابها (الضحاك)	٢١٠
١٨٩	وقفوا على النار: وقوفهم على الصراط والنار تحتهم (مقاتل)	٢١١
١٩٠	ولا يبيع ما لم يملك (عتاب بن أسيد)	٦٤٣



م	طرف الأثر	الصفحة
١٩١	ولا تسرفوا... نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وجد نخلا (ابن جريج)	٥٤٩
١٩٢	ولا تسرفوا: الإسراف الذي نهى عنه هو منع الصدقة (سعيد بن المسيب)	٥٤٩
١٩٣	ولا تسرفوا: الإسراف يدخل في كل شيء (عطاء)	٥٥٠
١٩٤	ومحرم على أزواجنا: أي بناتنا؛ (ابن زيد)	٥٢٨
١٩٥	ومحرم على أزواجنا: هن النساء (مجاهد، وقتادة)	٥٢٨
١٩٦	ومن قال سأنزل: نزلت في النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن	٤٠٩، ٣٩٢
١٩٧	ومن قال سأنزل: نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح أسلم للنبي ﷺ (السدي، ومقاتل، ورواه الكلبي عن ابن عباس)	٣٩١
١٩٨	ويرسل عليكم حفظة: الملائكة التي تحفظ عمل العبد، وتحفظه من الآفات (السدي، وقتادة)	٣١٠
١٩٩	يا ابن عباس سمعت الله يقول (والله ربنا ما كنا مشركين)	٢٠٣
٢٠٠	يا رسول الله واسوءتاه؟ إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوءة بعض (عائشة)	٤٠٠
٢٠١	يخافون أن يحشروا: المراد المؤمنون (الحسن، والسدي، والفضيل بن عياض)	٢٧١، ٩٢
٢٠٢	يدعون ربهم: المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة (ابن عباس، ومجاهد وقادة، والحسن، والضحاك)	٢٦٠
٢٠٣	يدعون ربهم: يذكرون ربهم طرفي النهار	٢٦١
٢٠٤	يدعون ربهم: يعبدون ربهم بالغداة والعشي، يعني بالصلوات الخمس المكتوبة عليهم (ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والضحاك)	٢٦١
٢٠٥	يريد، يعرفونني، ويوحدونني، ويسبحونني، ويمجدونني.. (ابن عباس)	٢٣٥
٢٠٦	يصدفون: أي يعرضون (ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي)	٧١



م	طرف الأثر	الصفحة
٢٠٧	يعرفونه: أي النبي ﷺ (الحسن، وقتادة)	١٨٧
٢٠٨	ينهون عنه: أي: ينهون عن إتباع محمد ﷺ (ابن عباس، والحسن)	٢٠٥
٢٠٩	ينهون عنه: أي عن القرآن والاستماع إليه والإيمان به (قتادة، ومجاهد)	٢٠٦
٢١٠	يوحي بعضهم إلى بعض: مع كل جني شيطان، ومع كل إنسي شيطان، فيلقى أحدهما الآخر (ابن عباس)	٤٥٠
٢١١	يوم ينفخ في الصور: يعني النفخة الأولى (ابن عباس ﷺ)	٣٤٧



فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العالـم	م
٥٨	إبراهيم بن السري الزجاج	١
٢٣	إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون	٢
١٥٩	إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي	٣
٢٤٢	إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي	٤
٥٢	أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري	٥
٣٦	أحمد بن عبدالحليم بن تيمية	٦
٢٧٤	أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ابن حجر)	٧
١٦٩	أحمد بن فارس بن زكريا محمد القزويني	٨
٥٨	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق النيسابوري	٩
٢٧٦	أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي	١٠
٣٤	أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر المصري النحوي (النحاس)	١١
٤٣٥	أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	١٢
٤٣٥	أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى (أبو عمر)	١٣
٥٥٢	أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني	١٤
١٦٥	أحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي السمين	١٥
٤٧٥	إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الخنظلي المروزي	١٦
٥٧١	أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عثمان	١٧
٦٥	إسماعيل بن حماد، أبو النصر الفارابي الجوهري	١٨
٥٠	إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي	١٩
٣٥	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصري الدمشقي	٢٠
٢٦٤	أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي	٢١
٥٤٨	ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي	٢٢



الصفحة	اسم العالِم	م
٣٢٢	ثوبان بن بجدد أبو عبدالله الهاشمي	٢٣
٣٣٥	جابر بن سعيد الأزدي (جوير)	٢٤
٥٧٠	جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري	٢٥
٥٩٨	جدامة بنت جندل الأسدية	٢٦
٤٢٧	جرير بن عبدالله البجلي اليماني	٢٧
٢٩٨	جعفر بن محمد الصادق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي	٢٨
١٣٩	جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي	٢٩
٤٨٠	جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي	٣٠
٣١٣	حافظ بن أحمد الحَكَمي	٣١
٥١	الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	٣٢
١٩٤	الحسن بن أحمد بن عبدالغفار، أبو علي الفارسي	٣٣
١٣٨	حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري	٣٤
١٧٣	حسين بن أبي العز بن رشيد الهمداني	٣٥
١٩٤	الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله النحوي	٣٦
١٣٥	الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني)	٣٧
١٣٨	الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي	٣٨
١٩٢	حفص بن سليمان الأسدي	٣٩
٥٧١	الحكم بن عتبة، أبو محمد الكندي الكوفي	٤٠
١٠٦	حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات	٤١
٤٨٢	حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم	٤٢
٥٧٢	خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي	٤٣
١١٠	خريم بن فاتك بن الأخرم	٤٤
٥٥	الربيع بن أنس بن زياد البكري	٤٥
٥٥	رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية	٤٦



م	اسم العالِم	الصفحة
٤٧	زبان بن العلاء بن عمار، أبو عمرو	٦٢
٤٨	زيد بن أسلم العدوي	٣٢١
٤٩	زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري	٥٢
٥٠	سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري	٣٤٧
٥١	سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي	٥٦
٥٢	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي	٥٥
٥٣	سعيد بن مسعدة المجاشعي الأخفش	٧٥
٥٤	سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش)	٦٣
٥٥	سهل بن عبدالرحمن الكندي الرازي	٣٤٨
٥٦	شعبة بن عياش بن سالم الحنات الأسدي	٦٤
٥٧	الشنفرى الأسدي من بني الأواس، ابن الحجر ابن الغوث	٣٣٩
٥٨	الصلت السدوسي مولى سويد بن منجوف	٤٧٨
٥٩	صهيب بن سنان أبو يحيى الرومي	٤٥٩
٦٠	الضحاك بن مزاحم الهلالي	٥١
٦١	طاهر بن محمد، أبو المظفر الأسفراييني	٣٢٩
٦٢	عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي	٦٤
٦٣	عامر بن شراحيل الشعبي	٥٦
٦٤	العباس بن عبدالمطلب بن هاشم أبو طالب	١٧٩
٦٥	عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني	٢٠٠
٦٦	عبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية الغرناطي	٢٦
٦٧	عبدالرحمن الجزري أبو عون (خصيف)	١٤٥
٦٨	عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان بن سابق الخضيرى السيوطي	٣٣
٦٩	عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي	٤٧٥
٧٠	عبدالرحمن بن صخر الدوسي (أبو هريرة)	٤٩



م	اسم العالِم	الصفحة
٧١	عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد الخثعمي السهيلي	١٣٤
٧٢	عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ابن الجوزي)	١٤٦
٧٣	عبدالرحمن بن محمد بن عبيد الله (ابن الأباري)	١٥٢
٧٤	عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي	١٢٨
٧٥	عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري	١٣١
٧٦	عبدالرحمن بن ناصر السعدي النجدي	١٢٩
٧٧	عبدالرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي	١٣٣
٧٨	عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي	٢١٣
٧٩	عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري	٥٨
٨٠	عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي	١٢٨
٨١	عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمي	٤٣٤
٨٢	عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين العكبري	١٤٢
٨٣	عبدالله بن بسر المازني	١٦١
٨٤	عبدالله بن سعد بن أبي سرح	٣٩٠
٨٥	عبدالله بن سلام بن الحارث	١٢٦
٨٦	عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي	١٩٢
٨٧	عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب	٥٢
٨٨	عبدالله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير البيضاوي	١٢٨
٨٩	عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب أبو جابر الأنصاري	١٨٥
٩٠	عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة القرشي المخزومي	٤٧٩
٩١	عبدالله بن محمد بن أبي شيبه بن إبراهيم بن عثمان الواسطي	١٣٢
٩٢	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	١٤٦
٩٣	عبدالله بن وهب بن مسلم أبو محمد الفهري	١٤٩
٩٤	عبدالله بن يزيد بن زيد بن حصين الأنصاري الحطمي	٤٧٣



م	اسم العالِم	الصفحة
٩٥	عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج المكي	١٨٧
٩٦	عبدالواحد بن واصل أبو عبيدة السدوسي	٩٥
٩٧	عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري العدوي	٥٥
٩٨	عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد، أبو الفرج البغدادي	٦٣١
٩٩	عبدالرحمن بن ملّ، أبو عثمان النهدي	٦٢٩
١٠٠	عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي	٥٣
١٠١	عبدالله بن قيس بن سليم بن صفار الأشعري	٥٢
١٠٢	عبدالله بن كثير بن المطلب الكناني	٦١
١٠٣	عبدالله بن محيريز الجمحي المكي	٥٩٧
١٠٤	عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي	٤٧
١٠٥	عبدالله بن مغفل بن عبد تهمّ المزني	٥٨٦
١٠٦	عبدالله بن نافع الصائغ	٥٨٦
١٠٧	عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي	٦٤٣
١٠٨	عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع	٧١
١٠٩	عروة بن الجعد البارق	٦٤١
١١٠	عطاء بن أبي رباح القرشي	٥٦
١١١	عطاء بن دينار الهذلي	٢٠٨
١١٢	عطية بن الحارث الهمداني (أبو روق)	٢١٧
١١٣	عكرمة مولى ابن عباس	٥٥
١١٤	علي بن إبراهيم بن سلمه بن بحر القزويني	١١٨
١١٥	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي	٤٤١
١١٦	علي بن الحسين بن علي الضرير الأصفهاني (الباقولي)	١٦٣
١١٧	علي بن حمزة بن عبدالله بن قيس بن فيروز الكوفي الكسائي	١٥٥
١١٨	علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي الدارقطني	٥٧٥



م	اسم العالِم	الصفحة
١١٩	علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي (الخان)	٢٧٣
١٢٠	علي بن محمد بن علي الطبري (الكيا الهراسي)	٤٧٢
١٢١	عمر بن عبدالله أبي ربيعة القرشي المخزومي	٣٦١
١٢٢	عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي النعماني	١٣٩
١٢٣	عمران بن ملحان، أبو رجاء العطاردي	٣٨٠
١٢٤	عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي (سيبويه)	٦٩
١٢٥	عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم	١١٣
١٢٦	عوف بن الأحوص بن جعفر العامري	١٢٢
١٢٧	عوف بن مالك الأشجعي	٤٥١
١٢٨	عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو الدرداء	٢٣٥
١٢٩	عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي	٤٣٥
١٣٠	فارس بن أحمد بن موسى بن عمران، أبو الفتح الحمصي	٦١٩
١٣١	الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي	٢٥٧
١٣٢	القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي	٢٠٨
١٣٣	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي	٥٥
١٣٤	قيس بن عبدالله بن عدس بن جعدة (النابغة الجعدي)	٢٧٥
١٣٥	قيس بن عبدالله بن عمرو بن عدس، النابغة الجعدي	١٢٣
١٣٦	قيس بن مالك بن أبي قيس بن مالك أبو صرمة المازني الأنصاري	٥٩٧
١٣٧	لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري (أبو مجلز)	٥٧٨
١٣٨	مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبجي	٢٦
١٣٩	مالك بن دينار، أبو يحيى القرشي	٥١١
١٤٠	ماهان أبو سالم الحنفي الأعور	٢٦٥
١٤١	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي	٥٥
١٤٢	محرر بن أبي هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري الدوسي	٦٢٨



م	اسم العالِم	الصفحة
١٤٣	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ابن القيم)	١٧٩
١٤٤	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري	١٦٩
١٤٥	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	٣٥
١٤٦	محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن النحوي	٧٢
١٤٧	محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن بن جزي الكلبي	٢٦
١٤٨	محمد بن إدريس بن العباس الشافعي	١٧٨
١٤٩	محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطليبي	٣٥٠
١٥٠	محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب الهاشمي	٢٠٥
١٥١	محمد بن السائب الكلبي	٣٥١
١٥٢	محمد بن الطاهر بن عاشور	١٦٥
١٥٣	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري الباقلائي	١٠٥
١٥٤	محمد بن الفضل بن العباس البلخي	١٥٣
١٥٥	محمد بن المثنى أبو موسى العنزي	٥٩٦
١٥٦	محمد بن المستنير النحوي اللغوي البصري (قطرب)	٧٤
١٥٧	محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي	٨٨
١٥٨	محمد بن جحادة الأودي	٣٠٠
١٥٩	محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري	١٢٧
١٦٠	محمد بن زياد، أبو عبدالله الكوفي (ابن الأعرابي)	١٧٠
١٦١	محمد بن سيرين الأنصاري	٤٧٣
١٦٢	محمد بن صالح بن سليمان التيمي (ابن عثيمين)	٥٤٠
١٦٣	محمد بن عبدالرحمن بن محمد المخزومي (قنبل)	١٩٤
١٦٤	محمد بن عبدالعظيم الزرقاني	٥٢
١٦٥	محمد بن عبدالله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري	٢٤
١٦٦	محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي (ابن أبي زمنين)	١٣٨



م	اسم العالِم	الصفحة
١٦٧	محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي الجبائي البصري	٢٠٠
١٦٨	محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي الحنبلي	١٥٢
١٦٩	محمد بن عبد الله بن تومرت البربري	٢٧
١٧٠	محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني	٥٢٢
١٧١	محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأوسي البلسني	٢٠٨
١٧٢	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن الشوكاني	٣٥
١٧٣	محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري (الفخر الرازي)	١٢٨
١٧٤	محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي	١٣٧
١٧٥	محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي	١٨٣
١٧٦	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (أبو السعود)	١٢٨
١٧٧	محمد بن مسلمة بن هشام بن إسماعيل أبو هشام المخزومي	١٠٣
١٧٨	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد	٦٩
١٧٩	محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي	٣٥
١٨٠	محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني البغدادي	١٣٦
١٨١	محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني	١٣٢
١٨٢	محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي	١٥٨
١٨٣	محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى	١٦٣
١٨٤	محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي	١٢٩
١٨٥	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي	٣٦
١٨٦	مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمني	٤٣٩
١٨٧	مساعدة بن سليمان بن ناصر الطيار	٤٦
١٨٨	مسروق بن عبد الرحمن الهمداني	٤٣٣
١٨٩	مسلم بن يسار البصري	١٠٥
١٩٠	مسيلمة بن ثمامة بن كبير (مسيلمة الكذاب)	٣٩٣



م	اسم العالِم	الصفحة
١٩١	معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري	٣٥٤
١٩٢	معمربن المثنى أبو عبيدة التيمي البصري	١٥٨
١٩٣	المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي	٥٤٤
١٩٤	مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني	٥١
١٩٥	مكي بن أبي طالب القيسي حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني	٢٩
١٩٦	المنذر بن سعد بن المنذر، أبو حميد الساعدي	٥٤٥
١٩٧	منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد التيمي السمعاني	١٣٥
١٩٨	موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي	٥٣٩
١٩٩	موسى بن هارون بن عبد الله الحمال	٥٧٥
٢٠٠	ناجيه بن كعب الأسدي	٢١٩
٢٠١	نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم	٦١
٢٠٢	نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي	١٢٧
٢٠٣	النضر بن الحارث بن علقمة بن كندة القرشي	٣٩٠
٢٠٤	النعمان بن ثابت بن زوطا (أبو حنيفة)	٤٧٥
٢٠٥	هبة الله بن سلامة بن نصر، المقرئ البغدادي	٤٤١
٢٠٦	الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم	١١٣
٢٠٧	وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبناعي	١٣٤
٢٠٨	يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الفراء	٦٤
٢٠٩	يحيى بن سليمان بن فضلة المدني	٦٨
٢١٠	يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي	٢٤٩
٢١١	يحيى بن معين بن عون الغطفاني	١٣١
٢١٢	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي	٩٤



فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

الصفحة	الكلمة	م
٥٣٧	الأترج	١
٣٠٤	الإسراييليات	٢
٦٠٥	الأشد	٣
٨٢	إغريضاً	٤
٧٦	الالتفات	٥
٢١٠	إهالة	٦
٥٢٤	البحيرة	٧
٣٣٦	بَعُونَاه	٨
٣٩٩	بهماً	٩
٦٤١	بيع الفضولي	١٠
٣٣٨	تبسل	١١
٣٠٠	التفسير الرمزي الباطني	١٢
٢٤٧	تنتطحان	١٣
٥٨٦	جراب	١٤
٢٣٤	الجلحاء	١٥
٥٢٤	الحام	١٦
٢٤٧	حشر	١٧
٨٣	حلقانه	١٨
٦٣٩	حنيفاً	١٩
٣٤٥	حوض إبله	٢٠



الصفحة	الكلمة	م
٥٤٤	الحرص	٢١
٤٩٧	الرجس	٢٢
٤٣	رَمِي	٢٣
٥٢٤	السائبة	٢٤
١٨٠	السبر والتقسيم	٢٥
٦٣٩	سعديك	٢٦
١٦٩	سكن	٢٧
٨٣	سياباً	٢٨
٥٥٦	العجاجيل	٢٩
٣٩٩	غراً	٣٠
٥٣٧	الفرسك	٣١
٥٥٦	الفصلان	٣٢
٦٤١	الفضولي	٣٣
٩٤	فقه اللغة	٣٤
٦٣	القراءات الشاذة	٣٥
٦٠	القراءات المتواترة	٣٦
١٥٩	القرن	١
٢٣٤	القرناء	٣٧
٦٣٩	لييك	٣٨
٣٤٥	ليتاً	٣٩
٤٢	مُتِّي	٤٠
٨٣	منسبته	٤١



الصفحة	الكلمة	م
٨٣	موكّتا	٤٢
٦٣٤	النُّسك	٤٣
٥٢٤	الوصيلة	٤٤



فهرس الفرق والقباثل

الصفحة	الكلمة	م
٢٥	الأشاعرة	١
٧٩	الباطنية	٢
٧٦	تميم	٣
١٥٥	الجهمية	٤
٤١٦	الخابطية	٥
٣٣١	الروافض	٦
٤١٥	الزنادقة	٧
٤١٥	المجوس	٨
٧٩	المعتزلة	٩



فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	اسم المكان أو البلد	م
٢٨	إشبيلية	١٠
١٢٣	الأفافة	١١
٥٣٧	الطائف	١٢
٦٦	العالية	١٣
٢١	قرطبة	١٤
٣٢	منية بني خصيب	١٥
٦٥	نجد	١٦
٥٤٦	وادي القرى	١٧



فهرس الشواهد الشعرية

م	الأبيات	الصفحة
١	أجارتكم بسل علينا محرم و جارتنا حل لكم وحليلها	١٢٣
٢	إذا ذكّرنا حديثاً قلن أحسنه وهنّ عن كلّ سوء يُتقى صُدْف	٧١
٣	إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب	١٥٧
٤	ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا	٢٨٠
٥	فو الله ما أدري وإن لحاسب بسبع رميت الجمر أم بثمان	٣٦١
٦	لقد أسمعنا لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي	٢٢٦
٧	هنالك لا أرجو حياة تسرني سمير الليالي مُبسلاً بالجرائر	٣٣٩
٨	وإبسالي بنيّ بغير جُرمٍ بعوناه ولا بدمٍ مُراقٍ	١٢٢
٩	وإبسالي بنيّ بغير جُرمٍ بعوناه ولا بدمٍ مُراقٍ	٣٣٦
١٠	وعمدتي قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر	٥٢٢
١١	ولو أني أوتيت بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم والنشر	١٨
١٢	ونحن رهنا بالأفاقة عامراً بما كان في الدرداء رهناً فأبسلاً	١٢٣
١٣	يا بنت عمي كتاب الله أخرنى عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا	٢٧٥

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : الرسائل الجامعية :

- (١) اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء، جمعاً ودراسة، مقدمة من الطالب محمد بن عبدالعزيز المسند، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٥هـ).
- (٢) اختيارات الشوكاني في التفسير من خلال كتابه فتح القدير من أول الكتاب إلى آخر سورة الإسراء. عرضاً ودراسة، رسالة علمية تقدم بها الطالب/ علي بن حميد السناني مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية.
- (٣) الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي. مقدمة من الباحث: سيدي عبدالقادر بن محمد محمود الطفيل. لنيل درجة الماجستير.
- (٤) ترجيحات ابن عطية في تفسيره من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة عرضاً ودراسة، مقدمة من الطالب عبدالعزيز بن محمد الخليفة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢١هـ).
- (٥) ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر المائدة. رسالة علمية تقدم بها الطالب/ زيد بن علي بن مهدي مهارش لنيل درجة الدكتوراه، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة سنة (١٤٢٦هـ).
- (٦) ترجيحات أبي حيان الأندلسي من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة البقرة. رسالة علمية تقدم بها الطالب/ محمد ناصر جده مقدمه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة سنة (١٤٢٧هـ).
- (٧) ترجيحات الإمام الطبري في تفسيره من آية (٢٠٣) من سورة البقرة إلى آية (٥٨) من سورة النساء، مقدمة من الطالب عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٠هـ).
- (٨) الترجيحات التفسيرية في الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد القرطبي، مقدمة من الطالب: حمدي سيد جازية، لنيل درجة الماجستير من جامعة الأزهر.



- (٩) ترجيحات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي في التفسير جمعاً ودراسة، مقدمة من الباحث: عبدالله بن أحمد زقيلي، لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (١٤٢٦هـ - ١٤٢٧هـ).
- (١٠) ترجيحات القرطبي في الحدود من خلال كتابة الجامع لأحكام القرآن رسالة علمية مقدمة من الطالبة: سعدية بنت حامد الجهني، لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من كلية التربية بجدّه (١٤١٤هـ).
- (١١) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، تقدم بها الطالب: عبدالحكيم بن عبدالله القاسم، لنيل الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه إشراف الدكتور: حسن محمد عبدالعزيز (عام ١٣٢٠هـ).
- (١٢) قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره، دراسة تطبيقية، رسالة علمية تقدم بها الطالب: عبدالله حمد الجمعان لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض، (١٤٢١هـ).
- (١٣) منهج الإمام القرطبي في أصول الدين، مقدمة من الطالب: أحمد بن عثمان المزيد، لنيل درجة الماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤١٢هـ).

ثانياً: المراجع المطبوعة:

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف: أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار الراجعية للنشر - السعودية - ١٤١٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عثمان عبدالله آدم الأثيوبي .
- (٣) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، تأليف: علي بن عبدالكافي السبكي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: جماعة من العلماء .
- (٤) الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب .
- (٥) إثبات صفة العلو، تأليف: عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: بدر عبدالله البدر .



- (٦) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، تأليف: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى .
- (٧) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي، دار إحياء التراث العربي / مؤسسة التاريخ العربي، - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- (٨) أحكام القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن عبدالله، المعروف بابن العربي، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. تحقيق عبدالرزاق المهدي.
- (٩) أحكام القرآن، للإمام عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكياء الهراسي، دار الكتب الحديثة - القاهرة - تحقيق: موسى محمد علي، ود/ عزت علي عطية.
- (١٠) الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤ هـ، الطبعة الأولى .
- (١١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلامة أبي السعود، دار الفكر.
- (١٢) أساس البلاغة، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- (١٣) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القبلة للتراث الإسلامية، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م. تحقيق: السيد أحمد صقر.
- (١٤) الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض .
- (١٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- (١٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، نشر: دار الشعب، القاهرة.
- (١٧) الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي



- (١٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- (١٩) الأظعمة، وأحكام الصيد والذبائح، تأليف صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- (٢٠) إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف - مصر - ١٩٩٧م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: السيد أحمد صقر.
- (٢١) إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين.
- (٢٢) إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء العكبري، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م. تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز.
- (٢٣) إعراب القرآن، تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد.
- (٢٤) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، سنة: ١٩٩٨م.
- (٢٥) إعلام الأنام بشرح فضل الإسلام، للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الأسد - مكة المكرمة - الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. تحقيق: حنان بنت علي اليماني.
- (٢٦) الأفعال، تأليف: أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٢٧) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، تأليف: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط
- (٢٨) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة -، الطبعة: الثانية، ١٣٦٩هـ - تحقيق: محمد حامد الفقي.
- (٢٩) الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبدالله، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣هـ، الطبعة: الثانية



- (٣٠) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- (٣١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: علي بن سليمان المرادوي أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق: محمد حامد الفقي.
- (٣٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر بن محمد البيضاوي، دار البيان العربي - الأزهر - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٣٣) الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، تأليف: عبدالرحمن بن يحيى اليماني العلمي، مطبعة الأشرف لاهور - باكستان - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- (٣٤) إيجاز البيان عن معاني القرآن، للإمام محمود بن أبي الحسن النيسابوري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ١٩٩٥ م. تحقيق د/ حنيف بن حسن القاسمي.
- (٣٥) الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الطبعة: الرابعة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.
- (٣٦) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى: ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م، تحقيق: أحمد حسن فرحات.
- (٣٧) الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر، عناية: بديع السيد اللحام، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ومكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، سنة (١٤١٧ هـ).
- (٣٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف: زين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الثانية.
- (٣٩) بحر العلوم، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. تحقيق: محب الدين العمروي.



- (٤٠) البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر
- (٤١) البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. تحقيق: عادل عبدالموجود، والشيخ علي معوض.
- (٤٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تأليف: علاء الدين الكاساني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٢، الطبعة: الثانية
- (٤٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي أبو الوليد، دار النشر: دار الفكر - بيروت
- (٤٤) البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف - بيروت - .
- (٤٥) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة - بيروت - .
- (٤٦) البرهان في علوم القرآن، تأليف: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- (٤٧) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة العلوم والحكم - ١٤٠٨هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش
- (٤٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية، بيروت، سنة (١٤١٩هـ).
- (٤٩) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - (١٤٠٧هـ)، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.
- (٥٠) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تأليف: أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مطبعة الحكومة - مكة المكرمة - (١٣٩٢هـ)، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم.



- (٥١) البيان في غريب إعراب القرآن، تأليف أبي البركات بن الأنباري، دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م. تحقيق: د/ طه بن عبد الحميد طه.
- (٥٢) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد مرتضى - الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
- (٥٣) التاج والإكليل لمختصر خليل، تأليف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبدالله، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ، الطبعة: الثانية
- (٥٤) تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، نشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
- (٥٥) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي - لبنان/ بيروت - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري
- (٥٦) التاريخ الكبير، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.
- (٥٧) تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت -
- (٥٨) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله الشافعي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
- (٥٩) تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- (٦٠) التبصرة في القراءات. تأليف: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الطبعة الأولى - الكويت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. تحقيق: د/ محيي الدين رمضان.
- (٦١) التبيان في إعراب القرآن، تأليف: أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٦٢) التحرير والتنوير

(٦٣) تحفة المودود بأحكام المولود ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، مكتبة دار البيان - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م . تحقيق : عبدالقادر الأرنؤوط .

(٦٤) التدمرية، تحقيق الإثبات للإسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، تأليف: شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، مطبعة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٦٥) التدوين في أخبار قزوين، تأليف: عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ م، تحقيق: عزيز الله العطاري.

(٦٦) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، تحقيق: فؤاد أحمد زمري، نشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨ هـ).

(٦٧) تذكرة الأريب في تفسير الغريب للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م. تحقيق: علي حسين البواب.

(٦٨) تذكرة الحفاظ، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى

(٦٩) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، تحقيق: فواز أحمد زمري. نشر- دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٢٣ هـ.

(٧٠) تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، تم جمعه من الموسوعة الشعرية،

<http://www.cultural.org.ae>

(٧١) التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد بن بن محمد بن جزي الكلبي، مطبعة مصطفى محمد - القاهرة - الطبعة الأولى: ١٣٥٥ هـ.

(٧٢) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري

(٧٣) التعليق الوقاد على متن لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، إعداد حنان بنت علي اليماني ، وزارة التربية والتعليم ، وحدة التربية الإسلامية .



- (٧٤) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، تأليف: عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي، مطبوعات جامعة أم القرى - مكة المكرمة - مركز التراث الإسلامي.
- (٧٥) تفسير العزبن عبدالسلام المسمى: بتفسير القرآن، للإمام عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي الشافعي، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهبي.
- (٧٦) تفسير القرآن العزيز، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين. دار الفاروق الحديثة. تحقيق حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز.
- (٧٧) تفسير القرآن العظيم مسنداً عم رسول الله ﷺ، للإمام الحافظ عبدالرحمن ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: أسعد بن محمد الطيب.
- (٧٨) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار المعرفة - بيروت - الطبعة التاسعة: ١٤٧١هـ - ١٩٩٧م
- (٧٩) تفسير القرآن للإمام العلامة أبي المظفر السمعاني، دار الوطن - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم.
- (٨٠) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د/ مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي - الدمام - الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- (٨١) تفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، دار المنار - القاهرة - الطبعة الثالثة: ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م
- (٨٢) تفسير آيات من القرآن الكريم، للإمام محمد بن عبدالوهاب، مطابع الرياض - الرياض، الطبعة: الأولى، تحقيق: راجع أصوله وصححه ووضع هوامشه وأعدده للطبع الدكتور محمد بلتاجي.
- (٨٣) تفسير عبدالرزاق، المسمى بتفسير القرآن العزيز، لأبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، دار المعرفة - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م. تحقيق: د/ عبدالمعطي أمين قلعي.
- (٨٤) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، بتحقيق: السيد احمد صقر.



- (٨٥) تفسير غريب القرآن، لسراج الدين أبي حفص المعروف بابن الملقن، عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م. تحقيق: سمير طه المجذوب.
- (٨٦) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن أبي نصر - فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي، مكتبة السنة - القاهرة - مصر - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز
- (٨٧) تفسير كتاب الله العزيز، للشيخ هود بن محكم الهوازي، دار الغرب الإسلامي، تحقيق بألحاج بن سعيد شريفي
- (٨٨) تفسير مبهمات القرآن، للإمام أبي عبدالله محمد بن علي البلنسي، دار الغرب الإسلامي. تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي.
- (٨٩) تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد
- (٩٠) التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- (٩١) تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- (٩٢) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تأليف: الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، دار الفكر للنشر - والتوزيع - بيروت - لبنان - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان.
- (٩٣) التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن الآبار، تصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، نشر: مكتب الثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- (٩٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، دار النشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري.
- (٩٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تأليف: أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطى الشافعي، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري.



- (٩٦) تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن صالح شعبان.
- (٩٧) تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: محي الدين بن شرف النووي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- (٩٨) تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزني، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد معروف.
- (٩٩) تهذيب اللغة، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- (١٠٠) التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبدالرؤف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية
- (١٠١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي.
- (١٠٢) التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف: الإمام الحافظ زين الدين عبدالرؤف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة.
- (١٠٣) التيسير في القراءات السبع، تأليف: الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، الطبعة: الثانية، تحقيق: اوتو تريزل.
- (١٠٤) الثقات، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، دار الفكر - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد.
- (١٠٥) جامع البيان عن تأويل عن أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (١٠٦) جامع الرسائل، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - مصر، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم.



- (١٠٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس .
- (١٠٨) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٧هـ).
- (١٠٩) الجرح والتعديل، تأليف: عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١ - ١٩٥٢، الطبعة: الأولى.
- (١١٠) الجلالين، للعلامة جلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، المكتبة الشعبية.
- (١١١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تأليف: محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم - لبنان / بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. علي حسين البواب.
- (١١٢) جمهرة أشعار العرب، تأليف: أبو زيد القرشي، دار الأرقم - بيروت، تحقيق: عمر فاروق الطباع
- (١١٣) جمهرة اللغة، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.
- (١١٤) جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار المعارف بمصر، تحقيق: ليفي برفنسال .
- (١١٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ عبدالرحمن بن مخلوف الثعالبي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. تحقيق محمد الفاضي.
- (١١٦) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تأليف: عبدالقادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، نشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي - .
- (١١٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (١١٨) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، تأليف: محمد عرفه الدسوقي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد عlish .



- (١١٩) حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، تأليف: ابن عابدين، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (١٢٠) الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبدالله، دار الشروق - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الرابعة، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم.
- (١٢١) الحجة للقراء السبعة، تأليف: أبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي، دار المأمون للتراث - بيروت ودمشق - الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.. تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي.
- (١٢٢) حجج القرآن، تأليف: أبو الفضائل أحمد بن محمد بن مظفر بن المختار الرازي، دار الرائد العربي - لبنان - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني الأزهري.
- (١٢٣) الحماسة البصرية، تأليف: صدر الدين علي بن الحسن البصري، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: مختار الدين أحمد
- (١٢٤) خزانة الأدب وغاية الأرب، تأليف: تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي، دار ومكتبة الهلال - بيروت - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عصام شقيو
- (١٢٥) الدر المختار، تأليف: محمد أمين عمر بن عابدين، دار الفكر - بيروت - ١٣٨٦، الطبعة الثانية.
- (١٢٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- (١٢٧) الدر المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، لبنان - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- (١٢٨) درء تعارض العقل والنقل، تأليف: تقي الدين أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن.
- (١٢٩) الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.



- (١٣٠) الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليمني المدني.
- (١٣١) دفع إيهاام الاضطراب عن آيات الكتاب، تأليف محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- (١٣٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، نشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند.
- (١٣٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية - بيروت -
- (١٣٤) ديوان ابن الرقاع، من الموسوعة الشاملة .
- (١٣٥) ديوان الأعشى الكبير، ليمون بن قيس، مكتبة الآداب بالجهاميز، المطبعة النموذجية - مكة المكرمة - تعليق: الدكتور: محمد حسين .
- (١٣٦) ديوان النابغة، من الموسوعة الشاملة.
- (١٣٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، دار الثقافة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: إحسان عباس.
- (١٣٨) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، للمراكشي، تحقيق: إحسان عباس نشر: دار الثقافة بيروت، سنة (١٩٦٥م).
- (١٣٩) رجال صحيح مسلم، تأليف: أحمد بن علي بن منجويه الأصبهاني أبو بكر، دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبدالله الليثي.
- (١٤٠) الرد على الجهمية، تأليف: ابن منده، نشر: المكتبة الأثرية - باكستان، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي.
- (١٤١) الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف: أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله، المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٣، تحقيق: محمد حسن راشد
- (١٤٢) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، تأليف: أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني، دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي.



- (١٤٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الألوسي البغدادي، مكتبة دار التراث - القاهرة - .
- (١٤٤) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تأليف: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (١٤٥) الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه أحاديث السيرة النبوية، تأليف أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي .
- (١٤٦) روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: النووي، نشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الثانية.
- (١٤٧) زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت - الطبعة الأولى: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- (١٤٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبدالقادر الأرنؤوط.
- (١٤٩) السبعة في القراءات، تأليف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، دار المعارف - مصر - ١٤٠٠هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.
- (١٥٠) السلسلة الصحيحة، تأليف: محمد بن ناصر الألباني، مكتبة المعارف - الرياض.
- (١٥١) سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر - بيروت - - ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- (١٥٢) سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
- (١٥٣) سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.
- (١٥٤) سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.



- (١٥٥) سنن الدارقطني، تأليف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبدالله هاشم ياني المدني.
- (١٥٦) السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.
- (١٥٧) سنن سعيد بن منصور، تأليف: سعيد بن منصور الخراساني، الدار السلفية - الهند - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ودار العصيمي - الرياض - ١٤١٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد.
- (١٥٨) سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الحادية عشر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (١٥٩) السيرة النبوية لابن هشام، تأليف: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار الجليل - بيروت - ١٤١١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه عبدالرؤف سعد.
- (١٦٠) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبدالحفي ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - .
- (١٦١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، دار طيبة - الرياض - ١٤٠٢، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان .
- (١٦٢) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تأليف: عبيد الله بن مسعود المحجوبي البخاري الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: زكريا عميرات.
- (١٦٣) شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: ابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الرابعة: ١٣٩١هـ.
- (١٦٤) شرح الكافية الشافية، تأليف جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك، دار المأمون للتراث، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، تحقيق د/ عبدالمنعم أحمد هريري.
- (١٦٥) شرح المعلقات السبع، وأخبار شعرائها، اعتنى بها الشيخ: أحمد بن الأمين الشنقيطي، دار الأندلس - بيروت .



- (١٦٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية - الدمام - الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ.
- (١٦٧) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الثالثة: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- (١٦٨) شرح مختصر خليل الخرشي على مختصر سيدي خليل، دار الفكر للطباعة - بيروت.
- (١٦٩) شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول
- (١٧٠) شعب الإيمان، تأليف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- (١٧١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.
- (١٧٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، نشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- (١٧٣) صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- (١٧٤) صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية.
- (١٧٥) صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- (١٧٦) الصفدية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الفضيلة - الرياض - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: محمد رشاد سالم.



- (١٧٧) الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلّة، تأليف: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعيّ الدمشقيّ، دار العاصمة - الرياض - الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.
- (١٧٨) الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمر العقيليّ، دار ابن عباس، تحقيق مازن السرساوي .
- (١٧٩) الضعفاء والمتروكين، تأليف: عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبدالله القاضي.
- (١٨٠) ضعيف سنن النسائي، للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (١٨١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - .
- (١٨٢) طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: ط ٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبدالفتاح محمد الحلو.
- (١٨٣) طبقات الشافعية، تأليف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبدالعليم خان.
- (١٨٤) طبقات الفقهاء، تأليف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار القلم - بيروت، تحقيق: خليل الميس.
- (١٨٥) طبقات القراء، لأبي عبدالله الذهبي، تحقيق: د. أحمد خان، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- (١٨٦) الطبقات الكبرى، و(القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم)، تأليف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي أبو عبدالله البصريّ الزهريّ، دار صادر - بيروت - ، ومكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: زياد محمد منصور.
- (١٨٧) طبقات المفسرين، تأليف: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى - بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، تحقيق: عبدالسلام عبدالمعين.
- (١٨٨) طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين السيوطي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت.



- (١٨٩) طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي، دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر
- (١٩٠) طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري الطبعة الأولى، - القاهرة - ١٣٦٩ هـ.
- (١٩١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشيخ محمد بن الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ، تحقيق: خالد بن عثمان السبت.
- (١٩٢) عرائس المجالس (قصص الأنبياء): لأبي اسحاق أحمد النيسابوري الثعلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٩٤ م. تحقيق: عبداللطيف حسن عبدالرحمن.
- (١٩٣) علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، تأليف: نبيل بن محمد بن إبراهيم آل اسماعيل، مكتبة التوبة - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م. تحقيق: الشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ.
- (١٩٤) العلو للعلي الغفاري في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، تأليف: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مكتبة أصواء السلف - الرياض - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود.
- (١٩٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (١٩٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ م، الطبعة: الثانية.
- (١٩٧) العين، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي . د/ إبراهيم السامرائي .
- (١٩٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للشيخ محمود بن حمزة الكرمانى، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة -، مؤسسة علوم القرآن - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. تحقيق: شمران سركال يونس العجلي.
- (١٩٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق: الشيخ زكريا عميرات.



- (٢٠٠) غريب الحديث، تأليف: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: الدكتور عبدالمعطي أمين القلعجي.
- (٢٠١) غريب الحديث، تأليف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، نشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٢، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي.
- (٢٠٢) غريب الحديث، تأليف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، مطبعة العاني - بغداد - ١٣٩٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبدالله الجبوري.
- (٢٠٣) غريب القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبدالواحد جمران.
- (٢٠٤) الفائق في غريب الحديث، تأليف: محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة - لبنان -، الطبعة الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم.
- (٢٠٥) الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار الفكر: ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢٠٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- (٢٠٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة - بيروت -.
- (٢٠٨) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى.
- (٢٠٩) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية.
- (٢١٠) الضريد في إعراب القرآن المجيد، تأليف: حسين بن أبي العزهمذاني، دار الثقافة - الدوحة - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢١١) فصول في أصول التفسير، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي - الدمام - الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



- (٢١٢) **فصول في فقه العربية** ، تأليف د/ رمضان عبدالنواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- (٢١٣) **فضائح الباطنية**، تأليف: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت، تحقيق: عبدالرحمن بدوي
- (٢١٤) **فضائل القرآن**، تأليف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي، دار إحياء العلوم / دار الثقافة - بيروت / الدار البيضاء - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د فاروق حمادة
- (٢١٥) **فقه اللغة وأسرار العربية** ، تأليف أبي منصور الثعالبي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، لبنان
- (٢١٦) **فوات الوفيات**، تأليف: محمد بن شاكر بن أحمد الكتيبار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/ عادل أحمد عبدالموجود
- (٢١٧) **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تأليف: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي دار الفكر - بيروت - ١٤١٥ هـ
- (٢١٨) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، تأليف: عبدالرؤف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦ هـ، الطبعة: الأولى .
- (٢١٩) **القاموس المحيط**، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت
- (٢٢٠) **القبس في شرح موطأ ابن أنس** ، تأليف القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، تحقيق : أيمن نصر الأزهري ، وعلاء إبراهيم الأزهري .
- (٢٢١) **القراءات الشاذة**، لابن خالويه، نشر: مكتبة المتنبى بالقاهرة.
- (٢٢٢) **القرآن نزوله وتدوينه**، ترجمته للمستشرق بلاشير، ترجمة: رضا سعادة، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٧٤ م.
- (٢٢٣) **القرطبي حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير**، تأليف: مفتاح السنوسي بلعم، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - .
- (٢٢٤) **القرطبي ومنهجه في التفسير**، للقصي محمود زلط، دار القلم.



- (٢٢٥) القطع والائتناف، أو الوقف والابتداء، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.
- (٢٢٦) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تأليف: محمد صديق حسن خان القنوجي، نشر:- شركة الشرق الأوسط للطباعة - ماركا الشمالية - الأردن - ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عاصم عبدالله القريوتي.
- (٢٢٧) قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية - تأليف: حسين بن علي الحربي دار القاسم - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- (٢٢٨) قواعد الفقه، تأليف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، نشر:- الصدف ببلشرز - كراتشي - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى.
- (٢٢٩) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
- (٢٣٠) الكافي في فقه أهل المدينة، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى.
- (٢٣١) الكامل في التاريخ، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالله القاضي.
- (٢٣٢) الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
- (٢٣٣) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية: تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- (٢٣٤) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م
- (٢٣٥) كشاف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢هـ، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال.
- (٢٣٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر، الطبعة الأولى: ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.



- (٢٣٧) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- (٢٣٨) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، دار عمار - عمان - الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. تحقيق: د/ عبدالقادر عبدالرحمن السعدي.
- (٢٣٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تأليف أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. تحقيق: د/ محيي الدين رمضان.
- (٢٤٠) الكشف والبيان، تأليف: الإمام أبو إسحاق أحمد الثعلبي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، تحقيق أبي محمد بن عاشور.
- (٢٤١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
- (٢٤٢) لباب النقول في أسباب النزول، تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم - بيروت -.
- (٢٤٣) اللباب في علوم الكتاب، للإمام أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالوجود، والشيخ علي بن أحمد معوض.
- (٢٤٤) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى
- (٢٤٥) لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند -
- (٢٤٦) المبدع في شرح المقنع، تأليف: إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن مفلح الحنبلي أبو إسحاق، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٠ هـ



- (٢٤٧) المبسوط، تأليف: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبدالله، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني.
- (٢٤٨) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. تحقيق: محمد فؤاد سزكين.
- (٢٤٩) المجتبى من السنن، تأليف: أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
- (٢٥٠) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تأليف: الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التيمي البستي، دار الوعي - حلب - ١٣٩٦ هـ، الطبعة الأولى: تحقيق: محمود إبراهيم زايد.
- (٢٥١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، تأليف: عبدالرحمن بن محمد بن سليمان الكليوبي المدعو بشيخي زاده، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: خرح آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور.
- (٢٥٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، تأليف أحمد قبش، دار الرشيد: ١٩٨٥ م.
- (٢٥٣) المجموع، تأليف: النووي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧ م
- (٢٥٤) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- (٢٥٥) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، دار القلم - بيروت - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، تحقيق: عمر الطباع.
- (٢٥٦) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.
- (٢٥٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، الكتبة التجارية: مصطفى الباز - مكة المكرمة - تحقيق المجلس العلمي بفاس.
- (٢٥٨) المحلى، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الآفاق الجديدة - بيروت، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي



- (٢٥٩) مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، نشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
- (٢٦٠) مختصر اختلاف العلماء، تأليف: الجصاص / أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤١٧، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. عبدالله نذير أحمد
- (٢٦١) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، مكتبة المتنبى - القاهرة - .
- (٢٦٢) المخصص، تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيده، دار الفكر .
- (٢٦٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي
- (٢٦٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للإمام الجليل: أبي البركات عبدالله النسفي، دار الفكر .
- (٢٦٥) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: عبدالقادر بن بدران الدمشقي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي:
- (٢٦٦) المدونة الكبرى، تأليف: مالك بن أنس، دار صادر - بيروت .
- (٢٦٧) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبدالرحمن ابن إسماعيل أبو شامة، تحقيق: وليد مساعد الطبطبائي، نشر: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ.
- (٢٦٨) مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله، تأليف: عبدالله بن أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: زهير الشاويش.
- (٢٦٩) المستدرک على الصحيحين، تأليف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا.
- (٢٧٠) مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر .



- (٢٧١) مسند البزار، تأليف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة - ١٤٠٩ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله.
- (٢٧٢) مشكاة المصابيح، تأليف محمد بن عيد الله التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق. الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- (٢٧٣) مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الرابعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن.
- (٢٧٤) مشكل الحديث وبيانه، تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، عالم الكتب - بيروت - ١٩٨٥ م، الطبعة الثانية، تحقيق: موسى محمد علي.
- (٢٧٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.
- (٢٧٦) المصنف بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، تأليف: عبدالرحمن بن الجوزي أبو الفرج، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٥ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. صالح الضامن.
- (٢٧٧) المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- (٢٧٨) المصنف، تأليف: أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- (٢٧٩) المطلع على أبواب الفقه/ المطلع على أبواب المقنع، تأليف: محمد بن أبي الفتح البجلي الحنبلي أبو عبدالله، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠١ - ١٩٨١، تحقيق: محمد بشير الأدلبي.
- (٢٨٠) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف: حافظ بن أحمد حكيمي، دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.
- (٢٨١) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين البغوي، دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٢٢ م. تحقيق: محمد النمر، د/ عثمان جمعة، سليمان الحرش.
- (٢٨٢) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، <http://www.al-islam.com> موقع الإسلام.



- (٢٨٣) معاني القرآن وإعرابه ، تأليف: أبي إسحاق إبراهيم الزجاج ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . تحقيق : د/ عبدالجليل عبده شلبي .
- (٢٨٤) معاني القرآن. تأليف: سعيد بن مسعدة البلخي الأخفش، دار عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م. تحقيق: عبدالأمير محمد أمين الورد.
- (٢٨٥) معاني القرآن. تأليف: أبي زكريا يحيى بن فؤاد الفراء. تحقيق: احمد يوسف نجاتي. و محمد علي النجار..
- (٢٨٦) معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، دار الحديث - القاهرة - سنة الطبع: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. تحقيق: د. يحيى مراد.
- (٢٨٧) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، الطبعة: الأولى.
- (٢٨٨) معجم الأفعال المتعدية بحرف، تأليف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي.
- (٢٨٩) معجم البلدان، تأليف: ياقوت بن عبدالله الحموي أبو عبدالله، دار النشر: دار الفكر - بيروت
- (٢٩٠) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ملتقى أهل الحديث، الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة و لا يوجد مطبوع. أعده للموسوعة: خالد لكحل.
- (٢٩١) معجم الصحابة، تأليف: عبدالباقي بن قانع أبو الحسين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٨، الطبعة الأولى، تحقيق: صلاح بن سالم المصري.
- (٢٩٢) المعجم الصغير (الروض الداني)، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان - ١٤٠٥ - ١٩٨٥، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.
- (٢٩٣) المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- (٢٩٤) معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحاله، دار إحياء التراث العربي - بيروت -
- (٢٩٥) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، لعادل نويهض، نشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣ هـ).



- (٢٩٦) المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- (٢٩٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تأليف: عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثالثة، تحقيق: مصطفى السقا
- (٢٩٨) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبدالله، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس.
- (٢٩٩) معرفة علوم الحديث، تأليف: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، الطبعة الثانية، تحقيق: السيد معظم حسين
- (٣٠٠) المغرب في ترتيب المعرب للإمام أبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- (٣٠١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر - بيروت - .
- (٣٠٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تأليف: عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ، الطبعة الأولى.
- (٣٠٣) مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، مطبعة البهية المصرية - القاهرة -، الطبعة الأولى:
- (٣٠٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، دار القلم - دمشق الدار الشامية - بيروت - الطبعة الثالثة_ ١٤٣٢ هـ - ٢٠٠٢ م تحقيق: صفوان عدنان داوودي
- (٣٠٥) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، تأليف: الدكتور مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي - الدمام - الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ.
- (٣٠٦) مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.
- (٣٠٧) مقدمة تفسير الإمام القرطبي، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري. دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م. تحقيق: محمد طلحة بلال منيار.



- (٣٠٨) مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، راجعه: زكي الحسيني، نشر: دار الرسالة - مكة المكرمة - ١٤١٥ هـ.
- (٣٠٩) الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤ هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- (٣١٠) منار السبيل في شرح الدليل، تأليف: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٥ هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عصام القلعجي.
- (٣١١) مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر - لبنان - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة الأولى.
- (٣١٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد ابن الجزري، عناية: علي بن محمد العمران، نشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ.
- (٣١٣) منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة - ١٤٠٦ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- (٣١٤) المهذب في فقه الإمام الشافعي، تأليف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر - بيروت -
- (٣١٥) الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي، تحقيق: عبدالله دراز، نشر: دار المعرفة - بيروت -
- (٣١٦) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تأليف: محمد بن عبدالرحمن المغربي أبو عبدالله، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ، الطبعة الثانية
- (٣١٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.
- (٣١٨) الناسخ والمنسوخ (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن)، تأليف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، دار القرآن الكريم - الكويت - ١٤٠٠، تحقيق: سامي عطا حسن.



- (٣١٩) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري
- (٣٢٠) الناسخ والمنسوخ، تأليف: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٨، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد عبدالسلام محمد.
- (٣٢١) الناسخ والمنسوخ، تأليف: هبة الله بن سلامة بن نصر المقرئ، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان.
- (٣٢٢) الناسخ والمنسوخ، تأليف: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.
- (٣٢٣) النبوات، تأليف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٨٦هـ.
- (٣٢٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي.
- (٣٢٥) النشر في القراءات العشر، تأليف: أبي الخير محمد دمشقي الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي - بيروت - تحقيق: علي بن محمد الضباع.
- (٣٢٦) نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، دار الحديث - مصر - ١٣٥٧هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري
- (٣٢٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٣٢٨) نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، دار صادر - بيروت - ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.
- (٣٢٩) النكت على مقدمة ابن الصلاح، تأليف: بدر الدين أبي عبدالله محمد بن جمال الدين عبدالله بن بهادر، أضواء السلف - الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج.



- (٣٣٠) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.
- (٣٣١) النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- (٣٣٢) نواسخ القرآن، للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، إحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. تحقيق: أشرف علي الملباري.
- (٣٣٣) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣م.
- (٣٣٤) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٣٣٥) الوايف بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.
- (٣٣٦) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، دار القلم للطباعة والنشر الطبعة الأولى - دمشق - والدار الشامية - بيروت - ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
- (٣٣٧) الوسيط في المذهب، تأليف: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار السلام - القاهرة - ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم ، محمد محمد تامر.
- (٣٣٨) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ..
- (٣٣٩) وضع البرهان في مشكلات القرآن تأليف: العلامة محمود بن ابي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي. دار القلم - دمشق،الدار الشامية بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. تحقيق: صفوان عدنا داوودي.



- (٣٤٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار الثقافة - لبنان، تحقيق: إحسان عباس
- (٣٤١) الوفيات، تأليف: أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب، دار الإقامة الجديدة - بيروت - ١٩٧٨م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عادل نويهض.

ثالثاً : الدوريات والمجلات :

- (١) مجلة الحرس الوطني العدد ١٣٤ شهر ربيع أول ، ١٤١٤ هـ زاوية آفاق إسلامية، بعنوان : القرطبي المفسر الموسوعي . بقلم : د/ حمد الدخيل
- (٢) مجلة مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها ، بحث محكم بعنوان: البيئة وأثرها على المفسرين ، دراسة تطبيقية على الإمام القرطبي ، إعداد: د/ صلاح الدين عوض إدريس (١٤٢٦هـ).

رابعاً : مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) :

- (١) ملتقى أهل التفسير . على الرابط : <http://www.tafsir.org/vb>
- (٢) مكتبة الملك فهد الوطنية، بوابة الأفق للمعلومات . على الرابط : <http://www.kfml.gov.sa>
- (٣) شبكة السنة النبوية وعلومها على الرابط : <http://www.alssunnah.com>
- (٤) الموسوعة الشاملة على الرابط : <http://islamport.com>



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	ملخص الرسالة بالإنجليزي
٥	مقدمة
٦	أسباب اختيار الموضوع
٧	أهمية الموضوع
٨	الدراسات السابقة
١٠	الإضافات العلمية
١٠	مجال البحث وحدوده
١١	خطة البحث
١٤	عملي ومنهجي في البحث
٢٠	التمهيد : ترجمة موجزة للإمام القرطبي
٢١	أولاً: اسمه ونسبه ومولده
٢٢	ثانياً: حياته و نشأته
٢٢	ثالثاً: صفاته وأخلاقه
٢٤	رابعاً: عقيدته ومذهبه
٢٧	خامساً: حياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه
٣٤	سادساً: مكانته العلمية ومؤلفاته
٣٩	سابعاً: وفاته
٤٠	القسم الأول : منهج الإمام القرطبي في تفسيره ومنهجه في الترجيح في تفسيره
٤١	الفصل الأول : منهج الإمام القرطبي في تفسيره



الصفحة	الموضوع
٤٢	تمهيد
٤٥	المبحث الأول: تفسيره القرآن بالمأثور
٤٧	المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن
٤٩	المطلب الثاني: تفسيره القرآن بالسنة
٥٢	المطلب الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة <small>رضي الله عنهم</small>
٥٥	المطلب الرابع: تفسيره القرآن بأقوال التابعين، وأتباعهم
٥٨	المطلب الخامس: تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصور التابعين
٦٠	المطلب السادس: عنايته بالقراءات
٦٧	المبحث الثاني: تفسيره القرآن باللغة
٧١	المطلب الأول: عنايته بمعاني المفردات
٧٢	المطلب الثاني: عنايته بمعاني الحروف والأدوات
٧٤	المطلب الثالث: عنايته بالإعراب
٧٦	المطلب الرابع: عنايته بالأساليب البلاغية في الآيات القرآنية
٧٨	المبحث الثالث: تفسيره القرآن بالرأي
٨١	المطلب الأول: عنايته بالمناسبات
٨٢	المطلب الثاني: عنايته بفقهاء اللغة وأسرار التعبير
٨٤	الفصل الثاني: منهج الإمام القرطبي في الترجيح في التفسير
٨٥	التمهيد
٨٥	تعريف الترجيح
٨٦	تعريف الاختيار
٨٧	أهمية هذا الفن
٨٩	المبحث الأول: صيغ الترجيح وأساليبه عند الإمام القرطبي



الصفحة	الموضوع
٩٠	المطلب الأول: التنصيص على القول الراجح
٩٤	المطلب الثاني: التفسير بقول مع النص على ضعف غيره
٩٦	المطلب الثالث: التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرير
٩٨	المطلب الرابع: اقتصار الإمام القرطبي على نص الترجيح بالمسألة لأحد العلماء السابقين، مما يدل على تأييده لقوله
١٠٠	المبحث الثاني: وجوه الترجيح عند الإمام القرطبي
١٠١	المطلب الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية
١٠٣	المطلب الثاني: الترجيح بظاهر القرآن
١٠٥	المطلب الثالث: الترجيح بالسياق
١٠٧	المطلب الرابع: الترجيح بالقراءات
١٠٩	المطلب الخامس: الترجيح بالحديث النبوي
١١٢	المطلب السادس: الترجيح بأسباب النزول
١١٥	المطلب السابع: الترجيح بأقوال السلف
١١٨	المطلب الثامن: الترجيح بدلالة العموم
١٢٠	المطلب التاسع: الترجيح بدلالة الأصل المفسر أولاً من كلام العرب
١٢٢	المطلب العاشر: الترجيح بدلالة تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها
١٢٥	القسم الثاني: ترجيحات الإمام القرطبي في (سورة الأنعام)
١٢٦	١- في أي يوم بدأ الله تعالى الخلق؟ في قوله ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.
١٣٥	٢- المراد بالظلمات والنور في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.
١٤٠	٣- في المراد بخلقكم من طين؟ في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾.
١٤٥	٤- المراد بالأجلين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾.
١٥١	٥- في عامل إعراب الظرف في قوله ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾.



الصفحة	الموضوع
١٥٧	٦- المراد بالقرن في قوله تعالى ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ .
١٦٢	٧- موقع الذين من الإعراب في قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
١٦٧	٨- المراد بسكن في قوله ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ .
١٧٢	٩- قراءات قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ ؟
١٧٧	١٠- المراد بقوله ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
١٨٣	١١- المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ .
١٨٧	١٢- مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾
١٩١	١٣- القراءات المتواترة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ .
١٩٧	١٤- هل يقع الكذب في الآخرة ؟ حين قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقال تعالى عنهم: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾
٢٠٤	١٥- في مرجع الضمير في ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعُونَ عَنْهُ﴾ وتأويلها .
٢١٠	١٦- المراد بوقوفهم على النار في قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ .
٢١٥	١٧- إلام يعود الضمير في قوله ﴿بَدَأْتُمْ﴾ ؟
٢١٨	١٨- المراد بقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ﴾
٢٢٤	١٩- من المراد بالموتى في قوله تعالى ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ .
٢٢٩	٢٠- المراد بقوله: ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ .
٢٣٢	٢١- المراد بالمماثلة في قوله تعالى ﴿إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّثَلْتُمْ﴾ ؟
٢٣٨	٢٢- المقصود في الكتاب في قوله تعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ .
٢٤٤	٢٣- عود الضمير في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [
٢٥١	٢٤- إلام يعود الضمير في قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ .
٢٥٥	٢٥- من المراد بالذين يخافون في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾
٢٦٠	٢٦- المقصود بيدعون ربهم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَمِيَّتِ﴾ .



الصفحة	الموضوع
٢٦٤	٢٧- فيمن نزلت هذه الآية قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؟﴾
٢٦٩	٢٨- من أي جهة كان السلام في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾
٢٧٢	٢٩- المراد بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ .
٢٧٨	٣٠- المراد بجهالة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [٥٤]
٢٨٢	٣١- علام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ؟﴾
٢٨٦	٣٢- عود الضمير في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدِي مَا اسْتَعِجَلُونَ﴾ [٥٧]
٢٨٩	٣٣- المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ [٥٧]
٢٩٣	٣٤- المراد بمفاتيح الغيب في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾
٢٩٨	٣٥- المراد بقوله تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾
٣٠٢	٣٦- المراد بقوله تعالى: ﴿فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾
٣٠٦	٣٧- ما حقيقة التوفي في قوله تعالى ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ .
٣١٠	٣٨- ما الذي تحفظه الملائكة في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾
٣١٥	٣٩- المراد بالعذاب في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا مِمَّنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾
٣٢١	٤٠- من المعنى بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِمَّنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوعًا وَيَدْبِقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [٦٥] ﴿[الأنعام: ٦٥]﴾
٣٢٦	٤١- من المخاطب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
٣٢٩	٤٢- هل يقع النسيان منه ﷺ عند قوله تعالى ﴿وَأَمَّا يُنْسِينَا الشَّيْطَانُ فَلَا نَقْعُدُ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؟
٣٣٣	٤٣- هل الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]
٣٣٦	٤٤- المراد بقوله تعالى: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾



الصفحة	الموضوع
٣٤٢	٤٥- هل الآية (٧٠) منسوخة بآية القتال ؟
٣٤٥	٤٦- المراد بالصورة في هذا الموضع عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْخُ فِي الصُّورِ﴾
٣٥٠	٤٧- عند قوله تعالى: ﴿أَزْرَرَ﴾ هل هو اسم لوالد إبراهيم عليه السلام؟ أم أن له أسماً آخر؟
٣٥٧	٤٨- عند قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ هل قوله على جهة الاعتقاد؟ أم على جهة الاحتجاج؟
٣٦٤	٤٩- مسألة في من قائل؟ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾
٣٦٧	و المراد ﴿يُظْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾
٣٦٩	٥٠- ما المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا﴾
٣٧٣	٥١- عود الضمير في قوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ ؟
٣٧٧	٥٢- من هو إلياس عليه السلام؟ في قوله تعالى ﴿وَالْيَاسُ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
٣٨٠	٥٣- من المراد بالقوم الموكلين بالإيمان في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾
٣٨٥	٥٤- من المعنى بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِنْ شَيْءٍ﴾
٣٩٠	٥٥- من القائل قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ؟
٣٩٥	٥٦- المراد بقوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [
٣٩٩	٥٧- المراد ب قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
٤٠٢	٥٨- المراد ب فالفق الحب والنوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾
٤٠٦	٥٩- المراد بحسباناً في قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾
٤١١	٦٠- المراد بالمستقر والمستودع في قوله تعالى: ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾
٤١٥	٦١- فيمن نزلت قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ وما معناها ؟
٤٢١	٦٢- عود الضمير في قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾
٤٢٤	٦٣- المراد بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾
٤٣٣	٦٤- في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا ؟



الصفحة	الموضوع
٤٤٠	٦٥- المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ وهل هي منسوخة؟
٤٤٤	٦٦- نوع اللام، ومقصودها في قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾
٤٥٠	٦٧- المراد بقوله: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾
٤٥٦	٦٨- نوع اللام عند قوله تعالى: ﴿وَلِنَصْغَةٍ﴾
٤٥٩	٦٩- المراد بالذين أتوا الكتاب؟ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾.
٤٦٢	٧٠- المقصود بكلمة ربك في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾.
٤٦٦	٧١- مسألة في ما هو المحرم الذي فصله <small>عنه</small> ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
٤٦٩	٧٢- ما المراد بما لم يذكر اسم الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾.
٤٧٥	٧٣- مسألة في حكم متروك التسمية عند قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟
٤٨٢	٧٤- لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
٤٨٦	٧٥- المراد بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾
٤٨٩	٧٦- المقصود بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتِيَ مَثَلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾.
٤٩٢	٧٧- المراد بقوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
٤٩٥	٧٨- المقصود بقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾
٥٠٠	٧٩- المراد بالاستمتاع في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.
٥٠٥	٨٠- ما هو المستثنى منه في قوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثُونٌ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾
٥٠٩	٨١- المراد بقوله تعالى: ﴿نُؤْيَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾
٥١٣	٨٢- عود الضمير في قوله تعالى: ﴿الْمُرَايَاتُ رُغْلٌ مِّنْكُمْ﴾
٥١٩	٨٣- قراءات قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾



الصفحة	الموضوع
٥٢٤	٨٤- المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَمْنَا حُرْمَتَ ظُهُورِهَا﴾
٥٢٨	٨٥- المراد بأزواجنا عند قوله تعالى: ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَيْكَ أَزْوَاجُكَ﴾
٥٣٠	٨٦- المراد بقوله تعالى ﴿مَعْرُوشَتِي وَعَيْرَ مَعْرُوشَتِي﴾
٥٣٤	٨٧- عند قوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ﴾ هل في الزيتون زكاة؟
٥٣٧	٨٨- عند قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ زكاة الخارج من الأرض؟
٥٤٤	٨٩- وقت وجوب الزكاة عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾
٥٤٧	٩٠- هل يكون الإسراف في الخير؟ عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾.
٥٥٢	٩١- المراد بالأنعام؟ عند قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾
٥٦٠	٩٣- هل تحصر المحرمات في الأربع؟ وحكم الآية من حيث النسخ وعدمه في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾
٥٧٠	٩٤- حكم لحم الخيل؟
٥٧٧	٩٥- حكم الدم الذي مع اللحم عند قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].
٥٨٢	٩٦- علام العطف في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾
٥٨٦	٩٧- حكم شحوم ذبائح اليهود؟ في قوله تعالى: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾.
٥٨٩	٩٨- المراد بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].
٥٩٢	٩٩- موقع الإعراب في المصدر المؤول من (أن والفاعل) في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَشْكُرُونَ﴾؟
٥٩٦	١٠٠- في حكم العزل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ آمَنُوا﴾.
٦٠١	١٠١- المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟
٦٠٤	١٠٢- ما هو الأشد في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾
٦٠٩	١٠٣- المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]
٦١٢	١٠٤- المراد بالسبيل عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْبِعُوا السَّبِيلَ﴾
٦١٦	١٠٥- المراد بقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾؟
٦٢١	١٠٦- من المعنيين بقوله تعالى ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾



الصفحة	الموضوع
٦٢٦	١٠٧- المراد من قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ من جهة العموم والخصوص ؟
٦٣٢	١٠٨- المراد بقوله تعالى ﴿وَسُكِّي﴾ ؟
٦٣٦	١٠٩- مشروعية دعاء استفتاح الصلاة من الآية
٦٤١	١١٠- هل يستدل عند قوله تعالى ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ على جواز بيع الفضولي ؟
٦٤٥	الخاتمة
٦٤٨	الفهارس
٦٤٩	فهرس الآيات القرآنية
٦٧٧	فهرس القراءات الشاذة
٦٧٨	فهرس الأحاديث النبوية
٦٨٢	فهرس الآثار
٦٩٥	فهرس الأعلام
٧٠٤	فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة
٧٠٧	فهرس الفرق والقبائل
٧٠٨	فهرس الأماكن والبلدان
٧٠٩	فهرس الشواهد الشعرية
٧١٠	فهرس المصادر والمراجع
٧٤٢	فهرس الموضوعات

